إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس

تأليف

ابن زيدان: عبد الرحمن بن محمد السجلماسى

(١٢٩٠ - ١٣٦٥هـ)

تحقيق

الدكتور على عمر

بقسم التاريخ والحضارة الإسلامية

بجامعة المنيا والإمام بالرياض

ومن الباحثين بمركز تحقيق التراث (سابقا)

الجزء الرابع

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

الطبعة الاولى
١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨

الناشر
مكتبة الثقافة الدينية
٥٢٦ شارع بورسعيد ـ القاهرة
٢٥٩٢٢٦٢٠-٢٥٩٣٨٤١١ / فاكس: ٢٥٩٣٦٢٧٧
E-mail: alsakafa_aldinay@hotmail.com

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

اتحاف اعلام الناس بجمال اخبار حاضرة مكناس ج٤
تاليف: ابن زيدان عبد الرحمن بن محمد المكناسى ، تحقيق: على عمر
ـ ط ١ ـ القاهرة : مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٨
٥ مج : ٢٤ سم
تدمك : ٦ ٣٩٢ ٣٤١ ٩٧٧
١ـ الفقهاء ـ معاجم
أ ـ عمر ، على (محقق)
ب ـ العنوان

ديوى : ٩٢٢،٥٨

رقم الايداع : ٢٠٠٨/٧٦٦٩


بسم الله الرحمن الرحيم







إتحاف أعلام الناس
بجمال أخبار حاضرة مكناس

لابن زيدان







بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

***

٢٠٦- محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي العثماني الأصل.

نسبة إلى أبى عثمان، وهو من قبيلة كتامة حسبما ذكر ابن خلدون، كذا قال عن نفسه، والذى فى ترجمة الشيخ عبد الله بن عبد الرزاق العثمانى من نشر المثانى أن نسبتهم إلى العثامنة بطن من مختار حوز مكناسة الزيتون والله أعلم، المكناسى النشأة والدار، الفاسى الرحلة والإقبار.

حاله: عالم العصر، وبركة القطر، المتفنن الذى لم يسمح الزمان له بمثيل، بحر زخار تتلاطم أمواج تحقيقه، حافظ حجة، فرضى حيسوبى عروضى خطيب، جامع شتات الفضائل، مقرئ مجود صدر فى القراءات متقن لها عارف بوجوهها وعللها، طيب النغمة، عذب المنطق، حسن الإيراد والتقرير، فصيح اللسان، عارف بصنعة التدريس، ممتع المجالسة، جميل الصحبة، سرى الهمة نقى الشيبة، حسن الأخلاق والهيئة، عذب الفكاهة، معظم عند الخاصة والعامة، نصوح، قائم بعلم التفسير والفقه والعربية والحديث حافظ له واقف على أحوال رجاله وطبقاتهم ضابط لذلك كله معتن به ذاكر للسير والمغازى والتاريخ والآداب.

رحل لفاس فى طلب العلم قال عن نفسه: وأظن رحلتى سنة ثمان وخمسين وثمانمائة فأقمت بها ما شاء الله تعالى، ولقيت من الأشياخ بالمدينتين جماعة ذكرت مشاهيرهم فى الفهرسة التى سميتها بالتعلل برسوم الإسناد، بعد

٢٠٦ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢٠، دوحة الناشر فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٨٣١.

انتـقال أهـل المنزل والناد، ثم عـدت إلى مدينـة مكناسة فـأقـمت بهـا بين أهلى وعشيرتى زمانا انتهى.

ولقد أنفق عمره فى طلب العلم والعكوف على نشره وتقييد شوارده.

ولى خطابة مكناسة الزيتـون وتصدر للتدريس بجامعـها الأعظم، ثم خطبة فاس الجديد لما نفى من بلده مـكناسة على عهد محـمد بن أبى زكرياء الوطاسى، قال فى درة الحجال فى ترجمة محمد بن يوسف التلافى: حدثنى أن ابن غازى لما نفى من مكناسـة نفاه محـمد بن أبى زكـرياء بن يحيى بن عمـر الوطاسى الملقب بالحلو لقيه بباب مكناسة وهو خارج منها قاصدا المشرق، أعنى كان فى ظنه ذلك، ثم حبسه أهل فاس عنـدهم فقال له يوصيه: يا محمد عليك بالقـراءة فمن بركتها بلغت هذا المنصـب، وهذه الخطة - يعنى خطة الجلوس لحـراسـة الأبواب - فكان ابن غازى يسلى نفـسه بعـد ذلك بقوله، وكان أمـير فاس يومـئذ محـمد بن أبى زكرياء[1] انتهى.

ثم لما انتقل لفاس واستوطنها رشح لخطبة فاس الجديد، ثم للخطابة والإمامة بجامع القرويين والتدريس، ولـم يكن فى عـصره أخطب منه، وكان يسمع فى كل رمضان صـحيح الإمام البخـارى، رحل الناس للأخذ عنه وتنافسوا فـيه، وتخرج عليه عامـة طلبة فاس وغيـرها، وكان شيخ الجمـاعة بها، وبالجملة فـقد فاق أهل زمانه وتبرز عليهم فى سائر الفنون، وهو آخر المقرئين وخاتمة المحدثين.

جاهد بنفسه وحضر فيه مواقـف عديدة، ورابط فيه مرات كثيرة، وخرج فى آخر عمره لقصر كتامة للحراسة فمرض ورجع لفاس فاستمر به إلى أن توفى.

وفى بذل المناصـحة، فى فـعل المصـافحـة، لأبى العبـاس أحمـد بن على البوسـعيدى أن المترجم كـان متخذا من يبـحث له عن الأخبار الرائجة ويأتيـه بها

---

(١) درة الحجال ٢/ ١٨٢.

مكتوبة فى كراريس كل يوم الأربعاء فيتصفحها يوم الخميس يوم تعطيل الدروس انتهى.

مشيخته: منهم أبو عبد الله محمد بن قاسم القورى المكناسى لازم مجلس درسه فى المدونة أعواما، وسمع عليه كثيرا من الموطأ رواية يحيى بن يحيى الليثى، وسمع عليه السير لابن إسحاق رواية عبد الملك بن هشام وتهذيبه بحثا وتفقها، وسمع عليه بعض مدارك القاضى عياض وبعض مختصر الجوزقى وبعض وثائق أبى القاسم الجزيرى، وبعض المختصر الخليلى، وبعض المدونة زائدا على ما فى مجلس درسه العام، وسمع عليه أيضا تبحرا وتوسعا بعض التفسير وبعض رسالة الشيخ ابن أبى زيد، وبعض المرادى على الألفية وغير ذلك.

ومنهم الشيخ النظار أبو العباس أحمد بن عمر المزجلدى المتوفى بفاس عام أربعة وستين وثمانمائة قال: ما أدركنا بفاس أعلم منه بالمدونة، كانت نصب عينيه يستظهر نصوصها ويسردها عند الحاجة سردا، وإذا قعد لإقرائها تسمع منه السحر الحلال، ينقل عليها كلام شارحيها بألفاظهم بلا تكلف، ثم يكر على أبحاثهم فيبين من أين أخذوها منها، ويقول: إنهم فهموها ففسروا بعضها وضربوا أولها بآخرها وآخرها بأولها، قال: ولم يكن يقرر فى مجلسه إلا الفقه الساذج، ولازمت مجلسه بمدرسة مصباح مدة، سمعت منه فيها بعض رزمة البيوع.

ومنهم الحافظ المكثر الخطيب أبو على الحسن ابن منديل المغيلى المتوفى بفاس عام ثلاث وستين وثمانمائة، لازم مجلسه بجامع القرويين مدة، سمع عليه فيها رسالة أبى محمد، قال: وسألته واستفدت منه.

ومنهم الولى الصالح أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد بن أبى القاسم القرمونى القيسى المتوفى عام أربعة وستين، قال: جالسته كثيرا واستفدت منه، وحضرت مجلسه بجامع القرويين فى الرسالة.

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن المجدولى المشهور بالتونسى، كان ربما حضر مجلسه واستفاد منه بعض الشيء، وكان مبرزا فى علم المعقول وعنه كان يؤخذ بفاس.

ومنهم أبو زيد عبد الرحمن الكاوانى دفين مكناسة، قرأ عليه الرسالة وختمتين فى فرائض التلقين تفقها وعملا، وبعض الألفية، وسمع عليه بعض المدونة وبعض تفريع ابن الجلاب، قال: وكان إماما فى أصول الدين فتح بصائرنا فيها وفى أصول الفقه.

ومنهم أبو الحسن بن منون الحسنى المكناسى ختم عليه ختمات كثيرة من القرآن العزيز، وتمرن عليه فى الفرائض والوثائق وإعراب القرآن العزيز وأوقافه، واستفاد منه كثيرا.

ومنهم أبو العباس أحمد بن سعيد الحباك المكناسى، قرأ عليه نحو ثلث شرح ابن عقيل تحقيقا وتدقيقا لا سيما شواهده الشعرية، وقرأ عليه نظمه لبيوع ابن جماعة قراءة تحقيق وتدقيق وبحث وتغلغل، كانت سببا فى رجوعه عن بعض أبيات الرجز المذكور تبديلها بغيرها، ولازم مجالسته واستفاد منه كثيرا.

ومنهم أبو عبد الله محمد بن الشيخ أبى عبد الله محمد بن جابر الغسانى الآتى قريبا المكناسى، جالسه بمكناسة واستفاد منه كثيرا، ومن أغبط ما أخذ عنه المصافحة المروية عن الخضر، قال: صافحنى بالمسجد الأعظم من مكناسة الزيتون، وقال: صافحنى والدى الأستاذ أبو عبد الله محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى ابن جابر، وقال: صافحنى الشيخ الفقيه العالم الصالح الزاهد الاكمل أبو عبد الله محمد بن على المراكشى المعروف بابن عليوات بيده المباركة، وأمرنى أن أشد على يده، وقال لى: إن معنى ذلك الاشتداد فى الدين فشددت وذلك بالجامع الأعظم من مدينة مكناسة حرسها الله تعالى فى أوائل عام اثنين وثمانمائة، وأخبر أنه

صافحه كـذلك أبو عبد الإله الصدفى، وصافح أبا عبـد الإله الصدفى أبو العباس ابن البناء، وصافح أبا العباس ولى الله تعالى أبو عـبد الله الهزميرى أخو ابن أبى زيد الهزميـرى وشيخه، وصـافح الهزميرى أبو العـباس الخضر. وصـافح الخضر سيدنا ونبينا محمد ﷺ وشرف وكرم ومجد وعظم.

وكذلك صافحنى الشيخ العـدل المبارك أبو خالد يحيى بن خالد بن أبى بكر ابن يحيـى بن خالد، قال: صـافحنى والدى المذكـور، والشيخ الفـقيه المـفتى أبو محمد عبد الله بن محمد بن موسى بن معطى العيدروسى، قالا: صافحنا الأستاذ أبو عبد الله بن جابر المذكور بمثل السند المذكور انتهى من خطه.

ومنهم العلامة أبو عبد الله محمد بن الحـسين بن محمد بن حمامة الأوربى النيجى الشـهير بالصـغير، المولود بالحـمر من بلاد نيجـة بطن من أوربة عام ثلاثة وثمانمائة، المتـوفى بفاس ليلة سادس شـعبان عام سـبعة وثمانين وثمـانمائة، وكان متبحرا فى القراءات وأحكامهـا، وبلغ فى النحو مبلغا لم يصل إليه أحد من أترابه ولا من أشياخه، لازمه كثيرا وقرأ عليه القـرآن ثلاث ختمات آخرها للقراءة السبعة على طريقة الدانى، وحدثه بذلك عن شـيخيه أبى العباس أحمـد بن عبد الله بن محـمد بن أبى موسى الشـهير بالفـلالى، وأبى الحسن على بن أحـمد الورتناجى الشهيـر بالوهرى، وأخذ عنه بحثا وتدقـيقا لامية الأفـعال وبعض كتاب سـيبويه، وإيضاح أبى على، والتسهيل، والمغنى، والبـداية والهداية للغزالى وغيرها، وروى عنه بعض المصنفات فى القراءات والفقه والحديث بأسانيده إلى أربابها.

ومنهم أبو الحسن الأنفـاسى، وأبو سالم إبراهيم المعروف بالحـاج من شيوخ فاس المهرة، وكانـا من شيوخ شيخه الصـغير المذكور، قال: وقد شاركـته فى لقاء هذين الأخيرين - يعنيهما - وحضرت مجلسيهما.

ومنهم القاضى أبو محمد عبد الله بن عبد الواحد الوريا-جلى قال: جالسته وذاكرته كثيرا واستفدت منه كثيرا فى الفقه وأصوله وأصول الدين، وأجازنى متلفظا وخاطا جميع ما حمله عن شيوخه، وكان ذلك فى ربيع الثانى عام ستة وثمانين وثمانمائة.

ومنهم الفقيه الصالح الورع أبو عبد الله محمد بن يحيى البادسى، قال: جالسته كثيرا وصاحبته فى السفر مرارا، واجتمعت معه ومع غيره على قراءة جمع الجوامع لابن السبكى تفقها وبحثا، وعلى المذاكرة فى العلم، ثم ذكر أنه أجازه فيما يرويه عن شيخه الصالح المؤلف عبد الرحمن بن مخلوف الثعالى، وهو يروى عن أبى زرعة بن الحافظ العراقى.

ومنهم الأستاذ المحقق أبو الفرج محمد بن محمد بن موسى بن أحمد الطنجى قال: جالسته كثيرا للمذاكرة واجتمعنا بجامع القرويين عمّره الله تعالى على قراءة صحيح البخارى حتى ختمناه تحقيقًا وبحثًا، ومطالعة لما نحتاج إليه من الغريب ونحوه، وذكر أنه قرأ عليه بعضه وبعض مسلم وأجازه فى سائرهما، وقرأ عليه فهرسة أبى شامل الشهنى، وفرغ من ذلك كله بفاس فى محرم عام ستة وسبعين وثمانمائة.

ومنهم الفقيه أبو عبد الله بن العلامة الراوية أبى سعيد بن أبى محمد عبد الله بن أبى سعيد السلوى شيخ شيخه الطنجى المذكور قال: أدركته وجالسته ولكن ما كتب لى أن أروى عنه إلا بواسطة هذا الشيخ، وبواسطة شيخنا أبى عبد الله الصغير.

ومنهم الشيخ المبارك أبو عبد الله محمد بن أبى القاسم محمد بن يحيى بن أحمد بن محمد النفزى الحميرى الشهير بالسراج، يروى عنه بالإجازة العامة عام ستة وسبعين وثمانمائة عن أبيه عن جده مسند فاس أبى زكريا المذكور.

ومنهم المحدث الرحال أبو محمد عبد القادر زين الدين بن عبد الوهاب بن أحمد البكرى المقدسى الشامى المولد المتوفى ببلاد مزاورة البربر، كان قدم المغرب سنة ثمانين وثمانمائة، قال: فجالسته وذاكرته فى الفقه وغيره وربما كنت أذكر مذهب مالك فى الفرع ويذكر فيه مذهب الشافعى، وربما يملى فى ذلك نص المنهاج، وكان مستحضرا له واستفاد بعضنا من بعض فوائد جمة، وكان له نظر فى الحساب فاستجازنى فى الرجز الذى لفقته فيه المسمى بمنية الحساب فأجزتها له، وحمل منها نسخة بخطى واستجزته فيما حمله عمن لقى بالعراق والحجاز والشام ومصر فأجاز لى جميع ذلك إجازة عامة.

ومنهم الحافظان المصريان: أبو عمرو عثمان الديمى، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الرحمن السخاوى، حصل على إجازتيهما عام خمسة وثمانين وثمانمائة بواسطة الشيخ زروق الذى استدعى الإجازة منهما لصاحب الترجمة ولولده أحمد، وللفقهاء: عيسى الماواسى، وأحمد بن يحيى الونشريشى، وموسى العقدى، وقاضى الجماعة محمد بن محمد بن عيسى بن علال المصمودى.

ومنهم الراوية المحدث المتفنن أبو عبد الله محمد بن شيخ الإسلام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبى بكر بن مرزوق العجيسى، يروى عنه هو وولده أحمد بطريق الإجازة العامة التى بعثها إليهما متلفظا بذلك وآمراً لتعذر بصره بكتابته.

الآخذون عنه: ممن أخذ عنه العباس الصغير، ومحمد بن على الحسنى التلمسانى شارح الشفا، أخذ عنه سنة ثلاثة عشر وتسعمائة كما صرح بذلك صدر شرحه للشفا، وأحمد الدقون، والمفتى على بن هارون، وأحمد باب التنبكتى،

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه

قال محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي

العثماني المكناسي وفقه الله تعالى لما يرضاه

الحمد لله الذي خص بلادا وأماكن بما شاء من أسرار والفضائل

والصلاة والسلام على سيدنا محمد ذي الشرف الحسان وعلى آله

وصحبه أولي البر والصبر والتقى والإحسان. وبعد فهذا جزء تضمن

في أخبار مكناسة الزيتون مسقط رأسي ومحل أنسي

بلاد بها نيطت علي تمائمي وأول أرض مس جلدي ترابها

وإنما عرف هذا البلد بهذه الإضافة تمييزا عن مكناسة تازا والكل من

قبائل زناتة قبيلا يقال لها مكناسة منهم بجهة تازا شرقا من مدينة

فاس بينهما نحو سبعة برد ومنهم بجهة تازا بهذا الموضع المراد غربا م

نزلت فاس وبينهما نحو ثلاثة برد ونصف بريد فتميزت إحداهما عن

الأخرى بما أضيفت إليه ومكناسة الزيتون لها ولا تسمى في القديم

ويعبر عنها ببلاد بني عمارة وبه يقول شيخ شيوخنا الأستاذ أبو زيد

بن جابر الغساني في أرجوزته المسماة بنزهة الناظر بلا رجل

بلد قد شهر في سائر العمائر مثل بلاد بني عمارة

الصحيفة الأولى من الروض الهتون بخط مؤلفه إمام الأئمة وبهجة الأمة أبي عبد الله محمد بن أحمد بن غازي

بسم الله الرحمن الرحيم عونك اللهم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم
يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه الغني به
عمن سواه محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن غازي
العثماني المكناسي نزيل فاس كلأه الله تعالى وسمح له
الحمد لله سبحانه حق حمده والصلاة والسلام على سيدنا محمد نبيه
وعبده وعلى آله وأحبابه والمقتفين له من بعده أما بعد فقد وصل
إلينا من مدينة تلمسان أمنها الله تعالى أربعة كتب الكتاب
الأول من تلقاء الفقيه المتفنن المشارك المجيد الجامع المتقن
الناثر الناظم البليغ [illegible] أبي جعفر أحمد بن علي
بن أحمد بن داود البلوي أبقى الله تعالى بركته ونفع [illegible]
الحديث ورفع درجات حملة السنة من رواة الحديث و[illegible]
اجتماعهم في الفردوس [illegible] عن حوزة الدين القويم [illegible]
فلولاهم لانمحت منه الرسوم والتحق الموجود بالمعدوم والمعلوم
بالمعدوم ولما امتاز الطيب من الخبيث ولا انفصمت العروة الوثقى من السبب
الواهي الرثيث وعلى من تحطّ وناط بوساطة التلقي عنه [illegible]
من ذلك وحظ من هذا الفضل لا قليل ولا رثيث [illegible]

إجازة الشيخ ابن غازي لأولاده وغيرهم بخطه

وعبد الواحد الونشريسى، ومحمد بن شقرون بن أبى جمعة المغراوى ثم الوهرانى المتوفى فى حدود تسع وعشرين وتسعمائة، وأبو عبد الله محمد بن عدة الأندلسى المتوفى سنة خمس وسبعين وتسعمائة على ما فى لقط الفرائد فى خلق لا يحصون.

وقد وقفت علي إجازته لولديه أحمد ومحمد والونشريشى وابن هارون والإخوة محمد وعبد الرحمن، وأحمد أولاد محمد بن إبراهيم الدكالى ومحمد ابن عبد الواحد الغزال بخطه على ظهر فهرسته التى بخطه.

مؤلفاته: منها شفاء الغليل، فى حل مقفل خليل، فى جزء أوضح فيه هفوات وقعت لبهرام ومواضع مشكلة من المختصر أجاد فيها ما شاء من أحسن الموضوعات عليه، وتكميل التقييد وتحليل التعقيد، على المدونة كمل به تقييد أبى الحسن الزرويلى، وحل مشكل كلام ابن عرفة فى مختصره فى ثلاثة أسفار كبار. وحاشية لطيفة على الألفية مفيدة نبه فيها على مواضع من كلام المرادى مع نقل زوائد الإمام الشاطبى وتحقيقاته العجيبة وهى بخزانتى، ومنية الحساب وشرحها المسمى بغية الطلاب فى مجلد مطبوع متداول، وذيل الخزرجية فى العروض وشرحه المسمى بإمداد أبحر القصيد ببحرى أهل التوليد، وإيناس الإقعاد والتجريد بجنسهما من الشريد، ونظم مشكلات الرسالة، وحاشية لطيفة على البخارى فى نحو أربعة كراريس، وإنشاد الشريد فى ضوال القصيد، تكلم فيه على الشاطبية، والمطلب الكلى، فى محادثة الإمام القلى، والجامع المستوفى، بجداول الحوفى، والمسائل الحسان، المرفوعة إلى حبر فاس والجزائر وتلمسان، ونظم مراحل الحجاز، وشرحه. ومؤلف صغير فى ماحيا[1] سماه مذاكرة ابن إسحاق بن يحيا. وإسعاف

---

(١) فى هامش المطبوع: يعنى الخمر المقطر من التين غالبا كان اليهود يتجرون فى ذلك بكثرة، أما اليوم فقد قل ذلك جدا لمقاومة الحكومة لهم ولاتفاق الأطباء على ضرر ذلك بالصحة العامة.

السائل فى تحرير المقاتل والدلائل، ونظم فواصل المقال وشرحه، واستنبط من حديث أبى عمير ما فعل النغير مائتى فائدة وترجمها، قال فى نيل الابتهاج: وقد وقفت على التراجم، والروض الهتون، فى أخبار مكناسة الزيتون، وفهرسة شيوخه المسماة بالتعلل برسوم الإسناد، بعد انتقال أهل المنزل والناد، وذيلها الذى ذكر فيه إجازة ابن مرزوق له والثلاثة توجد بخطه فى خزانتنا فى مجلد فرغ من الفهرسة أواسط شعبان عام ستة وتسعين وثمانمائة وفرغ من ذيلها عام خمسة وتسعمائة وكان يكتب التسعمائة والثمانمائة مفصولتين.

ومن مؤلفاته كليات فقهية على مذهب المالكية مرتبة على الأبواب قال أولها: وكان سبب جمعنا لها إقامتنا فى بعض الأيام بطريق تامسنا حين توجهنا للقاء مع الشاوية حين طلبوا على ذلك فى أوائل عام ثلاثة وتسعين وثمانمائة وهى مطبوعة.

شعره: له مقطعات منتشرة ضمنها فوائد فقهية وفرائد تاريخية من ذلك قوله لما نفى من مكناسة:

طلقت مكناسة ثلاثا ... والشرع يأبى الرجوع فيه
ليست بدار سوى لقاض ... أو عامل الجور أو سفيه

وقوله:

السمن والزبد والأجبان مع أقط ... لا تبتعن بعضها بالبعض إذ منعا
والجبن إن بعته بالمثل من أقط ... فلا يراه أبو إسحاق ممتنعا

وله أيضا فى حل الأعداد إلى أيمتها التى تركب منها:

إذا عدد قد حل سفر بعدوه ... فعشر له والخمس والنصف فى الطبع



أول فهرست الشيخ ابن غازي بخطه

وإن خمسة فالخمس والزوج إن يفد بتسع فذو ثلث وسدس وذو تسع
وإن تبق ست أو ثلاث فإنه أخو الثلث مع سدس وإلا فبالشفع
ثمان فإن أفنت بثمن وضعفه وإن أربع تبقى فليس سوى الربع
وإن غيرها فاطرح بسبع فإن أبى فنصف له فى الزوج أولى فذو سبع
وفرداً إذا يفنى بتسع فإنه أخو الثلث مع تسع ولا وجه للمنع
وإن تبق منه ستة أو ثلاثة فثلث وإلا السبع إن يفن بالسبع
وإلا أصم خالص أو مركب من الصم لا يخلو من الأصل أو فرع
وقد كملت والحمد لله وحده وأزكى صلاة تأتى بالخير والنفع
على المصطفى المبعوث من آل هاشم وعترته والتابعين ذوى الرفع

ومما ينسب إليه:

أقمت بمكناسة مدة أعلم أبناءها ما الكلام
فلما توهمه بعضهم على به بخلوا والسلام

ولادته: ولد بمكناسة الزيتون عام ثمانية وخمسين وثمانمائة وهو خلاف ما قال الشيخ المنجور على ما فى كفاية المحتاج من أنها عام واحد وأربعين وثمانمائة.

وفاته: توفى بفاس إثر صلاة الظهر يوم الأربعاء تاسع جمادى الأولى سنة تسع عشرة وتسعمائة، ودفن من غده الذى هو يوم الخميس كما بكناشة الوزير اليحمدى، واحتفل بجنازته احتفالا عظيما، وحضر السلطان ووجوه دولته فمن دونه، وتبعه ثناء حسن جميل ودفن فى عدوة الأندلس من فاس برد الله ثراه ورضى عنه.

٢٠٧ - محمد فتحا بن عيسى الفَهْدى - بفتح الفاء وسكون الهاء وبعدها دال مهملة - السفياني الأصل ثم المختارى النشأة المكناسى الدار والإقبار.

حاله: من فحول المشايخ الدالين على الله، من أجل من يهتدى بهديهم ويقتدى بأقوالهم وأفعالهم، مرب عارف بالله تعالى، مورد المريدين، ومفيد المسترشدين، جليل المقدار، صاحب أذواق ربانية، وإفادات عرفانية، طريقه تتبع العمل بالعلم، ومقامه فى مشاهدة الواسطة مشهد الروح، واقف فى مقام هيبة الجلال، مفارق سره عالم الخلق، مستوطن عالم الأمر تبعا لمشهوده، وهو روحه ﷺ فليس له مع غير الله قرار، ولا عما سوى الله أخبار.

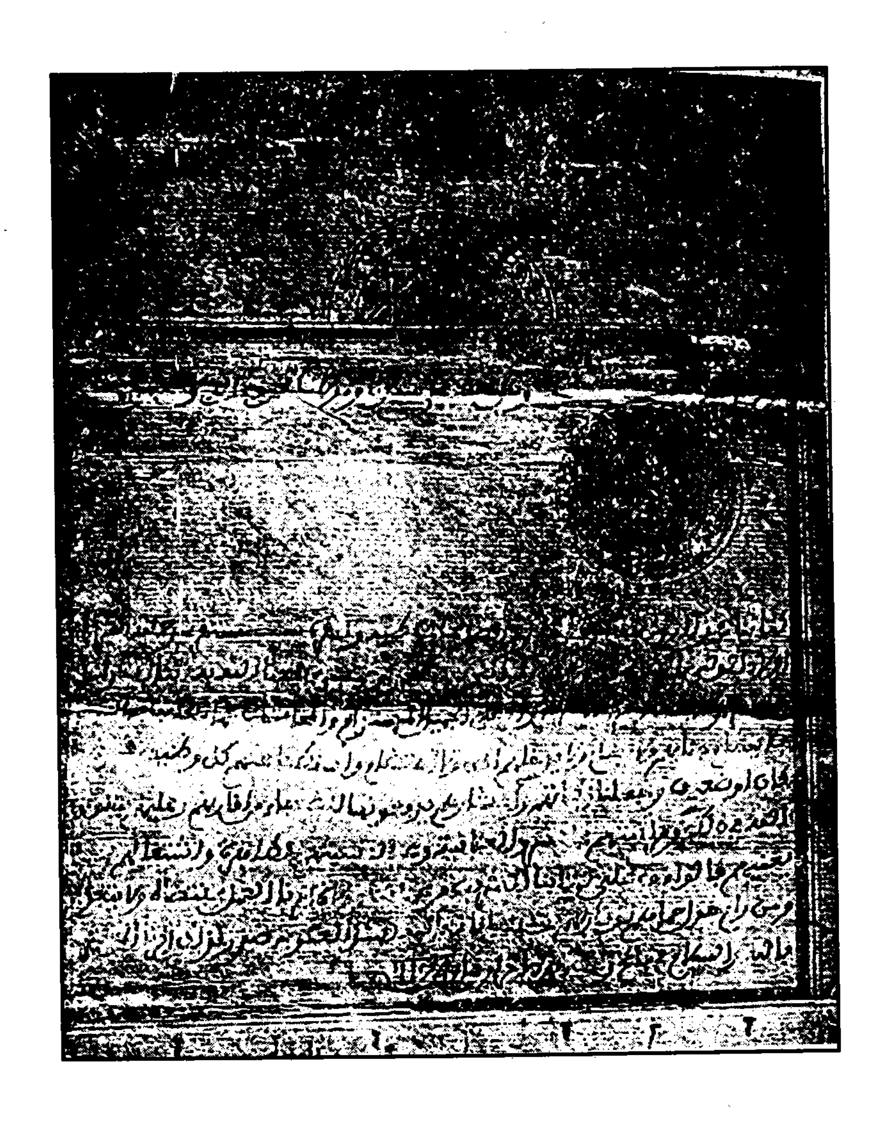
نقل عنه أنه كان يقول: كيف تشرق ذات بأنوار النبى ﷺ ولم تفعل ما كانت تفعله الذات الشريفة، وأنه كثيرا ما كان يقول: السنة تجمعنا والبدعة تفرقنا، وأن من الشروط عنده على المريد فى تلقين ورده امتثال المأمورات، واجتناب المنهيات، والمحافظة على الصلوات، ومراقبة الله تعالى فى جميع الأوقات، والصمت والمحبة والصبر والعزلة والحنانة والرأفة، وأن يرى جميع معاملة الإخوان معه من الله.

ويقول فى حق المبطلين: يريدون الياقوت بالضرب فى الحديد، ويريدون مقام الرجال، بأعمال الجهال، ويريدون أحوال الأبرار، بأعمال الفجار، وما أفلح من أفلح إلا بمجالسة من أفلح، ومخالطة الخواص تكسب ثلاث خصال: العلم وصفاء القلب، وسلامة الصدر والعكس بالعكس.

والصدق مع الله نور والمعرفة برهان، والالتفات إلى غيره بهتان، وإضاعة حقوقه كفران، والغفلة عن ذكره خسران، إلى غير هذا.

---

٢٧٠ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى الموسوعة ٢/ ٨٤٨.



ظهير السلطان سيدى محمد بن عبد الله لأولاد الشيخ الكامل سيدى محمد بن عيسى

ولد ونشأ فى مختار فـرقة من قبيلة بنى حسن الشهيـرة، ثم دخل فاسا فقرأ ما تيسر من القـرآن، ورجع إلى قبيلة سفيان، ثم رحل لمكناسة الزيتـون آخر عمره واستوطنها، وقد وقفت على ظهير سلطانى أصدره السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الله العلوى لأولاد المترجم صرح فيه بثبوت شرفهم، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع:

«كتابنا هذا أيد الله أمره، وخلد فى الصالحات طيه ونشره، يستقر بيد حملته الشرفاء أولاد الولى الصالح، والبرهان الواضح، سيدى محمد بن عيسى نفعنا الله به أننا أسْدَلْنا عليهم أردية التوقير والاحتـرام، والرعى الجميل المستدام، والمحاشات عما تطالب به العوام، فلا يسام جنابهم ولا يضام، ولا يدخلهم أذى ولا اهتضام، وأسقـطنا عنهم كل وظيف، قوى كـان أو ضعـيف، وجعلنا زكـاتهم وأعشـارهم يدفعـونها للضعـفاء من أقاربهم وعليـهم بتقوى الله فى ذلك ومـراقبتـه فى السر والعلانيـة رعيـا لنسبتـهم الطاهرة، واشتـغالهم بما يعنيـهم، فالواقف على كـتابنا الشريف من عمالنا وولاة أمرنا العمل بمقتـضاه ولا يتعداه، ومن رام حول حماهم أو قاربهم بشىء فإنا نعاقبه أشد العـقوبة، صدر بذلك أمرنا المعتز بالله والسلام فى فاتح رجب الفرد الحرام عام ١١٧٤».

ولم أر من تعـرض لرفع نسب الشيخ المتـرجم غير صـاحـب سلوك الطريق الوارية والمؤلف المنسوب للغزال.

هذا وقد قـال فى ابتهاج القلوب نقـلا عن ابن عسكر فى دوحتـه ما لفظه: سمعت بالتواتر من أهل مكـناسة أيام سكناى بها كرامات كثيـرة يتحدثون بها عن الشيخ وكـان تلميذه شيـخنا أبو الحجاج بن مهـدى يقول: سيدى ابن عـيسى هو الإكسيـر الذى لا نظير له، ولقد حضـرت عنده يوما وقد جاءه تلمـيذه الشيخ أبو الرواين وقال له يا سيدى: إنى جعلت زمام نفسى بيدك وقد شغفت بحب النساء، فـإن لم تكن لك عناية ربانيـة فصـاحبك يعـصى الله تعالـى فى هذه الليلة يعنى

نفسه، ووالله حتى أفعل فقال الشيخ: اذهب وافعل ما شئت فإن الله قادر على أن لا تفعل، ولن تستطيع ولو أردت بعناية الله سبحـانه. قال فلما كان من الغد جاء أبو الرواين وهو فى غـاية الضعف ووجـهه مصـفر فـقلنا له: مالك هكذا؟ فـقال شـاهدت العجب البـارحـة، فقلنـا له: وما ذاك؟ قـال: ذهبت إلى امـرأة عربيـة وتكلمت معهـا أن تبيت عندى لما سبق من يمينى بالأمس فأتت. فـما كان إلا أن وصلتها[1] وهممت بمواقـعتهـا، فإذا أنا كالمفلـوج لا أستطيع تحريك عـضو من أعضائى فـبقيت مستلقـيا على ظهرى كالميت لا أقدر على نطق ولا حـركة، حتى طلع الفـجر فـسمعـت صوت الشـيخ وهو يقول: أتتـوب إلى الله يا أبا الرواين؟ فقلت: بصوت خفى: أنا تائب لله، فقال: قم إلى صلاة الصبح، فنهضت فإذا أنا قـائم كأنما نشطـت من عقـال، فلمـا دخلت على الشيـخ قال: يا أبا الرواين مـا فعلت؟ فقلت: يا سـيدى من يكون فى رعاية مثلك لا يخشى على نفـسه غواية، فقال: الحـمد لله على تأييده ورحمتـه. ثم قال لنا أبو الرواين: من لـم يوكل على نفسـه مثل هذا الشيخ فهـو فى غرر، فقضـينا من الأمر العجب وسمـعت الشيخ بصرى يقول: ثلاثة مشايخ لم يكن لهم نظير بالمغـرب: السيد ابن عيسى، والسيد أبو محمد الغزوانى، والسيد أبو محمد الهبطى[2].

قال: وكثيرا ما ينتسب إلى الشيخ ابـن عيسى أقوام يهتكون أسرار الشريعة، ويحلون المحرمـات ويظهرون أفعالا لا تـشبه خرق العـادات، ويدعون أن ذلك مما خصهم به من البركـات، وحاشاه من ذلك إنما هم زنادقة أو مبتدعـة، وكثير منهم يمر بالأسواق يخطفون الصابون وغـيره، فيأكله ولا يرى تضررا بذلك، ويدخلون بيوت النار ولا يتضررون، ويشيرون بالهتك والبعج وغير ذلك.

---

(١) فى المطبوع: «وصلت إلى» والمثبت من دوحة الناشر التى ينقل عنها المصنف.

(٢) الخبر بطوله فى دوحة الناشر ٢/٨٤٨ من الموسوعة.

والحق أن ذلك من الحيل كما شاهدناه من بعضهم، وصدقنا فى أصل فعله، وذلك أنهم يأخذون الشرنـاك وهى شجرة معروفة فـيسمونها البـلعلع، وإذا أكلتها البقر ماتت من سـاعتها، ولا يضر غيرها من الحيوان، وإذا قطـعت عروقها يخرج منها ماء أحمـر كالدم فيتبعون عروقهـا بالحفر احترازا من تجريحها ولا يـحبسونها باليد لكن بخرقة كتان نقية، ويجعلونهـا فى العسل سبعة أيام حول مستوقد النار، ثم يفطرون عليـه أو يضعونه تحت لسـانهم، ثم يقع لهم شبـه السكر فيثـبون من المواضع العالية، ويشيرون بالبعج ويدخلون الأفران إلى غير ذلك.

وغاية هذا، التحريم لإدخاله الضرر على العـقل، فضلا عما يبنون عليه من ادعاء خـرق العادة والتصرف فى أمـوال الناس ويتحاشى جـانب الأولياء عن هذا ومثله. انتهى.

قلت: جل من ينتمى لهذا الشيخ وأمـثاله فى كل بلد رعاع لا همة لهم فى نحل ولا تخل، ولا رغبة لهم فى حق ولا حقيقة، بل لا يهتدون إلى ذلك سبيلا، ولا يطلبون عليه دليـلا، وحسبهم تقليد اللاحق منهم للسابق، فـيما هو عليه من ذميم الأفعال والطرائق، وهذا النوع هو الـغالب فى الوجود فى كل زمان ومكان، ولذلك انتشرت بدعهم وتكاثرت أتباعهم وهم مع كونهم عميت عليهم الأنباء، إن أرشدتهم طعنوا فيك وقابلوا نصحك بالإباء، وما أحـسن قول مخلص ودنا الفقيه أبى العباس أحمد الزيانى:

عـجـبا لـلعيـسـاويين ومـا قـد ... نسـبـوه إلى ابن عـيـسى الولى

نســبــوه إلى الضــلال وظنوا ... أن ذاك الضـــلال هـدى النـبى

زعمهم يحـسنون صنعا وهم من ... أخـسـر الناس صــفـقـة يا أخى

جلبـــوا كل بدعـــة وذمـــيم ... وتســـامـــوا لكل شـــر وغى

تركوا الدين والصلاة جهارا | شأن كل معاند أو غوى
عطلوا كل مسجد عن صلاة | عمروه بكل فحش جلى
وبه رقصوا بدون حياء | عانقوا كل خودة وصبى
أكلوا الميت والدما وهى رجس | فرسوها افتراس كلب ضرى
سودوا وجهك ابن عيسى وحاشا | أن يضاف إليك كل دنى
إيه والله ما أمرت ولا يو | ما أشرت بذا الضلال الجلى
بل ولو كنت قد رأيت فعالا | تخجل الميت لو رآها كحى
لتبرأت منهم دون ريب | واقتديت بقول عيسى الصفى[1]

ولعراقتهم فى الجهل والغباوة لم يعلموا أن المشايخ الصوفية أهل الحنيفية السمحة بنوا نحلتهم على أصول أصيلة فى نظر الشارع، منها متابعة النبى ﷺ فى الأقوال والأفعال، ومراقبة الله تعالى فى سائر الأحوال، وأكل الحلال والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وأن مقصودهم من تأسيس الطرق يدور على أمور جاءت الشريعة بتأييدها والحض عليها، منها بث روح الاتحاد فى نفوس الأمة وجمع كلمتها صونا لها عن الوقوع فى مهواة التفريق، ومنها السير بالأمة على المنهج السوى والصراط القويم القوى.

ومنها الاجتماع على ذكر الله تعالى على الكيفية الواردة على لسان الشارع.

ومنها الاجتماع على مدارسة القرآن والمذاكرة فى معانيه والخوض فى عباب معارفه وعوارفه، ولطائفه وطرائفه، والنظر فى شئون الإصلاح الظاهرى والباطنى

(١) فى هامش المطبوع: «يشير لقوله تعالى حكاية عن ابن مريم سبحانك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق الآية.

العامة الهامة وملافاة مـا أصاب القلوب من الرعونات والأدواء -خوفا من أن ينتشر الداء، ويعز الدواء، نظر الناقد البصير فإن وجـدوا خيرا حمدوا الله وحضوا على ملازمتــه واعتناقه بكلتى اليدين، وإن وجـدوا شرا سعوا فى علاجـه خوفا من أن تنتشر العدوى، وتعم البلوى، ولا تنفع الشكوى، ولا تسمع الدعوى.

ومنها الاجـتماع لما فيـه صلاح وتقوية للرابطة الإسـلامية وتصفـية القلوب بالأدوية النافعة الناجـحة المنورة للسرائر والضمائر، المخلصـة من الوقوع فى شبكة النفس والشيطان والهوى، المنجية من تلبيس إبليس، وتحبب العمل وحمل النفوس عليه حتى تكون دائبة على العـمل صابرة عليه ولا تألف الكسل، ولا تميل للراحة فتـخلد إلى أرض البطالة والتـوانى فتخـور عزائمـها وتسـفل هممهـا وتهلك مع الهالكين.

ولكن بالأسى والأسف أبى زاعـمـو أتباع أولئك المشـايخ المصلحـين إلا أن يخرجوا عن الخطـة المثلى التى رسموها لهم، ويحيـدوا عن سننهم القويم، ولسنا نشك ولا يشك كل مـؤمن صـحيح الإيمـان أنه لو قـدر ظهـور أولئك الشيـوخ المتبوعين اليوم، ورأوا ما عليه هؤلاء الذيـن يزعمون أنهم من أتباعهم من اختلاط النسـاء بالرجـال، والتلطـيخ بالدم المسـفـوح والشطح والردح وضـرب الرءوس، بالمعـاول والفئـوس، وتضيـيع الصلوات، واعتـقاد ذلك دينا من أعظم القـربات، وتشويه وجـه الإسلام والمسلمين بذلك، لتـبرءوا منهم براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، ولفوقوا إليهم سهام المؤاخذة والملام.

فإن قلت: فـها نحن بين ظهرانينا علمـاء الإسلام وهم مقـرون لذلك ونجد بعضهم مكثرين لسوادهم فى مجتمعاتهم ومواسمهم متبركين بهم ملتمسين لصالح دعواتهم، قلنا: أما السكوت المضاف لمن هو من أهل العلم الحـقيقى فعنه جوابان: أحدهما أنهم إن سكتـوا فلعلمهم بأن كون تلك الأفعال الشنيعـة من المناكر المباينة

لخصال الإسلام صار ضروريا فى الدين بمنزلة الزنى والسرقة وشرب الخمر. وكتب الإسلام، ودواوينه الفخام، أتت من بيان ذلك على غاية ما يرام، حتى اشترك فى معرفته الخاص والعام، وساوى العلماء فى معرفة حرمته وقبحه الغوغاء والعوام، ومثل ذلك يستغنى عن تكرار التنبيه عليه فى كل مقام، ولا سيما عند مشاهدة امتلاء الوجود بالشح المطاع والهوى المتبع، وإعجاب كل ذى رأى برأيه فإن هذا إذا وقع ولسنا نشك فى وقوعه منذ زمن طويل، قد رخص لنا الشارع عنده أن يكون كل واحد منا مقتصرا على النظر فى صلاح خويصة نفسه كما جاء به الحديث الشريف، ولذلك طالما حض الراسخون من متأخرى علمائنا على ترك التعرض للإنكار فى العموم.

ثانيهما: أنا لا نسلم سكوتهم وكيف يصح أن يضاف السكوت لهم عن ذلك جملة وهم فى كل زمن وفى كل بلاد عاكفون على دروس دواوين الإسلام وإيضاح ما فيها من خاص أو عام فى مجالسهم العمومية، وفى خطب مواسمهم وأعيادهم، فيقرعون بإيضاح ما فيها آذان العموم، ومن جملة ما فيها بيان كل محرم مذموم، وكل فعل صاحبه ملوم، ومنه مناولة الدم المسفوح، وتعريض النفس للتهلكة، وتضييع الصلوات، وتحريم التلبيس والغش والخديعة وغير ذلك مما استوعبته الشريعة.

فالذام لأهل العلم العلم الحقيقى بإضافة مثل ذلك السكوت إليهم هو المذموم، أوقعه فى ذلك شدة غباوته وجهالته وفساد تصوره وذهوله عما يقرع آذانه فى كل جمعة وعيد وموسم، وعما يلقى إلى العموم دائما فى الدروس الدينية ولكن.

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادى

وأما من يكثر سواد أولئك الجهلة الضلال، أو يلتمس بركتهم ممن ينسب نفسه إلى علم، فذاك من شواهد عدم علمه، وكيف ومن العلم الحقيقى معرفة أن البركة إنما تلتمس من المهتدين والتنفير من تكثير سواد الضالين، وقد بين النبى ﷺ ما أنزل من الذكر الحكيم إليه، وشرح لنا فيه طريق الرشد وطريق الضلال، وتركنا على محجة بيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، وقام بإيضاح ذلك علماء الملة وأعلامها بعده حتى بلغ الأمر من ذلك غايته وحده، فعلم من يتعود الجريان على ما يخالف مقتضى العلم ولا يرعوى عن ذلك، هو جهل فى الحقيقة لأنه إن كان يعتقد الحرام ومع ذلك يفعله ولا يقلع عنه فقد قال غير واحد من الراسخين فى العلم يهتف العلم بالعمل، فإن أجاب وإلا ارتحل.

وقد جزم القسطلانى فى مقدمة إرشاده بأن ما يحمله الفساق ليس بعلم على الحقيقة، ولذلك علل المولى سعد الدين قول التخليص وقد ينزل العالم منزلة الجاهل هـ بقوله لعدم جريانه على موجب العلم نعم القادح فى العلم هو الذى تعود منابذة مقتضاه من غير إقلاع ولا توبة، أما صدور ذلك من عالم على سبيل الزلة والفلتة ثم إقلاعه عن ذلك وندمه عليه فهذا غير قادح فى علمه، لأنه غير معصوم.

وقد قيل للجنيد: أيزنى العارف؟ فقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً، وشاهده أن بعض الصحابة لما لعن بحضرة النبى ﷺ شخصا ارتكب موجب حد وأقامه عليه السلام عليه نهاه النبى ﷺ عن ذلك وقال له: لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله انتهى.

فأثبت ﷺ لهذا العاصى محبة الله ورسوله مع عصيانه لهما فى بعض ما نهياه عنه، وكيف تكون زلة العالم قادحة وهو بالعلم عرف قبح ما وقع فيه

وبجريانه على مقتضاه بادر إلى الإقـلاع والإصلاح لما فسد فكان بذلك من العلماء الذين عملوا بعلمهم.

ثم اعلم أن وقـوع المعـاصى فى الوجـود لا يعد وصـمـة فى علم العلمـاء وفضلاء الفضـلاء إلا أخرق عريق الجهالة، فإن الله سبـحانه من غناه عن العالمين وأعـمالهـم قدر المعـاصى كـما قـدر الحـسنات، وخلق الدارين دار الإكـرام ودار الانتقام، وخلق لكل بنين يعمرونها، وقـال لخلقه: اعملوا فكل ميسر لما خلق له، فلابد من وقوع الأمـرين، وامتلاء الوجود بالفعلين، ولذلك كـانت تقع المخالفات والمعاصى قيد حياته ﷺ المتعارفة ومن صحبه الكرام.

فكان منهم من سرق فقطعت يده، ومن زنى فرجم، ومن شرب الخمر فحد ومن غل ومن خان إلى غير ذلك مما تكفلت بنقله كتب السنة والسير.

وقد علم أنه هو ﷺ وصحـبه الكرام وزمنهم هو الطبقة العـليا فى الكمال، ولم يمنع ذلك من صدور المعاصى وقتئذ كما لم يقدح ذلك فى علم الصحابة ولا فى عـملهم، إذا هم أهل العلم والعـمل بالإجمـاع، وسـر ذلك ما تقـدم من أن المعاصى سبق القضاء بوجودها، فليس فى طوق أحـد محو ما سبق به القضاء، ثم المضر هو الإصرار عليها وعدم التـوبة منها، وهـم رضى الله عنهم ما كانوا يصرون على ما يقعون فيه من ذلك بل كانوا يسرعون إلى الإنابة، ولو أتت على نفوسهم.

ولا شك أن التوبة وعدم الإصرار هو من جملة العمل بالعلم، والعصمة لا تشتـرط قطعا فقد قـال الله تعالى: ﴿... إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ... ﴿٢٢٢﴾﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وهل تكون التوبة إلا من ذنب! وفى الحديث لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنـبون فيستـغفرون فيغـفر لهم، أخرجه مـسلم عن أبى هريرة، فمن يجعل مـجرد جريان المعـاصى فى الوجود أو وقوعـها فلتة من بـعض العلماء مع قيامهم بالشـرح والبيان فى كل موطن قد حافى علم العلماء وفضـل الفضلاء فهو

ضال، حقيق بـكل نكال، وقد بالغ أئمة التحقيق من المتـأخرين فى رد قول الحكم العلم إن قـارنته الخشـية فلك وإلا فـعليك، وقالوا: إنه من تـخليط مقام الـبداية بالنهاية، وذلك أقرب إلى الضلال من الهداية.

وممن قـرر ذلك وحـرره المواق فى سنن المهـتـدين، وابن زكـرى، والشـيخ جسوس فى شرح الحكم، فهـذا وفقك الله هو القسطاس الذى يزن به من وقع فى الإنكار على العلمـاء لا ما تسـوله النفـوس وتوحيـه شيـاطين الجن إلى شيـاطين الإنس.

وأما ما سـبق عن ابتهاج القلوب من قوة هؤلاء الضـالين على الأفعال التى سبق وصـفه إياها هى بحيلة عمل الـشرّ ذاك، فهو لا يطرد فى عـموم المتظاهرين بذلك، ومن أبعـد البعـيد أن تقـوم على اطراده فى كل زمن ومكان حجـة، وإنما غالب ذلك من آثار سلطة الروح على الجسم حـين الخروج عما هو الأعم الأغلب من الأحوال الاعتيادية بأسباب شيطانيـة أو ربانية، وقد قرر ذلك وبسطه ابن تيمية فى رسائله الكبرى، وابن خلدون أواخر مقدمته.

مشيختـه: أخذ عن أبى العباس الحارثى السفيانى المتـرجم قبل وصحبه إلى وفاته، ثم عن سيدى عبد العـزيز التباع بعهد من الأول له وعلى يده تم له الفتح، ثم عن سيدى الصـغير السهلى، والثلاثة عن الإمـام الجزولى رضى الله عنه وعن أهل الله فطريق المترجم جزولية.

الآخذون عنه: منهم أبو الحـجاج بن مهدى، ومنهم أبو الروايـن المحجوب المترجم بعد.

ولادته: ولد سنة اثنين وسـبعـين بتقـديم السين على الموحـدة من التاسـعة بمختار فرقة من قبيلة بنى حسن الشهيرة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين[1] وتسعمائة، ودفن بمقبرة شيخه الحارثى خارج باب السيبة أحد أبواب المدينة الآن، وقبره ثم مزارة شهيرة عليه بناء حافل أنيق.

٢٠٨- محمد بن مخلوف الضريسى المكناسى.

حاله: كثير التنسك والانقطاع إلى الله أحد الزهاد والعباد، وأهل المحبة فى الله، مستغرق الأوقات فى الذكر والعبادة، ورده ختم القرآن العظيم كل ليلة بين العشاءين فى ركعتين، يفتتح القراءة فى أول ركعة بعد صلاة المغرب ويختمها فى الثانية، فإذا سلم علم الناس بدخول وقت العشاء الأخيرة فيسمعون الأذان فى الحين، وذلك كل ليلة لا يزيد ولا ينقص.

وكان فصيح اللسان يرتل القرآن ترتيلا دون عجلة، وتلك خصوصية ربانية، وكان يزور الشيخ أبا يعزى فى كل سنة يمشى حافيا من مكناسة الزيتون إلى قبره بتاغيا، وكان يقول: من زار هذا الشيخ وسأل الله تعالى عند قبره حاجة واحدة فى كل زورة فإنها تقضى له بإذن الله تعالى.

مشيخته: منهم أبو اليمن مبارك الحصينى.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام اثنين وأربعين وتسعمائة.

٢٠٩- محمد بن قاسم بن عبد الواحد الكتانى النسب الفاسى الأصل المكناسى النشأة الحسنى الإدريسى.

حاله: بركة صالح، سالك سبيل السنة فى أقواله وأفعاله وحركاته وسكناته، معظم وقور، خطير القدر، فاضل جليل، ماجد أصيل، وهو أول من انتقل من مكناسة لفاس من هذه الشعبة الكتانية أواسط المائة العاشرة، وكان انتقال هذه الشعبة الكريمة من فاس إلى مكناسة أواسط العشرة الثانية من القرن الرابع.

---

(١) فى دوحة الناشر سنة ٩٣١ هـ.

وسبب ذلك أن موسى ابن أبى العافية المكناسى لما استولى على فاس والمغرب شمر لطرد الأدارسة عنه، وأخرجهم من ديارهم وأجلاهم عن بلادهم إلى آخر ما هو معلوم، وصار من قدر منهم على الفرار يفر طالبا للنجاة، وكان من جملة من فر إذ ذاك جد هذا القبيل، وهو الشريف الجليل الماجد الأصيل المتبرك به أبو زكرياء يحيى الملقب بأمير الناس ابن عمران بن عبد الجليل بن يحيى بن يحيى ابن محمد بن إدريس، وكان فراره إلى زواوة، ثم إلى بنى حسن من عمل شالة أى المدينة الخربة الآن بإزاء رباط الفتح، ومنها لمكناسة الزيتون، وكان لهم فيها الصيت الشهير بصراحة النسب وعلو المكانة وعظيم الحظوة عند ملوك بنى مرين، ومنها انتقلوا إلى فاس.

وقال فى الدرة الفائقة: ثم انتقل الكتانيون من زواوة إلى مدينة شالة، وذلك أيام السلطان عبد المؤمن بن على الموحدى واستوطنوها إلى آخر دولة الموحدين، ثم انتقلوا إلى مكناسة الزيتون وذلك فى أوائل دولة بنى مرين، والإمام إذ ذاك هو أبو بكر بن عبد الحق المرينى، وذلك سنة نيف وستين وستمائة، وقيل أربع وستين وستمائة، ثم من مكناسة إلى فاس القرويين هـ ملخصا من النبذة اليسيرة النافعة، التى هى لأستار بعض أحوال الشعبة الكتانية رافعة، لشيخنا أبى عبد الله محمد ابن جعفر الكتانى.

وقد يجمع بين قول من قال: إن القدوم من زواوة كان لبنى حسن، ومن قال إلى شالة، بأن منهم من استوطن شالة، ومنهم من استوطن بنى حسن والله أعلم.

٢١٠- محمد بن أبى القاسم بن على بن عبد الرحمن بن أبى العافية المكناسى.

٢١٠ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٢٧٢، درة الحجال ٢/ ٢٠٣، لقط الفرائد فى الموسوعة ٢/ ٨٩٣، وهو فيها: «محمد بن قاسم بن على».

إجازة الحافظ ابن فهد لولدى الشيخ ابن غازى بخطه

حاله: فقيه أستاذ نحوى، كان يستظهر مختصر ابن الحاجب ويقوم عليه وعلى الرسالة قياما تاما.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن بن هارون المطغرى، وعن أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسى.

وفاته: توفى بفاس عام اثنين وستين وتسعمائة.

٢١١- محمد بن الإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد ابن على بن غازى العثمانى المكناسى الملقب غازى، نجل الإمام ابن غازى السابق الترجمة، وشقيق أبى العباس المتقدم الذكر فى الأحمدين.

حاله: علامة نابغة، ومحقق واعية، قال فى الجذوة: كان نحويا بارعا فيه أستاذا، أم بجامع القرويين أزيد من عشرين سنة، لم يحفظ عنه فيها سهو فى الصلاة، وكان الخطيب بالمسجد المذكور.

مشيخته: أخذ عن والده وأجازه عامة كما تقدم نص إجازة والده له فى ترجمة أخيه فى الأحمدين نقلا عن خط المجيز، ووقفت على إجازة العز بن فهد له ولأخيه، ودونك نص الإجازة نقلا عن خطه المرقوم على آخر ورقة من فهرسة ابن غازى التى وقفت عليها بخطه:

«بسم الله الرحمن الرحيم، صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما، الحمد لله الذى وفق العلماء لاتباع السنة، وجعل للمستنبطين منها الأحكام فضلا ومنة، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد الذى بين الله لنا على لسانه الفرض والسنة، ورضى الله عن آله وأصحابه الذين كانوا له أعظم جنة.

---

٢١١ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢١.

وبعد: فقد سألنى من لا أستطيع رده الإجازة لسيدينا الشيخين الإمامين العلمين الأوحدين، العلامتين الأمجدين، أبى العباس أحمد وأبى عبد الله محمد ابنى الشيخ الفقيه العلامة المقرئ أبى عبد الله محمد بن غازى المكناسى ثم الفاسى أمتع الله بحياتهما ونفعنا ببركاتهما، فبادرت لإجابته فأقول مستعينا بالقادر الوهاب: قد أجزت سيدينا الشيخين المذكورين جميع ما يجوز لى وعنى روايته متلفظا بذلك، وكذا لأولادهما وإخوانهما وأقربائهما وخدمهما ومن يلوذ بهما، ولجميع أهل بلدهما، بل ولجميع المسلمين على مذهب من يرى ذلك من المسلمين، قاله وكتبه المفتقر إلى لطف الله وعونه، محمد عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمى المكى الشافعى خادم الحديث النبوى بالحرم الشريف المطهر المنيف هو وأسلافه، وهو يسأل الشيخين المذكورين نفع الله بهما أن لا ينسياه من دعائهما الصالح، خصوصا بخاتمة الخير وقضاء الدين، وكفاية مهمات الدنيا والآخرة والحمد لله وصلى على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً حسبنا الله ونعم الوكيل» انتهى من خطه.

وفاته: توفى سنة ثلاث وأربعين وتسعمائة.

٢١٢- محمد بن حسين العبدلى السهلى، وقيل اسمه أحمد، شهر بأبى الرَّوَايَن.

حاله: مجذوب سالك ملامتى، أحد عجائب الدهر، ذو أحوال خارقة للعادة جليل القدر، شهير الذكر، جمالى الحال، واسع النظر، عالى الهمة، حسن السمت، رفيع اللباس، يمسى غنيا ويصبح فقيرا، يدفع كل موجود له للضعفاء والمساكين، وكان أعجوبة الدهر فى التوكل والثقة بالله.

قال صاحب ابتهاج القلوب: حدثنا الشيخ الوالد رضى الله عنه، قال: مر

---

٢١٢ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى الموسوعة ٢/ ٨٨٧.

الشيخ المجذوب عليه - يعنى المترجم - يوما بباب داره فقال ايت فاكنس ما تحت هذه الدابة لدابة كانت له بالاروى، فدخل أبو الرواين يخرج له ما يحمل فيه الزبل، وقد كان على الشيخ المجذوب برنس جيد فطرحه فى الأرض وأخذ يحمل فيه الزبل، فما خرج أبو الرواين حتى وجده قد فعل، فقال متعجبا منه: ما رأيت مثل هذا قط ! وقد غلبنى لأنه أراد أن يختبر مكانه من النظر إلى نفسه والرضا عنها، فوجده فوق ما يظن من خفض النفس وعدم المبالاة بها.

وشأن المشائخ أن يحملوا المريدين على إذلالها وما يوجب إخمادها وقضاياهم فى ذلك مشهورة، لأنه كلما خمدت النفس وانخفضت قوى معناه وتنور باطنه، إذ لا حجاب له إلا رؤيتها، وقد ورد فى الأحاديث الربانية عاد نفسك فليس لى فى المملكة عدو غيرها، وورد أيضا فى مناجاة موسى أنه قال: كيف أجدك يا رب؟ قال له عاد نفسك وتعالَ. قال وقد أخبر الشيخ المجذوب أن ذلك البرنس الذى حمل فيه الزبل لم تزل رائحة المسك تفوح منه من ذلك الوقت، وكان عند أهله فى الصندوق مع الثياب يتبركون به انتهى.

ومعلوم أن العز فى مخالفة النفس والذل فى طاعتها واتباع هواها ولله در القائل:

إذا شئت إتيان المحامد كلها	ونيل الذى ترجوه من رحمت الرب
فخالف هوى النفس الخبيثة إنها	لأعدى وأردى صفقة من هوى الحب

ولقد أجاد من قال:

إذا شئت أن تحظى وأن تبلغ المنى	فلا تسعد النفس المطيعة للهوى
وخالف بها عن مقتضى شهواتها	وإياك لا تحفل لمن ضل أو غوى
ودعها وما تدعو إليه فإنها	لأمارة بالسوء من هم أو نوى

لعلـك أن تنجـو من النار إنـهـا لقطاعـة الأمـعـاء نزاعـة الشـوى

وقد تحدث عـن المترجم بكرامات، وخوارق عـادات، من ذلك ما حكاه فى ابتهاج القلوب قائلا: حدثنى شيخنا الإمـام محمد بن الشيخ أبى العباس الفاسى، عن الشيخ المعمر سيدى أحمـد السفاج، أن الشيخ أبا الرواين، مرّ يوما مع الشيخ المجذوب على حلة، فقـال: لا أذهب حتى أعمر هذه الخيمة أو أخـليها، وكانت خيـمة جليلة لذى مـال من تلك الحلة، فصـاح بربها فطلب منه فـرسه فـقال: يا سيـدى عندى من أشاوره فى ذلك، فذهب إلى زوجـته فقـال لها: إن أبا الرواين والمجذوب هنا، وقد قال كذا وكذا، فـقالت: وما يكون منك إذا بقيت بلا فرس، فجاء واعـتذر بذلك، فقال أبو الرواين: من يشتـرى منى الخيمة وصاحبـتها؟ فلم يجبـه إلا خماس كـان هنالك، قال له: إن عندى عـجلا إن قبلتـه فخذه، فـقبله وسار، ثم إن صاحب الخيمة كان له أندر مجوف فـدخله يوما ففقد حتى قيل بعد مدة إن آخر العـهد به مكان الأندر، ففتش فـوجد ميتا هنالك واعـتدت المرأة بعده فأخذها الخماس وركب الفرس وأحاط بالخيمة وما فيها.

قال: ومما يحـكى عن أبى الرواين أيضا أن بعض أهل مكناسـة لما رأوه على ما هو عليه من الثياب الرفيعة النقـية من الدنس وكان عليه كساء مصبوغ الأطراف باللك(١)، وصادف أن كـان فى الطريق طين مطر فأخذ ذلـك الرجل يقدم له الله أن يتمرغ فى ذلك الطين هزؤا ولعبا وسخريـة منه، فأخذ أبو الرواين يتمرغ فيه لما سأله بالله، فلما قام قال: اليوم أنا وغدا أنت، فمن الغد قتل هنالك.

وأظن الحكاية مع ولد الفقيه أبى على حرزوز، فإنه كان أخبر بما وقع له وقد سمى لى صاحبها من أخبرنى، إلا أنه طال عهدى هل هو المذكور أو غيره.

---

(١) فى هامش المطبوع: «عروق نبات تستعمل للصباغة».

قـال: ولما تغلب السلطان أبو عـبد الله مـحـمد الشـيخ على مكناسـة ألح بالمطالبة لأخذ فاس فـجاء الشيخ أبو الرواين وقال له: اشتر منى فاسا بخـمسمائة دينار، فقال السلطان: ما أنزل الله بهذا من سلطان، هذا شىء لم تأت به الشريعة فقال: والله لا دخلتها هذه السنة، فبقى شهراً والأمر لا يزداد عليه إلا تصعبا[1]، فقال الأمير أبو محمد عبـد القادر لأبيه السلطان المذكور، يا أبت، افعل ما قال لك الشيخ أبو الرواين، فإنه رجل مبارك من أولياء الله، وما زال به كذلك حتى أذن له فى الكلام معه، فكلمه الأمير عبد القـادر فقال: ادفع المال! فدفعه له، فقال: عند تمام السنة إن شاء الله يقضى الله الحاجة وأمرى بأمـره سبحانه، ثم إن الشيخ فرق المال من يومه ولم يمسك منه لنفسه حبة واحدة، ومن ذلك اليوم والسلطان المذكور فى ظهور إلى أن تمت السنة فدخل فاسا كما قال[2] انتهى.

قلت: قول السلطان مـحمد الشـيخ السابق: إن الشـريعة لم تأت بمثل هذه الأفعـال التى كان يتظاهر بهـا المترجم وأمثـاله، لعله يعنى من حيث كـون الإقدام على أمثـال ذلك لم تأذن فيه الشـريعة للعمـوم ومدعى التخـصيص عليه البـيان، وإقامـة البرهان، وإلا فقـد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قـضى على الربيع بأن تكسر ثنيتها قصاصا لها على ما فعلته بغيرها من مثل ذلك، فقال له سيدنا النضر: والذى بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها فـأجابه ﷺ بأن كتاب الله القصاص، وإثر هذا بادر المجنى عليـهم إلى العفو عن الربيع، فـحينئـذ قال ﷺ: إن لله[3] رجالا لو أقسموا على الله لأبرهم أو كما قال.

---

(١) فى دوحة الناشر: «تعصبا».

(٢) الخبر بنصه فى دوحة الناشر من الموسوعة ٢/ ٨٨٧.

(٣) فى هامش المطبوع: «لفظ الصحاح إلا الترمـذى: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره».

ولأهل الخصوصيات من الشواهد في كتب السنة ما هو كثير ويكفي من ذلك ما قصه الله عن الخضر لما صاحبه موسى عليهما السلام، وذلك كله من شواهد أصحاب الأحوال مثل المترجم، ولكن مثل ذلك خاص لخاص، فلا ملام على المتمسك عند حدوث شيء من ذلك بمقتضى ظاهر الشرع وعموماته، حتى يتحقق أن فاعل ذلك من أهل الخصوصية فيسلم له ولا يقتدى به والله أعلم. انظر ابتهاج القلوب.

مشيخته: أخذ عن المترجم قبل وهو الشيخ الكامل.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن صالح المعروف بعريان الرأس دفين تسابت إحدى عمالة توات كذا لبعضهم.

وفاته: توفي سنة ثلاث وستين - بتقديم السين على المثناة فوق - وتسعمائة عن نحو ستين سنة، ودفن قريبا من شيخه ابن عيسى وضريحه مزارة مشهورة إلى الآن.

٢١٣ - محمد بن قاسم بن علي بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي.

حاله: كان فقيها أستاذا نحويا جلس مجلس أبيه في الرسالة بجامع القرويين.

وفاته: توفي سنة خمس وستين وتسعمائة.

٢١٤- محمد بن محمد بن أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أبي العافية المكناسي الشهير بابن القاضي.

---

٢١٣ -من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢١٨/١، لقط الفرائد في الموسوعة ٢/ ٩٠٠.

٢١٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢٤٩/١، لقط الفرائد في الموسوعة ٩٢٦/٢.

والد أبى العباس صاحب الجذوة والدرة وغيرهما.

حاله: فقيه نوازلى فرضى حيسوبى، علامة نبيه، فاضل وجيه، من بيت علم وفضل ودين متين.

مشيخته: أخذ الحساب والفرائض عن أبى محمد عبد الحق المصمودى السكتانى، وعن أبى الحسن على بن هارون المختصر الخليلى، وعن أبى عبد الله اليسيتنى تلخيص المفتاح.

الآخذون عنه: منهم ولده أخذ عنه الفرائض والحساب وشيئا من المنية لابن غازى.

وفاته: توفى بفاس سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، ودفن بمطرح الحلة[1].

٢١٥- محمد بن عبد الرحمن بن بصرى الولهاصى المكناسى المعروف بسيدى بصرى.

حاله: عالم عامل ذو أنفاس صادقة، وأحوال رائقة، أستاذ مجود فقيه، ولى صالح، عارف صوفى، نزيه مرشد ناصح، خطيب مصقع، تولى الخطابة بجامع مكناسة كما فى درة الحجال.

قلت: ولا زالت الخطبة بيد حفدته إلى الآن، ونقل فى المنحة عن بعض أتقياء مكناسة وطلبتها أن الشيخ استمر على الإمامة بالمسجد الأعظم إلى أن توفى، وأنه رد جميع ما كان أخذه من أوقاف المسجد، وأنه كانت له زوجة اسمها آمنة بنت الولى الصالح سيدى أبى على منصور الهروى دفين مدينة سلا، ولا زال أهل الفضل من مكناسة يتحدثون عنه بأنواع الكرامات. قال ابن عسكر: غير أنه يزعم أنه أخذ طريقة التصوف عن امرأة هنالك ويدعى لها أسراراً ومناقب ونحوه فى ابتهاج القلوب.

---

(١) فى لقط الفرائد: «بمطرح الجنة».

شيوخه: قال أبو عبد الله محمد العربى بن محمد البصرى فى الباب الرابع من كتابه منحة الجبار، ونزهة الأبرار، وبهجة الأسرار، فى ذكر الأقطاب والأولياء والأشراف والعلماء الأخيار، إنه تلا بالسبع على الإمام أبى العباس الحباك المتوفى سنة ست وثلاثين وتسعمائة، واستجازه فأجازه فيها وفيما يتعلق بها من كتب القراءات مع الألفية والرسالة والبردة كما هو دأب أهل الإجازات، ونص ذلك:

«يقول العبد الفقير إلى رحمة مولاه، الغنى به عمن سواه، أبو العباس أحمد بن الشيخ المكرم الوثايقى الملحوظ المبارك الأسعد أبى عبد الله محمد بن الشيخ المكرم المرحوم أبى عبد الله محمد الأنصارى عرف بالحباك سمح الله له، وسدد قوله وعمله، إن الشاب الطالب النجيب، الكيس الحاذق اللبيب، أبا عبد الله محمد بن الشيخ الأجل، الأفضل الأكمل، أبى زيد عبد الرحمن بن عبد الله ابن عمر الولهاصى المكناسى الدار المدعو بابن بصرى شرح الله صدره، ورفع بالعلم والعمل الصالح قدره، وقواه وأرشده، ووفقه وسدده، كان ممن تردد إلى، وتوخى المثول بين يدى، واعتمد فى قصده على ما لدى، فقرأ علىّ القرآن العظيم، المنزل على سيدنا محمد المصطفى الكريم، من فاتحته إلى خاتمته ختمة واحدة، جمع فيها بين قراءة الأئمة السبعة المشهورين، رضوان الله عليهم أجمعين، وأدرج فى ذلك الإدغام الكبير لأبى عمرو بن العلاء وكل ذلك بطريق التيسير للحافظ أبى عمرو الدانى، وملخصه حرز الأمانى، ووجه التهانى؛ للإمام أبى القاسم الشاطبى رحمه الله تعالى.

ولما كمل له ذلك على على نحو ما ذكر من التعيين والتفصيل، وكان من أهل التجويد للقراءات مع الضبط لأحكامها والتحصيل، سأل منى وفقه الله تعالى أن أجيز له ذلك وأشهد له به فى كتاب، ليرتفع به عنه تخالج الظنون وخطرات الارتياب وليكون بيده حجة ساطعة، وبنبله وثبات نقله بينة قاطعة، كما جرت بذلك عادة الأئمة، ومعتمدى هذه الأمة، فأجبته إلى ما سأل، وأسعفته فيما رغب

وأمل، وحدثته بالقراءات السبع تلاوة عن الشيخ الفقيه الأستاذ الخطيب الشهير أبى عبد الله محمد بن أحمد بن غازى العثمانى، عن الشيخ الفقيه الأستاذ الخطيب الشهير أبى عبد الله الشهير بالصغير ابن الحسن النيجى إلى آخر السند.

ثم قال أبو العباس المجيز: وقد عرض على المجاز أبو عبد الله محمد المذكور هداه الله تعالى قصيد أبى القاسم الموسوم بحرز الأمانى ووجه التهانى عرضا جيدا من صدره، واستفهمته عنه وعن فصوله، وحدثته به عن شيخنا الفقيه المقرئ الصالح أبى عبد الله محمد بن غازى، عن شيخه الفقيه الخطيب المقرئ محمد بن الحسن النيجى الشهير بالصغير، عن شيخه الأستاذ المقرئ المحقق أبى الحسن على الوهرى إلى آخر السند.

قال: وعرض على أيضا المجاز المذكور قصيد أبى الحسن بن برى المرسوم بالدرر اللوامع عرضا جيدا من صدره كله بالتفهم، وحدثته به عن شيخنا الفقيه أبى عبد الله بن غازى المذكور، عن شيخه الفقيه أبى عبد الله محمد الصغير إلى آخر السند.

قال: وعرض على أيضا الرجز الموسوم بمورد الظمآن، فى رسم أحرف القرآن، مع الذيل الملحق به فى النقط للإمام العالم العلامة أبى عبد الله محمد بن إبراهيم الشهير بالخراز، وعرض على أيضا المجاز المذكور صدرا من رسالة الإمام العالم أبى محمد عبد الله بن أبى زيد القيروانى، وحدثته بها عن الشيخ الفقيه أبى عبد الله محمد بن غازى المذكور، عن شيخه أبى عبد الله محمد الصغير المذكور إلى آخر السند المرسوم فى الإجازة، وفيما كتب به ابن غازى لمن استجازه من أهل تلمسان.

قال: وعرض على أيضا صدرا من كتاب التيسير، وحدثته به قراءة لبعضه، وسماعا لسائره عن الشيخ أبى عبد الله بن غازى، عن الشيخ أبى عبد الله الصغير المذكور إلى آخر السند المذكور فى الإجازة أيضا.

قال: وعرض عَلَىَّ أيضا جميع القصيدة المباركة المسماة بالبردة من نظم الإمام شرف الدين أبى عبد الله محمد بن سعيد البوصيرى، وحدثته بها عن شيخنا أبى عبد الله بن غازى، قال: أخبرنا بها الشيخ الإمام العالم العلامة أبو عَمْرو عثمان بن محمد بن عثمان الديمى المصرى، عن ابن فهد، أخبرنا بها أبو بكر المراغى، قال: أخبرنا بها أبو الفتح الميدومى، عن ناظمها أبى عبد الله البوصيرى رحمهم الله تعالى أجمعين.

قال: وعرض عَلَىَّ أيضا جميع ألفية ابن مالك عرضا جيدا من صدره، وحدثته بها عن شيخنا أبى عبد الله بن غازى، عن الشيخ الإمام العلامة تاج المحدثين وإمام المسندين فخر الدين أبى عمرو عثمان بن محمد بن عثمان الديمى المصرى المذكور، أخبرنا بها عن هاجر بنت محمد بن محمد المقدسى، عن أبى إسحاق التنوخى، عن أحمد بن محمد بن غانم عن المصنف رحمهم الله.

قال أبو العباس المذكور: وقد أجزت للطالب المكرم أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن بصرى المذكور جميع ما قرأه على من القراءات السبع المذكورة، وجميع ما عرضه على وسمعته منه مما ذكر فى هذا الكتاب إجازة عامة على أكمل شرطها وأوثق ربوطها، وأذنت له فى أن يروى عنى، وعن الشيوخ الذين فى هذا الكتاب مما تضمنه من الأسانيد المذكورة، والقراءات المسطورة، وكذلك ما رويته عن شيخى المذكور من تآليف الشيخ أبى وكيل ميمون المذكور كالمورد الروى فى نقط المَصاحف، وتحفة الإعراب، والدرة الجلية، فى نقط المصاحف العلية، وجميع ما قيدته تلاوة وسماعا، وأوصيه ونفسى بتقوى الله تعالى ومراقبة أمره فى جميع

أحواله، وتحرى الصدق والصواب فى جميع أقواله، والله يعصمنا وإياه من الخطأ والزلل، ويرشد كلاً منا لصالح القول والعمل، بمنه وكرمه.

شهد على الفقيه المجيز أبى العباس أحمد المذكور بما فيه عنه وهو بحال كمال الإشهاد وعرفه وعرف تصدره لذلك وعلى المجاز المذكور بطلبه الإجازة المذكورة، وهو بحال صحة وطوع وجواز، وعرفه فى أواسط رمضان المعظم عام خمسة وعشرين وتسعمائة عبد الله بن محمد بن على الحسنى الجوطى لطف الله به، وأبو عبد الله محمد المعروف بالعربى الحسنى الجوطى لطف الله به، وعبد الله وأقل عبيده عبد القادر بن محمد الحسنى خار الله تعالى، والواضع خط يده الفانية الشريف أحمد بن محمد بن على بن محمد بن محمد بن عمران الحسنى الجوطى لمن طلب التبرك بالجناب الطاهر النبوى بلغ الله قصده وأمله بمنه، وشهد بذلك أحمد بن أبى القاسم عراقى الحسنى لطف الله به، ومحمد بن على بن طاهر الحسنى وبعد ذلك إشكال أعيان أهل الوقت وقاضيه على المتعارف الآن فى عصرنا رحم الله الجميع».

وقال: هذا ما وقفت عليه من أمر الشيخ أبى عبد الله فى شأن القراءات السبع، ولم أقف إلى الآن على شيخه الذى أخذ عنه الروايات السبع على التدريج إلى أن بلغ أن يجاز، نعم يمكن أن يكون الشيخ أبو العباس هو الذى رقاه من البداية إلى النهاية كما كان يصنع شيخنا أبو عبد الله الأصغر مع بعض طلبته.

وأما شيوخه فى العلم فلم أقف له الآن على شيخ مع إدراكه لجملة من مشايخ نحارير، وأئمة مشاهير، ورأيت الجزء الأول من التوضيح، وشرح الصغرى للإمام السنوسى بخطه.

ووصفه جماعة من الأئمة بالفقه والتدريس منهم الفقيه الحيسوبى الموقت الشريف الطاهرى الجوطى سيدى أحمد بن عبد القادر، ونص ما رأيت بخطه ومنه

نقلت: توفى الإمام الخطيب العالم العامل به قطب زمانه المدرس المحقق الزاهد سيدى محمد بن سيدى عبد الرحمن المكناسى يدعى ببصرى يوم الأربعاء موفى عشرين من ذى الحجة الحرام إلخ إلى أن قال: ورأيت بخط غير واحد من عدول مكناسة الذين انقرض عصرهم وصف الشيخ بالعلم والتدريس والمعرفة بالله تعالى ونص المرثى: الفقيه الأجل المدرس المحقق الأتقى الأرفع الأنزه الأسرى الأحفل الأزكى الأعدل الأكمل الخطيب البليغ الحسيب الولى الكامل، القطب العامل، الشيخ الإمام الأوحد الهمام إلخ.

وأما المرأة التى أخذ عنها التصوف حسبما تقدم فى كلام ابن عسكر فقال فى المنحة: إنها هى السيدة الجليلة ذات الأحوال الباهرة، والخوارق الظاهرة، مريم بنت عبود الأندلسية دفينة رأس التاج خارج باب عيسى أحد أبواب مكناسة الزيتون لها روضة هنالك مشهورة بها مقصودة للزائرين، وأصل الروضة لسيدى عبد الرحمن والد الشيخ أبى عبد الله.

وأخبرنى بعض الأندلسيين من أهل القورجة أنها السيدة فتحون البزازية، وأن السيدة مريم هى التلميذة، وللسيدة فتحون أيضا روضة برأس التاج مشهورة هنالك».

فائدة: ذكر فى منحة الجبار أن جميع من بمكناسة من البصريين منحصرون فى بنى محمد صاحب الترجمة وبنى عبد الواحد قال: ومنهم شيخنا أبو عبد الله، وبنى عبد السلام، وبنى عبد الرحمن لا غير وكلهم من ذرية ولى الله تعالى أبى موسى عمران، يعنى دفين روضة رأس التاج بمكناسة.

قلت: وينحصر عقب المترجم الآن فى أولاد قاسم بن الطيب، وأولاد أخيه المهدى بن الطيب بن الصغير بن مسعود بن محمد فتحا بن المترجم.

وعقب بنى عبد الواحد ينحصر فى أولاد محمد بن الطيب بن عبد الرحمن.

وعقب بنى عبد السلام ينحصر فى أولاد محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد السلام بحمام الجديد.

وأولاد ابن عبد الرحمن بقى منهم محمد بن الطيب بن محمد بن عبو المدعو ابن دحمان، ويجتمعون كلهم فى عمران المذكور، هكذا وجدت هذا التفصيل فى بعض التقاييد بخط بعض عدول بلدنا المبرزين الأثبات قائلا: وهذا فى أوائل العشرة الثانية من المائة الثانية بعد الألف انتهى.

وفاته: توفى بمكناسة آخر ذى الحجة سنة إحدى وتسعين وتسعمائة ودفن بداره من القرسطون إحدى حومات مكناس الشهيرة وقبره إلى الآن مزارة شهيرة.

٢١٦- محمد فتحا بن الشيخ أبى المحاسن يوسف الفاسى وأكبر أولاده.

حاله: فقيه علامة وجيه نبيه، نشأ فى حجر أبيه المذكور بالقصر نشأة حسنة، وقرأ القرآن وطلب العلم هنالك، وحضر مجالس أبيه، ثم رحل إلى مكناسة وفاس وقرأ على مشيختهما فاستفاد وحصل وأفاد وعلم، وانتفع به جماعة من الطلبة، وكان الغالب عليه علم القرآن والفقه، وكان خيراً ديناً فاضلا رقيق القلب كثير الخشوع سريع العبرة، سمحا جوادا كريم النفس، مستطاب الحديث، حسن التلاوة، شجى الصوت، لا يكاد يسمع أحد تلاوته إلا بكى ورق قلبه. قال فى المرآة: سكن بفاس إلى أن توفى بها فى حياة أبيه.

مشيخته: منهم والده، وجماعة من أئمة فاس ومكناس وغيرهما.

ولادته: ولد بالقصر سنة تسع وخمسين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ثمان وتسعين وتسعمائة، ودفن بالكغادين فى مقبرة الشرفاء الطاهرين كما بعناية أولى المجد.

٢١٧- محمد فتحا بن محمد بن موسى المكناسى المدعو العشير.

دفين روضة سيدى عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة بالحضرة المكناسية.

حاله: شيخ صالح فالح، صوفى فاضل، ولى معتقد متبرك به من أعظم صلحاء مكناسة الزيتون.

مشيخته: وجد منقوشا بلوح خشب فى الجدار الجنوبى عند قبر المترجم ما لفظه: أخذ الطريقة عن سيدى محمد بن التقى الخلوتى، عن سيدى محمد بن عبد الله المدعو بالشيخ دمرداش المحمدى، عن سيدى عمر الرقاشى، عن سيدى يحيى عن صدر الدين، عن عز الدين، عن السيد أخى هرمز، عن سيدى عمر الخلوتى، عن سيدى أخى محمد، عن إبراهيم الزاهد، عن سيدى جمال الدين، عن السيد شهاب الدين الغزى، عن سيدى زين الدين محمد السجاسى، عن قطب الدين الأبهرى، عن سيدى أبى نجيب السهروردى، عن القاضى عمر البكرى، عن سيدى محمد البكرى، عن الشيخ محمد، عن سيدى ممساد الدينورى، عن الجنيد البغدادى، عن سيدى سرى السقطى، عن سيدى معروف الكرخى، عن سيدى داود الطائى، عن حبيب العجمى، عن الحسن البصرى، عن على رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ هـ بلفظه.

وفاته: توفى سنة ثمانين وتسعمائة وفى روضته دفن عمرو بوعوادة على قبريهما دربوز خشب.

٢١٨ - محمد الوقاد المكناسى.

حاله: أحد شعراء المغرب المجيدين، وأفاضله المتقين ذو نفس أبية وهمة

---

٢١٨ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ١/ ٣٢٤.

تطاول الجوزاء له مهارة فى علوم الأدب وغير ذلك وكان أوحد عدول مدينة فاس.
قال ابن القاضى فى الجذوة: حدثنى بخبره شيخنا ابن راشد، وذكر أنه أتى القاضى نيابة عن الونشريسى أبا الحسن عليا الشامى ليؤدى عنده وكالة، فقصد تحقيره فهجاه بقصيدة مطلعها:

فآه ثم آه ثم آه   على أسد تمزقه الكلاب

فاشتكى الشامى المذكور على القاضى أبى مالك عبد الواحد بن أحمد الونشريسى بالوقاد الذى هجاه بالقصيدة المذكور مطلعها، فبعث إليه أبو مالك وعاب عليه هجوه، فأجابه الوقاد بأن قال له وهبه هجواً كان ماذا؟ أشهد على أنى لا أشهد [أبدا](1) عندى ثلاث من الإماء يغزلن وآكل حتى لا أحتاج إليه أبدا هـ.

٢١٩- محمد بن أحمد بن محمد التلمسانى أبو محمد قاضيها يعرف بابن الوقاد.

حاله: إمام له مشاركة ومهارة فى التفسير والحديث والفقه، المرجوع إليه فى الأصول والفروع والعلوم العربية بسائر أنواعها، وإليه المرجع فى الإفتاء، وعليه التعويل فى النوازل والأحكام، ومعرفة الخلافات المذهبية، خطيب مصقع بليغ، أصله من تلمسان، وبها نشأ ثم انتقل بعد التحصيل لسوس الأقصى، ونزول مدينة ترودانت، وتولى خطة القضاء بأعمالها وخطابة جامعها الأعظم، ثم ولى قضاء الجماعة بها نحو ستة أشهر، فأعفى لكون أهلها برابر لا يعرف لسانهم.

ثم وجهه أمير وقته قاضيًا لسجلماسة وخطيبًا، فبقى بها مدة، ولقى بها الولى الصالح سيدى عبد الرحمن وغيره من أعلامها، ثم نقل لمكناسة الزيتون وتولى القضاء بها والخطبة بجامعها، ثم خطب بجامع الأندلس بفاس المحروسة،

---

(١) من جذوة الاقتباس.

ثم رد لتارودانت قاعدة السوس وولى الإمامة والخطبة بجامعها الأكبر، وتصدر للإفتاء والتدريس بها قائمًا على مختصر ابن الحاجب الفرعى، والشامل لبهرام وغيرهما، صلب فى دينه، لين الجانب متواضع، متحمل للأذى، صابر على جفاء الفدادين من الطلبة وغيرهم، حسن العشرة، حلو الشمائل، كريم المائدة مبسوطها، مقصود للأرامل والأيتام، مشفق على القوى والضعيف، لا يقدر للدنيا قدرا ولا يستقر بيده شيء منها مع وفور ما ينصب إليه من الجرايات والجوائز.

وحصل له جاه ووجاهة عند الخاصة والعامة، تعظمه الملوك فمن دونها ويقدرون قدره، ويجرون عليه الجرايات التى لم ينلها من قبله، وهو أول من سن إبداء الأفراح بتارودانت فى ليلة مولد النبى ﷺ، وبذل النفقات فيها على السنن الشرعى، كان يجمع الناس فى منزله ليلة العيد النبوى على قراءة الأمداح النبوية بالأناشيد المطربة، وينفق فى ذلك نفقة عظيمة إجلالا وتعظيما ومحبة فى جانب خير الأنام صلى الله عليه وعلى آله وسلم، واهتماما بإقامة موسم ذكرى مولده.

وهو أول من قرأ بها الجامع الصحيح للإمام البخارى قراءة ضبط وإتقان، وأول من خطب بها بلسان عربى مبين وقرط الآذان، بمواعظ توقظ الوسنان، حسن العبارة، لطيف الإشارة، فصيح اللسان، ثبت الجنان، ينشئ الخطب البديعة الرائقة العذبة، الخالية عن التكلف على حسب ما تقتضيه الأزمنة وما يقع من الحوادث، قال أمير وقته الإمام المنصور فى حقه: ليس عنده فى المغرب أخطب منه إلا أن الله اختاره لمدينة ترودانت وإن لم تكن كرسى الخلافة.

مشيخته: أخذ عن الإمام أبى عبد الله محمد بن محمد بن عبد الجليل التنسى خطيب جامع تلمسان وعن مفتى تلمسان وفقيهها الفقيه أبى عبد الله محمد ابن هبة الله الزناتى المعروف بشقرون المتوفى سنة ثلاث وثمانين وتسعمائة، وعن أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن المعروف بابن جلال التلمسانى المتوفى ثامن رمضان سنة إحدى وثمانين وتسعمائة، والعلامة المشارك أبى عبد الله اليسيتنى

المتوفى فى سادس عشر محرم الحرام عام تسعة وخمسين وتسعمائة، والعلامة الرحال أبى العباس أحمد بن محمد بن أحمد إذ قال به شهر، المتوفى ليلة الجمعة ثامن عشر رجب سنة ثلاث وعشرين وألف وغير هؤلاء من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن التمنرتى بفتح المثناة فوق بعدها ميم ثم نون فراء ساكنة فمثناة فوق بعدها ياء النسب مؤلف الفوائد الجمة، ومنها استفدت هذه الترجمة، أخبر عن نفسه فى كتابه الفوائد الجمة المذكور أنه أخذ عنه رسالة ابن أبى زيد القيروانى، والمختصر الخليلى من أولهما إلى آخرهما قراءة تفهيم وتحرير، والمختصر الفرعى لابن الحاجب إلى قرب ثلثه، وسرد عليه شامل بهرام إلى قرب نصفه، والعقائد والتفسير من تلك الرسل غاية سورة الأعراف.

شعره: من ذلك قوله:

من الله أرجو أن يبوئنى غدا	مقاما عليا فى الجنان مخلدا
ويسكننى رضوان جنته التى	أعدت لأهل العلم والحلم والندا
بفضل أحاديث البخارى ووجهه	له ما حييت الدهر أقرأ سرمدا

وقوله:

لم يبق دهرك من تامن مودته	ولا صديق إذا خان الزمان وفى
فعش فريدا ولا تألف إلى أحد	فقد نصحتك جهدى والزمان كفى

وفاته: توفى ليلة الخميس لعشر خلون من ربيع الثانى سنة إحدى وألف، ودفن قبلة الجامع الكبير بترودانت وهو أول مدفون فيه.

٢٢٠- محمد بن قاسم بن محمد الأنصارى المالقى الضرير الشهير بابن قاسم نزيل مكناسة الزيتون.

حاله: فقيه أستاذ جليل، ذكره صاحب الجذوة فى ترجمة أحمد بن تميم اليفرنى.

الآخذون عنه: منهم أحمد بن عبد الرحمن بن تميم اليفرنى الشهير بالمكناسى.

٢٢١ - محمد بن محمد الغمارى بالمعجمة الكومى المكناسى.

حاله: فقيه نحوى مشارك متفنن، مفتى مكناسة، كان يستظهر مختصر خليل، وله مشاركة فى الحساب والفرائض والقرآن العظيم بالمقارئ السبعة.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد المسارى، وعن أبى زكرياء يحيى السراج، وأبى راشد اليدرى وغيرهم.

وفاته: توفى ببلده مكناسة فى الثالث والعشرين من ربيع النبوى عام اثنين وألف كما فى التقاط الدرر وغيره.

٢٢٢- محمد بن مبارك الزعرى الأصل المكناسى النشأة.

حاله: من مشاهير الأولياء الكاملين، وأعيان الصالحين، كان أول أمره بمكناسة الزيتون يتعاطى القراءة فصعب عليه الأمر وتعذر عليه الفهم، فرأى النبى ﷺ فقال له: إنك لن تقرأ، ولكنك شيخ، فظن أنه يكون من أشياخ القبائل، فرحل للبادية فلم يزل بها حتى هبت عليه نفحة القرب، من حضرة الرب، فذهب لمراكش ولقى بها الشيخ الكامل أبا عمرو القسطلى، ورجع إلى باديته فبنى مسجدا بالموضع الذى عين له شيخه لسكناه، فيقال: إنه قال له: جعلت محرابه منحرفا فأشار بيده إلى جهة مكة فتزحزحت الجبال حتى شهد الحاضرون مكة والله على

٢٢١ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢١.

٢٢٢ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٣٠.

كل شيء قدير، وهذا غير مستغرب فى جانب كرامات الأولياء التى لا ينكرها إلا مبتدع مارق لثبوتها بالكتاب والسنة والإجماع، وكان يقول: أهل زماننا محسوبون علينا، فبلغ ذلك لعصريه الشيخ أبى عبد الله محمد الشرقى فقال رضى الله عنه: اشهدوا أنا من أهل زمان ابن مبارك.

مشيخته: منهم الشيخ أبو عمرو القسطلى.

الآخذون عنه: منهم العارف الكبير أبو عبد الله الشرقى.

وفاته: توفى بتاستاوت سنة ست وألف، وضريحه شهير بزار، قرب ضريح الشيخ أبى يعزى، وهو لا يبعد عنه إلا بنحو ثلاثين كيلو متر.

وقد أخبرنى بعض من وثقت بخبره أنه وقف بزاوية هذا الشيخ المباركية على نسختين من مؤلف فى كرامات الشيخ المترجم لا تاريخ بهما ولا ذكر لمؤلفهما فيهما، إحداهما من حبس الزاوية المذكورة، وثانيتهما ملك للغير، بالثانية نقص فى آخرها وأوراق كل نحو الخمسين وليس بذلك المؤلف من الفوائد التاريخية ما يهم الباحث الاطلاع عليه.

وللشيخ هناك عقب ذوو وجاهة. وله زاوية بالرباط تعرف بالزاوية المباركية.

٢٢٣- محمد السبع بن عبد الرحمن المجذوب الولى الشهير.

حاله: شيخ عابد بركة من أولياء الله الصالحين، كان أرصاه والده بخدمة الشيخ أبى المحاسن الفاسى، ذكره صاحب المطمح وغيره.

مشيخته: أخذ عن أبى المحاسن المذكور وغيره.

وفاته: توفى سنة أربع عشرة وألف.

---

٢٢٣ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٤٥.

٢٢٤- محمد بن أبى القاسم بن محمد بن محمد بن قاسم بن أبى العافية الشهير بابن القاضى المكناسى.

حاله: فقيه عالم علامة قدوة محصل حيسوبى فرضى مشارك رحالة كان أوحد عصره فى علم الحساب والفرائض والتوقيت والتنجيم والجدول وغير ذلك وله مخالطة لعلم الحدثان تذكر عنه حكايات فى ذلك غريبة مع الفهم الثاقب والإدراك التام، حج ولقى جماعة كالأجهورى وأضرابه.

مشيخته: أخذ عن عمه مؤلف الجذوة وعن الحافظ أحمد المقرى وسيدى العربى الفاسى وغيرهم.

مؤلفاته: منها البرق الوامض، فى الحساب والفرائض، وكتاب لطيف أخذ فيه فصول الفرائض من لفظ زيد بن ثابت، وتحقيق المذهب فى مسائل الجد، ورحلة للمشرق، ومحاذى على قصيدة ابن ليون فى التكسير، ومحاذى على الروضة فى التوقيت، وتحفة الخالى، على نظم سلك اللئالى فى المخمس الخالى، لسيدى العربى الفاسى وله غير ذلك.

وفاته: توفى رحمه الله قتيلا بمسجد القرويين من فاس غدراً بعد أن قام من مجلس تدريسه عند عشاء يوم الاثنين فى واحد وعشرين من ذى الحجة سنة أربعين وألف.

٢٢٥- محمد بن أحمد بن عزون الجزنائى أبو عبد الله المكناسى.

أورده فى نشر المثانى من جملة أهل العام الثامن من العشرة السادسة.

٢٢٦- محمد بن أحمد بن عزوز المكناسى.

حاله: قال أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر

---

٢٢٤ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٩٢.

الفاسى فى كتابه الإعلام فى حقه ما نصه: فقيه أديب شديد الطلب، بارع فى الأدب.

مشيخته: منهم أبو محمد عبد القادر الفاسى حضر مجالسه المختلفة الفنون، واقتنى منها ما تقر به العيون.

وفاته: توفى بتونس سنة ست وستين وألف، قاله فى الإعلام.

٢٢٧- محمد بن أحمد الصباغ لقبا البوعقيلى نسبا.

أصله من مكناس ونشأ بفاس.

حاله: فقيه علامة مشارك حيسوبى فرضى، جليل القدر، ناقد بصير عارف بعلم الحديث والفقه، ماهر فى علم الهيئة والحساب والفرائض، سلم له أهل عصره فى ذلك، ورجعوا له فى خبايا تلك العلوم، وتصدر هو لتعليمها فانتفع به قوم.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى العباس أحمد بن القاضى، وابن عمه أبى عبد الله محمد بن القاضى وغيرهما.

مؤلفاته: منها شرح على المنية لابن غازى سماه البغية فى شرح المنية، أجاد فيه ما شاء، واليواقيت، فى الحساب والفرائض والمواقيت، وكشف قناع الالتباس، عن بعض ما تضمنته من البدع مدينة فاس، وشرح الروضة، واختصار شرح المنجور على المنهاج، وغير ذلك من التآليف والتقاييد الحسنة المحررة.

ولادته: ولد سنة تسعين وتسعمائة.

وفاته: توفى سنة ست وسبعين وألف ودفن بعين أصليتن من الحضرة الفاسية بدار ضريح ابن عبد الكريم وعمره ست وثمانون سنة.

٢٢٨ - محمد فتحا ابن الحافظ الضابط أحمد بن أبى المحاسن يوسف الفاسى.

حاله: طائر الصيت، منتشر الذكر فى سائر البلاد، فقيه علامة متضلع فى جميع العلوم، إمام حجة، ناقد خبير بصير، ضابط متقن مشارك متفنن، مقرئ بارع فى قراءات السبع، محصل محرر، مدرس نفاع، مقيد حافظ، مستحضر للمسائل، يستظهر تسهيل ابن مالك، ومختصر ابن الحاجب الأصلى وغير ذلك، فصيح العبارة لا يجارى فى سائر الفنون، قوى الفهم، حسن الأخلاق، لين الجانب بشوش، مقبل على الصغير والكبير، كريم سريع الدمعة.

استوطن مكناسة الزيتون، وتقلد قضاءها مدة، فحمدت سيرته، وتواطأت الألسن على مدحه إلى أن نقله السلطان المولى الرشيد لفاس سنة سبع وسبعين وألف، وولاه الفتيا والخطابة بالقرويين، ثم أخر عن ذلك فلازم القرآن والتقييد والإفادة للخاص والعام.

مشيخته: أخذ عن ابن عاشر، وابن أبى النعيم، وعمه سيدى العربى، وعم أبيه سيدى عبد الرحمن بن محمد، وعن أبى الحسن بن الزبير السجلماسى، وأبى الحسن البطوئى(١).

وبالإجازة عن الشيخ القصار، وأبى زيد بن القاضى، وصاحب الترجمة مع الإمام أبى محمد سيدى عبد القادر بن على الفاسى قرينان فى طلب العلم والسن ولقاء المشايخ، وكلاهما من أجل أهل زمانهما كذا فى نشر المثانى.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو محمد عبد السلام القادرى، وسيدى محمد

---

٢٢٨ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى الموسوعة ٤/ ١٥٧٨.

(١) قيده فى نشر المثانى من الموسوعة ٣/ ١٢٨٥: «بضم الطاء المشددة فواو وهمزة قبل ياء النسب».

وعبد الرحمن ابنا شيخ الإسلام أبى محمد عبد القادر الفاسى، والقاضى أبو عبد الله بن الحسن المجاصى، والقاضى أبو عبد الله بردلة.

مؤلفاته: منها شرح لطيف على المختصر الخليلى، وشرحان على نظم المراصد لعمه سيدى العربى، وشرح لنظمه أيضا فى المنطق.

ولادته: ولد بفاس ضحى يوم الخميس تاسع محرم سنة تسع وألف وفى النشر ثمان وألف.

وفاته: توفى بفاس آخر ليلة الثلاثاء ثانى عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين وألف، ودفن بروضة جده أبى المحاسن من جهة القبلة خارج القبة، وإلى ذلك إشارة الشيخ المدرع فى منظومته بقوله:

وسيدى محمد بن أحمد	سليل يوسف الإمام الأمجد
بخارج القبة حوشه اشتهر	من جهة القبلة بان وظهر

٢٢٩ - محمد العرائشى أبو عبد الله.

حاله: فقيه نبيه جليل، صوفى نبيل، كان ناظرا فى العهد الإسماعيلى على أحباس الولى المتبرك به حيا وميتا عبد الله بن حمد، وهو الذى تولى بناء ذلك الضريح المرونق عن إذن سلطان وقته سيدنا الجد المذكور حسبما ذلك مرقوم فى نقش زليج بالحائط عند رأس قبر المترجم.

ودونك نص الغرض منه:

هذا ضريح خديم هذا الولى الصالح سيدى عبد الله بن حمد نفع الله به، وناظر أحباسه والذى بنى هذه الروضة المباركة عن أمر مولانا إسماعيل نصره الله، وهو الحاج محمد العرائشى رحمه الله.

وفاته: توفى عند فجر يوم الثلاثاء ثامن عشر من جمادى الأولى سنة ثمانية وتسعين وألف.

٢٣٠ - محمد الغمارى.

دفين حومة حمام الحرة جوار الولى الصالح السيد عمرو بوعوادة آتى الترجمة.

حاله: لم أقف فى ترجمته على شىء زائد على ما برسم حبس دونك لفظه:

«الحمد لله وحده، نسخة رسم واحد والإعلام بالقبول عتمبه وخطاب نائب من يجب سدده الله لمغيبه عقبه نصه، الحمد لله بشهادة شهيديه أمنهما الله بمنه حسبما فى غير هذا حبس الشريف الأصيل مولاى السعيدى ابن مولاى الجيلانى المنونى من داره المعروفة له فى جوار سيدى عمرو بواعوادة، الأولى عن يمين الداخل للدرب الذى كان به سكنى العلامة سيدى الغازى، جميع براحها مع البيتين الصغيرين المستندين على اروى مولاى الطيب على الولى الصالح، الكوكب اللائح، سيدى محمد الغمارى نفعنا الله به ليدفن بهما هو ويدفن غيره من سائر الناس، وثمن القبور يكون فى مصالح ضريح الولى بعد أن يبنى ويكون زاوية، وإن فضل على ذلك شىء اشترى به ما يوقف على روضة الولى للانتفاع به فى مصالحه من إيقاد وغيره، وأبقى الشريف المذكور من داره المذكورة مما عدا ما حبسه لنفسه، وذلك البيت المقابل للداخل للدار المذكورة المستند على روضة ولى الله سيدى عمرو بوعوادة، والمقابل له ينتفع بهما بما شاء من دفن أو غيره، والباب تبقى متحدة بينه وبين الروضة، وإن شاء أخرج البيتين أو أحدهما.

وشهد به عليه بأكمله وعرفه فى أواسط ذى القعدة الحرام عام خمسة وتسعين ومائة وألف محمد بن عبد الله الرجراجى لطف الله به، وعبد الرحمن ابن الحاج قاسم الفلوسى وفقه الله آمين.

وبعده: الحمد لله أعلم بقبولهما عبد الله سبحانه وتعالى محمد الطيب بن محمد بصرى وفقه الله بمنه ولطف به.

وبعده بخط نائب من يجب لمغيبه: أعملته انتهت قابلها بأصلها فماثلته وأشهده الفقيه الأجل، العالم الأفضل، نائب قاضى الجماعة لمغيبه بمدينة مكناس، وهو الكبير بن أحمد العوفى تغمده الله برحمته أعزه الله تعالى وحرسها، بأعمال المنصوص عنده الإعمال التام لأعماله لديه بواجبه، وهو حفظه الله تعالى بحيث يجب له ذلك من حيث ذكر، وفى التاسع والعشرين من رمضان المعظم عام أربعة ومائتين وألف عبد الله سبحانه وتعالى فلان بشكله ودعائه وعبد ربه سبحانه وتعالى فلان بشكله ودعائه».

وقد أخبرت على لسان أهل العدل أن كرامات المترجم تواترت لدى الخواص والعوام من قدماء أهل بلدتنا المكناسية، من ذلك ما حدثنى به بعض المبرزين الموثوق بأمانتهم وديانتهم من العدول أهل العلم والثبات عن بعض الأساتذة الطاعنين فى السن، أنه سمع بالتواتر على ألسنة أهل الصدق والدين أن المترجم دخل يوم عيد أضحى لدار من دور حومة حمام الحرة حيث مدفنه الآن، فوجد ربة الدار تشوى كبد أضحيتها وهى تبكى، فاستفهمها عن سبب بكائها فأخبرته بأنها تذكرت ولداً لها ذهب حاجا فى ذلك العام، وأنها لم يطب ولم يهنأ لها أكل ذلك الكبد دونه، فقال لها: ناولينى حظه فناولته قطعًا من ذلك الكبد فى آنية، وجعلت له مع ذلك خبزة، فأخذ منها ذلك وخرج، ثم رجع لها من حينه، وقال لها: قد أعطيته ذلك فشكرته، والله أعلم بما يخامر ضميرها.

ثم إن ولدها بعد رجوعه من الحج أخبر بأنه كان ماراً فى زقاق من أزقة مكة المشرفة يوم النحر، وإذا برجل جبذه من ثيابه فلما التفت إليه قال له: خذ هذه الآنية بما فيها فأخذها ظنا منه بأنه من أهل مكة، ثم لما رجع لرفقته بمحل نزوله متأبطا لما ذكر وأخبرهم بالواقع، وأنه بمجرد ما سلم له الرجل الآنية غاب عنه، ولم يدر أى فج سلك، وأنه جزم إذ ذاك بأن الرجل ليس من أهل مكة، وأنه ولى من أولياء الله تعالى خصه بذلك فضلا منه سبحانه، وأن تلك الآنية بعينها تركها بداره بمكناسة عند والدته فسخروا منه وعدوا مقالته من هزل القول، وقالوا له: إنما تلك فضلة فضلت عن عيال الرجل فخرج يتصدق بها فصادفت أمامه فأعطاك إياها، فانتظر مجيئه فى طلب الآنية، فلم ير للرجل بعد أثراً.

ثم بعد أوبته من الحج أخبرته أمه بحقيقة ذلك، وقصت عليه القصص فصدق لها الواقع بإخراج الآنية وشاعت القضية بين أهل البلد وغيرهم، وزاعت وازداد حسن اعتقاد جميع الناس فى المترجم، وأن المترجم كان يدخل لسائر دور أهل البلد من غير استئذان وبالأخص دور الحومة التى فيها مدفنه اليوم، ويقابل عند الكل بكل تكرمة وإجلال لحسن اعتقادهم فيه ورغبتهم فى نيل بركته، وأنه كان يصبح كل يوم فى حلة بيضاء ناصعة فيروح بها كأنها ثوب زيات ولم يدر من أين تصاب له بذلك ولا ما يعمل حتى تصير على ظهره كالليل الحالك إلى غير هذا من أنواع الكرامات، الخارقة للعادات.

وقد علم وتقرر أن كرامات الأولياء ثابتة كتابا وسنة وإجماعا، فلا يستغرب هذا وأكثر منه فى جانبهم رضوان الله عنهم.

٢٣١- محمد بن محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن جابر الغسانى الأصل.

---

٢٣١ - من مصادر ترجمته: كفاية المحتاج ٢/ ١٩٤، نيل الابتهاج ٢/ ٢٣٩.

نسبة إلى غسان - بفتح الغين المعجمة والسين المهملة وبعد الألف نون - وهى قبيلة كبيرة من الأزد، شربوا من ماء غسان وهو باليمن فسموا به، المكناسى الدار.

حاله: ثبت ذكى واعية، أستاذ حافظ متضلع، مطلع نقاد.

مشيخته: أخذ عن والده، والشيخ المبارك أبى خالد يحيى بن يحيى بن خالد وغيرهما.

الآخذون عنه: منهم الإمام ابن غازى قال: جالسته بمكناسة واستفدت منه كثيرا، ومن أغبط ما أخذت عنه المصافحة المروية من طريق الخضر، ومنهم الإمام سقين العاصمى رأيت فى إجازة لأبى القاسم الغسانى أجاز بها سيدى محمد العياشى روى فيها المصافحة عن المنجور عن سقين عن المترجم عن والده بالسند السابق فى ترجمة ابن غازى.

ولم أر من تعرض لولادة المترجم ولا وفاته، لا ممن ترجمه كسيدى أحمد بابا فى النيل، وتلميذ المترجم ابن غازى فى الفهرسة، والذى يظهر من أحواله أنه عمر رحمه الله رحمة واسعة.

٢٣٢ - محمد بن الحسن المجاصى.

الغياثى الأصل، المكناسى الولاية والوفاة، قاضيها أبو عبد الله.

حاله: فقيه ناقد، علامة مشارك، متبحر مدرس نفاع، مفت مطلع متضلع، محرر محقق، حافظ متقن، خطيب مصقع، بليغ واعظ ناسك، من أهل التثبت فى الأحكام والتحرى فيها، له عارضة فى التقييد، وباع فى النظم والنثر.

---

٢٣٢ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٥/ ١٨٢٣.

وكان فى أول أمره خامل الذكر معتزلا عن الناس فولاه السلطان المولى الرشيد بن الشريف الحسنى بإشارة من العلامة الأستاذ سيدى عبد الرحمن بن القاضى المكناسى قضاء فاس الإدريسية، بعد أن عزل حمدون المزوار على ما فى الدر المنتخب، وذلك آخر جمادى الأولى عام تسعة بمثناة وسبعين بموحدة، وخطبة جامع القرويين بها فى ثانى وعشرى رجب عام أربعة وثمانين وألف، فجمع بين قضاء فاس وخطبة مسجدها الأعظم.

والذى فى نشر المثانى أن تولية المترجم كانت بعد عزل سيدى محمد البوعنانى[1] فالله أعلم بالحقيقة.

قال فى الدر المنتخب: إن مولانا الرشيد لما دخل فاسا سأل أهلها عن أفضل علمائها وأسنهم، فقيل له: سيدى عبد الرحمن بن القاضى، فاستدعاه للقدوم عليه فأجابه بأنه لا قدرة له على القدوم عليه لكبر سنه وملازمته بيته، فقال للرسول: إنى آتيه ويخرج بمحل قريب من بيته ألتقى معه به، فخرج لعرصة درب الدرج التى حائطها موال لمصمودة، ولما ورد السلطان فتحوا له نقبا فى جوار العرصة دخل على الشيخ منه واجتمع معه، وبعد التماس بركته والفراغ من سنة السلام، قال له: أتيتك لأستشيرك فيمن أوليه بفاس من حاكم وقاض ومحتسب وناظر؟ فقال له: أما الحاكم فلا أتقلده، والقاضى حمدون المزوار، والمحتسب عبد العزيز الفركلى الفيلالى، والناظر العدل مسعود الشامى.

ولما خرج من عنده أمر أن يبنى بالمحل الذى دخل منه باب ويبقى طريقا، فهو الآن درب الدرج لم يكن قبله، ولما بلغ دار الإمارة نفذ القضاء لحمدون المزوار، والحسبة للفركلى الفيلالى، والنظر فى الأوقاف للعدل مسعود الشامى فامتنع منها وسجن عليها سبعة أشهر، ولما ضاق عليه الأمر أجاب على شرط أن

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٥/ ١٨٢٣.

لا يتعرض له قاض ولا وال، لأن الأحباس كلها حازها اللصوص والأشراف أيام الفترة حتى كادت أن تستأصل كلها، واشتغل بالبحث عنها واستظهارها ومن اتهمه بربع أو أرض يحوز عليه كل ما عنده من الرباع، فما ظهر رسمه رده له، والذى لا يظهر رسمه علم أنه مغصوب فيحوزه للحبس حتى رد الأوقاف كلها.

قال: ولما تولى القضاء المزوار المذكور، وكان كثيرا ما يردّ أحكامه المفتى سيدى عبد الوهاب الفاسى فى نوازل وأحكام تقع منه تخالف المشهور، وعلم بذلك الشيخ ابن القاضى كتب بذلك للسلطان الرشيد يقول: إن من أشرت عليك بتوليته القضاء له أصهار وأنصار، فأقلنى من عهدته أقالك الله من النار، فأمره أن ينظر للقضاء من هو غريب الدار، فأشار عليه بالمترجم.

قال: وتقدم ما ذكره فى نشر المثانى فى سبب عزل المزوار وتولية صاحب الترجمة وهو ليس مخالفا لما هنا، لأن ما هنالك مجمل وما هنا مفصل هـ وكلام النشر المحال عليه هو ما سيمر بك.

ثم صرف، أعنى المترجم، عن القضاء بفاس والخطبة بجامعها فى رابع ذى القعدة عام ثمانية وثمانين، ثم بعد مضى عشرين يومًا رام من المتولى بعده وهو الشيخ أبو عبد الله العربى بردلة أن يشركه معه فى فتوى فاس أو خطبة مسجدها المذكور، فامتنع الشيخ بردلة من ذلك.

فأخذ المترجم فى التدريس بجامع القرويين فى بعض الكراسى بها من دون تولية إلى أن ولى قضاء حضرة السلطان المظفر مولانا الرشيد الحسنى بمكناسة الزيتون، وسبب تولية صاحب الترجمة قضاء فاس فيما يحكى، أن السلطان المذكور رد إلى القاضى بعض مسائل من الأحكام المتعلقة بنسبة من له الشرف بفاس فلم يتضح للقاضى المذكور ما يجيبه به عنها، فاستعجله السلطان من ذلك وعزله، وقال: لا أولى قضاء فاس إلا من كان غريبا لا أهل له ولا صهر، فاختبر

الفقهاء الذين بمدارس فاس، فلم يجد أنجب من صاحب الترجمة حينئذ فولاه قضاءها، فسلك رحمه الله سبيلا حسنا، وكفى به أن الشيخ اليوسى ارتضاه للمشورة فى الرسالة التى كتبها لسيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل، إذ قال له فيها: فعلى سيدنا أن يقتدى بهؤلاء الفضلاء ولا يقتدى بأهل الهوى، ويسأل من معه من الفقهاء، كسيدى محمد بن الحسن - يعنى صاحب الترجمة - وسيدى أحمد بن سعيد وغيرهما من العلماء العاملين الذين يتقون الله ولا يخافون فيه لومة لائم. انتهى.

وما أراده السلطان من اتخاذ القضاء غريبا هو من أسباب العون على العدل وتيسيره، وما زال أهل العدل يحتاطون له.

انظر ما فعل القاضى ابن محسود فإنه حكى عنه فى التشوف: أنه لما ولى قضاء فاس اتخذ زياتا بمكناسة يقضى له الضروريات لئلا يكون له مخالطة مع أحد من أهل ولايته بوجه ما، انظر لفظه فى ترجمة أبى عبد الله بن محسود.

وقد كان صاحب الترجمة من أهل التثبت فى الأحكام والتحرى، ومما يحكى عنه فى ذلك أنه كان إذا أشكل عليه وجه الحكم قيده وضرب الأجل للخصم حتى يفرغ لتأمله، وكان مظنة وقت فراغه يوم الخميس، فيمضى إلى شيخه إمام الجماعة أبى محمد عبد القادر بن على الفاسى ويذاكره فيه بمحضر من يتفق له حضوره من العلماء حتى يتضح الأمر فيحفظه ليحكم به على الخصمين، وهذه سيرة عالية تدل على قوة الدين، والتمسك بحبله المتين.

مشيخته: أخذ عن سيدى عبد القادر الفاسى، وناهيك به وعمن فى طبقته من شيوخ عصره، وأجازه عامة: الملا إبراهيم بن حسن الكورانى الشهرزورى بواسطة صاحبه قاضى سجلماسة أبى مروان عبد الملك التجموعتى عندما رحل للحج، كما وجد ذلك بخط التجموعتى المذكور.

والملا إبراهيم هذا يروى عن العارف بالله صفى الدين أحمد المدنى وغيره.

الآخذون عنه: تخرج عليه جماعة من الفقهاء القادة الأعلام، منهم سيدى عبد السلام بن الطيب القادرى جد صاحب النشر للأب.

مؤلفاته: منها تقييد فى الأشراف الجوطيين فى نحو نصف كراسة صغيرة قال فى آخره: ولجلالة هذا النسب الشريف وعظيم مكانته تعلق به جماعة من أعيان العلماء وصدور الأئمة، فقائل يقول: أمى شريفة، وآخر يقول: جدتى وآخر يحكى أن له فى شريفة رضاعا كالشيخ السنوسى، وجلال الدين السيوطى، والشيخ زروق. وقال صاحب الزلفى: ليت لمثلى من ذلك ولو كخيط العنكبوت، ثم قال: وفى الحديث إن الداخل فيهم وليس منهم يفضح بين الخلائق إذا لم يدع باسم أبيه ويستحى، وهذا إذا لم يكن هو المتسبب فيه، وأما المدعى الكاذب الأول فما يناله من العقوبة واللعنة أبشع وأفظع من فضيحة تابعه إذا لم يعلم باعتداء آبائه، ولعل هذا سبب من يتورع من الانتساب، ويقول: إن يكن شىء من هذا حقا فإنما نحتاج إليه يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، وإن كان باطلاً فنحن منه على جناح سلامة، ويحسن هذا فى حق من وجد شيئا بيد آبائه ولم يكن متواترا شائعا ذائعا نعم من غير أن يتبرأ منه، ولعله ينتفع انتفاعًا ما.

وفى فهرسة شيخ المشايخ، شيخ شيوخ شيوخنا العلامة سيدى أحمد المنجور فى ترجمة شيخه العلامة المحقق أبى عبد الله محمد بن أحمد بن عبد الرحمن اليسيتنى قال: أصله من بنى يسيتن بربر من عمالة دبدو، من بطن منهم يقال لهم بنو كلال، وهم ينتمون إلى الشرف العلوى من فاطمة البتول رضى الله عنها، ولكن لم يثبت لهم ذلك كالمشاهير بالشرف من القبائل، ولهذا لم أسمع شيخنا المذكور قط ينتمى إليه ولا رأيته بخطه فى براءة أو كتاب علمى، ولا يزيد على لفظ اليسيتنى وإن كان أبوه الفقيه أبو العباس - وكان يقرأ فرعى ابن الحاجب من أقران أبى العباس الزقاق - ينتمى إليه وكذلك جده الصالح التالى لكتاب الله

تعالى أبو زيد عبد الرحمن كان يقرئ الصبيان بالمكتب المقابل بانحراف لدرب اللمطى من عدوة فاس الأندلس مشهورا بالبركة.

وقد رأيت رسم شرف لأم عبد الرحمن هذا وقال لى صاحبنا الفقيه أبو عبد الله ولد شيخنا الإمام: إنه كان عندهم رسم شرف لجده عبد الرحمن من قبل الأب أيضا، فلما لم يصح ذلك عند الشيخ هرب من ذلك، وأخذ بالاحتياط والحزم فى دينه مخافة أن تلحقه لعنة رسول الله ﷺ للداخل من غير نسب.

وسمعت مولانا أمير المؤمنين أبا عبد الله محمد الشيخ المهدى يوم خروجه لحركة مللو سنة ثمان وخمسين يسأل الشيخ كم لهم بفاس؟ فقال له: نحو مائتى سنة، قال: ملفق هذه العجالة وقضيتنا قريبة من قضية هذا الشيخ فإنى وربى العالم بالخفيات والمجازى يوم تبلى السرائر أدركت والدى رحمه الله وعمًّا لى من حملة القرآن العظيم وهو ابن الصغير بن يعقوب المغراوى ينتمون للجانب العلوى ولا يتوقفون فى ذلك، ورأيت بعينى رسم شرف وظهائر ولا أدرى أين صارت، وكان أبى يقول: إن أخاه سيدى محمد قدم مع والده سيدى الصغير من مغراوة الجزائر وأنهم من ذرية ولى صالح يدعى بسيدى يعقوب أو أبى يعقوب وأنهم يعرفون بذلك ببنى مرزبة - بميم فراء ساكنة فزاى مكسورة فباء موحدة بعدها هاء التأنيث - سموا بنبت يعرف بذلك.

أما أبى فإنما ولد بحوز فاس ببنى واريش على ما حدثنا به رحمه الله، وبأيديهم رسم الآن ثبت بشيوخ مسنين ممن أدرك الأب والعم، والله المسئول أن يجمع همتنا عليه ويحقق لنا النسبة الروحانية ويرعانا بعين رعايته فى الدارين، وأدعو بدعاء القطب العارف بالله مولانا عبد السلام نفعنا الله به: اللهم ألحقنى بنسبه وحققنى بحسبه، والسلام على من يقف عليه عبد الله محمد بن الحسن المجاصى وفقه الله وكان له بتاريخ تسعة وتسعين وألف هـ.

ووجد مقيدا عقب التقييد المذكور ما نصه بعد الحمدلة والصلاة:

تصفحت الأنقال المشار إليها أثناء هذه الأوراق فـألفيتها مطابقة لما تحصل من أصولها المنقولة منها، وأما ما ذكره صاحبنا الفـقيه العلامة سيدى محمد بن الحسن عن سلفه فـقد سـمعتـه منه والله يثبـتنا على القول الثـابت فى الحيـاة الدنيا وفى الآخرة، ويجعلنا من أمة سيدنا المصطـفى عليه الصلاة والسلام يوم فإنما هى زجرة واحدة فإذا هم بالساهرة، قال ذلك وكتبه العبد الفقير أواسط ذى القعدة الحرام سنة تسع وتسعين وألف عبد الملك بن محمد التجموعتى وفقه الله هـ.

ومن تآليفه: تقـييد فى مسألة العكاكزة، ونظم فى أشـراف المغرب، وأجوبة حسنة تضمنتها نوازله على ما له من العارضة فى العلوم.

شعره: من ذلك قوله ناظمـا عمود نسب النقيب مولاى عبـد القادر بن عبد الله الشبيهى:

حمـداً لمن جعل الـسعادة كلـها ... حب النـبى وصـحـبـه والآل

ثم الصلاة علـى الرسول محـمد ... قطب البـرية غـوثهـا المتـعـال

وسـلامـه الأزكى يؤم ضـريحـه ... طيـبـا على طيب المكـان العـال

وعلى صـاحبـتـه وعتـرته النهى ... أهل الندى والجـود والإفـضـال

هذا وقـد أمــر العلى جــانبـه ... أمــرا يذل ضـئـولـة الرئبـال

أمـرا بـبـذل الدر من أسـلافـه ... من أصلـه والى زمـان الحـال

فـأجـابه العـبـد الـعـيى لسـانه ... مـولاى هـذا مـوقف الإبـطال

فازداد حـرصا بعـدها وتحتـمت ... طاعـاته فـى سـائر الأحـوال

أسعفـته وجعلت بيت قـصيدتى ... مـولاى عـبـد القـادر المفـضـال

الفائق الأبهى البديع جماله ... عجبا لطينته من الصلصال

وسعيت بين جنابه متضرعا ... بأبيه عبد الاله فى تسآل

نجل العروف اللوذعى محمد ... بيت النبوءة سيد الأقيال

بأبيه عبد القادر الأسمى الذى ... يعلو على التفصيل والإجمال

نجل الشريف الشامخ القدر العلا ... مولاى عبد الواحد المفضال

بأبيه أحمد ذى الفضائل والحجا ... هو الشبيه بسيد الإرسال

بالزاهد القرشى عبد الواحد بـ ... ـن الهاشمى صاحب الأحوال

عبد إلى الرحمن فيه إضافة ... يحمى حماية صاحب الأشبال

فاضت أبا غالب بحار نوالكم ... كأبيك عبد الواحد الهطال

والفارس الحامى الذمار محمد ... واعرف عليا كاشف الأوجال

بأبيه عبد الواحد بن الماجد الـ ... أرقى الذى أحلى من السلسال

أعنى أبا عبد الإله وصل به ... عبدا إلى الرحمن ذى الإكمال

بالواحد الأسنى الشريف محمد ... من كان والده عليا عال

بأبيه حم نجل يحيى المنتقى ... كل المجادة فيه فى اضمحلال

بأبيه إبراهيم للأصل المنتمى ... للمجد يحيى بارع الأفعال

بالفاضل الأرقى الحسيب محمد ... بالجوط يحيى نخبة الأبدال

والقاسم الأزكى الرفيع مقامه ... نفع الموالى قاسم الأموال

بأبى العلا إدريس ناشئ فاسنا ... بأبيه إدريس المتام العال

بابيه عبد الله نجل المجتبى ... حسن المثنى صادق الأقوال

بالسبط والده البهى جماله ... حسن بن فاطم بغية الآمال
بالوالد الأدرى على المرتضى ... ليث الحروب مفرج الأهوال
من عرسه بنت النبى محمد ... فيه انتهاء العز والإجلال

وقوله:

يا روضة كملت محاسنها التى ... جلب العقول بهاؤها للناظر
فى عام شمل غير حول زررت ... أزرارها وتنظمت بجواهر
وتزخرفت وتعطرت وتهذبت ... أغصانها وتبسمت للزائر
وتشعشعت أنوارها وتكلمت ... أطيارها وتدفقت بكواثر
وتهذبت أخلاقها وتنسمت ... أوراقها وتفتحت بأزاهر
من بعد أن طرب الزمان بحسنها ... زفت إلى بحر البحور الزاخر
قطب البرية عزها وفخامها ... سر النبوءة فخر كل مفاخر
المولوى الهاشمى المنتقى ... إدريس منقذ غربنا فى الغابر
قد صاغها النجل السرى تكرما ... وتفضلا مولاى عبد القادر
ابن الرضى مولاى عبد الله ذى الـ ... أصل الزكى الطيب بن الطاهر
دامت مسرته ودام سعده ... وحسوده فى ضنك عيش خاسر
ووقاه من شر الزمان وفتكه ... وكفاه ثورة فاجر أو جائر
وأناله فى الناس ظلا وافرا ... يكفيه من بغى الظلوم الماكر
وكسا بنيه الغر فضل ردائه ... يتناسقونه كابرا عن كابر
لا زال مجدهم العلى مؤزرا ... ومؤيدا باسم العزيز القاهر
دخل الحمى يا آل بيت المصطفى ... عبد ذليل ماله من ناصر

وفـاته: توفى عصـر يوم السبـت رابع ربيع الأول عام ثلاثة ومـائة وألف، ودفن عند الغروب مـن يومه بمكناسة الزيتـون فى روضة سـيدى أحمـد الحارثى، المعروفة الآن بروضة الشيخ الكامل، وعليه بناء متصدع على يمين الداخل للروضة المذكورة من الباب المعروف ببـاب المعراض خارج باب السيبة أحـد أبواب العاصمة المكناسية.

٢٣٣ - محمد بن أحمد المزطارى المكناسى الشاذلى.

ذكره فى سلك الدرر.

حاله: شـيخ إمام عارف مـسلك مرشد أسـتاذ كامل صـوفى ربانى، حكى تلميذه الشهاب أحمـد بن إبراهيم الحبالى الإسكندرى أنه ما غفل قط فى وقت من الأوقات الخمسة عن سبعين ألفا من لا إله إلا الله فى مدة إقامته معه، وكانت المدة المذكورة ثمانية عـشر عاما، وكان جبلا من جـبال المعارف منار هدى وإرشاد، وله كرامات كـثيرة، وخوارق شـهيرة، لا تسعهـا الأفهام، ولا يطيقـها نطاق الأقلام، رحل من بلده مكناسة إلـى دمشق الشام، وقدمـها غرة جـمادى الأولى سنة ست وتسعين وألف، ثم رحل من دمشق إلى مكة المشرفة واستوطنها وبها كانت منيته.

مشيـخته: أخذ الطريقـة الشاذلية عن شيـخه الفرد الربانى سيـدى قاسم بن أحمد القرشى السفيانى المدعو بابن بلوشة.

الآخذون عنـه: منهم الشيخ عـبد الرزاق بن عـبد الرحـمن السفـرجلانى، والشيخ مـحمـد بن خليل العجلونى، وكـتب له بذلك إجازة مطولة، والشـهاب أحمد الحـبالى وخلق، ويتصل سند المتـرجم من طريق الشيخ محمـد أمين أفندى السفرجلانى الدمشقى الشامى بالسند المذكور، فى ثبته عقود الأسانيد.

---

٢٣٣ - من مصادر ترجمته: سلك الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر ٤/ ٣٣.

ولادته: ولد عام أربعة وأربعين وألف.

وفاته: توفى بمكة المشرفة فى محرم الحرام ليلة الجمعة سنة سبع ومائة وألف عن ثلاث وستين سنة، ودفن بباب المعلى بقرب ضريح السيدة خديجة الكبرى.

٢٣٤ - محمد بن محمد العناية.

حاله: ولى صالح عارف بربه، دال عليه ناصح، يقال: إنه من ذرية مولانا عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه وعنا به آمين، ويقال: إنه كان من المجاذيب، وإنه من أهل العصر الإسماعيلى، ولم أقف على ترجمته بعد البحث المديد.

وشريح من أشهر المزارات المقصودة للمتعلقين بأذيال أهل الله العارفين بحومة باب البردعيين المسماة بجناح الأمان.

٢٣٥ - محمد بن عمر السجلماسى الأصل الزرهونى الزاووى الدار والإقبار.

حاله: فقيه علامة جليل، مشار إليه بالفضل والدين والثبات والرسوخ، كان السلطان مولانا إسماعيل منحه خطبة وإمامة مسجد الضريح الإدريسى الأكبر من زاوية زرهون، حلاه سيدى أحمد بن المبارك فى إبريزه بالشيخ الفقيه العالم العلامة، وشهد بمعرفته لمكانته، وقد كان المترجم صاهر ابن مبارك المذكور ببناته الثلاث، وكاتبه لما استدعاه سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل للقدوم لمكناسة الزيتون للصلاة بالناس فى جامع مدينة الرياض العنبرى، فتوجه مع من وجه للقدوم به، ثم رجع لفاس قبل أن يلتقى بالسلطان بدون إذن يحذره مخالفة السلطان قائلا: إنك رجعت من مكناسة ولم تلتق مع السلطان نصره الله ولا فاصلت نفسك فلا تدرى ما ينزل بك بعد قدومك، فالرأى أن ترجع إلى مكناسة وتلقى مع السلطان نصره الله وتظهر له الرضا بقبول الإمامة فى المسجد المذكور

وغير هذا لا تفعله، ولعل استدعاء ابن المبارك للإمامة كان عام خمسة وثلاثين ومائة وألف، وهى السنة التى نزل فيها ضيفا على أبى القاسم بن دارا أياما بداره بمكناسة والله أعلم.

وفاته: لا أحفظ الآن تاريخ وفاته بيد أنه توفى بزاوية زرهون وضريحه أعلى سقاية البيبان، حذو باب المعراض عن يمين الطالع هناك لحومة تارجا.

٢٣٦ - محمد البصرى المكناسى.

حاله: طاهر السريرة، دين صالح بركة واعظ، إذا وعظ وجلت القلوب وذرفت العيون، ثلثاه غفلة لا يستعمل الأدب مع الملوك، فكان يتمرغ على نمارق المنصور مستندا بين يديه والمنصور يتحمل له ذلك لما يعلم من ديانته وصفاء باطنه.

ذكره القشتالى فى مناهل الصفا، وقال فى الصفوة: لم أقف على سنة وفاته، وقبره داخل مكناسة شهير هـ.

قلت: لا يعرف له اليوم قبر بل ولا ذكر، وإنما المعروف أبو عبد الله محمد الخطيب بصرى المترجم فيما قبل، وهو غير صاحب الترجمة قطعا كما يعلم بالوقوف على ترجمتيهما.

٢٣٧ - محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بصرى المكناسى الشيخ المقرئ.

حاله: فقيه جليل المقدار، جامع لأشتات خصال الفضل والمجد، حامل لراية الإقراء، وخاتمة الحفاظ والقراء، صدر عالم عامل، حافظ للسبع متقن عارف بتجويد القرآن العظيم، حسن الصوت، مجتنب للمحرمات، منوق للشبهات، لا تراه سالكا طريقا إلا وعيناه فى الأرض، وإذا لقى امرأة نحى وجهه عنها، وكان ذا كرامات ظاهرة، وإشارات باهرة.

قال تلميـذه أبو القاسم بن درة من أجل ما شاهدناه منهـا - يعنى كراماته - أن بعض الناس كان يحب أن يرومه بشيء يكرهه، فمهما أراد منه ذلك يعطيه الله ما يشغله عنه فـيكف عنه إذايته، وقصده بذلك مرارا فلـم يظفر به، ونجاه الله منه حتى لقى ربه. قـال: ومن أعظم ما رأيت من مكاشفاته أنـى جئته يوما فـوجدته بداره التى بقرب الجامع من زقاق القرمونى، فـقال لى: يا قاسم، ووجهه عبوس، ونظر إلى نظر مغضب، اترك أو فارق عنك كـذا وكنت والله مصرا على ما نهانى عنه، فأظهـرت له التجلد وتعللت له بعلل فـصفح عنى ودعا لى بالهـداية، وكان رحمه الله راضيا عنى ودعا لى عند موته بخير فما على إلا فضله وبركته.

سمع السلطان الأعظم مولانا إسـما عيل بحسن صوته وجـودة تلاوته فأمر بإحضاره ليلة سابع عشرى رمضان، فأم به تلك الليلة وختم القرآن برواية ابن كثير يكبر ويهلل عند ختم كل سورة من آخر والضحى إلى آخر والناس، وأدرج القراءة إلى المفلحون فخلع عليه السلطان دائرة سنيـة كانت عليه وطلب منه صالح الدعاء انتهى.

وقـد حظى المتـرجم من لدن جناب مـولانا الجد السلطـان المذكور بإجـلال ورعاية وتبجـيل، ووصفه بأوصاف عـالية فى ظهيره الشـريف المطاع الأوامر الذى أصدره بالتنويه بقدر بيت المترجم، ونشـر ما لسلفه من المجد المؤثل، والحض على إنزالهم منزلتهم، ومـقابلتهم بكل تـكرمة وإعظام، والتعريـف بما له ولسلفه وبنى عمه من الحظوة لديه، والاعتبار والإكبار، وإليك نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«عن أمر عبـد الله المتوكل على الله، أمير المؤمنين، المجـاهد فى سبيل رب العـالمين، إسمـاعيل ابن الشـريف الحسنى أيد الله أمـره، وأعز نصـره وخلد فى صحف المجد والحمد ذكره، وأشرق فى الصالحات شمسه وبدره، يستقر كتابنا هذا أسماه الله بيد حملته أولاد ولى الله تعـالى العارف بربه الصالح سيدى بصرى نفع

الله به وأولاد أولاده وحفدته ومن انتمى منهم إليه، وخصوصا الفقيه الأجل السيد محمد بن أحمد بصـرى، وبنى عمه وأولاده وأولاد أولاده ما تناسلوا ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم وبركته.

إننا أسبلنا عليهم جلابيب الإيثار والوقـار، وكسوناهم أردية الاحترام ونمارق الإجلال والإكبار، وعاملناهم بما يجب وما يجعل بنظائرهم من السادات الأخيار، ووقرناهم وحررنا جانبهم وأكرمنا مثـواهم، وحشيناهم من كل ما يغيض بقدرهم، وأسـقطنا عنهـم كل مـغـرم أو تكليف، وسلكناهـم مـسـالك آبائهم وأجـدادهم وأسلافهم من قـبلهم، وأنعمنا عليهم بمزيد أثرة، وكـريم حظوة على ذلك، حيث هم بحمد الله من أولاد هذا الولى العارف المذكور، ومن خيار أهل حضرتنا العلية بالله، ومن لبـاب اللباب بهـا ومن أعيـانها ومن ذوى الحسب والمروءة والأصالة منها.

ولا سيما وفيـهم ومنهم النشأة الطيبة والنخبة الزكية الجـامع لأشتات خصال الفضل والمجد حـامل راية الإقراء، وخاتمة الحفـاظ والقراء، الفقيـه الصدر العالم العامل السنى أبو عبد الله السيد محمد بن عبد الرحمن بصرى (ابن عمه الأحظى الأجل، الأنوه الفقـيه النبيه الأمـثل، السيد أحمد بن مـحمد، فمـا عندنا أعز منه ومنهم، فنحن مـنه وهو منا وفـينا وإلينا، ومـحسـوب على الله وعـلينا، والعلم والدين والسنة معه تجمعنا، والجهل مع البدعة لغيره يفرقنا والعلم والخلافة إخوان.

ومـا هو لدينا فى نفوسنا الـكريمة إلا من أعيـان العصـر؛ وأعوان النصـر؛ والقلوب تتجازى فلا يقرب أحد ساحته وساحة أهله وبنى عمه وأقاربه بما يسوءهم أو يضرهم فى نفوسهم أو يشوشهم على أسبابهم ومعاشهم أو أمر من أمور دنياهم فى هذا الأوان، ولا فيما يأتى من الأزمان، ما تعاقب الجديدان، واختلف الملوان، وعلى الدوام، ومـا توالت السنون والأعـوام، من غيـر منازع، ولا معـارض ولا مدافع فيـما قابلناهم به وحملناهم عليه واختـصصناهم به وأردناه لهم وآثرناهم به

عن سواهم، لأننا جربنا الناس وبلوناهم فألفيناهم ليسوا كغيرهم، وكفى بشهادة الناس فيهم والناس شهداء الله فى أرضه، وما علمنا فى جملة أولاد سيدى بصرى إلا خيراً وصلاحًا، ونجدة ومروءة وفلاحا، وكيف يجهل قدرهم أو لا تراعى حرمتهم ولا نؤثرهم على من عداهم. فنعهد بمسطورنا الكريم أعزه الله لكل من وقف عليه من أولادنا أو ولاة أمرنا وقوادنا ووصفائنا أن يعتقد فيهم معتقدنا، وأن ينهج فيهم منهجنا حسب الواقف عليه العمل بمقتضاه، ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا المعتز بالله والسلام بتاريخ ربيع النبوى عام اثنى عشر ومائة وألف».

وكان المترجم مع ذلك بارعًا فى فنون العربية والتصريف كاتبا بليغا شاعرا مجيدا فقيها محققا فصيح اللسان فى الخطبة والتلاوة كثير التواضع ثاقب الذهن كريم الأخلاق حسن اللقاء أمه السيدة آمنة بنت أبى سرحان مسعود بن محمد ولى الله محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله بصرى وأمها السيدة عائشة من حفدة سيدى على منون وأم أبيه السيدة عائشة بنت الفقيه السيد العربى المرينى من ذرية ابن الحنفية.

مشيخته: أخذ القراءات السبع على شيخى التجويد أبى زيد عبد الرحمن بن محمد بن عبد القادر الرايس وأبى الحسن على بن أحمد بن جارية القصرى وأجازاه فى القراءات وسلم له جماعة من أئمة عصره ما فى الإجازتين، ومن شيوخه أبو عبد الله محمد بن أحمد القسمطينى وأبو العباس أحمد بن العربى بن الحاج وأبى عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى وأبو مدين السوسى وبردلة وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه من أهل مكناسة والطارئين عليها خلق كثير لا يحصى منهم عبد الوهاب ابن الشيخ وأبو عبد الله محمد العربى بصرى صاحب منحة الجبار.

مؤلفاته: له شرح على مختصر خليل بلغ فيه إلى الزكاة واخترمته المنية ومنظومة فى إمالة أبى عمرو ابن العلاء وأخرى أفرد فيها رواية ابن عامر الشامى تسمى المنار السامى.

شعره: من ذلك قوله فى منظومة الإمالة:

يقول عبد ربه محمد	عرف بالبصرى ربى أحمد
ثم الصلاة والسلام السرمدى	على النبى المجتبى محمد
وبعد فالقصد بذا النظام	ذكر إمالة الرضى الإمام
أعنى أبا عمر والزكى بن العلا	من لاح بالبصرة بدراً كملا

وقوله فى نظم رواية الشامى:

قال محمد بن بصرى وقد	نوى افتتاحا باسم ربنا الصمد
مصليا على الرسول المجتبى	وآله وتابعيه النجبا
وبعد فالقصد بذا النظام	بيان مقرأ الإمام الشامى

ولما أوقف عليه شيخه أبا مدين سماه له بيت رجز بالمنار السامى:

هذا واسميه المنار السامى	لمبتغ نهج الإمام الشامى

ومن شعره قوله:

ظعنت وفى نفسى من البين لوعة	ونار اشتياقى فى الضلوع كما هيا
وجئت بجسم فارغ من فؤاده	وربى عليم أين حل فؤاديا
لعمرى لقد خلفته رهن ما اشتهى	بأيدى أناس يحسنون التقاضيا
وددت ولم أيئس من إدراكى المنا	لو أن إله العرش حل عقاليا

فجاورتهم عمرى ومتعت أعينى بطلعتهم فى غدوتى ومسائيا

فيا أهل فاس خلصوا من نواكم وأم حماكم مستهامًا وباكيا

أليس بعار أن ينيخ ببابكم بأشجانه عبد فيرجع خاسيا

وما شرف الضرغام إلا ببطشه ولا الهندوانى غيران كان ماضيا

وقولوا لمن فى أسرنا قد تنافسوا فإما يمنوا أو يحوزوا فؤاديا

ألم يكفهم أن قدار أقوام دم امرئ خديم الهدى دأبا ولو كان عاصيا

ألم يغلبوا فى عالم الله كله سواى ولم يلفوا ضعيفا ورائيا

سمعت بأن خافوا على حرارتى بلى قصدهم منى عقوقى إلاهيا

على أن لى فيمن قصدت كفاية وعهدى بهم والله أسدا ضواريا

وكيف وقد وجهت نحو محمد إمام الهدى شكوى تهد الرواسيا

وفاته: توفى فى ثامن محرم فاتح عام أربعة وعشرين ومائة وألف بعد أن ألبس البلايا دهرا كما رأيت من شعره ألخ.

٢٣٨- محمد بن محمد الكاتب القيسى الأندلسى نجارًا، الفاسى منشأ ودارا وقرارا.

حاله: فقيه، نبيه، أمين وجيه نزيه، كان سيدنا الجد المولى إسماعيل برد الله ثراه، جعل له النظر العام والأمانة الكاملة فى البناءات السلطانية على اختلاف أنواعها وأجناسها، وله النظر العام فى كافة الأحباس الموقوفة على مساجد الحضرة العلية بالله المكناسية، وكانت له لديه خطوة ومكانة وثقة كاملة به بلغت به أن جعله أمينا على داره العلية، وناظرا على سائر أحباس إيالته الشريفة.

وقفت علـى تحليته فى بـعض العقود بما نصـه: من له النظر العـام والأمانة الكاملة فى أمر البناءات كلها السلطانية على اختلاف أنواعها وأجناسها بداره العلية حرس الله رفـيع أعتابها، وصـان من طوارق الحدثان على أبوابها، ناصح خـدمته السلطانية، فى السـريرة والعلانية، وهو الطالب محـمد بن الثقة الخيـر أهل كتاب الله المحب لآل بيت رسول الله ﷺ وفى بعضهـا بما لفظه: الناظر الأفلح، الأشهر الأنجح، الفقـيه النزيه الأريب النبيه، أمـين الدار العالية بالله وناظر سـائر أحباس الإيالة الشريفة أبو عـبد الله السيد محمـد بن محمد الكاتب» بتاريخ خمـسة عشر ومائة وألف.

٢٣٩ - محمد المدعو حم بن عبد الوهاب الوزير الغسانى الأندلسى الأصل الفاسى الدار والوفاة المكناسى الوظيف.

حاله: فقيـه علامة مشارك متقن، كاتب بارع، يـكتب كما يراد منه، انتهت إليه رياسـة صنعة الترسيـل، ولم يعزز فى عصره بتـمثيل، اسـتكتبه سيـدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل وكانت له لديه جلالة ومكانة يوحى إليه المكاتيب العديدة فى مواضع مـختلفة للعمـال وغيرهم من ذوى الحـيثيات، فـيذهب لمنزله ويكتب جميع ما أملى عليـه مخدومه، وينزل فى مخاطباته كـلا منزلته من غير زيادة ولا نقصان فى أيسر وقت مع إيجاز، وحسن عبارة كادت أن تبلغ حد الإعجاز، وذلك مما زاد السلطان به ابتهاجا، وكانت له سرعة فى نسخ الكتب لم تعرف لغيره، وقد رشحه مخدومه للسفارة لبـلاد الأندلس لفكاك أسرى المسلمين، واستخراج ما بقى من الكتب الإسلامية بالمشاهد المهجورة هناك.

مؤلفاته: منها رحلته الموسومـة برحلة الوزير، فى افتكاك الأسير، شرح بها ما شاهده فى سفارته المذكورة من العجائب والغرائب.

---

٢٣٩ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص ٢٩٧.

وفاته: توفى عام تسعة عشر ومائة وألف.

٢٤٠ - محمد فتحا بن مولانا الجد الأعظم أمير المؤمنين مولانا إسماعيل.

حاله: جهبذ نحرير، ناقد بصير، ديباجة الدنيا وبهجتها، عالم علامة، بارع مطلع، متضلع نقاد، ذو ملكة واسعة، وعارضة عريضة، وذهن وقاد، له مشاركة تامة، ومهارة كاملة فى النحو والبيان والمنطق والكلام والأصول.

قال فى الشجرة الزكية فى حق المترجم: أدرك درجة الاجتهاد، فأداه اجتهاده إلى أن خرج عن طاعة والده انتهى.

وكان والده يحبه محبة شديدة لما رأى عليه من مخايل النجابة وتوقد الذهن والتيقظ والمقدرة فى الحل والإبرام والنصح له وإخباره بما تخفيه عنه الوزراء والكتاب وأولو الأمر، حتى صار عيبة سره ومحل مشورته، دون سائر إخوته، يساره ويعمل برأيه فى المهمات، ويثنى عليه بالصدق والأمانة ورجاحة العقل، وينوه بقدره بمحضر ولاته ووزرائه وكتابه، فكرهه لذلك غير واحد من الوزراء فمن دونهم، فشمروا على ساق لإفساد ذات البين بينه وبين أبيه والسعى فى التفرقة بينهما، فزينوا لوالده ولايته.

فاتفق أن وقع اختلاف بين درعة ونواحيها واحتاجوا إلى تولية واحد من أبناء السلطان يكون له عقل راجح، فاغتنم أعداؤه الساعون فى ابتعاده عنهم، فأسروا للسلطان أنه لا يصلح لهذا المهم إلا ولدك المولى محمد العالم، فإنه يحسن التدبير مع القريب والبعيد والأخرق، ولا يصدر منه إلا ما فيه مصلحة وسداد، ولم يزالوا يحسنون له ويجيدون توليته إلى أن ولاه بدرعة فحصلوا أمنيتهم فى إبعاده عنهم من إحصائه الأنفاس عليهم.

---

٢٤٠ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى الموسوعة ٥/ ١٩١٠.

ثم إن والده لما رأى ما أظهره المترجم فى محل مأموريته درعة من العدل والإنصاف ومحبة أهلها له لفضله وهديه وسيرته فيهم سيرة حسنة، وعلا صيته وانتشر فى الآفاق نقله منها وولاه على مراكش وما والاها، فأقام سنة العدل ونشر الأمن والطمأنينة، وسار على ما نهجه الشرع الكريم، فسعد الناس بولايته وأشرب حبه فى قلوب الخاصة والعامة وزاد اشتهارا، وبعد صيت، فحسده أضداده من خاصة والده على ما آتاه الله من فضله.

فدسوا لوالده ما أوغر صدره عليه مما هو برىء منه، فعزله عن مراكش، وترك أهلها يبكون، وأهمله مدة مع الفحص والتنقير عما اختلقه الحسدة وألصقوا به حتى ثبتت لديه براءته، فولاه عام أحد عشر ومائة وألف على تارودانت ونواحيها، ورتب معه ثلاثة آلاف من الخيل وفوض له فيها التفويض التام، وقام بمأموريته فيها أحسن قيام، إلى أن صدر منه ما كان فى الكتاب مسطوراً.

وكان المترجم كثير المخالطة والمجالسة للعلماء، يفدون إليه من كل صوب، وكانوا يقاسون معه الشدائد لذكائه وشدة فطنته مخافة الافتضاح معه فى قصور فهم أو نقل كما أفاده أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عبد القادر الفاسى فى المورد الهنى.

وكان من أخص خاصته الشيخ أبو عبد الله المسناوى، فوشى به إلى السلطان، وقيل له مع شدة اتصاله به لا يعيب عليه عزمه على القيام على أبيه فهو موافق على ذلك، فبادر بعض أصحاب السلطان إلى الاعتذار عن الشيخ لأنه كان ينهاه عن إرادة القيام وأنشد للمسناوى:

مهلا فإن لكل شىء غاية والدهر يعكس حيلة المحتال[1]

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٥/ ١٩١٢.

فالبدر ليس يلوح ساطع نوره والشمس باهرة السنا فى الحال

فإذا توارت بالحجاب فعند ذا يبدو بدو تعزز وجمال

فقبل السلطان ذلك وتحقق براءته، وكان ينفعل للشعر ويتأثر بأريحية الأدب، استخلفه والده بفاس مدة.

وفى سنة أربع عشرة ومائة وألف بعث سيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل ولده المولى الشريف واليا على درعة فثار المترجم ببلاد السوس ودعا لنفسه وزحف لمراكش فحاصرها فى رمضان من السنة المذكورة، وفى العشرين من شوال اقتحمها عنوة.

ولما اتصل خبره بأبيه بعث ولده سيدنا الجد المولى زيدان فى العساكر لقتاله، فقدم مراكش ودخلها فى أمن واطمئنان، وذلك سادس عشر ذى الحجة عام خمسة عشر ومائة وألف، فوجد المترجم قد بارحها وعاد إلى تازودانت فدخلها غرة المحرم عام ستة عشر على ما صححه فى الدر المنتخب المستحسن، وجمع عليه العرب والبربر، وعظم أمره واشتدت شوكته، ولما احتل مولانا الجد مراكش عاثت عساكره فيها، ثم تبع أخاه محمد إلى السوس فنزل على تارودانت، وكان بطلا شهما مقداما، وشبت الحرب بينهما ودامت ثلاثة أعوام على ما قاله بعضهم.

والذى فى الدار المنتخب أن مدة الحصار ستة أشهر وستة عشر يومًا من غير اعتبار يوم الدخول، لأنه كان غلسا قبل الإسفار، وقيل مدة الحصار سبعة أشهر وثلاثة عشر يوما، وقيل غير ذلك والله أعلم.

وأول يوم التقى فيه الجمعان وشب القتال رابع عشر جمادى الأولى عام سبعة عشر ومائة وألف، وكان نزول مولانا الجد زيدان على تارودانت وحصاره إياها لثلاث خلون من رجب أحد شهور العام المذكور، وكان فتحه إياها تاسع

عشر المحرم عام ثمانية عشر، وقيل فى سادس عشر صفر وقيل خامس عشر الشهر المذكور.

ولما علم المولى محمد بدخول البلد خرج فارا لناحية الجبل، فاقتفى أثره فى الحين وأتى به لأخيه زيدان، فلما وقع بصره عليه حن له وقام إليه وعانقه وبكى وهون عليه الأمر، وقال له: لا ترى إن شاء الله إلا الخير، ثم سلمه لمن يذهب به لأبيه، ووكل بحفظه من وثق به وأوصى بصيانته ورعايته والإحسان إليه والبرور به، وكتب كتابا لوالده يخبره بيوم خروجه من تارودانت قاصدا حضرته المكناسية.

ولما بلغ الخبر مولانا إسماعيل وذلك فى الحادى والعشرين من صفر عام ستة عشر ومائة وألف، خرج بجيوشه ونزل على وادى بهت لينظر فى أمره، ولم يخرج معه أحد من الوزراء والكتاب لاستعجاله الخروج، ووصل لوادى بهت يوم الثلاثاء ثالث ربيع النبوى عام ثمانية عشر، فخيم به وشاور بعض من كان فى معيته من العلماء ممن كان يبغض باطنًا صاحب الترجمة فأغراه وأظهر له المصلحة فى إقامة الحد عليه، وتلا ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ... ﴿٣٣﴾﴾ [سورة المائدة: آية ٣٣] فصدر الأمر بذلك، وعلل بعضهم ذلك بأن السلطان كان اشتد به الجوع حيث إن خروجه كان على غير أهبة ظانا أنه يلقى المترجم على مقربة من البلد، فطال به السير إلى وادى بهت فكان ذلك مما زاد فى غضبه. انتهى.

ومن الغد وهو رابع ربيع الأول وصل الولى محمد مقبوضا عليه مقيداً إلى وادى بهت، فبعث السلطان من قطع يده ورجله من خلاف.

والذى فى كناشة اليحمدى أن المولى إسماعيل كان خروجه لوادى بهت فى الثالث من ربيع الأول. وفى هذه القضية قال بعض الأدباء:

ويوم (وى) من صفر سنة (حى)	رودانة لم يبق فيها العشر حى
ودخلت بالسيف يوم الجمعة	ولم يفد صاحبها ما جمعه
ويوم رابع ربيع الأول	جىء بنجل الملك المفضل
أعنى محمداً مكبلاً على	بغلته بوادى بهت أنزلا
وقطعت يمناه من خلاف	ورجله بسبب الخلاف

وفى إقامة هذا السلطان الجليل المقدار الحد الشرعى على فلذة كبده وعضده وساعده دلالة واضحة فى وقوفه لدى حد ما حده الشرع الأقدس، لا يراعى فى ذلك قاصيا ولا دانيا، شأن أهل العدل والإنصاف، وبعد أن وقع ما كان فى الكتاب مسطوراً أمر السلطان بحمل المترجم لمكناسة وملازمة الأطباء له فعالجوه بما قدروا عليه، مع قطعهم بأنه لا ينفع فيه دواء، لأنه اعتراه إسهال كبدى لانصراف مادة الأعضاء المقطوعة إليه، ولم يجزع المترجم لما أصابه بل كن فى غاية الثبات والرضا والتسليم.

أما والده فقد عظم حجابه، وقل طلابه، وأظهر ما كان أخفاه فى باطنه من الحزن على قتل ولده، وأساء السيرة مع الذى أشار بذلك من قريبه وبعيده، وصار يطلب ما يسليه، ويطالع كتب التاريخ والأمور التى تزيل ما فى ضميره من الغم الذى فيه، وكتب ظهيراً لبعض أهل مكناس نص المراد منه بعد الحمدلة والصلاة:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه وبدره، بيد حامله المتمسك بالله ثم به الأمين الحسن بن محمد بوستى المتطبب والحجام، حرفة يتعرف بحول الله وقوته أننا وقرناه واحترمناه لثقتنا به وله علينا جميل فى احترامه لولدنا مولاى محمد رحمه الله حين أمرناه بقطع يده، فتنصل من ذلك وأبى إباية شهدت بديانته واحترامه الأشراف من آل النبى ﷺ، فلذلك جعلناه داره حرما لمن يجىء إليه. هـ بتاريخ سادس عشر ربيع الأول شهر الموت كما بالدر المنتخب المستحسن.

وقد كان المترجم محبا فى العلماء، مكرما ومعظما جانبهم، محبوبا مبجلا لديهم، يمدحونه ويثنون عليه، فمن مديحهم فيه قول علامة شنجيط وأديبها المفوه النحرير عبد الله بن محمد العلوى المعروف بابن رازكة بكاف معقودة كما فى الوسيط من قصيدة:

أثار الهوى سجع الحمام المغرد ... وأرقنى الطيف الذى لم أطرد

ومسرى نسيم من اكيناف حائل ... وبرق سقى هاميه برقة ثهمد

وذكر التى بالقلب خيم حبها ... وألبسنى قهرا علالة مكمد

فبت أقاسى ليلة نابغية ... تعرفنى هم السليم المسهد

طويلة أذيال الدجا دب نجمها ... إلى الغرب مشى الحائر المتردد

ويزعج وراد الكرى دون مقلتى ... بعوث غرام من لدن أم معبد

بنفسى عرقوبية الوعد ما نوت ... وإن حلفت قط الوفاء بموعد

ترد إلى دين الصبابة والصبا ... فؤاد الحليم الراهب المتعبد

وتقصد فى قتل الأحبة قربة ... بشرعة ديان الهوى المتأكد

فتاة حكاها فرقد الجو منظرا ... كما ناسبتها نظرة أم فرقد

مهفهفة الكشحين لم يدر طرفها ... من الكحل الخلقى ما كحل أثمد

إذا ما تثنت واسبكر قوامها ... علمت بأن البان لم يتأود

وخاطب قاضى شرعة الشكل[1] ردفها ... إذا ما أقام العطف منها بأقعد

غضوب أرتها نخوة فى عظامها ... أن الوصم وصل العاشق المتودد

---

(١) فى هامش المطبوع: «الشكل بالكسر والفتح غنج المرأة ودلها وغزلها».

على نحوها تأبى الخليل تانفا وشحا برشف من لماها المبرد

إذا ما ترضاه تسامت بأنفها صدودا وسامتنى تجرع جلمد

وأحرق صدرى ما زها فوق نحرها وأشرق من جمر الغضا المتوقد

سبتنى فقبلت الثرى متخلصا أمام امتدح ابن الشريف (محمد)

هو الوارث الفضل النبيئى خالصا من العلم والعليا ومن طيب محتد

ثمال اليتامى والأيامى موكل بتفريج غماء الشجى المتنكد

غيور إذا ما الحق غير مولع بقطع لسان الباطلى اليلندد(١)

أديب أريب لين الجنب هين ولكن متى عادى فأى مشدد

إذا كشفت عن ساقها الحرب والتظت وسلوت صدوق الملتقى بالمفند

سقى الرمح من نحر العدو -فديته- وقام بحق المشرفى المهند

أغر المحيا ظاهر البشر طاهر الـ سجايا كريم اليوم والأمس والغد

جزيل الندا ما أف فى وجه حاجة ولا كف حاشى جوده كف مجتدى

كلا الدين والدنيا به ازدان وازدهى وأمن شر المبطل المتمرد

فريد العلا يقوى لرقة طبعه عن الجمع بين النار والماء فى يد

حميد المساعى سار فى الرتب العلا من المجد سير الفائق المتفرد

تساعده فى ذاك نفس نفيسة تعد الثريا للفتى غير مصعد

دأبت على السير المبرح والسرى أجوب الفيافى فدفدا لعد فدفد

مهامه للسارين فيها توقع لأهوال أغوال طواغيت مرد

---

(١) فى هامش المطبوع: «اليلندد معناه شديد الخصومة والجدال».

يطيـــر لما يبـــدينه من تـلون ... شعـاعـا فـؤاد الضـابط المتـجلد

إلى حـضـرة سنيـة حـسنيـة ... منيـرة آلاء[1] الهـدى المتـصـعـد

حـوت شرف العلم الرفيـع عمـاده ... إلى شـرف البـيت الكريم المصـمـد

فـمـا تم الاثم فـضل ولا اسـتـوى ... سـوى ما نحلت من كـمال وسـؤدد

وبحـر ندى مـا للفـرات انسجـامـه ... ودجلة لا تحكـيـه فـسـحـة مـورد

فـأعـتـاد منه مـا تعـودت من يدى ... أبيـــه أمـــيـــر المؤمـنين المـؤيد

همـا والد مـا توج المـلك مـثله ... ومـولود صـدق بالمكارم مـرتدى

عظيـمـان مـعنيـان بـالدين وحـده ... فـأعطتـهـما الـدنيا سـلالة مـقـود

فـلا برحـا بدرين عـم سناهمـا ... وبحرين لا يعـدوهما قصد مـجتدى

أمكنـه من بكر شـعـر خـريدة ... نتـيـجـة فكر سلسل الطـبع جيـد

عـروب عـروس الزى أنـدلسـيـة ... من الأدب الغض الـذى روضـه ندى

من اللائى يستصـبين مينحن[2] عنوة ... ويعـهدن فى الحـراق أطيب مـعهـد

ويسلبن مـعـقـول ابن زيدون غـبطة ... بأسلوب ما يسقين من خـمر صرخد

مـهـذبـة يسـتـملح الـذهن سـرها ... ويسـتعذب اسـترسـالها ذوق منـشد

ترقت لما فـارقت وراقت تـبـرجـا ... على مـعـتلى بـرج البـديع المشـيـد

وجانستـها لفظا ومعنى كمـا اكتست ... نقى[3] السيراء[4] البضة[5] المتجرد

---

(١) فى هامش المطبوع: «الآلاء النعم».

(٢) فى هامش المطبوع: «بضم النون على الحكاية صالح مشهور».

(٣) فى هامش المطبوع: «بكسر الياء وعدم إظهار النصب فى مثله سائغ».

(٤) فى هامش المطبوع: «يطلق على الذهب الخالص وعلى البرد».

(٥) فى هامش المطبوع: «الرخصة الجسد الرقيقة الجلد الممتلئة».

وقيدت فيها عزلة لا ينالها سوابق فكر السابق المتصيد
واودعتها مما ابتدعت خلاصة يبادرها بالمدح ألسن حسد
تمنى العذارى لو تقلدن سمطها مكان عقود الزبرج المزبرجد
وزخرفتها فى معرض المدح روضة لتسقى بوبل من نداه مسرمد
روى أنفا زان الندى صفحاتها قلدها أسلاك در منضد
أرت من رياحين الثناء أنيقها ومن زهر الأدب ما لم يخضد
هدية من كسرى وقيصر عنده من النزر فى ذاك المقام المحمدى
تخادع وإن كنت اللبيب لبهرجى ولا تنتقد يا سيدى وابن سيدى
يمينا بما أولاك مولاك من علا وعز حلى فاتت بنان المعدد
لطابقت وسم الفاطمى وسمته فأهلا وسهلا بالإمام المجدد
تهنأ على رغم الحسود وذله لذاك الكمال الصرف واسعد وأسعد
وأبجح وأهلك وأملك الأرض كلها فأنت ولى العهد واغور وانجد
وشرق وغرب فالبلاد مشوقة بما سوف تحبى واشكر الله واحمد

وقوله:

دع العيس والبيداء تذرعها شطحا وسمها بحور الآل تسبحها سبحا
ولا ترعها إلا الذميل فطالما رعت ناضر القيصوم والشيخ والطلحا
ولا تصغ للناهين فيما نويته وخف حيث يخفى الغش من يظهر النصحا
فكن قمرا يفرى[1] الدجا كل ليلة ولا تك كالقمرى[2] يستعذب[3] الصدحا[4]

---

(١) فى هامش المطبوع: «يقطع».
(٢) فى هامش المطبوع: «ضرب من الحمام».
(٣) فى هامش المطبوع: «يستحلى».
(٤) فى هامش المطبوع: «رفع الصوت بالغناء».

وقارض[1] هموم النفس بالسير والسرى ... على ثقة بالله فى نيلك الربحا
وأم بساط ابن الشريف محمد ... مبيد العدا ذكرا ومبدى الهدى صبحا
فتى يسع الدنيا كما هى صدره ... فأمسى به صدر الديانة مندحا[2]
ومن هديه ساوى النهار وليله ... فأمسى ينير الخافقين كما أضحى
ومن هو غيث أخضل الأرض روضه ... فلا يظمأ الآوى إليه ولا يضحى[3]
وليث بحق الله لم يبق رعبه ... عواءً لكلب الترهات[4] ولا نبحا
هزبر عدا فى شرعة الرمح والعدا ... غدوا بقرا يستعمل النحر والذبحا
أمير ملوك الكفر أضحوا لسيفه ... كما تبتغى الذبح فى عيدها الأضحى
تزيد على الفاقات فيضات كفه ... فيغرق فى التيار من يأمل النضحا
فأى منى لم ترو منها فإن تكن ... فمحرومة أن تبرد الظمأ[5] البرحا
فلا ترم التشبيه فيه فقد جرى ... مع الظاهر المدنى إلى السكر الملحا
سعى فسعوا للمكرمات فأقصروا ... ولم يرض حتى استكمل الكرم القحا[6]
وفلق فيهم بيضة المجد قاسم ... فناولهم قيضا[7] وناوله المحا[8]

(١) فى هامش المطبوع: «راوح».
(٢) فى هامش المطبوع: «متسعا».
(٣) فى هامش المطبوع: «يبرز الشمس».
(٤) فى هامش المطبوع: «الأباطيل».
(٥) فى هامش المطبوع: «الشدة».
(٦) فى هامش المطبوع: «الخالص».
(٧) فى هامش المطبوع: «أى قشر».
(٨) فى هامش المطبوع: «صفار البيض».

فـتى يسـتـقل الـبـحـر جـود بنانه ... على حـالة استكـثار حـاتم الرشحـا

مـساعـيـه فى الخطب الجليل يرومـه ... كآمال من يـرجوه يستصحب الـنجحا

صـفـاة كـدر البـحر صـفـوا ولجـه ... حـسابا فـمن يأتى على مـائه نزحـا

وآيات علم أغــمـد الجــهل نورها ... وغـايات جـد ليس تطلابهـا مـزحـا

ورأى يريه اليـوم مـا فى حـشا غـد ... ويكشف عـنه من دجى ليله جنـحـا

وحــزم يهـز الـراسـيــات ثبــاته ... وعزم يحاكى الزند مـاضيه[1] قدحا

وكف ترى وكف الحـيا كيف ينـهمى ... إلى خلق يرى نسـيم الصـبـا النفحـا

وبشـر محـيل علم الصبح مـا السنا ... وقـبض أرى النار التـأجج واللفـحـا

وتأليــفـه أشـتـــات كل فـضـــيلة ... ومكرمـة غـــراء تعـجـزنا شـــرحـا

كفـانا اتخاذ الفـال فى القصـد يمنه ... فلسنا نخط الرمل أو نضـرب القدحـا

مـهيب مـخوف بـطشه تحت حلمـه ... عـفو يرى إلا عن البـاطل الصـفحـا

فـهل كـان مـعـزوا إلى الحلم قـبله ... نعم أو كـريم يدعى عـيـره سمـحـا

فـأقدم حـتى فـارق الجبن صافـر[2] ... وجـاد إلى أن عاف مـادر[3] الشـحا

ولـم تذعن الأعـــداء مـحض مـودة ... إليـــه ولكن إنما كـــرهوا الـقـرحـــا

رأوا ضيغـما يعطى الحروب حقـوقها ... وإن تضع الأوزار يبـرم لـهـا صلحـا

---

(١) فى هامش المطبوع: «يخرج إظهار الرفع على قول جرير:

وعرق الفرزدق شر العروق ... خبيث الثرى كابى الأزند».

(٢) فى هامش المطبوع: «طائر يضرب به المثل فى الجبن وقيل الجبان مطلقا».

(٣) فى هامش المطبوع: «رجل يضرب به المثل فى البخل».

ويستغرق الأوقات فى الجد كلها ... ولا يهب التلعاب[1] ما يسع اللمحا

مواصلة حبل الجهاد جياده ... ووقفا على غزو العدا عدوها ضبحا[2]

معاديه معطى بالحياة منية ... وبالجنة الأخرى وبالسندس المسحا

أيا ابن أمير المؤمنين وسيفه ... وصمصامه أن يرفع الضرب والنطحا

تشابهه خلقا وخلقا فسامه ... إلى الفلك الأعلى فإنك لا تلحا

تهندست العليا فأحرزت جسمها ... لا حرازك النقطات والخط والسطحا

فكم من حديث كان يسند للندى ... ولكنه لولا نوالك ما صحا

فأعطيتنى الأعيان والعين والكسا ... وبيض الظبا والنوق والخيل والطلحا

فلا زلت للإسلام عيدا منغصا ... تنغص حسناه السعانين[3] والفصحا

أبوك لحكم الشرع ولاك عهده ... فلم تلق كدا للسؤال ولا كدحا

وأعطاكه إذ ليس غيرك أهله ... وللعقل نور ميز الحسن والقبحا

كفى دره فخرا تحليك سمطه ... ومنعكه تلك المعرة والقدحا

فأهدى إليك الدهر بلقيس ملكه ... وأبدى لك الكرسى والعرش والصرحا

وولاك رب العرش ملك بقاعها ... وأصحبك التمكين والنصر والفتحا

إليك بها يا كعبة المجد كاعبا ... من الشعر لا يسطاع أركانها مسحا

إذا شهدت زكى الأعادى حديثها ... وإن أثخنت عنا قلوبهم جرحا

---

(١) فى هامش المطبوع: «اللعب».

(٢) فى هامش المطبوع: «نوع من العدو وهو نائب عن مصدر عدت - وفيه اقتباس من قوله تعالى: والعاديات ضبحا».

(٣) فى هامش المطبوع: «السعانين بالسين والعين. والفصح عيدان للنصارى».

أكلفــــهـــا فـــرض المحـــال أداءها لشكر ندى لا يـنتـهى مـزنه ســحـا
فخـذها ابنة الحاء التى الحـمد مبتدأ لهـا وبهـا خـلاقــهـا كـمل المدحـا

هذا وأبيك الشعر.

وقول شيخه العـلامة خاتمة المحققين سيدى محـمد بن أحمد المسناوى حين فتح المترجم حصن السوسى التمنارى من بلاد سوس.

فـجـر سـعـــدك لاح شـمس نهـار وفـــخـــارك ليس فـــيـــه ممارى
ومــعـــاليـك أنجـدت وأغـارت وتلـى آى ذكــــرها كـل قـــارى
ووفـود التـهـانى نحـوك جاءت مـــهـــديات عـــرائس الأفـكار
ورياح المنى بنصـــرك هبت ســـائقـــات له عـلى أقـــدار
مـؤذنـات لكم بأسـنى فـتــوح وبـراعــــة ذلك الـتــــمنارى
طالما رامـــه ســـواكم فـــولى آيســـا منه بعـد طـول حـصـــار
وهو يســـخـــر بالجـمـيع ويهــزا ويدلـيــهـم بحـبـل اغــتـــرار
وبـدا مـنـه إذ رآك ارتيـــــــــاع أظلـمت منه ســبـله فى الـنهـــار
شـــام بارق نـصـــركم فـشــدلى وأتى خـــاضــعـــا بحكـم اضطرار
مـــــوقنـا أن للإلـه اعـــتنـاء بكـم بشــــهـــــادة الأبـصـــــار
فـــاهن واسلم وقـــر عـينا بما لم يـؤتـه أحــــــد مـن الأنـظـار
وتحس أفــــواق عــــيش هـنى واقـــتطـف زهر روضـــه المعطار
واجـرر الذيل فى مـــغـانى سـعـود واركبن مـتن رفـعـــة وفـــخـــار
واسق دوح الـنعـــيم منك بشكر إن ســقـى الرياض نجح الثـــمـــار



وأدر عنه جوائح الدهر بالصنـ ... ـع الجميل فإنه خير دارى

وأضف شرف الخلال إلى ما ... حزت من شرف الجدود الخيار

واسم بالنفس لاقتفاء هداهم ... إنه المجد لا احتساء عقار

دمت يا كعبة الوفود مطافا ... لبنى الدهر عالى المقدار

وعليك من المحب سلام ... فائح كنوافح الأزهار

ما تجلت بأفق مجد علاكم ... وغدت طرز حلة الأشعار

وقوله أيضا فى الفتح المذكور:

بشراك يا تاج الكرام فقد غدت ... أيام سعدك وهى فى إقبال

وغدت رياح النصر تخدم مجدكم ... وتؤمكم فى الحل والترحال

وشدت بزاهر روضكم طير الهنا ... بموشحات البشر والأزجال

ورياض أشتات المنى قد أثمرت ... أدواحهن بمبتغى الآمال

واتتك وافدة الفتوح مجيبة ... لنداك طائعة على استعجال

ولطالما اعتاصت على من رامها ... من قبلكم من سائر الأقيال

حتى غدت كالأبلق الفرد الذى ... ضربوا به مثلا من الأمثال

هذا وكم من مطلب أعيا النهى ... قد نلته بسهولة فى الحال

فالسعد أنى سرت فهو مقدم ... واليمن صار لكم محط رحال

والنصر مقرون برايتك التى ... تكسو العدو ملابس البلبال

فاشكر لمن أولاك ما يشجى العدا ... ويعيدهم فى أسوأ الأحوال

واعرف ومثلك لا يعرف قدر ما ... أوتيته من رفعة وجلال

واختر لها ما لا يشين جمالها ... من سيرة وشمائل وخلال
فطراز ديباج الخلافة مذهبا ... ومرصعا وأبيك حسن معال
واشرب كئوس الفخر صافية على ... غيظ الحسود ورغم أنف القال
واسحب ذيول العز فى روض الهنا ... فالدهر دان لكم أخا إذلال
وأصخ إلى سجع القريض فإنه ... يحدو الكريم إلى اقتناء معال
لازلت فى أوج الخلافة راقيا ... حتى تهنأ فيه باستقلال
وعليك من صافى الوداد تحية ... تغشاك بالبكرات والآصال
ما غردت ورق فهاجت شجو من ... قد صار مثلى نازح الأطلال

وقول شيخه أبى مروان عبد الملك بن محمد التجموعتى قاضى تافيلالت مجيبًا له:

ولولاك ما راجعت عصمة طالق ... ثلاثا ولكنى إلى الله تائب
أبنت بنات الفكر واخترت بعدها ... من العلم ما يروى البراء بن عازب

إلى غير هذا مما يطول، وليس لغايته وصول.

مشيخته: أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد بن المسناوى الدلائى المتوفى بعد زوال يوم السبت سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة وألف، وقاضى سجلماسة أبى مروان عبد الملك التجموعتى المتوفى بتافيلالت عام ثمانين ومائة وألف، والمولى عبد السلام القادرى المتوفى صبيحة يوم الجمعة ثالث عشر ربيع الأول عام عشرة ومائة وألف، وقدر رمز لوفاته ابن عمه أبو العباس أحمد بن عبد القادرى بقوله:

(يشق) على الأقوام موت إمامهم ... كعبد السلام القادرى المبجل

والرمز المشار إليــه فى قوله يشق الياء عشرة، والشــين ألف، والقاف مائة، والحافظ أبى عبد الله محمد بن أحمد القسمطينى المعروف بالكماد المتوفى عام ستة عشر ومائة وألف، والسيد أحمد بن العربى بن الحاج السلمى المرداسى قاضى فاس الجديد المولود سنــة اثنين وأربعين وألف، المتوفى سنة تسع ومــائة وألف وأجاز له، وأحمد الولالى وأجــاز له أيضا، وأبى عثمان سعــيد العميرى وغيــرهم من فحول أئمة عصره.

ونص إجازة الولالى له: حمداً لمن جعل الاستمساك بأسباب ضروب العلوم وسيلة للمــفاز، وبلغ بفتوح الرواية والدراية من تشــرق بالتهمم بطلبهــما إلى كنه حقيقــة المجدون المجاز، طالبا فصولها إلى فــصل الخطاب فى إدراكها الإطلاق من غير تخيل مــانع يكون منه الاحتراز، وشرف بشرف التأهل بمعــانيها، من كشف له الغطاء عن بديع مبانيها، وشرح بدقائق أفكار الحكماء صدر من نطقت بالاستجابة وانكشف عن حــانها وحوانهــا، ونشر أعــلام المجد على رأس من انتــخب شراب زلال صفيــها فى زلال عيونها، ومنازل شــهودها وعيانهــا، والصلاة والسلام على أصدق من أخبــر عنه الرواة، وأعلم من أسند بتسلسل الأخذ عنه العــلماء الهداة، الذى من بحر نوره فاضت العلوم وتخبرت الأخبار، ومن بركة طلعته طلعت أنجم السعود حتى سعــد مقتفوه من العارفين الأبرار، سيــدنا محمد أجله الله أن يدرك العارفون حقائقه، وحكم على خلقه أن لا يكون كل منهم إلا تابعه لا لاحقه، ولا سابقــه، صلى الله عليه وعلى آله وصــحابته الذين هم فى الإسناد أرفع الأســانيد وهم فى الاقتداء أكبر الأساتيذ.

وبعد، فيقــول العبد الكثير الذنوب أحمد بن محــمد بن يعقوب إن من المنن التى تجب أن تشكر، والمواهب الربانــية التى يحق لهــا أن لا تنسى أبدا على الدوام تذكــر، تعاطى العلوم مع من هو أهل لدرايتــها، وإيصــال متــونها لمن هو جــدير بحفظها والقــيام بروايتها، وإن من أجل من لقيناه فى هذا المعنى، وأكــبر لبيب قام ببنائها على هذا المبنى، العالم العلم، وركن المجادة المســتلم، فرع الدولة الهاشمية

الأنضر وأرفع من يرى من أشراف الأوان وينظر، نجل الخليفة الإمام، وابن السلطان الهمام، مولاى محمد بن مولاى إسماعيل خلد الله تعالى مجد الأصل والفرع، ونصب على كل سرادق عز الأمر والمنع، فقد تعاطينا معه علوما سبعة وهى البديع والبيان والمعانى وأصول الفروع وأصول الدين وقواعد التصوف وعلم المنطق، والجمع عن بلوغ ما فيه ينطق.

أما الثلاث الأول فقرأنا المشتمل عليها وناهيك به وهو تلخيص المفتاح، وأما الأصلان والتصوف فقرأنا عليها كتاب السبكى الذى جمع من ذلك ما كلت عن الإحاطة به المطولات والشراح، وأما المنطق فقرأنا فيه كتاب الشيخ السنوسى وكفى به شرفا فلجريانه فى كتب المنطق مجرى الياقوتة المفردة فى عقود الملاح، قرأنا تلك الكتب من أولها إلى آخرها حرفا حرفا، قراءة تحقيق المسائل وتدقيق المعانى صنفا صنفا.

فوجدناه أدام الله توفيقه فى إدراكها بديع زمانها وفى دراستها والقيام بقياساتها وأدلتها حنيفى رأيها فى أوانها، ما عدم تثبتا فى مداركها، ولا تتبعا لنهاية حقائقها فى مسالكها، بل وسعها بفضل الله تعالى علما، وأحاط بها مدى الدهر فهما، فانثالت به من غير تربص فتلقتها بالوسع بصيرته، وانقاد له صعبها فأخذت بقلادتها سريرته، ثم إن من تواضعه الذى له شيمة فى الأصل، وتهممه بمعالى الأمور الذى هو له طبع واستحق به كمال الوصل، أن أشار إلىّ بالإجازة فى تلك العلوم وفى غيرها قضاء بحق الإنصاف، وكان الحق أن يجيز لا أن يجاز، لولا ما فيه من مكارم الأخلاق وشيم الأشراف.

فلم أجد بدا من الامتثال، ولا سبيل فيما أشار إليه من الإهمال، لما ألبسنى هذا التاج، وطوقنى ما لست أهله لما فى من الاعوجاج، وبضاعتى من العلم مزجاة، ولكن لابد من إجابة الطالب لما يترجاه، لا سيما إن كان من أهل الفضل

والشرف والعلم والصلاح والدين والجاه، وممن يحصل منهم فى غد النجاء، إذ هو من الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء، ولا تزال تزيد مدى الأيام سموا ونماء فامتثال الأمر واجب، وكل واحد فى هذا الجناب العظيم راغب، وللتعلق بأذياله طالب.

فقلت مقالة صدق ووفا، لست أهلا لأن أجاز فضلا عن أن أجيز لاسيما من حاز فى تحقيق العلوم شرفا، أجزت هذا العالم الشهير، الذى يعجز اللسان عن أوصافه المحمودة فلا يمكنه عنها تعبير، إجازة مطلقة عامة فيما قرأته، وعن الأئمة رويته، من العلوم العقلية والنقلية، وسائر العلوم القريبة والنائية، لعلمى أن الفنون كلها صارت تحت ظله، وبلغ والده أمير المؤمنين فيه ما أمله على الشرط المقرر عند أهل الأثر، ورواه غير واحد من أصحاب الخبر، من إخلاص النيات، وتنقية الطويات لمن لا تخفى عليه السرائر، ويعلم سبحانه الباطن والظاهر، وأن يتقى الله فى سره ونجواه، ويتوكل فى الأمور كلها على مولاه، واتقوا الله ويعلمكم الله، والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين، قال سيد الخلق أجمعين وأفضل العالمين، من عمل بما علم ورثه الله علم ما لم يعلم، وأن يقول لا أدرى حيث يشكل عليه الأمر، ولا تأخذه أبهة العلم ولا نخوة الملك فى السر والجهر، فإن العلم مناف لذلك، واتباع السنة المحمدية طريقة المجذوب والسالك، والذى يحيد عنها يوقع نفسه فى المهالك، أدام الله عز والدك ونصره، وتوجه بتاج السعادة سره وجهره، وأمدك وإياه بتوفيق مولاه، ورزقك رضاه، والمطلوب منك أن لا تنسانا من دعواتك، فى خلواتك وجلواتك، فإن دعاء الغيب مستجاب لاسيما إن كان من أهل الفضل والدين والعلم والشرف من ذوى الألباب. هـ.

مؤلفاته: منها حاشية على التسهيل كما صرح بذلك صاحب درة السلوك.

شعره: من ذلك قوله مرحبا بصديقه الحميم السيد عبد الله بن محمد العلوى الشنجيطى صاحب القصيدتين الطنانتين فى مدحه فى إحدى قدماته على والده السلطان المولى إسماعيل:

مكناسة الزيتون فخرا أصبحت   تزهو وترفل فى ملاء أخضر
فرحا بعبد الله نجل محمد   قاضى القضاة ومن ذؤابة مغفر

وقوله مخاطبا شيخه القسمطينى المذكور أيام خلافته بسوس الأقصى ومتشوقا إلى فاس كما فى اقتطاف الأزهار، من حدائق الأفكار، وغيره:

ألا ليت شعرى هل أنزه ناظرى   وللنفس أقبال بوادى الجواهر
أمتع طرفى فى رياض أنيقة   وأقطف أزهارا بها كالزواهر
بحيث نرى أسد العرين صريعة   وقد فتكت فيها ظباء المقاصر
وحيث نرى غلب الحدائق سلسلت   حديثا صحيحا عن نسيم الأزاهر
وقد نسجت كف النسيم عشية   دروع مياه بين تلك النواعر
وأصبحت الأطيار فوق غصونها   فصاحا تقص فوق خضر المنابر
سقى الله أدواحا بفاس عهدتها   تغازل أنواء الغيوث المواطر
ولا برحت عين تراها قريرة   وإن قذفت بالقلب جمرة حائر
لك الله من إلف بدرعة جسمه   وقلب بفاس فى قدامة طائر
تراوحه الأشواق فى كل ليلة   فما بين مزور هواه وزائر
ولو أنه يعطى على قدر قدره   لكان له ما بين بسر وباسر
فمن مبلغ عنى رسالة شيق   إلى عالم الأعلام صدر الأكابر
إلى العالم النحرير والحجة التى   روى فضلها غر السراة الجماهر
إلى شيخنا الأسمى السمى محمد   أحملها هوج الرياح العواطر
أحملها مر النسيم تحية   إلى الماجد الأرضى الكريم العناصر

وأقطعها الود الصميم وإن نأت | به الدار عن بحر من العلم زاخر
فلله ما يشكو الفؤاد من النوى | ولله ما تطوى بطون الدفاتر
إذا ما ذكرت العهد واشتقت للقا | جعلت فؤادى بين أضلع صابر
فيا دوحة العلم التى عم عرفها | جميع البرايا بين باد وحاضر
ويا سيداً حملته كل وارد | سلامى وقد حملته كل صادر
ويا كوكبا قد حل فى أفق الهدى | فألقى سناه فى عيون المثاثر
ألست الذى إن عز فى العلم مشكل | تلقاه فهم منك فى زى باتر
ألست الذى ترتاح كل عويصة | إلى ذهنه من بين ناه وآمر
حنانيك هاض القلب سهم ابن مقلة | فأدمى فهل تروى حديث ابن جابر
عليك سلام الله ما هاج شيقا | بريق وما لاح الصباح لناظر

فأجابه شيخه الممدوح بقوله:

خليلى عج بالركب من أمن عامر | وعرج على كثبان نجد وحاجر
وسل واكفات الدمع فوق محاجرى | أثار الغضا فى القلب أم أم جابر

إلى أن قال:

ديار بها روحى وروحى وراحتى | وقلبى وريحان الفؤاد وناظرى
سليل أمير المؤمنين وعلقه | محمد محمود السجايا العواطر

إلى أن قال:

ولا عيب فيه غير أنه حازم | وحامى الذمار ماجأ للقواسر
وعالم أهل البيت فخر سراتهم | وتاج وسيف الدين عند التشاجر

وقاعدة التحصيل أنك فاضل ... إمام همام مركز للدوائر

وقد كانت الأيام تجمع شملنا ... فهل عودة للوصل يا خير شاكر

إلى أن قال:

عليك من الرحمن صوب تحية ... مبشرة بالوصل من أم عامر

وقوله مخاطبا لأخيه جدنا مولاى زيدان أيام حروبه معه:

أبلغ الزيدان عنى آية ... بسيوف العدل تشفى ذا الغلل

كم لنا يا ابن العلا من وقعة ... كان منا الفضل فيها لو عدل

حصحص الحق ولاحت شمسه ... وزمان الغى ولى وانخذل

ولواء النصر خفاق ولم ... يبق إلا الجد قولا وعمل

وكتب له أخوه مولاى الشريف صدر كتاب بعثه إليه قول سيف الدولة ابن حمدان يخاطب أخاه الناصر:

رضيت لك العليا وإن كنت أهلها ... وقلت لهم بينى وبين أخى فرق[(١)]

أما كنت ترضى أن أكون مصليا ... إذا كنت أرضى أن يكون لك السبق

فاقترح المولى محمد على شيخه المسناوى أن يجيبه فقال على لسانه:

بلى قد رضيت أن تكون مصليا ... ويتلو نداكم فى العلا من له السبق

وما لى لا أرضى لك المجد كله ... وأنت شقيق النفس إن عرف الحق

ولكن ذوو الضغن انتحوا ذات بيننا ... فغادرهم إفسادهم وبهم رنق[(٢)]

---

(١) نشر المثانى فى الموسوعة ٥/ ١٩١٢ .

(٢) فى هامش المطبوع: «بسكون النون كدر».

نثره: من ذلك ما كتب به لوزير والده اليحمدى الطائر الصيت وقد بلغه أنه بالغ فى الثناء عليه لوالده وفند أقاويل وشاته، لفظه: حيا الله تعالى بمنه مقام ركن الدولة الإسماعيلية وسميرها، ومنتقى هاتيك الحضرة السامية ووزيرها، مطلع أنوارها، ومعدن أسرارها. فوالله ما اجتبى لتلك المثابة العالية العلوية حتى كان لها أهلا، وما قرر بذلك البساط المؤيد بالله جهلا، فكم عجمت قبله من عود، فألقته وأبت إليه أن تعود، فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض، صاحب القلم العالى والقدم الذى رسخت أنامله على هام المعالى، أبى العباس اليحمدى هذا ولا زائد سوى تأكيد ود صفا مشربه، وطاب أعذبه، وعهد برز الصفاء ميثاقه، وشد بحبل الوفاء وثاقه، لا يبلى منه الجديد، ولا يتألم منه الوريد، وإعلامك بأن بعض محبيك كاتبنا بجميع ما قلته فينا، وما صدر منك إلينا من الصنائع والإحسان، فقد أحسنت أبا العباس ولم يتقدم لك منا إحسان، وقمت فى نصرتنا مقاما لم يقم معك فيه إنسان، فلا أنسى لك يوم الفقهاء تنويهك بقدرنا، وإعظامك لأمرنا، ومن قبل كنا بحقك جاهلين وعن قدرك ذاهلين.

والآن تبين الحق، وحصحص الصدق، واتضح الصارم من الحسام، والصيب من الجهام، فكم لنا هنالك من خالص وده، ومحفوظ عهده، فما قام أحد منهم مقامك، ولا أرشق سهامك، ولا دافع دفاعك، ولا نازع نزاعك، فسترى إن وسع الله علينا نتيجة تلك المقالات، وثمرة تلك المدافعات، فوالله ما نطلب التوسعة إلا لمكافأة أمثالك، ومجازات أشكالك، فدم على ذلك أدام الله سيادتك، وأبقى بمنه مجادتك، وأبقاك لنا فى ذلك المحل ركنا نستند إليه، وعمادا نعتمد عليه. والسلام وفى الخامس والعشرين من شعبان المبارك سنة خمسة ومائة وألف، محمد ابن أمير المؤمنين إسماعيل بن الشريف لطف الله به.

وفاته: توفى بمكناسة ليلة الأحد خامس عشر وعليه اقتصر الوزير اليحمدى فى المجلد الرابع من كناشته، وقيل ثامن عشر ربيع الأول عام ستة عشر ومائة وألف، وإلى ذلك أشار بعض الأدباء بقوله:

وقد قضى نحبه سادس عشر — من شهره ومالك قبل انتشر

من رأسه لفرجه شطرين — بقدر ما تجود السطرين

والأمر لله العلى وحده — يذل من شاء ويحمى جنده

وفى منحة الجبار: أنه توفى سادس عشر ربيع الأول سنة ثمان عشرة، قيل دفن بسيدى بوزكرى، والذى ذكره الحافظ الأستاذ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الأغزاوى الإبراهيمى أنه مدفون بضريح سيدى عمرو الحصينى، وأن السلطان مولاى عبد الرحمن أوقفه على قبره، وأراه إياه خارج القبة عن يسار الخارج منها.

وقال بعض الأئمة الأعيان: إنه زار السيد عمرو الحصينى، هذا مع بعض أولاد السلطان مولانا سليمان فأوقفه على القبر الذى ذكر مولاى عبد الرحمن وأنه مشهور عند الخاص والعام. هـ.

قال فى الدر المنتخب: وهذا هو الذى جزم به الوزير اليحمدى فى المجلد الرابع من كناشته وبه ينتفى كل ريب ووهم فإنه أدرى وأوثق وأضبط.

وكان الذى تولى الصلاة عليه بوصية من المترجم ـ كما أوصى بدفنه بمقبرة عامة المسلمين وأن لا يبنى عليه فنفذت وصيته رحمه الله حسبما صرح بذلك الوزير المذكور فى المجلد المذكور ـ هو القاضى أبو عبد الله، وأبو حامد العربى بن أحمد بردلة المتوفى بفاس يوم الاثنين خامس عشر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة وألف، فنقم عليه بعضهم وأوغر عليه قلب السلطان وقال: إنه يبغضك ولولا شدة بغضه ما سارع إلى الصلاة على عدوك الذى قام عليك، وأراد نزع الملك منك، فكتب السلطان إلى القاضى يهدده ويوبخه فأجابه بما نصه:

«الحمد لله الجواب: قد ورد تقييد من الجناب العالى أدام الله أيامه، ونصر أعلامه، وسد بهيبته يأجوج الفتن، وأبقاه لإظهار واضح الهدى والسنن، يتضمن ذلك التقييد التقبيح لما صدر من أمر الصلاة الموصى بها واستعظام أمر ذلك: إذ كان بغير إذن من الجناب العالى نصره الله، وأنه فى عداد الافتيات، وأقول معتذرا عن نفسى ومجيبا عنها بتقرير ما كان وحكاية ما صدر أن ذلك، لم يكن من غير إذن، وإنما كان بإذن جاءنا من قبل الدار العلية بلغ مبلغ الشهرة وخرج من طريق الشك، وكان أمرا مقررا، وحديثا شائعا مكررا، ثم مع هذا لم أذهب لمحل إلا بقائد يقودنى ومترجم ينسب الأمر إلى الجناب العالى ولم أفعل فعلا صلاة أو غيرها إلا مدفوعا إليها ومجذوبا نحوها وكالمجبور عليها، وإذا كان كذلك فلا لوم من جهة عدم الإذن لأن من تلقى ذلك وسمعه وجاءه الأمر به وكان حاله على ما وصف لا يسمى مفتاتا ولا منزلا منزلته، هذا لو فرض أن لا إذن من الجناب العالى بالكلية.

فالواجب فى حقنا والمناسب لحالنا ولسائر رعية مولانا نصره الله، هو القيام بذلك والسعى والمبالغة فيه إجلالا وإعظاما لجناب مولانا نصره الله، وإذا كان المقصود تعظيم جنابه فلا ينصت إلا لما هو من قبيلة، وسالكا على سبيله، لأن ما هو من قبيل الإجلال والتعظيم واجب أن يعامل به ولا يعذر مثلنا فى عدم القيام به، وقد قال مولانا على كرم الله وجهه لما كتب فى قضية صلح الحديبية: هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله أهل مكة، فقال المشركون لو علمنا أنك رسول الله ما صددناك ولكن اكتب محمد بن عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: والله إنى لرسول الله وابن عبد الله، امح يا على رسول الله، فقال سيدنا على: والله لا أمحو رسول الله أبدا تعظيما لجانب النبى وترجيحًا لإجلاله وإعظامه على امتثال أمره، لأن المقام تعارض فيه وجوب امتثال أمره بالمحو ووجوب الإجلال والتعظيم لمقامه، فرجح جانب التعظيم والإجلال، على جانب امتثال الأمر.

وهذا شاهد جلى لمسألتنا لو فرضنا وقوع النهى وعدم الإذن، مع أنه لم يكن نهى واشتهر بدله الإذن فتعين ما فعلنا من جهة ما سمعنا من الإذن ومن جهة ما هو متعين من الإجلال والتعظيم لمولانا نصره الله، إذ كان من قيم بحقه ممن يمت إليه بل قريب القرابة، ثم من جلى الإذن ما كان منه نصره الله صبيحة وقوع الموت مما كان شائعا وسمعه من حضر، وأسمعونا إياه من أمر مولانا نصره الله له بالقيام بأمر التجهيز والتشييع، وفى الأُبّى شارح مسلم أن الحسن البصرى لما ليم على صلاته على الحجاج، قال: كرهت أن أستعظم ذنب الحجاج فى جانب عفوه.

وفى الخازن مختصر تفسير البغوى ما نصه على قوله تعالى: ﴿... لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾ [سورة: المائدة: آية ٣٣] هذا الوعيد فى حق الكفار الذين نزلت الآية فيهم، فأما من أجرى حكم الآية على المحاربين من المسلمين فينفى العذاب العظيم عنهم فى الآخرة، لأن المسلم إذا عوقب بجنايته فى الدنيا كانت عقوبته كفارة له، وإن لم يعاقب فى الدنيا كان فى خطر المشيئة، إن شاء الله عذبه فى الآخرة بجنايته ثم يدخله الجنة، وإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة. هذا مذهب أهل السنة بحروفه.

وفى كتاب الإيمان من البخارى ما نصه: حدثنا أبو اليمان قال: أخبرنا شعيب عن الزهرى، قال: أخبرنى أبو إدريس عائذ الله بن عبد الله، عن عبادة بن الصامت، وكان شهد بدار وهو أحد النقباء ليلة العقبة أن رسول الله ﷺ قال، وحوله عصابة من أصحابه: بايعونى على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيديكم، وأرجلكم ولا تعصوا نى معروف، فمن وفى منكم فأجره على الله ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فى الدنيا فهو كفارة ومن أصاب من ذلك شيئا ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه. فبايعناه على ذلك.

هذا ما تيسر من الاعتـذار، والله يديم عز مولانا ويخلده، ويديم الملك فيه وفى عقبه الأكرمين ويؤيده، والسلام من العربى بن أحمد كان الله له».

٢٤١ - محمد بن الفقيه البركة أبى القاسم عليلش الحضرمى القرشى البكرى الصديقى التيمى.

كذا وصف فى عقد عتيق.

حاله: فقيه جليل عالم علامة، دراكة فهامة، متفنن متقن مشارك، حازم ضابط قوال للحق، جامع ما افترق فى غيره من المحامد، عدل رضى، تقى نقى، حيى أريحى، خير دين فاضل كامل، موثق ماهر، فرضى عارف، تولى النيابة عن القاضى فى الأحكام، واختص بقلم وثائق البياطرة والقوابل النظار بالدويرية بحومة الأسبوع بقبلة المسجد الأعظم محل سكنى شيخنا السيد محمد فتحا بن أحمد السوسى الآن.

وقفت على رسم مشهود له فيه بنحو ما وصفناه به أنه المستحق لما رشح له من المناصب العلية، والوظائف السنية، من جم غفير من أعيان صدور معاصريه من أئمة العلم والدين، وفضلاء العدول المبرزين، يبلغ عدد عدوله ستين وعلمائه أربعين، منهم سعيد بن قاسم العميرى، وأحمد بن ناجى، وعبد الجليل بن عبد السلام القباب، وأحمد بن محمد دادوش، ومحمد الشطيبى الزرهالى، ومحمد بن أحمد بن سودة، ومحمد بن أحمد الكوهن، ومحمد بن محمد الحلفاوى، ومحمد بن الحسن بن إدريس الغمارى، ومحمد بن عبد الرحمن الحريشى، والكبير بن محمد حجيج، ومحمد بن الحاج بن إبراهيم وذلك بتاريخ ثمانية عشر ومائة وألف.

٢٤٢ - محمد بن أبى مدين بن الحسين بن إبراهيم السوسى المنبهى.

الزيادى الأصل المكناسى الدار والإقبار، قاضيها بل قاضى القضاة بالمغرب أبو عبد الله شهر بأبى مدين.

حاله: محدث متفنن ناظم ناثر نحرير الزمان، ونخبة الأعيان، علامة جليل إمام فى المعقول والمنقول، وعلم الأبدان والأديان، مرجوع إليه فى النوازل والفتيا والأحكام، موثق بارع، موثوق بفتواه وحكمه، ملحوظ بعين الإجلال والاعتبار بين معاصريه لفضله ومتانة دينه، مقتدر على الترسيل، فصيح بليغ سيال القلم، خطيب مصقع بل أخطب أهل زمانه.

ومن براعته أنه خطب بسيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل فى موسم عيد اجتمع فيه جمع عظيم وجم غفير من أعيان المغرب وسراة وجوهه، ولما تعرض لذكر السلطان فى الخطبة الثانية على العادة المعروفة ورى باسمه فقال: لو رآه والده الجليل، فى هذا الجمع الحفيل، لقال: الحمد لله الذى وهب لى على الكبر إسماعيل، فأعجب به وخلع عليه وهو من جيد التورية التى يقل من يهتدى لها فى مثل هذا.

وفى أواسط شوال عام ثمانية وثمانين وألف أخر عن القضاء وولى مكانه أحمد بن سعيد المجيلدى، ثم أعيد بعد لخطبته، فقد وقفت على عدة خطابات له بعد التأخير وتسجيلات من ذلك رسم مسجل عليه بتاريخ أواخر جمادى الأولى عام ستة عشر ومائة وألف محلى فيه بما لفظه: الفقيه الأجل، العالم العلامة الأكمل، المدرس البركة الحافظ الحجة الخطيب البليغ المحدث الراوية قاضى الجماعة بمكناس ومفتى الأنام بها.

---

٢٤٢ - من مصادر ترجمته: التقاط الدرر - ص٣٠٣.

مشـيخـته: منهم أبو على الحسن اليوسى وهو عـمدته وغـيره من فـحول عصره.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد بن عـبد الرحمن بن أحمد بن عبد الواحد بصرى، أخذ عنه شرحه على السلم، وقرأ عليه مختصر السنوسى والمحلى والسـعد وغـير ذلك، وابن عـاشر الحـافى السلوى حضـر مجلسـه فى صحـيح البخارى، وأبو نصر عبد الوهاب العرائشى، وأبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بصرى.

مؤلفاته: له شرح على منظومة الأخضرى فى المنطق المعنونة بالسلم المرونق، أبدع وأودع فيـه من التحـقيق الدال على مـهارته الكاملة مـا شاء. قال فـى منحة الجبار: وله فى الأصلـين معا أبحاث وتحقـيقات، وفوائد وتدقـيقات، وله الخطب التى لم يسبق بمثلها، التى يقف فحول الأدباء عند حدها.

نظمه: من ذلك قوله مداعبـا لرجل يدعى سينو من أهل تطوان كما بكناشة العلامة الأقعد أديب الثغر الرباطى السيد محمد بن التهامى بن عمرو:

تبـارك الملك تحـمـيـنا وياسـين	من شـر ما نتـقـيه منك يا (سـين)
بالأمس يشكوك إسـحـاق وجيـرته	واليـوم ها هى تشـكوك المواسـين
تألف اسمك من ضدين وانتـقضـا	نعم لا وهو بمعنى قولنا (سى)[1] (نو)

نثره: من ذلك مـا كتب به للسلطان المظفـر سيدنا الجـد مولانا إسمـاعيل: «مولانا الذى لألأت الأكوان غرر شيمه الطاهرة ومفاخره، وملأت الآذان والأذهان درر خيمـه البهيـة الباهرة ومآثره، واستطال نجـاد الدين بملازمة حضه علـى إقامة

(١) فى هامش المطبوع: «يشـعر بأن له معـرفة باللغة الفـرنجية فإن مـعنى (سى) عندهم نعم و(نو) لا. انتهى مؤلف.

منائره الرائقة ومنابره، ظل الآنام، وكهف الإسلام، ملاذ الخاص والعام، مقيم فخر أمة جده عليه الصلاة والسلام، أبقى الله مجد بيته العتيق، تأوى إليه الأعيان خاضعة من كل فج عميق.

السلام التام، على شريف البساط وعلى المقام، والرحمة والبركة ما أدار رائد فلكه، وأنام ثاقب فلكه، هذا وليعلم مولانا، المقيم لشعائر الشرائع المحمدية قواعد وأركانا، أن مملوك نعمك، وغريق بحر جودك وكرمك، قد والله ملئت أردان قلبه شوقًا، وجرت به أفراس التشوق إلى مشاهدة الطلعة العلية طلقا، فلا والذى بعث جدك بالحق، وأقامك مقامه فى إقامة الشرائع وسياسة الخلق، ما قطعت بك الصافنات الجياد سبسبا أو وهادا، إلا وسوابق الأرواح بين يدى جحافل مولانا تتهادى، ولا نفحت قواصف أو لمحت هواجر، إلا والعيون من فرط الإشفاق، من معاناة مولانا المشاق الشواق، للذيذ كراها هواجر.

لكن إذا ارتاد المشفق فكره، وبصر بأن الله سبحانه قد ضاعف لخلفاء العدل مثوبته وأجره، حيث جعل سبحانه هاطل المنافع والمصالح من عنان عدلهم يسح وابله وطله، وناهيك بما أتحفهم من مطارف المجازات إذ جعلهم أشرف الأصناف السبعة الذين يظلهم بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله، فعند ذلك تعم بالحبيب باله، واضمحل لاعج الإشفاق وبلباله، وانقشعت مزن الأتراح والمواجد، وأفترت بواسم الأفراح حتى أبدت النواجذ.

ويكفى فى الباب، قول صفوة الأنبياء ولباب اللباب: لعمل الإمام العادل فى رعيته يوما واحدا أفضل من عبادة العابد فى بيته مائة سنة كما فى حديث أبى هريرة، ولا غرو كما قال الأئمة فى أن الأجور باعتبار المشاق، ومقاساة الأمور الشواق، ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أزكى الناس مناصب، وأعلاهم مراتب، وقد استحثتنى بواعث اشتياقى، واستنجدتنى للقدوم عزائم

أشواقى، حتى أشاهد أنوار هاتيك الأخلاق الزكية، وأنتشق من أزهارها الذكية، فأشير على من مملوك مولانا بما حاصله أن تقدم الاستئذان على الوفادة، من أجل ما يتحلى به أدب المرء من السنن المستفادة.

ثم مع ذلك فالجوارح ناطقة بشكر ما لمولانا من جزيل الأيادى، والجوانح معترفة بعظيم نعمه التى عمت الحواضر والبوادى، والرعية معتكفة على حب أميرها، لاهجة بجميل الذكر على لسان صغيرها وكبيرها، والخصب ببركة مولانا قد أغنى وأقنى رفده، وجاد على الأعجم والناطق بما ملكت يده.

وهذه الحضرة المشرفة بعناية مولانا إذ جعلها من ذماره، واصطفاها لقربه وجواره، وشنفها من بديع الفراديس ورفيع القباب، ما لورآه الإسكندر الأكبر لاعترف بأنه العجب العجاب، قد حليت من المحاسن بمنتهاها، وأسعدها الإسعاف بنيل أرفع مشتهاها، والعلوم قد تدفقت بها أنهارها، وتفتقت على أوج التحصيل أزهارها، والأكف مرتفعة لمولانا بصالح الأدعية، والألسنة معربة بما لمولانا من عظيم الحق فى المجالس والأندية، إذ هو حفظه الله رفع للعلم مناره، وبوأه قراره، وأحيا معالمه الدواثر، وألزم نصره الله نشر ما حوته الدفاتر، فله المنة بدءا وعودا وجميل الثناء والشكر على ما أولى وأسدى».

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون زوال يوم الجمعة ثامن أو سابع شوال عام عشرين ومائة وألف عن أربع وثمانين فيم قيل، ودفن عند العصر بضريح ولى الله المولى عبد الله بن حمد خارج باب البرادعيين أحد أبواب المدينة، وقبره هناك مشهور.

٢٤٣ - محمد بن عبد الرحمن بن محمد فتحا.

الفاسى لقبا، الشاوى المعزاوى أصلا، المكناسى نشأة ودارا وقرارا.

حاله: ميقاتي فاضل معدل، حيسوبي ماهر، انتهت إليه رياسة التوقيت والتعديل وما يتعلق بذلك فى زمانه، مع سمت حسن، ودين متين، فقيه أديب، لبيب زكى ذكى، كاتب بارع، ذو أخلاق مرضية، وأفعال سنية سنية، نزيه وجيه حيي أريحى مهذب، له اليد الطولى فى الإنشاء والترسيل بديع الخط، رحل لفاس ولازم فطاحل جلة أعلام مشايخها حتى فتحت له النجابة بابها وأدخلته المهارة حجابها، فرجع لمسقط رأسه مملوء الجراب آية فى الفهم والإدراك لا يجارى ولا يبارى، فتولى رياسة التوقيت بالمسجد الأعظم بالحضرة المكناسية قبل وفاة والده إمام الفن المرجوع إليه فيه على عهد سيدنا الجد السلطان مولانا إسماعيل قدس الله روحه، وكانت توليته الوظيف المذكور عام ثمانية وعشرين ومائة وألف، وكان السلطان المذكور يجله ويبجله، وقفت على ظهير بإسناد الوظيف المذكور إليه ودونك نصه:

«الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما، عن أمر عبد الله المتوكل على الله، المفوض جميع أمره إلى مولاه أمير المؤمنين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، الشريف الحسنى إسماعيل بن الشريف الحسنى الله وليه أيد الله بعزيز نصره أوامره، وظفر جنوده وعساكره، وخلد فى الصالحات مآثره.

يستقر بعون الله تعالى هذا الظهير المبارك بيد حامله المتمسك بالله ثم به الفقيه الوجيه، المعزاوى النزيه، الموقت المعدل السيد محمد بن عبد الرحمن الفاسى لقبا المكناسى دارا الشاوى أصلا، يتعرف منه أننا حيث ثبت لدينا بتعريف من وثقنا بتعريفه الإمامة والعدالة والمعرفة والتوقيت وأحكامه وآلاته، وليناه خطة التوقيت بالمستودع من الجامع الكبير من حضرتنا العالية بالله، ومباشرة آلة التوقيت ليلا ونهارا، مواظبا على ذلك، ملازما لمحله وشغله منقطعا إليه دون معارض له ولا

منازع وأذنا له فى قبض ما هو حبس على التوقيت بالمحل المذكور من الرباع وبلاد الحرث وغير ذلك.

وكذلك أذنا له وولنياه الأذان فى الصومعة وإقامة الصلاة ورواية الحديث الكريم على الكرسى يوم الجمعة موقرا محترما فى جميع أحواله، وكذلك وقرنا والده الخير الدين السيد عبد الرحمن المذكور وأولاده العربى ومحمد توقيرا تاما لانتسابهم لهذا الوظيف الدينى وخدمة بيت الله الذى هو أشرف البيوت وأرفعها، والواقف على هذا المسطور الكريم يعمل به ولابد والسلام، وكتب فى التاسع والعشرين من ذى الحجة الحرام مكمل ثمانية وعشرين ومائة وألف».

فانظر اعتناء واعتبار أسلافنا المتقين، لإقامة شعائر الدين، واحتياطهم جهدهم وطاقتهم فى انتخاب من يرشحونه للقيام بذلك وبسطهم يد التصرف فى الأوقاف المعينة لذلك الوظيف وقوفا مع ألفاظ المحبس التى يجب اتباعها شرعا وتحرم مخالفتها لتنزيله منزلة ألفاظ الشارع.

مشيخته: أخذ عن سيدى محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى، وسيدى العربى بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالى وسيدى محمد بن أحمد بن الحاج وسيدى العربى بن عبد السلام الفاسى، والسيد عبد الواحد بن محمد بن هارون، أجازه عامة فى الفنون التوقيتية والتعديلية وما ينضم إليها الأول والرابع والخامس، وشهد له بالمهارة والاستحقاق غيرهم.

ودونك نصوص ما كتبوه له على الترتيب ومن خطوطهم نقلت، كما ذلك إثر تقريره الإجازة منهم وسيمر بك بحول الله:

الحمد لله، ما قاله الشاب الأرضى الأزكى الأحظى، الفقيه الأديب الفاهم اللبيب، أبو عبد الله المذكور صحيح وقد أجزته فى ذلك وغيره من التآليف

التوقيتية والآلات الفلكية، والله سبحانه يوفقنا وإياه، لما يحبه ويرضاه، بمنه وكرمه، نسأل من المجاز المذكور ألا ينسانى من صالح دعائه.

وكتب عبيد الله وخديم أوليائه، محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى الكنانى غفر الله له وستر عيبه صح فى التاريخ أعلاه. هـ.

الحمد لله الذى جعل فى السماء بروجا وجعل الشمس سراجا والقمر نورا، وجعل الليل والنهار خلفة لمن أراد أن يذكر أو أراد شكورا، وفرض فيها للدين أوقاتا شرعية رحمة منه وبرورا، ونصب لمعرفتها دلائل أشرقت بيانا وظهورا، والصلاة والسلام على مولانا محمد المتقى للرسالة قبل أن يكون آدم خلقا مذكورا، المبعوث لإقامة دين الحق فكان به مؤيدا منصورا، والرضى عن أصحابه الذين كان سعيهم مشكورا.

هذا وقد وقفت على ما سطره أعلاه الفقيه الأجل، العالم الأفضل، المعظم المبجل الأحفل، شيخ العلوم العقلية والنقلية، والمتفنن فى حقائق ودقائق صوفية وشرعية وحكمية، وفرع دوحة تدلت بالعلم أفنانها، وفرع شجرة أظلت الكرام أغصانها، وبيت كرع الأعلام من مناهله، واغترفوا من سيب تياره ونائله.

شيخنا أبو عبد الله سيدى محمد بن شيخنا الإمام، الأوحد الهمام، البحر الذى طما تياره، واستوى فى البلاغة نظامه ونثاره، محلى أجياد المعانى بمنتقى جواهره، ومورق أفنان البلاغة بمونق أزهاره، الذى درس العلوم وألفها، وقرط المسامع بحلى فوائده وشنفها، ونظم درر الفصاحة فى أسلاكها، وضم درارى الأدب فى أفلاكها، وحاك ديباج البراعة وفوف، وقوم أود البيان وثقف، أبو زيد سيدنا ومولانا عبد الرحمن نجل الفضلاء الأعلام، أئمة الهدى ومصابيح الظلام، السادات الفاسيون دارا لقبا، الكنانيون أصلا ومنتسبا، أفاض الله تعالى علينا من بركتهم، وحشرنا فى زمرتهم آمين.

من إجـازته للشـاب الفقيـه النبـيه الأزكـى الأحظى الموقت الأديب الزكى المرتضى سيدى محـمد بن الفقيه المؤقت العفيف النزيه الخيـر ذى الأخلاق الزكيه، والأحوال المرضـية، سـيدى عبـد الرحمن الفـاسى لقبا المكـناسى دارا وقرارا فى التآليف التوقيتيـة والآلات الفلكية، فإنه لجدير بأن يجاز فى ذلك، وأحق بأن يؤذن له فى سلوك تلك المسالك، لحذاقته ونبله، وقوة إدراكه، وصفاء مرآة ذهنه وعقله، وولوعه بحصول هذا الفن وتحصيله وعكوفه على طلبه بكرة الزمان وأصيله.

وأخذه عن ذويه وخـصوصا ما أحـرز وحازه عن الشيخ العارف أعـلاه فإنه القدوة فى ذلك المشـهور، وعلم الفلك فى هذا العصـر عليه مقصـور، وهو قطبه الذى عليه يدور، فقـد صادفت إجازته صوب الصواب، وكـشفت عن وجوه الحق اللثام والنقاب، سيما وهو قد انتصب بالفعل لمباشرة الأوقات، بالحساب والآلات، ومارس أدوارها الفلكية بالأدراج والساعات، وظهرت فى ذلك نجابته، وتحققت فيه موافقته للصواب وإصابته، وصدق فيـه مقاله، وصح فيه حسابه وأعماله، فى ليله ويومه، وصـحوه وغيمـه، منذ مدة مديدة وأزمـان، وليس الخبر كالعـيان، والله تعالى يوفـقه ويمده بمدده، ويعـينه على ما هو بصدده، وكـتب الفقير إلى رحـمة مولاه الكريم محمد العربى بن عبد السلام بن إبراهيم الدكالى كان الله له وليا وبه حفيا آمين. انتهى.

الحمد لله المجاز المذكور، بما هو مكتتب ومسطور، أولا وآخرا حرى بحلاه، ومـا نظم ورقم أعـلاه، إلى ما جـمـعه مـن لآلئ ويواقيت، وصـار به فـذا فى المواقيت، نشـأة سنية، وسـيرة سنية، والله جل جـلاله ينفعنا وإياه، ويديم رقـيه وبغياه، وكتب طالبا دعاءه، وملبيا نداءه، ومتلمسا من مولاه ذى الطول، يوم الحر والهول، ظله ورداءه، محـمد بن أحمد بن الحاج وفقـه الله بجاه رسول الله ﷺ وعلى آله وذريته الأكرمين. انتهى.

الحمـد لله وكاتبه الواضع اسـمه عقـب تاريخه أحق بإجازة المجـاز أعلاه، لمهارته فى فن التـوقيت وغيره، ولا أعلـم أن فى بلاده أفضل منه فى فنه، ولا فى بلادنا هذا، وكتب عبيد الله تعالى العربى بن عبد السلام الفاسى، كان الله له وليا ونصيرا بمنه. انتهى.

الحمد لله ما كتبه شيخنا الإمام، الأوحد الهمام، أدام الله الانتفاع به آمين، من إجازته للفقيه الأديب، العدل النجـيب، أبى عبد الله بن الماجد الأنجد، العدل الأرضى الأسعد، سـيدى عبد الرحـمن الفاسى المذكور أعلاه، هو كـما قال وهو عين الحق والصـواب، لأن المجاز وفـقه الله وأسعـده ممن له فى ميـدان التحـقيق والدراية جريان، فلا مرية أنه أهل لذلك أدام الله توفيقه، وله اليد الطولى والحمد لله فى فن الحسـاب والتوقيت وسائر تعلقـاته الفلكيه، وآلاته الشعاعـية، وله علم ومعرفة بفن التعديل، وقد أجزناه فى ذلك كله كما أجازه شيخنا المذكور ونسأله أن لا ينسانا من دعـائه الصالح، وكتب عبـيد الله تعالى العـياشى بن إبراهيم الخلطى الزرهونى وفقه الله بمنه آمين. انتهى

الحمـد لله المجاز المذكـور أعلاه، الموصوف بما واصـفه به قـد حلاه، وهو الفقـيه النجيب، الفاضل اللبـيب، أبو عبد الله سـيدى محمـد بن الفقيه النبـيه، المرابط النزيه، أبى زيد سيدى عبد الرحمن الفـاسى حقيق والحمد لله بالإجازة، لما قام به من التحقيق فى علم المواقيـت وحازه، وقد أجزته لما سبق له من القراءة من كتب الفن، وإن كنت لسـت ممن سلك تلك المسالك، كمـا أجازه شيـخنا الإمام، الأوحد الهمام، سيدنا وسندنا أبو عبد الله سيدى محمد بن شيخنا العلامة المشارك الدراكة إمـام عصره، وعـلامة دهره، أبى زيد سيـدى عبد الرحـمن الفاسى والله يوفقنا وإياه، لما فيه رضاه، بجاه نبينا ومـولانا محمد وآله، وفى الحادى والعشرين من ربيع النبوى، عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

وكتب عبيد ربه المعترف بذنبه الراجى عفو ربه عبد الواحد بن محمد بن هارون. انتهى.

نثره: من ذلك تقرير إجازة لفظها بعد البسملة والصلاة:

الحمد لله الذى رفع بعلم ما أودع من أسرار، ونفع بما نزع من قلوب المعتدين الأشرار، وأمتع لمن برع بما كشف عنه لأهله الأستار، فصدع بما أبدع مما لا تدركه العقول والأفكار، ورصع بما جمع القلوب بالسبر والمسبار، نحمده سبحانه على ما أبرز من نعمه وحجز من إثمه، وتجاوز عمن طلب الإجازة عن ذنوبه واجتزم من ظلمه، وأنعم على من أكرم بحسن الإنعام، فوفقهم لتعديل الأحكام ففازوا بالحياة والمكاسب، وحازوا بعد الانتقال حسن العواقب، فطوبى لمن صدق برسله ووعده، وتبا لمن عبد الشيطان وحكم بنده، فذلك الذى ضيع دنياه، وفاته مناه ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من أخلص عبادته وعلمه، ووحده فى ملكه وشهد بأن الملوك خدمة، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أرسله بالهدى فيسر منهجه القويم بالموافق، وأصلح بيسارته الإصلاح الفائق، ﷺ وعلى آله وصحبه الشموس المضيئة مع الأقمار، كل بنوبته فى روضة الأزهار، الذين تبعوا سنة المختار فى الإقبال والإدبار، ففازوا بالأصل الحقيقى والمعدل، وبعد قطرهم عن الميل الثانى والميل الأول، وفضلوا بارتفاع البصر، فى أبد الدهر، وحسن النعت، بتعديل السمت، على أن سمت الارتفاع، ظله باع، ومطالع الاستوا، فى أفقها استوى، فلله من طالع قوى، ولله من غارب ارتفع صاحبه فكأنه ليس فى المغرب ولا هوى، فهناك تود أن المواهب عندها تكمل، وتتلألأ المراتب أبهى من الشموس فى الحمل.

هذا وإن للعلم ذروة يتبوأها كل ذى حجا، وهمة يتفيأ ظلالها المتفيئ فى النهار وفى الدجى، وإن لذويه لخصيصة راسخة، ومراتب سنية غير رازخة، تأهل

السير إليها حتى لجا، وقد سنى الله لنا زمنا امتن فيه بالمنة التى يجب شكرها أبدا، ويستمر على مر الزمان وحقائب المدى، أن تيسر لى ما جنح إليه البال، وسنح بحسب الحال منه المثال، الذى بحضرة شيخنا الذى افتقرت الكواكب فى موضع معرفتها إليه، وتنورت منيراتها قبس يديه، فأصبحت تطيب منه النفوس، وقيل أن لا عطر بعد عروس، فهو محتد الفضائل والهدى، ومَعَشٌ الاهتدا[1] يبدر وإن بدا. الهمام المتفنن، والجهبذ المتقن، العلامة الدراكة البركة المشارك الفهامة النحرير، أبى عبد الله سيدى محمد بن الإمام الأكبر، العلامة الأشهر، شيخ المعقول والمنقول، الذى له اليد الطولى فى الفروع والأصول، أعجوبة الدهر، ونادرة العصر، أبى زيد سيدى عبد الرحمن نجل الشيخ الإمام، القدوة العارف الهمام، شيخ الجماعة أبى محمد سيدى عبد القادر بن على الفاسى خلد الله مناقب آبائه الحميدة، وأدار فلكه فى سمائه السعيدة، فهو الجامع لما تفرق من مهم المهم، والمفرق لما تجمع من أباطيل الجهل الملم، فلله دره جمعا للعلم والفضائل، وتفريقا للجهل ومنكرات الأباطل.

فكم خصلة افترقت فى غيره فجمعت عنده، وكم فضلة افتضلها رشحت واردها لما يكفى عن عدة، فمن ثمالته منهل المعاصر، ومن ذبالته ينبلج سنا العلم فى المفاكر والمناظر، فإذا شرقت علينا بمشارقه العجيبة، ومفارقه الغريبة الرحيبة، كانت قراءته بغية الطلاب للإمام العلامة أبى عبد الله الحباك أروى فيها بمنهله المدرار وبمناجاته السقرطية ومفاكهته العبقرية يروق المنصف النحرير، ويعنى بها الألهوب[2] والسفسير، بجمع من الشروح، وزيادة وضوح فوضوح، ثم كتاب السيارة، فما آربه أحباره، ورسالتى الربع المجيب والكامل، إلى غير ذلك من المسائل، مما تناولته حين الاقراء إلى هلم جرا.

(١) فى هامش المطبوع: «بياض بالأصل».

(٢) الألهوب: اجتهاد الفرس فى عدوه حتى يثير الغبار.

وأجازني في ذلك مما قرأته بلفظي أو لفظ غيري، وكل ما أورد من المسائل حين القراءة وما عرض الآن أو سوف يعرض لي منه وراءه حسبما أخذ ذلك عن شيخه والده المذكور، المقدس المبرور، رضي الله عنهم أجمعين، ووفقنا لما يحبه ويرضاه ببركة الصالحين، وعلمنا علما ينفعنا في الدارين، وجعل تعلمنا لوجهه الكريم، ومقربا منه وموجبا للفوز بدار النعيم.

وكتب العبد الفقير لمولاه، الغني عما سواه، محمد بن عبد الرحمن بن محمد الفاسي لقبا المكناسي دارا ومنشأ وقرارا، الشاوي نسبا، ثم المعزاوي من أولاد عمارة أحد أولاد سيدي يشو بن حمدون بتاريخ أواسط ربيع النبوي الشريف عام ثلاثة وعشرين ومائة وألف.

الآخذون عنه: منهم ولده عبد القادر آتي الترجمة.

وفاته: توفي شهيدا تحت الردم بالزلزلة في صفر عام تسعة وستين ومائة وألف.

٢٤٤ - محمد أبو عبد لله بن محمد العكاري الرباطي.

حاله: فقيه علامة صوفي صالح متبرك به، انتقاه سيدنا الجد الأكبر السلطان الأعظم مولانا إسماعيل إماما للصلاة به بمسجده الأعظم داخل قبته المولوية وخطيبا به حسبما أفصح بذلك ابن أخيه أبو الحسن علي العكاري فيما قرأته بخطه، وقد ألف في مناقبه حفيده أبو الحسن علي بن محمد تأليفا حسنا سماه البدور الضاوية، في ذكر الشيخ وأصحابه وتلامذته وبناء الزاوية، قال في حقه ما نصه: كان الشيخ ذا مكاشفات ظاهرة، وكان يقرأ القرآن برواية السبع ويجوده ويتقنه غاية الإتقان وكان مشاركا في فنون من العلم كالقراءات والبيان والهندسة والفقه والنحو والتصوف والتوقيت والبديع والحساب والكلام والحديث والتفسير، ويتقن ضبط ذلك، ويحسن المشاركة في غير ما ذكر، دءوبا على نشر العلم، ناسكا ورعًا

زاهدًا، حافظا دراكة، متوسعا فى علم التفسير ومعانى الأحاديث، قائما بالطريقة لا يخل بعلم الظاهر تدريسا، وألف تآليف عديدة تقييدا وضبطا، فنفع الله به جميع العدوتين سلا ورباط الفتح، وانتفع به الخلق من كل فج عميق بالتعليم والتربية للمريدين بقوله وفعله.

وكان له همة عالية وحالة مرضية، وقلم فصيح مع التمكين والرسوخ، إذا تكلم انتقش كلامه فى القلب، وإذا وعظ وضع الهناء موضع التعب، قدم من مراكش إلى سلا، واستوطنها وتعرف بأهلها واجتمع عليه أعيان البلاد، وطلبوا منه التدريس بجامعها الأعظم فامتثل وحضر درسه جماعة من أعيان علماء سلا ثم زاره الأمير العلامة الكبير مولاى عبد الواحد نجل السلطان مولانا إسماعيل، كان مستوطنا رباط الفتح بقصد قراءة العلم، واستدعى المترجم للرباط فلبى دعوته فأنزله بداره، ودرس بالولى الصالح أبى العباس أحمد بن موسى العايدى، وكان يحضر درسه علماء الرباط.

ثم ورد السلطان الأعظم مولانا إسماعيل على رابط الفتح، ولما التقى به نجله المولى عبد الواحد المذكور حدثه بحال الشيخ المترجم ومناقبه وفضائله ومحاسنه، فقال له: لابد لى أن التقى معه فى هذا اليوم وأخذ عنه الطريقة الشاذلية تبركا فركب السلطان وولده فوجدوا المترجم بالجامع الأعظم يسرد صحيح الإمام البخارى، وكان السارد لديه الفقيه العلامة القاضى سيدى عبد الله بنانى الأندلسى.

ولما دخل السلطان صلى تحية المسجد، وجلس لاستماع الحديث والشيخ لم ينظر إليه، ولما تم الدرس نظر الشيخ إلى القاضى وقال له عظنى يا ولى الله، وتذاكروا ساعة زمانية وافترقوا، ولما رجع الشيخ إلى دار سكناه ألفى بها مالا كثيرا وجه إليه به السلطان مولاى إسماعيل هدية، فلما وجد الشيخ ذلك وجه على تلميذه الفقيه الزبدى، وقال له: خذا هذا المال وافعل به ما شئت، فتشاور مع

المريدين، فقالوا له: اشتر له دارا كبيرة تكون حذاء هذه الدار التى نجتمع فيها فاشتروا له بحومة السويقة بدرب البروزى تعرف بدار الفقيه البروزى.

ولما أراد السلطان النهوض من الرباط وجه على الشيخ المترجم، وقال له: يا شيخ تقدم معنا إلى سجلماسة لتصل الرحم، ويتبرك بك أنجالى، وتؤم بنا صلاة الخمس، وتختم معنا صحيح البخارى، فإن معنا الفقهاء من فاس فإنهم أرادوا الاجتماع بك، والأخذ عنك. فقال الشيخ للسلطان: يذهب معنا خمسة من فقهاء سلا ومثلهم من الرباط فإنهم يليقون بنا وبك، ويكون الجمع مباركا سعيدا، فأجابه السلطان لذلك، ونفذ له ولهم صلة لعيالهم وصلة لمؤن سفرهم.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله محمد البيجرى المكناسى حسبما صرح بذلك ولده لابن أخى المترجم أبى الحسن على فيما قرأته بخطه، إذ قال: لما عرفنى يعنى البيجرى قال لى: إنكم ساداتنا، فقلت له: بل نحن إخوة لظنى أنه قاله تأدبًا، فقال لى: أنتم سادتنا حقيقة، وذكر لى أن والده من تلامذة الشيخين الجد والعم قدس الله روحهما.

وممن أخذ عنه العلامة الشيخ زنيبر السلوى، وأبو محمد عبد الله حجى، وأبو الحسن على بوشعرا، وأبو القاسم بن الحسين الغريسى، والسيد المكى الحافى وسيدى مسعود جموع، وأبو العباس أحمد حجى، وأبو عبد الله محمد الصبيحى، وأبو محمد عبد الواحد نجل السلطان مولاى إسماعيل، وسيدى المعطى مرينو، وأخوه أبو عبد الله محمد مرينو، وأبو عبد الله محمد بن الطاهر الزبيدى، وأبو العباس أحمد بن عبد الله الغربى، والقاضى أبو محمد عبد الله بنانى، وأبو عبد الله محمد بن اليسع الفلالى، وأبو العباس أحمد عاشور، وأبو محمد التهامى

ابن عمرو، وأبو يعزى المسطاسى، وجل هؤلاء قضاة وغير من ذكر ممن لا يعد كثرة.

وفاته: توفى كما بكناشة اليحمدى سنة اثنين وتسعين وألف.

٢٤٥ - محمد بن العربى الغمارى.

حاله: فقيه علامة أصل، جهبذ أوحد نبيل، حلى بحجة الإسلام، البركة الهمام.

وفاته: توفى ضحوة يوم الأحد الثانى من ربيع الثانى عام تسعة وعشرين ومائة وألف حسبما وقفت على ذلك منقوشا برخامة ضريحه، ودفن بروضة المولى عبد الله بن حمد.

٢٤٦ - محمد فتحا الحاج بن عبد القادر التستاوتى.

صنو أبى العباس المترجم فيما مر من الأحمدين.

حاله: شيخ فاضل متبرك به.

وفاته: توفى فى المحرم فاتح سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف ذكره أبو العباس الحافى فى بعض مقيداته فى الوفيات.

٢٤٧ - محمد بن العلامة أبى عبد الله محمد بن الإمام المتقن أبى زيد عبد الرحمن بصرى الولهاصى.

حاله: علامة نظار، نحرير نقاد مشارك مطلع متضلع، إمام فى صناعة التدريس وحسن الإلقاء، ماهر نفاع، أحد أعلام الدولة الإسماعيلية وجهابذتها النقاد.

مشيخته: أخذ عن العلامة أبى الحسن على بن عبد الرحمن بن عبود آتى

الترجمة، والقاضى الأعدل أبى القاسم بن سعيد العميرى، وأخيه سيدى على، وأخيهما أبى العباس أحمد والشيخ عبد الوهاب بن الشيخ، وأبى عبد الله محمد فتحا الدغوغى، والسيد المجذوب بن عبد الرحمن بن عزوز، وأبى الحسن الندرومى، وأبى عبد الله محمد اقلال، وأبى زيد عبد الرحمن بن سعيد العميرى، وأبى حفص عمر الكوش.

الآخذون عنه: منهم ولده المترجم بعد.

وفاته: توفى يوم السبت خامس شعبان المبارك عام ستة بسين مهملة فمثناة فوق وثلاثين ومائة وألف.

٢٤٨ - محمد بن العياشى أبو عبد الله المكناسى.

حاله: صدر نحرير فقيه جليل، حسيب أصيل، مدرس نبيل، قال فى حقه مؤرخ دولتنا العلوية السيد أحمد بن الحاج السلمى صاحب حواشى المكودى والأزهرى وغيرهما المتوفى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف فى الدر المنتخب المستحسن: الفقيه المفتى النوازلى القاضى العلامة المدرس الكاتب، كان من جملة كتاب السلطان مولانا إسماعيل ملازما لخدمة بابه والوقوف بأعتابه، وأنه كان يستشيره فى المهمات، من ذلك أنه استشاره فى أى قبيلة يتخذها جندا؟ فقال له: إن المنصور السعدى كان وجه جيشا لفتح السودان فسبى عبيدا واتخذهم جيشًا ودفعهم لولده المدعو بالشيخ الشانى فأنزلهم فى جنات أهل فاس بزواغة، وبقوا على ذلك إلى أن قام على والده ودعا لنفسه فقبض عليه والده ونهب العبيد وفرق جمعهم فى القبائل، والآن اجمعهم فإنهم مملوكون لبيت المال، واتخذهم جيشا للخدمة، فقال له السلطان: أنت النائب عنى فى جمعهم، فقال له: فليعين سيدنا وكيلا يقوم فى طلب حق بيت المال وأنا أقضى بينهم وبينه، فقلده القضاء والفصل فى ذلك وتسمى بقاضى القضاة، وعين السلطان وكيلا هو الباشا عليلش، فشرع

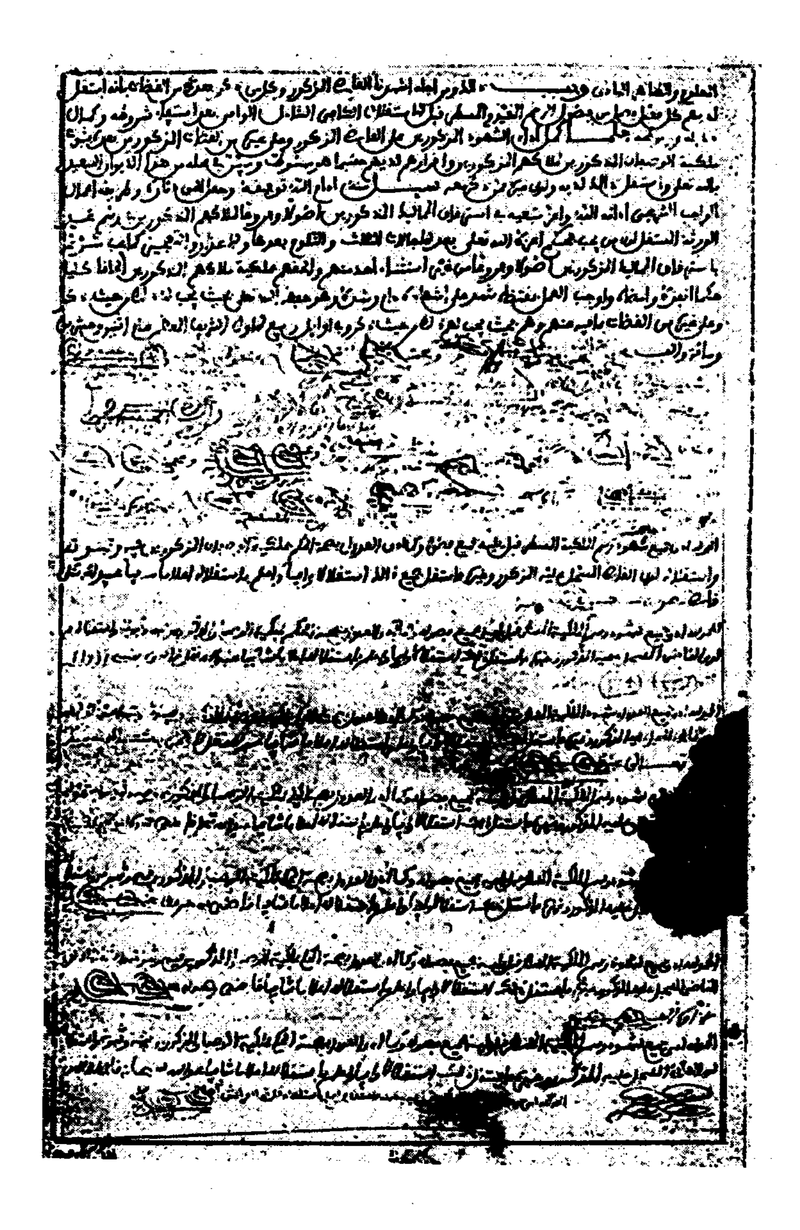
فى جمع العبيد، فكان ابتداء أمرهم أن ينادى فى الأسواق فى الحواضر والبوادى من يرد خدمة السلطان من العبيد فليأت إلينا إلى أن كان من ذلك ما نبسطه فى محله بعد بحول الله وقوته.

تنبيه: قد رأيت لعدة من المؤرخين إنهم ذكروا فى حق مولانا فخر الملوك أبى الظفر مولانا إسماعيل أنه كان يسترق الأحرار المسلمين بالحراطين، وتمالئوا على ذلك وصرحوا بأن الاسترقاق وقع منه فى غير محله الشرعى، وهذا لعمرى من الكذب المفترى ولكن الجهل بالحقيقة أورثهم أن تقوّلوا ما لم يكن، وبنوا على غير أساس، ودونك الآيات البينات، فقد وقفت لى عدة دفاتر كتبت على عهده رحمه الله وقدس سره أشرفت منها فى القضية على كمال الاحتياط فى استرقاق أولئك العبيد وجمعهم، إذ صنيعه فيه عقد التراجم، لما فى كل مدشر من مداشر القبائل الهبطية من العبيد ذكورا وإناثا، ثم ذكر وثيقة مسجلة على قاضى مدينة القصر فى حينه، وشكل القاضى المسجل عليه قائم العين به إلى الآن تتضمن تلك الوثيقة ذكر كل فرقة بذلك المدشر من الوصفان وذكر مالكهم وإثبات ملكه لهم وبيان وجه صيرورتهم له من شراء ونحوه، وبيان من تزايد لتلك الفرقة هناك بصفات كل المعينة له، ومن مات منهم، ومن هو فى قيد الحياة، وبيان استمرار الملك للمالك إلى أن مات وخلفهم لورثته وهم فلان وفلان لخ، كل ذلك بشهادة الأعيان من علماء وعدول وغيرهم معتمدين فيمن أدركوه منهم على التحقيق والعيان وفى غيرهم على أعلى درجات شهادة السماع المستفيض الفاشى على ألسنة أهل العدل وغيرهم.

ثم يذكر تاريخ الشهادة وأول تاريخ وقع بأحد الدفاتر المشار لها وهو بمكتبتى أوائل ربيع الأول عام اثنين وعشرين ومائة وألف.



كتابة على ظهر كناش إحصاء العبيد الإسماعيليين وعقود أشريتهم



صحيفة من علامات العدول وأشكالهم بكناش العبيد الإسماعيليين

ثم يذكر أسماء الشهود ووصفهم وعدة الشهود بأول رسم ست وثلاثون.

ثم يذكر وثيقة أخرى مسجلة على القاضى المذكور شكله قائم بها إلى الآن تتضمن إشهاد القاضى بأداء أولئك الشهود عنده بجميع فصول الوثيقة، وبأنه استقلت عنده جميع فصولها، كما استقلت عند جميع من يعطف بشكله عليه من قضاة الإيالة السلطانية الموجودة أشكالهم لحد الآن بالدفتر المذكور وغيره.

وبعد ذلك تضمن الوثيقة المذكورة أيضا أنه سئل من القاضى المذكور وكل من يوقع شكله بعده من قضاة وعلماء، هل بقى فيما ذكر من شهادة الملك ومتعلقاته عمل يتوقف عليه شرعا فيضاف إليه فاشهدوا بتمام ذلك واستجماعه للشروط الشرعية، وبأنهم حكموا بذلك وأمضوه ثم بعد هذا ورخت هذه الوثيقة بالتاريخ المذكور، وأمضاها عشرون من العدول بأشكالهم.

وبعدهم كتب قاضى تطوان بأداء الشهود وهم عدول الحكم لديه، وبإعلامه باستقلاله ووضع علامته، ثم كتب بمثل ذلك كل من قاضى طنجة، وقاضى قبيلة بنى بوز كار، ثم قاضى بنى زروال، ثم قاضى فشتالة ثم قاضى بنى جرفط، ثم قاضى شفشاون، ثم قاضى رهونة، ثم قاضى العرائش وغيرهم من قضاة قبائل الهبط.

وعقب ذلك وثيقة مسجلة على القاضى المذكور أيضا تتضمن التعديل من عدول سبعة موضوعة أشكالهم عقبها لأربعة من اللفيف الستة والثلاثين المذكورين قبل، معتمدين فى ذلك على معرفتهم، ومخالطتهم لهم حضرا وسفرا بتاريخ أواخر ربيع المذكور.

ثم بعد ذلك وضع اثنا عشر من القضاة المذكورين خطوطهم وأشكالهم بأداء عدول التزكية عندهم واستقلال شهادتهم لديهم.

وعقبه شهادة عدول ثمانية بمثل ما شهد به اللفيف المذكور من الإراثات، وبعد تسجيل ذلك على قاضى القصر وضع القضاة الاثنا عشر المذكورون خطوطهم وأشكالهم أيضا بأداء الشاهدين بالمثل المذكور عندهم وباستقلال ذلك لديهم.

وعقب ذلك رسم آخر يتضمن الإشهاد على الأرقام المذكورين بالإقرار بالملك لملاكهم المذكورين عن طوع ورضا.

ثم بعد ذلك وثيقة مسجلة على القاضى المذكور تتضمن شراء نائب السلطان جميع الأرقاء المذكورين من ملاكهم بعشر أواقى لكل فرد منهم، وحيازة البائعين من النائب المذكور جميع الثمن عيانا، وخلوص ملكهم للجناب العالى بسبب ذلك فى التاريخ المذكور أولا.

وعقب ذلك أشكال العدول الشاهدين بذلك وهم نحو خمسة وعشرين.

وعقبه وضع ستة من القضاة المذكورين قبل خطوطهم وأشكالهم بأداء عدول الشراء المذكور عندهم وإعلامهم باستقلاله.

وعلى هذا السنن جرت المسطرة فى سائر الدفتر المذكور وهو غاية فى الاحتياط لما فيه من الزيادات العديدة على ما يكتفى به فى الثبوت الشرعى حسبما يعرفه كل ذى خبرة بالمسطرة اللازمة فى ذلك، ومدار الشرع على إعمال اللازم فى الظواهر، وإلى الله تعالى توكل السرائر.

ومن البديهى أن القائم بحياطة الدين، لا غنى له عن الاستظهار بمقتضى المصالح العامة والاستعانة بالحاجيات والاكتفاء بذلك كله بمقتضى ظواهر الشرع، وإن جاء على خلاف نظر بعض الخاصة الذين لم يطوقوا بحماية البيضة ولا حملوا عموم الذب عن الملة والأمة، وإنما نظرهم فى خويصة أنفسهم، وفى التورع لحياطتها بالخصوص، وشتان ما بين النظرين، كما أن المطوق بالنظر العام فى



ترجمة من تراجم كناش العبيد الإسماعيليين مسجلة

أسماء الشهود للملاك للعبيد

مصالح الأمة ليس فى طوقه أن يلى مباشرة جميع الشئون المطوق بها بنفسه، بل لابد له من أن ينيب عنه مباشرين فيما لا تمكنه مباشرته، وعلى العامل بعد ذلك بتقوى الله، وهذا هو المهيع المسلوك فى النهضة الإسماعيلية بجمع العبيد، فإنه جدد الله عليه الرحمات بذل المجهود فيها وما ترك شيئًا يقتضيه ظاهر الشرع فيها إلا وقد وقف عند حده، بل كاد أن يتجاوز الحد المطلوب فى زيادة التوثيق كما قد رأيت، وليت شعرى بعد هذا ماذا يقال، وهل بعد الحق إلا الضلال.

ولهذا ومثله حذر المحققون من الاعتماد على جهة المؤرخين فى كل ما نقلوا، وأن لا يعتمد منهم إلا على من عرفت ثقته وأمانته، وعلت فى الصدق درجته ومكانته، وكلام القاضى أبى الفضل عياض فى الشفا شهيد صدق على ذلك وليس هذا بأول حديث إفك منهم، فقد قصوا فى الجانب العظيم ما يجب أن لا يلتفت إلى ذكره فكن ممن يعرف الرجال بالحق ولا تعرف الحق بالرجال.

وقد صح عن هذا الإمام أنه جمع جميع عبيده ووضع بينهم صحيح الإمام البخارى، وقال لهم إنى وإياكم أرقاء لما تضمنه هذا الكتاب الجامع لأقوال من لا ينطق على الهوى وأفعاله، وسائر أحواله، من الأوامر والنواهى، هكذا هكذا وإلا فلا لا.

ولعلنا ما أوتينا إلا من قبل مسارعتنا للطعن على حماتنا ومن ذهبت دولته من ولاة أمرنا بغير حق، فليقصر العاقل وليَرْعَوِ عما ليس له لإدراك الكنه فيه يدان، وليحسن الظن بمن سلف من أكابر الأئمة وليجعل الدعاء بالمغفرة والرحمة لهم عوض تلطخه وتفكهه بما يزينه الشيطان له من المساوى وإلصاقها بجانبهم والله المرشد بمنه.

مؤلفاته: منها زهر البستان فى أخوال مولانا زيدان، وهو كتاب كثير الجدوى فى بابه، وزيدان هذا هو سيدنا الجد الأعلى نجل مولانا الجد الأعظم، السلطان الأفخم، مولانا إسماعيل برد الله ثرى الجميع، وأخواله هم سفيان القبيلة العربية

الشـهيـرة بالغـرب، وهـم بطن من بطون اثبج بن ربيـعـة بن نهـيك بن عامـر بن صعصعة.

نشـره: من ذلك قوله: عنصـر العز والمجـد، ومنبع البـخت والسعـد، من حصلت الدلالة علـى قدره بوسمـه، وعلى قدره المسمى كـاسمه، الصـدر التقى الزكى، ذو القدر العلى، والفخر الواضح الجلى، جامع أشتات المحاسن بلا مَيْن، الشـيخ على بن حسـين، مـا شئت من العـقل الكامل الراسخ، والذهن الثـاقب الشـامخ، وما دل على طهـارة الأصل وعلو المقـدار، من الحلم والتـؤدة والسكينة والوقار، الذى ادخـر الله تعالى لـه من فضله وجزيـل نواله ما كمل لـه به شرف الدين والدنيا، وأحله غير مشـارك ما أحله من الدرجات العليا، من إنجاب الوصل بينه وبين مولانا الإمام، الملك الهمام، فخـر السلاطين، وشمس الخلفاء أبناء سيد المرسلين، ظل الله فـى الأرض وناشر ألوية العـدل بهـا بالطول والعـرض، أميـر المؤمنين وناصر الدين، المجاهد فى سبيل رب العالمين، ذى الشرف الأثيل، والفخر الأصيل، أبى النصـر والفداء مولانا إسـماعيل، أدام الله تعـالى نصره، وخلد فى الصالحات مجده الأعلى وذكره.

وفاته: توفى فى دولة المولى أحمد الذهبى عـام تسعة وثلاثين ومائة وألف، اضطره العبيد على صلبه فصلب ومات شهيدا رحمه الله.

٢٤٩ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن يوسف الفاسى.

حاله: عـالم علامة، دراكـة مشارك، حـافظ ضابط متـقن، خطيب بليغ، فصيح بارع، مـاهر باهر، له عارضة اللسان فى التدريس والخطابة، كـثير الحفظ، ولى قـضاء فـاس الجديـد أولا، ثم ولى الإمامـة بمسـجد مـولانا إدريس بزرهون وخطبـته، ثم ولى بعـد ذلك الخطبة بالـسلطان مولانا إسـماعـيل، وخطب بولده السلطان مـولاى عبـد الله، وولى التدريس بمسـجد قـصبـة دار الإمارة بالحـضرة المكناسية.

مشيخته: أخذ عن جلة شيوخ فاس كالشيخ سيدى محمد القسمطينى، والشيخ أبى عبد الله المسناوى وغيرهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه كثير من أعيان طلبة فاس وغيرهم.

وفاته: توفى فى جمادى الأولى عام اثنين وخمسين ومائة وألف.

٢٥٠ - محمد أبو عبد الله المكناسى الأصل الفاسى الدار رالإقبار.

حاله: علامة محصل، مصيب فى مضمار السبقية مفصل، محرر العلوم ومفيدها، ومجدد شبيبة الفضائل ومعيدها، أحرز قصبة السبق فى مضمار التحقيق، وشيد مناره فكان على أصل وثيق، جمع إلى غزارة العلم فصاحة اللسان، وإلى ثبات الجأش وتوقد الذهن براعة البيان، فكان مجلسه لأرباب المحابر نزهة الأفكار، وصيقل القلوب ومنظر الاعتبار، آية الله فى خلقه العجيب، ونعمة كبرى على بعيد الناس والقريب، وضع له القبول فى الأرض، طولها والعرض، فكان الخاصة والعامة فيه محبون، وبيراعته ومحاسنه يلهجون.

ختم بجامع القرويين مختصر الشيخ خليل أوائل العشرة الثامنة من المائة الفارطة، ثم رحل لأداء فريضة الحج، وهو يعطر برياه كل فج، فاتفقت له هنالك نكبة، أعانت عليه ليالى الغربة، وذلك أن صهرا له سرق لكبير القفلة التى اتفق لهما السفر معها حساما مرصعا بياقوت وجوهر، فكان وصفه يستغرب إذ يذكر، وحين ألجأ الحال، إلى البحث عنه بسائر خيام الحاج، ومنها منزل صاحب الترجمة ألفى تحت وسادته دسه هنالك ذلك الصهر الخبيث، ظنا منه أن محل الفقيه المترجم ينزه عن التفتيش لجلالته وعظم مكانته فى القلوب، وعدم تطرق التهمة فيه، ولما وقع العثور على الحسام بمحله اغتاظ غيظا شديدا، وتألم ألما مزيدا، ومن ذلك الوقت تردى رداء السقم، ولم يزل عليلا بتلك الغصة حليف العنا، ملازم الضنا، إلى أن قضى نحبه بعد قضاء نسكه رحمه الله وبرد ثراه.

٢٥١ - محمد أبو عبد الله بن أحمد[١] بن الحسن بن أحمد بن محمد اليحمدي.

قال أبو الحسن على بن مصباح الزرويلى: هكذا كنت أراه بخطه أعزه الله فى مكاتباته ورسائله، لا يزيد على ذلك. واليحمدى نسبة إلى بنى يحمد القبيلة المعروفة قرب جبال غمارة.

حاله: علامة فاضل نحرير، جهبذ نقاد، لوذعى أديب أريب، كامل مهذب، عارف خبير بصير، مستحضر محاضر بحر زخار فى فنون العربية والإنشاء، نشأ ببلده بنى يحمد - بفتح الميم - فى حجر الصيانة والعفاف، ولما شب ارتحل لفاس بقصد طلب العلم فأقام به مدة وكان ذكيًا نبيلا عاقلا، نزيها طاهر الشيم، حليته الوقار، ومئزره العفة والفخار، عالى الهمة مجتهد، فى اقتناء المعانى وتأثيل المحامد، مبتعد عن السفاسف وكل ما يشين، له ولوع زائد بعلوم الأدب وكل ما يؤدى إلى مكارم الشيم، ولم يزل حميد السيرة محمود السريرة، حتى امتد ذكره وطار فى الآفاق صيته، وأقر الخاص والعام بتفوقه وفضله.

ولما اتصل خبره بسيدنا الجد الأكبر السلطان المولى إسماعيل أدناه لحضرته، وأجلسه على منصة وزارته، واصطفاه لمحاضرته وسمره، وجعله مستودع سره ومحل مشورته، وذلك سنة نيف وتسعين وألف، وصار يسميه باسم جده الأعلى أحمد حتى غلب عليه، وصار لا يعرف إلا به، وخصه بأنعم لم يشاركه فيها سواه وعظمه وبجل، ونوه بقدره، وقصر المفاوضة فى المهمات عليه، وجعل بيده أزمة

---

(١) فى هامش المطبوع: «توفى أحمد والد المترجم صبيحة الثلاثاء الحادى والعشرين من رجب عام اثنين وثلاثين ومائة وألف شهيدا بالبطن تاليا كتاب الله عز وجل صحيح الذهن والعقل ودفن بزاوية الولى الصالح أبى عثمان سعيد بن أبى بكر المَشَنْزَائى وحضر جنازته الخاصة والعامة وكذا بكناشة ولده المترجم. انتهى مؤلف.

الحل والعقـد، حتى إنه لما عقـد لوالده المولى المأمون على مـراكش ألزمه الذهاب للمترجم لأخـذ صك التقليد منه، وأمره بسمـاع وصيته والعمل بها رغـما عليه، والحال أنه يعلم أن ولده المذكـور يكره المترجم أشد الكراهة ولم يسمع مـنه وشايته فيه.

وقلده مفاتيح الخزانة المولوية التى حـوت من التصانيف، وجمعت من أنواع الدفاتر وأسماء التآليف، ما لم تحوه خزانة بغداد، ولا علق بحفظ الدانى الأستاذ، وجعله الأمـين عليهـا، بعد أن مدت أعناق شـتى إليها، فنـسخ أهم ما فيـها فى صحـيفة صـدره، وارتسمت علومهـا فى مرآة فكره، فأصـبح بحر علم لا يدرك قعـره، ولا ينفد ولو كـثر السائلـون دره، قد تضلع فى كل فن بما بهـر الألباب، وترك جمـيع الكتاب وراء البـاب، لاسيمـا فى علوم الآداب، فإنه فـيهـا العجب العجاب، له اليـد الطولى فى معرفة أيام العرب وأشعـارها، وآثارها وأخبارها، لا يعزب عنه مثقال حبة من خردل من أمثالها، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا وهو خبير بتفصيلها وإجمالها.

وكان فى جيد الدولة الإسـماعيلية أفخر قـلادة، وأفخم مأوى لأهل الفضل والسيـادة، برعت فى فن البلاغـة أقلامه، وتقـدمت فى ميـادين البراعة أقـدامه، وطابت فى عرش المعانى البديعية ثمرته، وخـفقت فى آفاق البيان أجنحته، لو رآه قدامة، لقدمه قدامه، ولو نظر إليه النضر بن شميل، لرآه أبعد عنه من السما وأعز عليه من سهيل، ولو أدركه محمد بن يزيد، لكان له كالتلميذ والمريد، يحمده عبد الحميد، ويـعتمد عليه العمـاد وابن العميد، ولو بدا لشاعر بنى حـمدان، أو لبدع همذان، لعـداه بالخنصر من حسنات الزمـان، وفرسان البـلاغة والبيـان، ولو فتح عينيـه فى الفتح بن خاقـان، لطار لبه من شدة الخـفقان، له الأقـلام التى تخضع لكلماتها قامات الرماح، وتذوب منها فى أجفانها القواضب الصحاح، استخدمت

الأقاليم ورجـالها، وهابت فحـول الكلام نضالها ونزالهـا، فمزنها كل يوم فـسام الأوداء، وسم الأعداء هامى، حتى كأنه المعنى بقول التهامى:

وإذا رأس فـى الأنـامـل منـه قلمـا واسـتـمـد سـاء وسـرا

قلمـا دبر الأقـاليم حـتى قـال فـيـه أهل التناسخ أمـرا

يتبـع الرمح أمـره أن عـشريـ ـن ذراعـا بالرأى يخـدمن شـبـرا

وبالجملة فـترجمـة الرجل طويلة الذيل، بعيـدة النيل، أفردها عـصريه أبو الحسن على بن أحمد بن قاسم مصبـاح الزرويلى بالتأليف فى مجلد ضخم سماه: سنا المهـتدى، إلى مفـاخر الوزير ابن أبى العـباس اليـحمدى. ألفـه سنة خمـسة وعشرين ومائة وألف، حسبمـا أفصح بذلك عن نفسه فى مؤلفه المذكور، وهو من نفائس مكتبتنا الزيدانية ومفاخرها الثمينة.

مشيختـه: منهم أبو محمد القادر الفاسى، وأبو العبـاس أحمد بن حمدان، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسى ونظراؤهم.

الآخذون عنه: منهم مخدومـه السلطان الأكبر مولانا إسماعـيل، فقد صرح قدس الله روحه بذلك لولده المأمـون المذكور لما قال له فى وشايته به إن اليـحمدى يزعم أنه هو الذى عـلمك الدين، إذ قـال فى جـوابه: والله إنه لصـادق إن قـال ذلك، هو الذى علمنى دينى وعرفنى بربى. هـ.

وذلك أكبـر دليل وأعظم شاهد على إنصـاف هذا السلطان واعتـرافه بالحق وعدم ميله للنفس الأمارة.

مؤلفاته: منها كناشـته الحفيلة المحشوة بكل نادرة وغريبـة فى مجلدات عشر ضخام، موجودة بتمامها بمكتـبتنا، وقد وصف كناشته هذه بعض معاصريه بقوله:

ألف فيه نفائس تبهر العقول، واقتنص من جوها كل عنقاء من مستحسنات النقول، قال: وفيها أقول:

معان من الصنع البديع تصيدها ... بزاة عقول فى سماء من الفكر
تجول مجال الطير فى جو أفقها ... وتسبح كالحيتان فى لجة البحر
فمنها لطيف صيده نحلة ... ومنها قوى يخطف الصيد كصقر

وله عدة رسائل مختلفة الأوضاع، تشهد له بما منحه من غزارة الاطلاع، أورد منها عصريه مترجمه فى سنى المهتدى جملة وافرة تركنا جلبها هنا اختصارا.

ولادته: ولد على رأس الستين بعد الألف ببلده بنى يحمد حسبما صرح بذلك لعصريه مترجمه المذكور.

بعض ما قيل فيه من الأمداح

من ذلك قول أبى الحسن على مصباح المذكور مستشفعا عنده فى ابن أخ له وعلى لسانه، وذلك أنه كانت ابنة له تحت ابن أخيه فأحفظها يوما فلحقت بأبيها المترجم، فاشتدت ندامة الزوج على ما صنع، فلما أراد أن يهب إلى صاحب الترجمة فى شأن أهله هابه وخاف عقوبته، فكتب إليه هذه القصيدة وارتحل بها إليه، فلما قرأها سرى عنه وأرضاه، ورد عليه زوجه راضية مرضية:

مالى سوى ذا إليك سبيل ... والذل بين يد الكرام جميل
فاصفح فمنك الصفح يرجى وامحون ... حقدا جلاه حاسد وعذول
أولست طود الحلم والعفو الذى ... لو زال هذا الدهر ليس يزول
وإذا دعت همم العلا أبناءها ... فلانت جد جدودها وسليل
وإذا الطريق طريق كل مزية ... ضلت فأنت إلى الطريق دليل

وإذا الوزارة قلدت فرشادها الـ ـمتبوع أنت وغيرك التضليل
وإذا انتضيت العزم منك فإنه سيف بأيدى الفاتكين صقيل.
وإذا سخطت على الزمان بدا به وجل يهين خطوبه ويديل
وإذا السياسة فاخرت بسراتها فبأصغريك على الكبار تصول
وإذا السماحة ساجلتها أهلها غمرتهم من راحتيك سجول
فلو أصبحت كف الغمام بخيلة سقت البرية من يدك وبول
بالله ياغوث الطريد ويا أبا الـ ـعباس يا من جوده مأمول
هذا ابن صنوك وابن نعمتك الذى هو فى أداهم شكرها مكبول
فلقد نزلت وفى اعتقادى أنه ما إن يضام لدى الكرام نزيل
وأنا الذى لو لم تفيدنى اعتزا زاً خامل بين الورى مجهول
لو لم تحى غمامة زهر الربا لأتى عليه تصوح وذبول
ولقد ندمت ندامة الكسعى من فعلى الذى هو فلتة مفعول
وتأوهى وتولهى وتملقى وتواجدى شهدا على عدول
فامدد على من الرضاء سرادقا يجلو الهناء وصدى الفؤاد يزيل
وامنح بفائقة الثريا بعلها قد طال منه بها بكى وعويل
رضها إلى فإن روض مسرتى مذ شح وابل وصلها لمحيل
إنى وحقك تائب توبا نصو حا ليس ينسخ توبتى تنكيل
وأرى أقل حقوقها موتى إذا غضبت على وأمرها مقبول
ولكم علينا يا منى أملى جميـ ـل وافر متكامل وطويل

وقوله جوابا عن رسالة راسله بها المترجم مع صلة سنية وذلك قبل أن يقع بينهما تلاق جثماني:

يا من بدا في سواد العين إنسانا	فوق الثرى لم أرى سواك إنسانا
رمنا تطاول ذلك العلا بتشـ	ـييد قباب من الثنا فأعيانا
ما زلت ترقى مقامات الجلال إلى	أن فقت في المجد أعيانا فأعيانا
لو حاول الدهر حسبانا لما بلغت	علياك باد وما أطاق حسبانا
يا يحمدي قر عينا إذ ظفرت بما	أعييت به كف يعرب وقحطانا
أنت البليغ متى تحز شبا قلم	أنسيت قسا بما تنشي وسحبانا
فداؤك النفس إذ كاتبتنا فلقد	كسوت والله جسما كان عريانا
روت أناملك اللطاف إذ كتبت	قلبا لأسجاعها العذاب غرثانا
كنا رماما لأجداث الخمول فها	كتابك اليوم بعد الموت أحيانا
أحببتنا عن سماع دون سابقة	والأذن تعشق قبل العين أحيانا
فكم مساو سترت وهي بادية	وبالمحاسن كم شنفت آذانا
ولم تذر غير مشغوف بنامقة	ولم تدع من بسوء القول آذانا
كذلك الغيث لا يأتي على دمن	لم ترو في غابر الأزمان تهتانا
إلا وغادرها تزهو مقلدة	درا نفيسا وياقوتا وعقيانا
فها كها كاختلاس الوصل من رشاء	غراء راجحة معنى وميزانا
صنع امرئ ليس في التجنيس همته	إلا إذا دون ما قصد له جانا
لنا قواف لما نريد قافية	لم يعرف الناس إيطانا وأكفانا

وقوله معتذرا عن تأخير المكاتبة، وراجيا سد باب أليم ألم المعاتبة.

لا والذى زان الكواعب بالحور — وأجال فى وجناتها ماء الخفر

وأسال من كفيك أمطار الندى — ما عن قلى غيث الرسائل قد فتر

كلا ولا ملل هفا إعصاره — يوما فغار لحره ماء الفكر

لكن نزلت بموطن متبذل — لا مبتدا السفراء منه ولا خبر

فلكم طرقت مسار ركبان إلى — تلك الديار فما عثرت على بشر

ولكم صبا منكم أثارت صبوتى — فتلاطمت أمواج فكرى بالدرر

فنظمتها نظم الخريدة عقدها — وغدا لها ديوان شعرى مستقر

درر بها ديوان شعرى قد زها — وكذاك يزهو بين أنجمه القمر

ومتى ابتأست لنكبة أنشدتها — والدمع فوق محاجرى يحكى المطر

فأرى رفاق الحزن ظاعنة وأفـ — ـنان الغرام إليك رائقة الزهر

وحياة من ليست تبيد حياته — ومؤيد الدين المؤيد بالسور

ما مر ذكر (اليحمدى) بخاطرى — إلا ترقرق ماء عينى فانهمر

يا سيدا تعنو الوجوه لذكره — غيبا وتكبره العيون إذا ظهر

لا زلت فى برد الوزارة رافلا — محمودة منك الشمائل والسير

محفوفة بلطائف محفوظة — طول الزمان من الحوادث والغير

ما هام صب أو هما ودق وما — فازت يد الملهوف عندك بالظفر

وقوله:

بأى لسان أم بأى بنان — وأى خطاب أم بأى بيان

أترجم عن أعــجـوبة الدهــر مــاله إذا عـــــد أربــاب المكـارم ثانــى

فــتى أثقـلت ظهــر الزمــان هـبــاته وأصـــبح من خـدامــه الثـقـــلان

أمل على الدنــيـا من العـدل مـا به إلــى النــاس طـرا أنـصف المـلـوان

فلولاه لا أودى بـه الدهر مـــا نجت بنـات المعـــالـى من يد الحـــدثان

فـــذاك أبو عـــبـد الإلــه الذى أتى لدعـــوته الرفـــدان يبــتــدران

ومــــا لا لا الآفــــاق الاثـلاثة سنا اليـحـمـدى الوهاج والقـمـران

همـــام يخـــاف الدهر من سـطواته ويرمى بــرضـــوى رعـــبـــه وأبان

متى مـــا يعد ينجــزك إحســان وعده وينقـض من إيعـــاده الحـــسنان[1]

وزير به اسـتولى الأمـير على العـدا وعـــاش بخـفـضــى نعـمـة وأمــان

مــتى مــا يرم أمنيــة عـجـزت بهــا فـــوارس قـــيس مـــده بأمــــانى

وكم فى حـمــــاه من وزير وكــاتب ولكن بكف الـيـحـمـدى القلمــان

لكلـهـم من بأســـه مـــتـضــائل وهيـــبــتـــه قــرت بكـل جنان

بكفـيه بحـر الجـود والفتك بالعـدا فكم مـــرج البـحـريـن يلتـقـــيـان

وكم فى قضايا الديـن حكم فانتضى لهـــا صـــارمــا لم ينضـه الحـكمــان

---

(١) فى هامش المطبـوع: «المراد بها هنا جبـلان وعند أهل المدينة يطلقان على السبطين وعند أهل البصرة على الحسن البصـرى وابن سيرين، ولا يصح أحد الإطلاقين هنا. وقد ورد فى اللسان العربى أسماء كـثيرة بلفظ المثنى ألف فيها كثير من العلمـاء وجمع منها حمزة الأصبهانى فى آخر كتابه فى الأمثال جملة وافرة جدا وشرح أكثرها وأورد منها أبو الحسن على مصـباح الزرويلى فى كتابه سنا المهـتدى مائة وثمانيـة وعشرين كلمة وشـرح الخفى والمبهم منها. انتهى مؤلف.

وكم فى سماء الفقه جلى طوالعا يرى الحق من أضوائها الاخوان

وإن تبغ أخبار الزمان فإنه ابـ ـن بجدتها السباق يوم رهان

خليلى لا تعتب على متقاصر فما لى على إحصا علاك يدان

وإنى وإن كنت امرءاً ذا بلاغة وسحر البيان اليوم طوع لسانى

وكنت متى لاحت صوارم فكرتى أتيت بما ينسى صريع غوان

فإنى طورا تصطفينى يد الهوى فنجرى بميدان القريض بنانى

وطورا ترى ذاك الجلال رويتى فأمسك من فرط الحياء عنانى

وقوله:

من لصب مولع بالجفاء شف جسمى ولم يجد بشفائى

كلما خلت جمر شوق طفا زا د اصطلاء الجوى على الأحشاء

رست صيد العنقاء إذ رست سلوا نا وأخيب بصائد العنقاء

قلت للصحب ما الدواء فقالوا ما لأدواء من صبا من دواء

حظ كل بنى الصبابة تذرا ف الدموع ودائم البرحاء

هم أناس موتى جسوما وأحيا ء قلوبا سكرى بلا صهباء

حملوا الحب وهو أثقل من رضـ ـوى وهم فى نحرلهم كالهباء

فارتدوه زيا شريفا وزادوا فى التصابى بأنفس شماء

كم ظريف أودت به لحظات أوردته موارد الشهداء

فغدا فى أيدى الرواة حديثا بعد ما عاش فى عنى أو رواء

فتمثل بعروة ابن حزام إذ قضى النحب فى هوى عفراء

لفتاة كانت تضيء كبدر   مزقت عنه حلة الظلماء

أو كظبي نقي نقي المحيا   صدته غرة بصيد الظباء

يتثنى غصنا ويفتر عن د   ر يرنو بمقلة حوراء

فتجنى من بعد ما قد جنى طر   فى من ورد وجنتيه عنائى

ما بدا لى إلا وأوعدنى هجـ   ـرا كهجران واصل للراء

رث صبرى به وجسمى حتى   قد رثت لى فى حبه أعدائى

كم بوعد أومى فعاد وعيدا   خلق أهل الجمال خلف الوفاء

كم أمانى راقبت من طول آما   لى فمالت بها يد الرقباء

كم ليال قطعتها نابغيا   ت أناجى تنفس الصعداء

كم دموع أذريتها كغمام   أو يد (اليحمدى) يوم سخاء

كعبة المجد والعلا بحر جود   لم يكدر عبابه بالدلاء

سيد لم يزل يرود العلا حـ   ـتى ارتدى بالمآثر الغراء

طار فى كل بلدة صيته حـ   ـتى غدا فى اشتهاره ابن ذكاء

حسبه مفخرا ورفعة قدر   أنه اليوم سيد الرؤساء

أعلم الأدباء فى وقته بل   هو فى الوقت آدب العلماء

أحرز السبق فى الصناعة حتى   فاق أهل الإنشاد والإنشاء

فإذا ما احتذت أنامله الأقـ   ـلام أبدى أرق ما أنت رائى

ما رأى الناس مثله لا ولم يظـ   ـفر به المنذر ابن ماء السماء

أو علا الأفق ماجد بمزايا   ه مشى اليحمدى على الجوزاء

أبنى (يحـــمـد) له فـاشكـروا حيـ ـث حـصلـتم به على الكيـمـيـاء

قـد بـنت كـفـه لكم قـبـة المجـ ـد ولـم يبن مـثـلـهـا من بـناء

لم تقـوض ولا تـقـوض حـتى يرجع القـارظان[1] بعـد اخـتـفـاء

إنما (اليـحـمـدى) عـلى الناس طرا لسـعـيـد من جـملة الـسـعـداء

عـلم الـلـه أنـه لســداد الـ ـرأى حق لـصـحـبـة الخلفـاء

فـحـبـاه مـنهـا بمـا لم ينل قـد مـا نديمـا جـذيمـة من صـفـاء

يا وزيرا فـى عـصـمـة الوزرا لا ح لنا كـاليـتـيـمـة العـصـمـاء

بأبـى أنت دع لـســانى يـرد من حـوض أمـداحك الـشـهى الماء

مـا أريد استـقـصاء مـدح وهل ينـ ـزح بحـر مـخـضـم بالركـاء

أنا ظمـآن إن وردت حـيـاض الـ ـمدح فـيك استبعـدت منها ارتوائى

منـذ دهر والقـلـب صب وقـد اتـ ـعـبت بـينى وبينـكم سـفـرائى

فـقـدمنا عليكم كى نقـضى بعض مـا تقـتـضى حقـوق الإخـاء

واصـطنـعنـا من الـثنـا حلـلا تقـ ـصـر عنهن صـنعـة الخنسـاء

وشـيـهـا مـطـمع ويجـز مـن حـا وله من جـهـابـذ الشـعـراء

كل بـيت منهـا يـحث إلى القـلـ ـب غـرامـا كـالمقلـة النجـلاء

(١) فى هامش المطبوع: «تثنية قارظ والقارظ مـجتنى القرظ وهو نبت يدبغ به أو يصبغ. قال الجوهرى: هما رجلان خـرجا فى طلب القرظ فلم يرجعا فضـربت العرب بهما المثل فى الغيبة الطويلة وفى تمديد المدة بما لا ينقضى وكلاهما من عنزة قال ذو الرمة:

وأنت غريم لا إخال قضاءه ولا العنزى القارظ الدهر جائيا انتهى. مؤلف».

أنا شمس القريظ إن شئت أبدو ... كى يرانى الورى وأنت سمائى

وعلى الشكر الجميل لما أو ... ليتنى أنت أنت مذكى سنائى

هاكها سيدى ولا عيب فيها ... غير مدح يسلى عن العذراء

لست بالراهب المريب ولا الرا ... غب أثنى معرضا بالحياء

أنت كوالد الشفيق وحزم ... بالفتى أن يبر بالآباء

ذاك أبقى للود وهى لى الشيـ ... ـمة أقضى بحسن قضائى

وقوله:

بدت فأرتنا الصبح فى وجناتها ... وحيت بإيماء حذار وشاتها

وولت فكاد الترب يدمى بنانها ... إذا ما مشت تختال فى حبراتها

فتاة روينا من طلا الحب حين إذ ... روينا حديث السحر عن لحظاتها

بدت وقلوب صاحبات من الهوى ... فأصبحن سكرى من كئوس ظباتها

فما ظبية ترعى الخزامى بربوة ... تراع لخفق الريح فى أثلاتها

بأحسن منها يوم مرت عشية ... وقد قصر الإعياء من خطواتها

تضىء كبدر الأفق والزهر حوله ... إذا ما مشت تهتز بين لداتها

وعن كعبير المسك ضوع نشرها ... كريحانة أهدى الصبا نسماتها

وقد ملأت رحب الإزار بردفها ... كما ملأت عينى من عبراتها

ولاح لحانى فى الصبابة كلما ... رآنى طموح النفس نحو جهاتها

وقال اصح من خمر الصبابة ترشدن ... وما ظن أن الرشد عند سقاتها

وقال أتلهو والليالى مناكد ... فكن حذرا يا صاح من غمراتها

فقلت ومالى والليالى فإننى ... أمنت بجاه اليحمدى أزماتها

فلو ساورته لانثنت وصروفها ... مفللة والذل فوق قناتها

يداه يد يغنى عن السحب جودها ... وأخرى يخاف الدهر من فتكاتها

يزاحم فى نيل العلا وهو واحد ... وما سقط الأقوام مثل سراتها

كذلك أعلام المناسك جمة ... ولكن جماع الحج فى عرفاتها

وأن مصابيح السماء كثيرة ... وما الصبح إلا من طلوع مهاتها

به الدولة الغراء دام سكونها ... فلا قدر الرحمن من حركاتها

ولا زالت الآمال تعشو لضوئها ... ولا انقض نجم السعد من جنساتها

فدى لك نفسى أيها العلم الذى ... به اعتصمت من دهرها وعداتها

إليك تناهى كل مجد وسؤدد ... فدم فى المزايا واصعدن درجاتها

بنيت قباب المجد أركانها التقى ... ورصفت من غمر الندا شرفاتها

فلو جمرات العرب كن بواقيا ... لما كان إلا أنت من جمراتها

لك القلم العالى الذى ببيانه ... تكسر من سمر القنا شبواتها

وتفتض أبكار المعانى بحده ... إذا احتجبت من عزها عن كماتها

ومنه بأحشاء الأعادى رواعد ... قواتل لا ينجون من سطواتها

ودونكها غراء تغرى على الصبا ... وها السحر كل السحر فى لفظاتها

تشهيك فى ترجيع إنشادها متى ... بلغت بإنشاد إلى أخرياتها[1]

---

(١) فى هامش المطبوع: «للمؤلف بحث خاص بالوزير اليحمدى ألقاه محاضرة فى مؤتمر الثقافة العربية المنعقد بحاضرة تونس فى شعبان عام ١٣٥٠».

٢٥٢ - محمد حنوش[1].

المكناسى أصلا، الفاسى دارا، الحمدوشى طريقة، يلقب أبا شْكال لأنه كان برجله اليسرى خلخال من شعر مربوط ربطا وثيقا قرب ساقه.

حاله: كان ضيق الحال، الغالب عليه القبض، لا يدعى بدعوى ولا يسأل من الناس إلا ما يسد رمقه، شوهدت له كرامات، وخوارق عادات، أورده فى سلوك الطريق الوارية وذكر بعض كراماته وسرد عدة مما وقع له معه من ذلك، وكان ينتسب فى الطريق للشيخ على بن حمدوش، وكان مجذوبا غائبا متبركا به مسنا، وكان أولا جعل لنفسه حوشا من حجارة بشرقى جامع القرويين بالساباط الكائن هناك، فكان يبيت به ويجلس ويتخذ فحما يتدفأ به، ثم انتقل لباب القرويين المقابل سوق الشماعين، ثم انتقل إلى رأس الجنان بعيون أبى خرز، فكان يقيل ويبيت بها إلى أن توفى هناك.

مشيخته: أخذ عن أبى الحسن على بن حمدوش على ما للزبادى فى سلوك الطريق الوارية ولى فى هذا الأخذ وقفة لجذب الآخذ والمأخوذ عنه.

وفاته: توفى بفاس عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

٢٥٣ - محمد بن على العَفَّانِى[2] الزرهونى أبو عبد الله.

حاله: ظاهر البركات، كثير المكاشفات، صالح الأحوال، أحد الأفراد من الأولياء الأكابر، رطب اللسان على الدوام بالتلاوة والذكر، أدام النظر فى بدايته

---

٢٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٢٠.

(١) فى المطبوع: «خنسوس» والمثبت من إتحاف المطالع.

٢٥٣ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى الموسوعة ٣/١٠٨٨.

(٢) بعين مهملة ففاء مشددة فألف ونون بعدها ياء النسب، قيده صاحب لقط الفرائد وتحرف فى المطبوع إلى: «العمانى» بالميم بدل الفاء.

لامرأة شابة متزينة فقال: عين ترى محارم المسلمين إنما حقها العمى، فكف بصره من حينه.

وفاته: توفى فى القصر سنة خمس وألف على ما فى المرآة.

٢٥٤ - محمد البوعصامى:

حاله: فقيه علامة جليل، قال فى حقه عصريه الشريف العلمى صاحب الأنيس المطرب فى أنيسه ما لفظه: بليغ مصره، وإمام الأدباء فى مغربه وعصره، رحل إلى المشرق، وطلع عليه كالبدر المشرق، فحل منه الجيد وتوج المفرق، وأخذ عن الأئمة، أعلام هذه الأمة، وقصد المشيخة، وألقى لهم أذنه المصيخة، حتى أثقل بالعلم ردنيه، وقرط بالفوائد والفرائد أذنيه، وبهر فى علم النحو، وانتهى إليه الكتب والمحو، وعارض المناطة، بألسن إعجازه الناطقة، وخاض فى البديع بحرا، وصنع من البيان للعقول سحرا، ويسر من التفسير، كل عويص وعسير، وعرف أخبار الدول، وفعل الزمان بالأمم الأول، وأتى بكل خارق، وأنسى ذكر الموصلى ومخارق.

ثم رجع إلى المغرب، بكل معنى يطرب، ولفظ عن أغراضه يعرب، فأقر له الفضل بما أقر، وانتهى إلى فاس واستقر، فمكث بها دهرا، أفاض على عرصات الأذهان من علومه نهرا.

ثم انتقل إلى مكناسة، وحلها حلول الظبى كناسه، فتصدر للتدريس، وظهر ظهور ابن إدريس، ولقد فاق فى علم العربية، ونودى باسمه، فارتفع بالإفراد والعلمية، قال: حضرت معه يوما فى مجلس لبعض الأصحاب، والأفق بطرز ثوب الرياض برقم السحاب، وكان معى الصاحب الظريف، أبو العباس سيدى أحمد الشريف، فمد يده إلى العود، والعود بين انخفاض وصعود، والجو بين

بروق ورعود، فاستخبر العشـاق بتوشيته، ورفل فى حلل الغناء وأرديته، وعام فى خلجان الإتقان وأوديته، فقال يمدحه:

تبدى كبدر لاح فى غيهب الدجا غـزال رآه ابن الـنبـيـه فـحـارا
يجس بـأطراف الأنامل عــوده فـيأتى بـشىء ليس فيـه يجـارى

ثم أشار إلى أن عارض، ودع كل معارض، فقلت:

بدا كـهـلال الأفـق ليل وصـاله فـصـيـر ذاك الـيل منه نهــارا
وغنى بعـود وهـو سكران أعـين فـصير منه السـامـعـين سكارى

وقد أطال وأطاب فى ترجمته، فعلى مريد الزيادة الوقوف عليها.

(شعره) من ذلك قوله:

سـحت بدمع كالعـقيق مـحاجـرى شـوقـا لطيـبة والـعقـيق وحـاجـر
تلك المعــاهد حـيث أظهــر دينه رب البـــريـة للرســـول الظـاهر
سـر الوجود مـحـمـد خيـر الورى والمنـتــــقى من كـل أصل طـاهر
من قـــد تجلت طـيــبـة الـزهرا به وزهت فــفـــاقـت كل روض زاهر
وسمت على الفردوس حقا واكتست حلـل السنا مـن شــأنـه المتــواتر
وتواضـــعت لمعـالـم الهـادى بهــا آفــاق كـــالـفلك المحــيط الدائر
أين اجـتــلاء وجـوهـهــا وبدورها من آله والصـــحب ذخـر الـذاخـر
زهر المناظـر طيـبـو الأخــلاق من فـخـروا به فى الناس أى مـفـاخـر

إلى أن قال:

عامل بفـضلك عبـدك الجانى وحط من كـل خطب مـــدلـهم داعـــر

وامنن علينا منة تمحو بها أسطار إثم فاحش متكاثر

واسمح وجد وارحم وعجل بالهنا وادفع بيسرك كل عسر ضائر

واجبر صدوعا برحت ما إن لها مولاى غيرك يرتجى من جابر

واختم بحسن الختم واحشرنا مع الهادى محمد الرسول الحاشر

صلى عليه الله ما حل الحيا جدبا وأينع كل روض زاهر

والآل والصحب الأفاضل ما انتهى زهو بخير مثل عقبى الصابر

وقوله متغزلا:

بى شادن مهما سرى فى غيهب وأرخى الحنادس أفضح الأقمارا

أمسى يجس العود جسا محكما فزرى بزرياب وأنسى الدارا

ومن العجائب والغرائب شاذن يأوى القفار يحرك الأوتارا

٢٥٥ - محمد بن عبد الله بن مصالة الفازازى المعروف بابن عبود المكناسى.

حاله: فقيه نحوى مفسر لغوى، تعرض لذكره السيوطى فى بغية الوعاة وأسند حديثه فى طبقاته الكبرى، ونقل عن أبى حيان فى النضار أن قبيلهم يسمون عبد الله: عبودا، ومحمدا: حمودا، وأنه من مكناسة الزيتون.

مشيخته: روى عن أبى إسحاق الكمال، وأبى جعفر بن فرتون الحافظين.

الآخذون عنه: أخذ عنه إجازة أبو الحسين بن عبد الله الغرناطى.

٢٥٦ - محمد بن الطيب بن عبد القادر بن الحاج حم سكيرج.

---

٢٥٥ - من مصادر ترجمته: بغية الوعاة ١/١٣٦، صلة الصلة لابن الزبير ٣/٢٦.

٢٥٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/٢٤١٨.

حاله: كان فقيها أديبًا علامة مشاركا متقنا، أكتب كُتّاب زمانه وأبرعهم فى النظم والنثر، من رؤساء كتاب السلطان الأعظم، علم الأعلام سيدى محمد بن عبد الله، قال فى حقه بلديه معاصره العلامة الأصيل الأديب الجليل، سيدى سليمان الحوات حسبما وقفت عليه فى كناشة له ومن خطه نقلت ما نصه:

كتب صاحبنا العلامة الدراكة الأديب الجامع لأشتات العلوم قديمها وحديثها، سلطان الكتبة فى ديوان الأمير ملك البحرين أبو عبد الله سيدى الحاج محمد بن الطيب سكيرج حفظه الله إلخ.

ومن خطه أيضا بالكناشة المذكورة ما نصه: الحمد لله خرجت من فاس فى جملة من أشرافها لزيارة ولى الله إدريس الأكبر بزرهون، فنزلنا مكناسة الزيتون، على روض البلاغة المزهر الأحفل، الكاتب الأديب الأنبل، العالم الأكمل، أبى عبد الله سكيرج الفاسى وصل الله عنايته فألفيناه فى مجلس منادمته، مع خاصته من أحبته، على حالة أغرانى على وصفها باستطلاع مطلع أشرف منه على التخليص فقال:

لما أباح النوى راح الفراق وقد ... ركبت ظهر الفيافى منضيا تعبى
يممت ربعا به للحسن معترك ... وفيه روض لأهل الفضل والأدب

ثم قال أجز، فأجزت بقولى:

وكيف لا ودليل الحب أرشدنى ... والحب يرشد أحيانا إلى الأدب
فكان لى موقف على الحبور به ... فى مظهر الأنس بين اللهو والطرب
حيث محيا أبى زيد ورنته ... يستبعدان قريب الهم والوصب
ولابن زكرى جس فى مثالثه ... أعربن فى نغمة الحسين عن عجب

يجيبها بمثانى الصوت مبتسما	فى وجه عاشقه عن بارق الشنب
فى منتدى كعبة الجدوى سكيرجها	والعلم ينسل من نجواه عن حدب

فلما وصلت إلى هنا استعادنى إنشادها وهو مقبل على بمحل معه يهتز إعجابا وطربا، ثم تنحى دسته جملة وأجلسنى فيه منفردا بعدما كنت مشاركه فى جهة منه فقط، فلما استويت أنشدنى للصاحب بن عباد:

فلو كان من بعد النبيئين معجز	لكنت على صدق النبى دليلا

ثم اجتليت عن يسارى، بدر تلك الهالة أبى زيد المزدارى، وهو يقول كأن البرق يلمع علينا من أدبك، والشمس تطلع من غرة طربك، وكأنى المعنى عنده أنشدته مغالطا فقلت:

البرق يلمع لكن من ثناياك	والشمس تطلع لكن من محياكا
فاحكم بما شئت فينا غير مكترث	بقتل أنفسنا فالحسن ولاكا
والله يا عابد الرحمن ما نظرت	عينى بمكناسة الزيتون إلاكا
أودعت سر غرام بيته خلدى	لديك فاجعله لى ببيت نجواكا

فنشط للمدح وارتاح، وناولنى مترعات الأقداح، وبقى لا يلتفت إلا إلى، ولا يقبل بحديثه إلا على، غير أنى بين حياة وحين، من صوارمه المصلتة من جفون العين، والنفس تشتهى اقتطاف ورد الخدود، النابت حول غاب قسى الحواجب وأسل القدود، فكان ذلك ولله الحمد داعية العفاف، وآية على حمد عاقبته الانصراف، إذ من العصمة أن لا تجد، وان وجدت فاتئد، فمكثنا على ذلك أياما بين تناشد الأشعار، وتجاوب الأوتار، وكئوس حلال الشراب علينا تدور، من راحات حسان كالبدور، لم نستيقظ من سنة المسرة، إلا بعد أن مضت من الشهر عشرة:

نزلـنا عـلى أن المـقـــــام ثـلاثة فطاب لنا حـتى أقـمنا بهـا عشـرا

ورب المنزل المذكور، وعلم الإجلال المنـشور، حملته الأريحيــة على المبالغة فى الإكرام، بالتـردد علينا فى كل برهة بموائد الطعام، مـختلفـة الأجناس، تستلذ مضغهـا الأضراس، إلى أن انفصلنا كل فى وجهته سعـيد، وربك الفعال لما يريد، كاتبه سليمان لطف الله به بمنه آمين.

وقال فى حقه المقيـد المعتنى لسيد محمد بن عبـد السلام المعروف بالضعيف فى تاريخه لدى تعرضه لشـعراء الدولة المحمدية أعنى دولة سيدى محـمد بن عبد الله: الفقيه الأديب الماهر الشاعر، وقال قـبله بنحو الورقة: الأديب الفقيه الأريب العروضى، وعده أبو القـاسم الزيانى فى كتاب الدولة المحمدية أهل الطبقـة الثانية الذين نظموا فـى سلك الكتاب من أول نشأة الدولة المـذكورة، وحلاه فى بسـتانه الظريف بالكاتب البليغ الأديب.

وقال قريبه حبنا العلامة الأجل الناظم الناثر السـيد أحمد بن الحاج العياشى سكيرج قاضى ثغـر الجديدة فى الوقت الحاضر فى شرحـه لرجز المترجم فى علمى العروض والقـوافى ما نصــه: وممن ترجم له المؤرخ المتقن الضـابط الحجـة المتفنن سيدى الطالب بن الحاج كـما وجد بخط يده ونصه: القرم الهمـام، العلامة المبرز فى حلبة النثار والنظام، نادرة الزمان، فى التحـقيق والبيان، عماد الدولة، وعظيم الصولة، أبو عبد الله محمد بن الطيب سكيرج الأندلسى الفاسى. هـ.

وقد كـانت بينه وبين معـاصره أديب الزمـان، وفريد العـصر والأوان، أبى العبّاس أحمد بن الونان صاحب القافية الموسومة باسمه بالشمقمقية التى مطلعها:

مـهلا على رسلك حـادى الأينق ولا تكـلفـــــهـــــا بما لم تـطق

منافثة ومهاجاة قيل وهو أى المترجم المعنى فى قول ابن الونان المذكور:

فبشرن ذاك الحسود أنه يظفر من بحر الهجا بالغرق

مؤلفاته: منها رجزه الموسوم بالشافى، فى علمى العروض والقوافى، يقول فى فاتحته:

حمداً لمن بسط أبحر النعم ومن مديد طوله يؤتى الحكم
ثم على خير الورى صلاتى وآله وصحبه الهداة
والتابعين نهجهم على الدوام ما مدحه صيغ بنثر ونظام
وبعد فالشعر له ميزان به يلوح النقص والرجحان

وفى الختام قال:

لما انتهى سميته بالشافى فى علمى العروض والقوافى

وكان وضعه له فى ربيع الثانى من عام ستة وسبعين ومائة وألف وأخرجه. من مبيضته فى رمضان من السنة المذكورة كما بشرح هذا النظم لقريبه أخينا أبى العباس المذكور آنفا.

ومنها حواش على شرح سيدى محمد بن مرزوق المسمى بالمفاتيح المرزوقية، لحل الأقفال واستخراج خبايا الخزرجية، وغير ذلك.

شعره: من ذلك قوله يمدح السلطان الأعظم سيدى محمد بن عبد الله كما فى تاريخ الضعيف:

ولما رأيت البحر فى الجود آية ومن جوده الدر النفيس المقلد
سألته من فى الناس علمك الندى فقال أمير المؤمنين محمد

وسبب ذلك كما فى شرح ابن عاشور على البردة أنه اجتمع فى مجلس السلطان فأنشد بعض الحاضرين قول الشاعر:

سألت الندى هل أنت حر فقال لا | ولكننى عبد ليحيى بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة | توارثنى عن والد بعد والد

فقال السلطان إن ذلك لغاية فى بابه فقال ذلك البعض يعنى المترجم لو شئت لقلت أحسن منه وأنشد ما نصه:

ولما رأيت الجود فى البحر فاشيا | ومن جوده الدر النظيم المنضد
فقلت ومن فى الناس علمك الندى | فقال أمير المؤمنين محمد

فتعجب السلطان والحاضرون لارتجاله، وجودة مقاله، وأعطاه السلطان جائزة عظيمة.

وقوله كما فى منهل الورد الصافى يهجو عصريه أديب الزمان أبا العباس بن الونان:

ألا قل لغمر جاهل وحسود | غبى بليد الطبع حلف جحود
نافس فى العلياء حبرا مهذبا | له فى مقام المجد خير شهود
لعمرك قد أرقيت نفسك للعلا | بلا سلم إذ لم تبوء بفريد
وحاولت أمرا لست تعلم أنه | تمنع عن ذى منعة وعديد
فكم ظلت أسعى فى رشادك علنى | أراك حذورا على صرير وعيد
فهأنا ذا مستجمع الفكر راكبا | مطية فخر فى مقام شهود
تيقظ لقولى واستمع كل حجة | فإنك يا ابن القن بيت قصيد
وخذ من قرى الأبطال ما أنت طالب | فأنت على راصى الندى بشديد
ولا تأس إن أبصرت زلزال بارق | تقدمه نكباء ذات خلود

وأنك مـــا نبـــهـت منى نائـمـــا فللطعن فـاصبـر واعتـجز بضـمود

فأما اكـتساب المجد من عـهد يعرب فـمـــا هو عن أسـلافـنا ببـعـــيـد

وأمـا العـلا فاسـأل ترى فـضل آلنا فكم حـمـلوا للمـصطفـى من بنود

وأمـــا رعـايـات الذمـام فـــأنهـــا بأذيا لنـا نيطت بغـيـــر جـحـــود

وأمـا الندى فـــانظر بعـينـك حـينا فـإن عـيـون المرء خـيـر شـهـيـد

تخـــبـرك الأنام عنى حـــقـيـــقـة بأنـى فى لخـم أعـــــز ولـيــــــد

ذوى الحـسب الموفور والحلم والتـقى وكل فــــخــــار دائر وجـــــديد

إذا برزت يومـــا طلائع حـــزبهم ترى العـز يومى نـحـوها بسـجـود

تراهم لدى الهـيـجاء أسـدا فـواتكا وفى السلم سـبـاقـا لكل مـشـيـد

تهـابهم الأسـد القـواصم فى الوغى ويألفـــهم فى الـسلم كل ولـيـــد

ركـــابهم تجـــدى علـى كل حـــالة بحـرب وسلم مـن ندى وجـسـيـد

هذا ما وجدته من خطه وهى غير مكملة. هـ لفظ منهل الورود.

وقوله مادحا شرح سيدى محمد جسوس على المختصر:

يا صـاح إن شـئت التـنعم فى غـد والفـوز بالعـز الصـميم السـرمـدى

وأردت فـى الـداريـن إدراك المـنـى والمكـث فى عـيـش هنى أرغـــد

دع ما يشين العرض من طرق الردى واترك مـدى الدهر ادكـار المعـهـد

وانزل من الوغـــد الجـهـــول بمنزل واترك مـصـاحـبة الذمـيم الفـدفـد

ودع التـــشـــبث بالغـــرام وأهله ودع التـغــزل فى القـيـــان الخـرد

ودع التـوغـل فى الهـوى فطـريقـه صعب السلوك وشـوكه لم يخـضد

فالكل حمق لا يرى بسبيله إلا غبي بالهدى لم يعضد
واجنح فديتك للعلوم فإنها تهدى الفتى وتنور القلب الصدى
وهى السبيل إلى النجاة وإنها نهج الرِّضا للمقتدى والمهتدى
كم من جهول ذى غبى فى مهنة وحقارة بين الورى كالفرصد
إن عاش لم يسمع له ذكر ولم يرفع له أن صار بين الألحد
لم يكترث أحد به أبدا ولم يعبأ به من جهله كالفرقد
والعالمون ذوو النهى فى رفعة لا يهتدى إلا بهم كالفرقد

إلى أن قال:

شد الرحال لنيله واطلبه فى كل البلاد وكل فقر فدفد
واركب مطايا الحزم فى تحصيله واقن التوضع طول، عمرك تصعد
ولتلزم الإنصاف فيه ولا ترم سبل الجدال فذاك شأن العسقد

إلى أن قال:

وذا أردت بلاعنى تحصيله وأردت طول الدهر نيل المقصد
فعليك بالإفصاح والتصريح إن شئت إلى الوصول المقام الأسعد
تأليف شيخ شيوخنا بحر الندى جسوس ذى القدر العلى محمد
الفاضل البر الزكى المرتضى الكامل الصدر الذكى الأمجد

نثره: من ذلك ما كتب به من الحضرة المراكشية لابن أخته الشريف المهذب مولاى أحمد بن العربى العراقى بالحضرة الفاسية، ونصه بعد الحمدلة والصلاة كما بكناشة سيدى سليمان بن محمد الحوات ومن خطه نقلت: أجل من تحلى بأكرم

الأخلاق، وأكمل من شرفت منه الأوصاف والأعراق، الحال منى محل سويداء أماقى، أبو العباس أحمد بن العراقى، لازلت فى خفض عيش ناعم، ما دام ثغر الرياض عن عرف أزاهره باسم، وعليك منى تحية يفوق شذا النسرين طيبها، مستوفى من عبير العنبر نصيبها، مشفوعا ببركات يملأ الخافقين نورها، وتتوج محاسن الدهر سطورها، هذا وقد طار الفؤاد للقياك، وطمحت نار التشوق لاستطلاع محياك والاستمتاع برؤياك، إذ كنت منى محل الزند لساعد، وكيف لا وفيك الغنية عن الأقارب والأباعد، أبقاك الله محفوظ الجناب، متبعا سبيل من أناب، وجبر الصدع بالجمع، بين الأصل والفرع، إنه مجيب دعوة المنيب، وجامع شمل الغريب، وها نحن اليوم قد شغلنا عن كل المطالب، بكل ذاهب وآيب ومطلوب وطالب، فذات النحيين أفرغ منى ذهنا، والجوارح والحواس أصبحت لما سمعت وقاك الله رهنا، وفى حامله كفاية الخبر، عمن أبدل نومه بالسهر، مع مصاحبة أمراض، معشارها يشغل عن أضعف الأغراض، ولكن الطمع فى رحمة الله يحملنى على الرجا، وكيف يخيب من إلى أكرم الأكرمين التجا، وهو حسبى ووليي ومن توكل عليه سلم ونجا، فى سابع جمادى الأولى عام تسعين ومائة وألف محمد بن الطيب سكيرج لطف الله به.

وفاته: توفى بالوباء فى جمادى عام أربعة وتسعين ومائة وألف.

٢٥٧ - محمد البوعصامى المكناسى أصلا الفاسى داراً ومنشأ وقراراً.

حاله: فقير متجرد من صغره ساكت خامل، كان من أهل اللباس الحسن الفاخر، فأبدله له الشيخ العربى بن عبد الله معن الأندلسى بدربلة بقى يلبسها حتى مات، وفى ذلك أعظم دلالة على كسر سطوة سلطان النفس الأمارة وقهره إياها وتمكنه منها، وكان كثيرا ما يجلس بالقرويين وحده ولا يدعى بدعوى، قليل

---

٢٥٧ - من مصادر ترجمته: موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٢٢.

الكلام مع الناس، وكانت لوائح الخير ظاهرة عليه، ترجمه فى السلوة وسلوك الطريق الوارية.

مشيخته: أخذ عن الشيخ سيدى العربى بن عبد الله معن.

وفاته: توفى سنة خمس وتسعين ومائة وألف بفاس المحروسة.

٢٥٨ - محمد المدعو البهلول بن عبد الرحمن الفيلالى اليوعصامى الأصل المكناسى الدار والإقبار.

حاله: أديب ماهر، نحوى مدرس نفاع، شاعر مجيد كثير الجلوس بالمسجد. ذكره العلامة الأقعد الثبت المؤرخ النقاد السيد محمد الخياط بن إبراهيم أحد أعلام فاس فقال: اجتمعت به مرة واحدة فى بعض أسفارى لمكناسة الزيتون، وكان رحمه الله أعمى كثير الجلوس فى الجامع، وله أشعار حسنة، وقال فيه صاحب منحة الجبار، الشيخ النحرير، القائم على ألفية ابن مالك قيام الجد والتشمير، انتهى إليه حسن تقريرها مع المعرفة العجيبة فى عدة فنون.

شعره: من ذلك قوله فى رجل من أصحابه حلو الحديث عذب الألفاظ اسمه يحيى من أهل وادى درى:

يحيى ومن يحيى أحاديثه ... أحلى من الشهد لدى المخبر

وكيف لا تعذب ألفاظه ... وهو من وادى أبى سكر

ومراده بأبى سكر التمر الذى يقال له بوسكر وقوله:

أيدى الحوادث مزقت أعراضَنا ... فلذلك احتجنا إلى الخياط

ويعنى بالخياط الكاتب الوزير الخياط بن على بن منصور، وقد توفى هو وأخوه عبد الرحمن ذبيحين فى السجن بمكناسة الزيتون، ذبحهما الباشا الغازى

وأخرجا إلى حوز المقـابر وتركا طريحين والناس يعتبرون بالنظر إليـهما إلى العشى ودفنا، وذلك فى ضحى يـوم الأحد ثانى عشـر ربيع الثانى عام خـمسة وعـشرين ومائة وألف كما ذلك بخط العـلامة الثبت السيد محمـد الخياط بن إبراهيم، قال: وقد صادفنى الحال يومئذ هنالك فلم أر يوم سرور عند الناس مثل ذلك اليوم، ولم أجد أحدا يثنى على الخياط المذكور إلا شرا نعوذ بالله من تتابع الألسنة.

وقوله:

جـــادلى من هـــويتـــه بكتـــاب ... بعـــد أن كـان بالـكتـاب ضـنينا

ولقـــد طال مــــا انتـظرنا إليـــه ... يعـلم اللـه ذاك حـــتـى ضنيـنا

أنتم الســـؤل جـدتم أو بـخلتم ... لا نحب ســـــواكم مـــا بقــــينا

وقوله:

ترفع قـــوم بالقـضــــاء ومـا دروا ... بأن قـضـاة العـصـر عندى قـصـاة

فإن تلف منهم ذا عفاف عن الرشا ... يكن للرشـا منه الكحـيل التـفـات

فـإن تـسـألونا بالـقـضـاء فــإننا ... نحـاة وإن شـئـتم فـقـــولوا نجـاة

وقوله:

عـجبـا للزمـان يقـصى سـريا ... فـــاضـلا مـــاجـدا ويدنى دنيـــا

فلو أن الأيام تـفـقـــه شـيـــئـا ... لم تـكن آثـرت علـى عليـــــا

وقوله يخاطب ولدا له:

تأمل إذا رمـت الكلام فـــإن من ... تأمل من قـــبل التكلـم لا يخطى

ومما يزين الكتب حسن خطوطها ... فنفـسك جاهد فى التـعلم والخط

وقوله:

قل للمحاول رتبة ... من غير كد ذا محال
فاشر المعالى بالعنا ... فبذاك تكتسب المعال
وادرس لترأس يا فتى ... واحفظ ليحفظك الرجال
وذوى المعارف سلهم ... فالعلم يدرك بالسؤال
وعليك حال تأدب ... معهم فذاك خير حال
وجب البلاد فكم يرى ... من جال من حكم الرجال
واصحب من الناس الألى ... يودون محمود الخصال
وإذا تعذر هؤلاء ... فاختر سلامة الاعتزال
والخير اجمعه لدى ... تقوى المهيمن ذى الجلال
تمت نصيحة ناصح ... تحكى على الجيد اللآل

وقوله معاتبا بعض تلامذته:

أقمت بمكناسة برهة ... أعلم أبناءها ما الكلام
فلما توهمه بعضهم ... على به بخلوا والسلام

وقوله معزيا أبا العباس بن الشاذلى الدلائى فى أخيه سيدى محمد:

أبا العباس كان أخوك نجما ... ومن شأن الكواكب أن تغيبا
وكل أخ مفارقه أخوه ... فصبراً لست وحدك من أصيبا

ومن ذلك ما رأيته فى كناشة العلامة سيدى المهدى بن سودة وخطه نقلت:

نفس الكريم لدى العطا مرتاحة ... ويضيق نفسا لو يجود لئيم

والحـــر فى نيل المعـــالى همـــه — بســـوى المفـــاخـــر لا تراه يروم

فـخـر اللبـــيب بجـده لا جـده — فـالجـد عظم فـى التـراب رمـيم

أعظم بشـأن القـبر من إنـصافـه — سـيـــان فـيـه ذو غنـى وعـديم

اصبـر على حال افتقـارك يا فتى — فـــالحـــال منتـــقل ولـيس يدوم

والله يفـعل مـا يشـا فى خلقـه — فـالواجب التـفـويـض والتـسليم

هذا أخـو حـمق غـبى عـيشـه — رغـــد وهذا عـــاقل مـــحــروم

أطلق لسـانك بالـثناء على الذى — أسـدى إليك فـشـكره مـحـتـوم

وإذا ابتـغـيت بـلا مـذمـة أمـرا — فـالمبـتـغـى لك نزر أو مـعـدوم

وقوله وقد تخلف عن مجلس درسه يوم غيم:

أقـــراء الخـلاصـــة حـــال بينى — وبينـكم من الأوحـــال حـــائل

فـعـذرا فى التـــخلف يوم وبل — وذو الطبع الـكريم العـذر قـــابل

ولولا العـــذر مـا كـنا قـعـــدنا — عن إيضـاح المسـائـل للمـســائل

مـــحـــادثة الذكى ألـذ لى من — مـــحـــادثتـى لربات المغـــازل

وقوله سائلا أبا عبد الله محـمد المرابطى الدلائى عن إعراب ما يجرى على الألسنة من لفظ كائنا من كان:

يا إمـــام النجـــاة بالله أعـــرب — للمـــسائل[1] كـائنا مـن كـانا

واركبن للـجـــواب متن جـــواد — واصرفن نحوه- أعنت-[2] العنانا

---

(١) فى هامش المطبوع: «فى البيت المعاقبة وهى مما لا يجوز فى الصنـاعة كما ننبه عليه قريبا هـ. مؤلف».

(٢) فى هامش المطبوع: «المراد واصرفن العنان نحوه أعنت هـ مؤلف».

لا برحت إلى المعالى مضيفا ومعدا لما يدق البيانا

فأجابه بقوله:

يا إماما حوى المحاسن واقتا د المحامد وارتدى العرفانا
كائنا فى التركيب حال لما قبـ ـل ومن[1] خبر له قد بانا
وهو موصوف ذو التمام قد جـ ـلى الغموم مبينا تبيانا
كانتماء أبى على وناهيـ ـك به فارسا دهى الاقرانا
كان لا أرى علاء لمن يبـ ـغى على الناس كائنا من كانا
فابلونه وأعمل الفكر فيه تشهد الحق ساطعا برهانا
فلأنت الحبر الذى فاق نبلا وذكاء ورفعة وامتنانا

وقوله ملغزاً فى الواد من ودى يدى إذا أعطى الدية:

أيا من غاص فى بحر المعانى وكم من غامض أبدى وكامن
بواد قد مررت اليوم يجرى بلا ماء وما إن قلت مائن

وأجاب عنه صاحب المنحة بقوله:

فيا لبيك قد أسمعت حيا لغيرك خذ جوابه عن معاين
بواد من وداه يديه حقا أردت اللغز لا واد مباين

وقوله معاتبا أبا عثمان سعيد العميرى على عدم دعوته إياه لبعض الولائم:

يا مولما أو مؤلما إذ لم يكن منه الدعا لما دعى بالشامل

---

(١) فى هامش المطبوع: «فى البيت توالى سببين مزحوفين معا وهو مما لا يجوز، إذ يجب سلامة أحدهما لقول صاحب الخزرجية:

إذا السببان استجمعا لهما النجا أو الفرد حتما فالمعاقبة اسم ذا هـ مؤلف».

ما مقتضى التخصيص من دعواتكم وإخال موجب ذاك فقد الجادلى

عجب لأيام تهين أخا حجى وتحب إكرام الغبى الجاهل

هذى مداعبة أبا عثمان قد جادت بها لكم قريحة خامل

ما ضره عدم الظهور فقد يرى عمل على إضماره للعامل

خذها شذاها ضائع لكنها من بحر فضل وافر أو كامل

وعليكم أزكى سلام طيب ما قيل للعالى اعتبر بالنازل

إلى غير هذا مما يطول:

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله محمد العربى بن محمد البصرى صاحب منحة الجبار.

وفاته: توفى ليلة الخميس السابع عشر من ذى القعدة سنة ست وعشرين ومائة وألف، ودفن قرب ضريح أبى العباس أحمد الحارثى، وهو الآن بداخل قبته مكتوب على حائط قبره اسمه وتاريخ وفاته.

٢٥٩ - محمد بن عبد السلام البيجرى.

حاله: فقيه أديب، نزيه لبيب، نحرير مشارك خطيب بليغ مصقع، مدرس نفاع نقاد، مقتدر ماهر، متضلع مطلع، له مشاركة تامة فى المعقول والمنقول، تولى خطة القضاء بالحضرة المكناسية على عهد السلطان مولانا عبد الله بعد عزله لأبى القاسم العميرى، وذلك عام تسعة وأربعين ومائة وألف، ثم عزله وولى مكانه السيد عبد الوهاب بن الشيخ كما فى الدر المنتخب، وتولى الإمامة والخطبة بالقصبة السلطانية الإسماعيلية وقضاء الجماعة، وقفت على عدة من خطاباته والتسجيل عليه بتاريخ عام ثمانية وخمسين ومائة وألف.

وكان حسن السيرة، نقى السريرة، قال بعض الأعلام الأثبات تكلمت معه يعنى المترجم فى مسائل على سبيل البحث منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الأنفال: آية ٢٣] هل هذا قياس واحد، وظاهر نتيجته ولو علم الله فيهم خيرا لتولوا، إلخ. وهو فاسد أم قياسان؟ وكيف يستقيم تقدير الآية؟ فحاول الجواب ولم أسلمه له، ثم أخرج بعض التفاسير ووقفنا على تقدير الآية ولو علم الله فيهم خيرا لأسمعهم سماع قبول، ولو أسمعهم ولم يعلم فيهم خيرا لتولوا وهم معرضون، فاتضح المراد.

ومنها قوله تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [سورة يوسف: آية ٢٩] فإن قياسه من الخاطئات، فما وجه العدول عنه، فأجابنى بنص صاحب التخليص فى قوله: والتغليب يجرى فى فنون كثيرة كقوله تعالى: ﴿... وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ [سورة التحريم آية ١٢] فقلت له: وجه التغليب هنا ظاهر، فإن مريم رضى الله عنها لكثرة قنوتها شبهت بالرجال الموصوفين بالقنوت، ففيه مدح لا بخلافه فى هذه الآية الأخرى، فقال: إن زليخا هنا لما كان الخطأ يصدر منها قليلا أخرجها عن جنس النساء الموصوفات بوقوع الخطأ منهن كثيراً فإنهن ناقصات عقل ودين، وشبهها بالرجال الذين من وصفهم عدم صدور الخطأ الكثير منهم غالبا.

مؤلفاته: منها شرحه المرقص المطرب على السنوسية المسمى بفتح الرحمن، لأقفال أم البرهان، فى مجلد ضخم أبد أفيه وأعاد، وحرر وهذب، ونقح وأجاد، برهن فيه عما رزقه من طول الباع، وسعة الاطلاع.

شعره: من ذلك قوله يمدح الإمام الفاتح مولانا إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل:

تنبه فما شأن الذكى الفتى الحر ... تراخ وذو الحاجات قد جد فى السر

ولكن على ذى العقل إن كان حازما ... نهوض إلى إدراك ما رام من أمر

فإن كنت حيرانا ولم تلف هاديا ... فإنى سأهدى حائرا رغبة الأجر

تحقق بأن الله ليس لغيره ... كثير ولا نزر من النفع والضر

كن قارعا أبواب رحماه بالدعا ... تنل كل ما ترجو سريعا من الخير

وإن قيل أبواب الولاة تزحزحت ... لغلق فلا تيئس من الفتح والنصر

فباب رسول الله وهو طريقه ... بمغربنا مولاى إدريس ذو الفخر

إمام تعالت فى المعالى سماؤه ... وآياته كالشمس لاحت على القطر

به اشتهر الإسلام فى الغرب كله ... فأصبح محفوظ الجناب من الكفر

وعنه روى الأعلام وأحكام شرعنا ... بتفصيل إجمال، الإباحة والحظر

ومنه سرت فى العارفين سرائر ... فنالوا منا لا من خصوصية السر

وكم حاز من فضل وأحرز من على ... يجل عن الإحصاء والعد والحصر

إلى أن قال:

فقير أتى نحو الحمى وهو ينتمى ... إلى حب آل البيت فى السر والجهر

يرجى قبولاً منكم ولعل أن ... ينال الأمانى من مسالمة الدهر

فيسمو بإدراك العلوم وذوقها ... على كل نحرير تنبل فى العصر

فيا رب أنت الله يا منتهى الرجا ... قريب مجيب كل داع ومضطر

بخير البرايا المصطفى وبزوجه ... خديجة أنس الدين فرض لها شكرى

وبابنته الزهراء والفرقدين من ... سماء على ليث أسد بنى النضر

وبالحسن بن السبط ثم بنجله | أبى الفخر عبد الله سر سنا الفخر
بمولاى إدريس الزكى وبابنه | خليفته السامى المكانة والقدر
تقبل دعائى يا إلهى بجاههم | إليك وعجل بالإجابة عن فور
وعامل بإحسان لصحبى وجيرتى | وأهلى وأولادى وبالعفو والستر
وثبت على الحسنى فؤادى ومنطقى | لدى الختم واغفر ما جنيت من الوزر
وصل وسلم كل يوم وليلة | على الشافع المقبول فى موقف الحشر
وأول الرضا الآل الكرام وصحبه | ذوى البر ما فضت كمائم عن زهر
وما اخضرت الأرجا وأخصبت الربى | وصاح مغرد بمبتسم الفجر

وقوله:

أهدى إلى وردة | ظبى ثوى بقاعها[1]
كناسه مكناسة | يسكن فى بقاعها

مشيخته: أخذ عن والده أبى محمد عبد السلام، وأبى عبد الله محمد بن محمد المكارى الرباطى ومن فى طبقتهما من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده المترجم بعد وغيره.

٢٦٠ - محمد بن الحسن الملقب بالجنوى الشريف الحسنى العمرانى.

نزيل مكناس.

حاله: إمام نظار، علامة مفسر محدث، متكلم أصولى، نحوى بيانى، فقيه

---

(١) فى هامش المطبوع: «يشير إلى الحومة الشهيرة بمكناس بقاع وردة».

٢٦٠ - من مصادر ترجمته: تذكرة المحسنين فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٣٢.

محاضر مستحضر، متفنن نقاد، متبحر نحرير، متضلع ماهر، كامل المشاركة، كبير الإشراف على الفروع والأصول، والتبحر فى المنقول والمعقول، والعارضة الطويلة فى الاطلاع والحفظ والفهم الصائب والإتقان الوافر، مع المعرفة بالله والورع التام والاعتناء بالتقييد والمطالعة والإقبال على ما يقربه إلى الله زلفى.

نشأ بمدشر ارجن من قبيلة سمانة، وهنالك قرأ القرآن العظيم، ثم رحل فى طلب العلم بالقصر الكبير ثم بتازروت العلمية زاوية الشرفاء أولاد ابن ريسون، ثم لتطوان، ثم لفاس وجد واجتهد حتى حصل فى المعلومات الضافية غاية المراد.

شهد له بالإمامة فى سائر الفنون جلة أعلام وقته مشايخه وغيرهم، وحصل له ظهور وشفوف مكانة عند عظماء وقته، وخضعت له أعناق الرؤساء والمرءوسين، وتصدر للإفتاء والإفادة بمرأى من مشايخه ومسمع، بل ربما قدموه للجواب عما ورد عليهم من الأسئلة وما يعرض لهم من النوازل المهمة، والعويصات المدلهمة، فيجيب بما يثلج الصدور، ويذهب ضنا المصدور.

قال تلميذه سيدى محمد فتحا الرهونى: ولقد رأيت شيخه التاودى يسأل عن المسائل بحضرته فيكل الجواب إليه فيجيب على البديهة أحسن جواب، ولقد قدم الشيخ التاودى مرة تطوان وأنا بها فحضرت معه ليلة فى دار بعض شيوخنا ومعه شيخنا الجنوى ـ يعنى المترجم ـ وجماعة من الفقهاء فقال التاودى: سألنى بعض الناس وأنا راجع من المشرق عن آية كذا سماها إذ ذاك ونسيتها الآن فلم أدر ما أقول له فهل على بالكم شيء؟ فأجابه شيخنا الجنوى على البديهة بأن قال له: فيها ثلاثة أقوال للمفسرين المشهور منها كذا كما فى ابن جزى، فطلب التاودى ابن جزى فأحضر فى الحين فنظروه فوجدوا الأمر كما قال، وهكذا كان دأبه رضى الله عنه علمه معه أين ما كان.

وكان فى تدريسه لا يقتصر على شرح معين بل يطالع ما أمكنه من الشروح والحواشى ويراجع المسائل فى أصولها ويعارض بين النقول، ويبين المردود منها والمقبول، هكذا كان دأبه فى التفسير والحديث والكلام والفقه والأصول والنحو والبيان والمنطق والتصوف، موصوفا بالتحقيق والإتقان عند الخاص والعام، مرجوعا إليه فى المعضلات العظام، مقدما فى كل فن وخصوصا فى النوازل والأحكام، لا يكاد يخالف فتواه أحد من القضاة والحكام، مع مروءة تامة، ودين متين وخوف من الله عظيم، وورع جسيم، لا يخالف قوله فعله فى شدة ولا رخاء وكانت مجالسه كلها لا تخلو من مواعظ فلا يقوم الإنسان من بين يديه فى أى فن كان غالبا إلا وقد أخذت مواعظه منه مأخذا، ولا يختلف فى صلاحه ومعرفته اثنان من الصلحاء.

وقد سمعت العلامة قاضى الحضرة الإدريسية فى وقته أبا محمد سيدى عبد القادر بوخريص رحمه الله ورضى الله عنه وأرضاه يقول: وبلغنى عنه ممن سمعه من الثقات أنه كان يمثل للمبرز فى الصدر الأول بسيدنا عمر بن عبد العزيز، وبعد ذلك بأبى محمد صالح، ويمثل له اليوم بسيدى محمد بن الحسن الجنوى، وكلامه هذا موافق فى المعنى لقول سيدى جسوس فيه: وحيد زمانه، وفريد عصره وأوانه، علما وعملا ويأتى كلامه بتمامه.

وكان يخفى صلاحه كثيرا، ومما كاشفنا به مرة وهو ملازم بوزان وكانت الأسئلة والرسوم ترد عليه كثيرا وكنت أنا خديمه ومتولى أمره بإذنه أنه قال: قال لى أصحابنا الذين كانوا معنا إما أن تأخذ الأجرة من أرباب الرسوم، وإما أن تتركنا نتولى أمرها، وكان رضى الله عنه لا يأخذ على ذلك أجرا فقلت لهم: أنا لا آخذ من أحد شيئا، وإن أردتم أن تتولوا ذلك بأنفسكم فافعلوا ونحن فى مكاننا ليس معنا أحد ولم يطلع على ذلك إلا الله تعالى.

فلما اجتمعنا معه رضى الله عنه على الطعام قال لنا من غير تقدم كلام: إنى حين كنت ملازما هنا قبل هذا كان رجل يدخل لى الرسوم من عند الناس ويخرجها لهم، وكنت أحبه ظنًا منى أنه يفعل ذلك لوجه الله تعالى، حتى علمت بعد أنه كان يفعل ذلك ليأخذ منهم الدراهم فسقط من عينى رتركته، فخجل أصحابنا خجلا شديدا، وعلمنا أن ذلك مكاشفة لا شك فيها، وكان ذا سخاء عظيم مضيافا محبا للمساكين محسنا إليهم.

وكان فى أول أمره منقبضا عن السلطان جدا لا يرسل إليه ولا يراسله، إلى أن سأل مرة أمير المؤمنين، ناصر الملة والدين، ذو الشرف الأثيل، مولانا محمد بن أمير المؤمنين مولانا عبد الله بن أمير المؤمنين مولانا إسماعيل، التاودى عن فقهاء الوقت فذكره وأثنى عليه بين يديه ثناء كثيرا، فأرسل وراءه وهو إذ ذاك ملازم بوزان، فذهب مع بعض أعوانه هناك فلقيه بمكناسة الزيتون فأمره بسكناها بقصد التدريس بها فلم يجد من امتثال أمره المطاع بدا، فسكنها مدة ثم نقله إلى ثغر طنجة فأقام بها مدة ثم نقله إلى تطوان. هـ الغَرض من حاشية الرهونى.

قلت: انظر همم الملوك التى هى ملوك الهمم، واهتمامهم بالتنقير عن حملة الشريعة فى رعاياهم ليقدروهم قدرهم وينزلوهم محلهم، ويظهروا للخاص والعام فضلهم وشرفهم على من سواهم، وانتقاء جلتهم لبث العلم ونشره فى صدور الرجال كى يسود العلم فى رعاياهم، وتكسر راية الجهل فيهم، حيث إن العلم أصل أصيل للرقى والاستعمار والتقدم والنجاح المادى والأدبى الدنيوى والأخروى والعكس بالعكس:

وليس يصح فى الأذهان شىء ... إذا احتاج النهار إلى دليل

مشيخته: أخذ عن العلامة المشارك سيدى التهامى أبى الخارق الحسنى، سرد عليه شرح الكبرى، والعلامة القاضى سيدى المجذوب بن عبد الحميد الحسنى،

والمحقق الورع أبى العباس أحمد بن محمد الورزازى سمع عليه صحيحى البخارى ومسلم، فالأول سمعه كله إلا مواضع قليلة لعذر ورد، الشيخ يقرأ والمترجم يسمع، وأما الثانى وهو صحيح مسلم فسمعه كله عليه، المترجم يقرأ والشيخ يسمع، وقرأ عليه نحو ثلاثة أرباع من تفسير البيضاوى مع مطالعة غيره، وقرأ عليه الشمائل الترمذية، ومختصر خليل، وجمع الجوامع، والتلخيص إلا القليل منه، ومختصر السنوسى فى المنطق، وقرأ عليه شيئا من التسهيل كما ذلك بخط يد المترجم فى إجازته للحضيكى ومنه نقلت، وشيخ الجماعة سيدى محمد بن القاسم جسوس قرأ عليه كثيرا من المختصر الخليلى، وصحيحى البخارى ومسلم، والحكم العطائية وغير ذلك كما ذلك بخط يده فى الإجازة للحضيكى.

وأبى حفص عمر الفاسى قرأ عليه التلخيص بالمطول إلا مواضع قليلة، وصغرى السنوسى قراءة تحقيق، ونحو النصف من ابن السبكى قرءاة تحقيق أيضا والشيخ التاودى ابن سودة وغيرهم، وأجاز له عامة أبو محمد بن قاسم جسوس المذكور والشيخ محمد الحفنى: الأول يروى عن سيدى عبد القادر الفاسى المولود بمدينة القصر الكبير قصر كتامة زوال يوم الاثنين ثانى رمضان سنة سبع وألف المتوفى بفاس ظهر يوم الأربعاء تاسع رمضان سنة إحدى وتسعين وألف قرأ عليه ألفية ابن مالك وغير ذلك، وأبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة الصغير المتوفى ضحوة يوم الجمعة خامس عشر المحرم عام أربعة وأربعين ومائة وألف، وأبو محمد عبد السلام بن حمدون جسوس المتوفى مخنوقًا ليلة الخميس خامس عشر ربيع النبوى وقيل منتصف ربيع الثانى عام واحد وعشرين ومائة وألف، وأبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوى الدلائى المولود بزاويتهم الدلائية البكرية سنة اثنتين وسبعين وألف المتوفى بفاس سادس عشر شوال عام ستة وثلاثين ومائة ألف، وابن عبد السلام بنانى المتوفى ضحوة يوم الأربعاء سادس عشر قعدة الحرام سنة ثلاث

وستين ومائة وألف، وأبو عبد الله محمد فتحا بن عبد الرحمن بن زكرى المتوفى ليلة الأربعاء ثامن عشر صفر الخير عام أربعة وأربعين ومائة وألف وقيل توفى فى ثامن عشرى صفر من العام المذكور وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

والثانى عن الشهاب أحمد الخليفى المتوفى عصر يوم الأربعاء خامس عشر صفر سنة سبع وعشرين ومائة وألف ودفن من غده صباحا، والشهاب أحمد الملوى المتوفى منتصف ربيع الأول سنة إحدى وثمانين ومائة وألف، والجمال يوسف الملوى، والكمال عبد الرءوف البشيشى المتوفى فى منتصف رجب سنة ثلاث وأربعين ومائة وألف، والشيخ عيد الديوى، والشيخ عيد النمرسى، والشهاب أحمد بن البقى، واستدعاء المترجم الإجازة لمن ذكر مع نصوص إجازاتهم له مسطور فى ديباجة أوضح المسالك وأسهل المراقى لتلميذه أبى عبد الله محمد الرهونى.

الآخذون عنه: أخذ عنه الشيخ الرهونى، والعلامة الحائك صاحب النوازل، وبصرى صاحب الفهرسة الآتية ترجمته وغيرهم من الأعلام المشاهير.

مؤلفاته: كان شرع فى تقييد حاشية على ابن سلمون، ثم لما نقل إلى بلدتنا المكناسية شغل بالتصدى للتدريس عن إتمامها، وله تقاييد على حواشى كتبه من كتب التفسير وغيره، فلو خرجت طرره على الزرقانى والحطاب والمواق والشيخ مصطفى والشيخ بنانى لكانت حاشية عظيمة الجرم، وله طرر حسنة على الشيخ ميارة على التحفة قد أخرجها جماعة من حذاق تلامذته، وطرر على المرادى والتصريح وحاشيتى الشيخ يس عليه وعلى النظم لو أخرجت لكانت تأليفا حسنا مفيدا، وكذلك حواشيه على البيضاوى وعلى الجلالين، وكذا ما كتبه بحواشى المحلى على جمع الجوامع، وابن أبى شريف عليه وناهيك من أبحاثه وتحقيقاته ما ملأ به تلميذه الرهونى حاشيته العظمى نقلا عن خط المترجم.

ولادته: ولد في شهر رجب الأصب بمدشر ازجن المشار عام خمسة وثلاثين ومائة وألف.

وفاته: توفي بمراكش زوال يوم الاثنين ثالث عشر رمضان سنة مائتين وألف، ودفن عند الغروب بروضة مولاى إبراهيم الشريف العلمى من حومة القصور الشهيرة.

٢٦١ - محمد بن العلامة النظار محمد بن عبد السلام البيجرى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، فاضل كامل، من بيت علم ومجد وقضاء، أديب شهير، حسيب نسيب، أريحى مهذب، ناثر ناظم خبير، كان وحيد عصره نظما ونثرا، وظرفا ولطفا ونبلا وأدبا وخبرا، وقريحة سيالة، وأجوبة بديهية مسكتة، مع مروءة وحياء وحشمة وسمت حسن، ودين متين، تعرض لذكره ابن عثمان المترجم بعد في رحلته المشار لها، وأتى بما تعاطاه معه من رائق مدام الآداب والظرف نظما ونثرا.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد الغازى بن عبود وغيرهما من فحول الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه: أخذ عنه السيد محمد فتحا بن محمد بصرى الآتى الترجمة وصاحب الثبت المشار له فى ترجمة السيد التهامى أمغار وغيرها صغرى السنوسى، وتلخيص المفتاح، وألفية ابن مالك من النواسخ إلى الوقف، والخزرجية وغير ذلك، ووصفه بالعلامة الدراكة الفهامة سيدى محمد بن الإمام العلامة الهمام فريد عصره سيدى محمد بن شيخ أهل زمانه المنفرد فى عصره وأوانه، سيدى عبد السلام إلخ، وحلاه فى موضع آخر بالأديب الألمعى، الأحوذى اللوذعى، كما أخذ عنه غيره.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا خله ابن عـثمان عند أوبته من الديار الحجازية أنشأها حين بلغه نزوله بتونس آيبا:

تاق قلبـى فـمـا له اسـتـقـرار	منذ جـاءت من تونس أخـبـار
توقـان وأنس اجـتـمـع الضـ	ـدان عنـدى فـلم يـسـع إنكـار
باشـتـيـاق لمفـرد فى المـعـالى	تتـرامـى دأبا به الأسـفـار
والتـأنـس بالتـفكـر فى أو	صـافـه قـد تؤنـس الأفكار
قمـر المجد سار فى فـلك السعـ	ـد فـذاك السـيـار والدوار
وتحـرك ذا بـتـحـريك هذا	له فـى غـاية لـه اقـصـار
أترى يـسـمح الزمـان بقـرب	منـه مـتـصل وتدنـو الدار
فنـدال من الـنوى بـسـرور	فى مـنادمـة لـه أسـرار
مـثـل مـا قـيـض الإله له الألـ	ـطاف فـيـمـا جـرت به الأقـدار
نرتجى دومـه عـزيـزا كـريمـا	بالمنـى فى الهنا له اسـتـقـرار

وقوله:

يأ كـريمـا عـز وصـفـا	وعظـيـمـا جل إلفـا
أنت أولـى بالوفـا من	كل مـن بالعـهـد وفى
فاجـمع الشمل كمـا قد	فـهت اكـرم صاح ضيـفـا
إنمـا يـنـفـع إلـف	إلفـه فى ذاك عـرفـا
هكـذا المزحـة ظـنا	بل يـقـينا منـك يلـفى
إنك المرء احـتـمـالا	شـأنهـا عـندك خـفـا

فلتكن ساكن بال ... ذو النهى إن هم عفا

كيف لا والشيب عال ... رأسه والماء جفا

لكن الأليق حزم ... ومن المحذار خوفا

فاسترب من يتزكى ... واحذر المألوف إلفا

وقوله مجيبا إلفا له استدعاه:

السمع والطاعة منا لكم ... واجبة والأمر ممتثل

نأتى على الرأس لمجلسكم ... إن لم تسارع نحوه الأرجل

نثره: من ذلك قوله مراسلا خله المترجم بعد: المبرز فى العلا، المحرز للمعلى، محيى فصاحة الأوائل، ومعيى سحبان وائل، كرم الله طلعته، وحتم على الدهر طاعته، هذا وما عسيت أحلى، ولو حصلت لى ملكة المحلى، وأنت أعزك الله السفير بين الملوك، والوزير الذى هو فى عقد الوزارة فاخرة السلوك، فأنى يوصل إلى الأوج من فلك مجدك، ولا يقال للزوج إن له معنى من معانى فردك، بيد أنك حفظك الله كريم الأخلاق، وحضرتك العلية حضرة الإطلاق، فبساط أنسك لاشك أنه أرفع، لكن انبساطك فيه أوسع للنفس وأنفع، وهو وإن كان به الفرش المرفوعة، والأكواب الموضوعة، وألوان الطعام، مما طار كما قيل وعام، أو من غيرهما كذلك المشرب بالطيب، المشبه بقلنسوة الخطيب، فخطابك البليغ أفضل من ذلك كله وأجمل، ومنزعك اللطيف أوصل للنفوس بها وأحل، لأن ذوق معانى الكلام، ألذ من ذوق ما فى الإناء من الطعام، ومما هزنى من ذلك الكلام، ولزنى فى المداعبة معك كما لز الألف مع اللام، ما أودعته فى رسالة الاستدعاء، من قولك والساق مشمر عن ساق، فإنه ذكرنى قول بعض المقاول:

لم أنس يوما ما قام يكشف عامدا   عن ساقه كاللؤلو البراق

لا تعجب إن قامت لذاك قيامتى   إن القيامة يوم كشف الساق

وإنى لما حضرت ذلك المجلس الأبهر، وأظهر فيه الساقى من شمائله ما أظهر، إنما تاه فكرى فى لطف مناولته، ووصف مطالعته لرضاك ومحاولته، فغبت بذلك عن ملاحظة الساق المشمر عنه، بل وعن الساعد الذى كان أقرب إلى منه، نعم أتهم لك نفسى بنظرة أولى لمحياه، وكان القلب بها حياه، لكن قلت فى الحين على الشذوذ إياى وإياه، فلعل السيد لنفسه هياه، والنظرة الأولى كما علمت معفو عنها، وإذا سمح قدرك العالى بالمداعبة معنا فهذا منها، والسلام.

وقوله مجيبا صديقه الحميم المذكور، عن رسالة تزرى بقلائد النحور: سيدى أدام الله لك السعادة، ولا قطع عنك من الإنعام ومديد الإكرام كما لم تقطع عادة، ان هذه النفوس كما جاء تصدى كما يصدى الحديد فتتأكد لذلك صقالتها التى هى لنورها كالتجديد، وأن مما اتفق عليه رؤساء الحكما، وأطبق عليه نجباء العلما، أنه لابد لها من رياضة، إذ التدريج حكمة هذا العالم وإن كانت القدرة فياضة، وصاحب القصر يهوى قبابه، وتارة رياضه، ويستحسن من أزهاره المختلفة ما خالطت حمرته بياضه.

ولذا قيل:

لا يصلح النفس إذ كانت مدبرة   إلا التنقل من حال إلى حال

وكما قيل أيضا:

تنقل فلذات الهوى فى التنقل   ورد كل صاف لا تقف حول منهل

وفى المعنى:

أفد طبعك المكدود بالجد ساعة   يريح وعلله بشىء من المزح

البيتين. . وقد علمت أعزك الله أن اللذة انبساط باختلاس، وأكل اللذات استنباط حكم همم الجلاس، لأن همة المرء ميزان عقله، وبرهان فضله، وأكثر ما تظهر فى قوله، المرء مخبوء تحت لسانه، وقد كان من تقدم من الكبراء والأمراء والوزراء يستعلمون جل أوقاتهم فى هذا المعنى، يولعون به ويعنون أجل بذلك يولع وبه يعنى، إلخ.

وفاته: توفى فجأة فى ثامن عشر رجب عام خمسة ومائتين وألف.

٢٦٢ - محمد بن عبد الواحد بن الشيخ الأموى المكناسى.

حاله: فقيه نبيه، زكى وجيه، مشارك متفنن نزيه، بذا حلاه العلامة أبو عبد الله محمد فتحا بن محمد الطاهر الهوارى، وقال فى حقه أبو حامد العربى بن على القسنطينى ما لفظه: ممن ظهرت فى تحصيل العلوم رغبته، وبانت فيه مرتبته هذا على صغر سنه وشبابه ومع ذلك لكمال عقله بتوفيق الله إياه، صادف الصواب فى إدراك العلوم، وأتى البيت من بابه فما أحقه بقول من قال، وأحسن فى المقال:

إن الهلال إذا رأيت نموه … أيقنت أن سيكون بدرا كاملا

ووصفه أبو محمد الطيب بن عبد المجيد بن كيران بقوله: الفقيه النجيب الدراكة اللبيب.

مشيخته: منهم أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الناصرى، وأبو عبد الله محمد التاودى بن الطالب بن سودة، وأبو عبد الله محمد بن محمد الطاهر الهوارى، وأبو حامد العربى بن على القسنطينى الحسنى، والحارث بن المفضل الحسينى الحسنوى، وأبو عبد الله محمد بن محمد البيجرى الأندلسى، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بنيس الفاسى، وأبو العباس أحمد بن على الحسنى المدغرى،

والطيب بن عبد المجيد بن كيران، وحمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمى، وغيرهم وأجازه جميعهم عامة، ووقفت على نصوص إجازاتهم له تركت جلبها اختصارا.

الآخذون عنه: من أجلهم مسند فاس فى عصره أبو محمد التهامى بن المكى ابن رحمون الإدريسى، وأجازه عامة وقفت على إجازته له بخطه.

وفاته: توفى فى خامس عشرى جمادى الثانية عام ستة ومائتين وألف، حسبما وقفت على ذلك بخط تلميذه ابن رحمون المذكور بطرة إجازته له.

٢٦٣ - محمد بن الحسن الوكيلى.

حاله: العلامة الأكبر، المحقق المدقق، المشارك فى الفروع والأصول، الباهر فى المعقول والمنقول، المدرس النفاع، المتضلع الكثير الاطلاع.

مشيخته: أخذ عن سيدى أحمد بن عبد العزيز الهلالى ومن فى طبقته.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بصرى مؤلف إتحاف أهل الهداية ألفية ابن مالك، وشفاء عياض، وهمزية البوصيرى، والخزرجية، وتلخيص المفتاح، ولامية الأفعال وغير ذلك، وروى الموطأ من طريقه.

شعره: من ذلك قوله يرثى شيخه الهلالى:

سير الجبال من أكبر العلامات ... على الفنا والزوال والقيامات

وهو الدليل على أن لا بقاء سوى ... لمالك الملك بارئ الخليقات

مفنى الدهور وقاصم الظهور وقا ... سم الشهور لأيام وساعات

إلى أن قال:

فى كل يوم له شأن يفصله ... لدى خلائقه من المرادات

إلى أن قال:

قـضى على خلقه بالموت أجـمعـهم ... فكلـهم عـرضـة لكل آفـات
قـضـيـة سـورها الكلى مـوجـبـة ... دامت وعـمت لأفـراد البـريات
أين القرون الألى مضوا وما صنعت ... أعـصارهم مـن غرائب الصنـيعـات
أيـن المـلـوك وأبنـاء المـلـوك ومـن ... يجـبى إليـهم مـن أقطار بعـيـدات
وأين عـاد الأولى وأين قـوتهـا ... ومـا جـرى فـيـهم من العـقـوبات
وأين شـدادهم وأين تبـعـهم ... ومـا لسـاسـان من آى عـجـيـبـات
وأيـن دارا وقـد أدار دائـرة ... به الردى فـهـوى بعـد المجـارات
أين الحكيـم ومـا حـواه من ذهب ... ومـا أعـد لملك من خـزانات

إلى أن قال:

وأيـن أبنـاء مـروان وملـكهـم ... وأين مـا دوخـو، مـن البـلادات
وأين ملك بـنى العـبـاس بـعـدهم ... ومـا لهم من وقـائع غـريبـات
وأين أنـدلس ومـا بـحـوزتهـا ... من زهرة وأفـاخـر النعـومـات
أين ابن عـبـاد أيـن ملك آسـره ... حـتى سقـاه الردى كأسـا بأغمـات

إلى أن قال:

مـات الهـلالى واخـتـل النظام وعـ ... ـم الخطب منه الورى حتى الجمادات
مـات الإمام الـذى عمت فـضـائله ... طود الـعلوم وقـدوة لـقـادات
شيـخ الشيـوخ فريد العـصر قاطـبة ... مـجـدد الـدين غـاية النهـايات
فـيـالهـا فـجعـة حق لـوقعـتـهـا ... هد الجـبـال ووقـعـة السـمـاوات

عم الصدا وعيون الأرض قد يبست   وغض بحر الندى مع الإفاضات

إلى أن قال:

وليبك من فقده الإسلام أجمعه   فالشرق والغرب فيه فى مساوات

ولتبك عنه كراسى ومنبره   حتى اليراع لفقده الكتابات

وهى طويلة:

وفاته: توفى بعد ستة ومائتين وألف.

٢٦٤ - محمد فتحا بن محمد بن سميه بن عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ابن عبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران.

البصرى بالتعريف الأصل، المكناسى النشأة والدار، هكذا قال عن نفسه فى استدعاءاته للإجازة من مشايخه.

حاله: فخر مكناس، وواسطة عقد أفراده السراة الأعلام، رواية رحالة، علامة أثرى محدث مسند، مقرئ حافظ لافظ، جماع مؤرخ، حجة فاضل جليل، نبيل أصيل، مدرس نفاع، له مشاركة تامة وقدم راسخ فى العلم والدين والجلالة، ذو قلم بارع وإلمام بالمهمات، رحل إلى فاس وقضى بها زمنا فى الأخذ عن أئمتها الأعلام إلى أن ملأ من المعلومات الجراب، وأقر له بالتفوق فى سائر الفنون صدور الشيوخ، ثم رحل للمشرق وحج وزار، ولقى الأخيار، ودخل مصر وغيرها من الأقطار، واستفاد وأفاد، وكانت رحلته للحج سنة ثلاث ومائتين وألف حسبما ذكر ذلك عن نفسه لدى إيراده للحديث المسلسل بالضيافة.

مشيخته ومروياته: أخذ عن والده العلامة الزاهد محمد بن العلامة محمد ابن الإمام الخير الألمعى عبد الرحمن البصرى السابق الترجمة، قرأ عليه بعضا من الرسالة والألفية، والمختصر، والمرشد، والآجرومية مرارا، وسلكات من سور

القرآن، والترغيب والترهيب للمنذرى، والذخـيرة للشرقاوى، وأخذ هو عن أولاد العميرى وغيرهم.

وأخذ عن الغازى بن العربى بن عبود المتوفى فى التاسع والعشرين من صفر عام سبـعة وثمانين ومائـة وألف الألفية والمختـصر، واللامية والجمـل، والصغرى والقلصادى، والآجرومـية، وابن عاشر، والرسالـة، واصطلاح القاموس، وبعض التفسير، والبخارى، والتلخيص.

وأخذ عن أبى عبد الله محـمد بن محمد بن عبد السلام البـيجرى ما تقدم ذكره فى ترجمته.

وأخذ عن أبى حفص عمر بن الحسن الصنهاجى المتوفى فى الثانى والعشرين من جمادى الثانية عام سبعة وتسعين الألفية، والمختصر، والآجرومية، واستفاد منه كثيرا.

وأخذ عن أبى محمد المهدى بن العلامة الطيب بن الصغير بصرى المتوفى فى العشرين من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وتسعـين الألفية، والمختصر، والآجرومية، والصغرى.

وأخذ عن أبى عـبد الله محـمد بن القاضـى الطيب بصرى الآتى الترجـمة الألفية، وبعض المختصر.

وعن التهامى بن الطيب أمغار السابق الترجمة، قرأ عليه الألفية واستفاد منه فوائد علمية.

وعن العلامة أبى عبد الله محمد بن الحسن الوكيلى المترجم قبله.

وعن الإمـام محـمد الجنوى الحـسنى، قـرأ عليه المخـتصـر، والبخـارى، والتلخيص، والألفية وابن السبكى.

وعن الشريف مولاى محمد بن السيد تلميذ أبى العباس الهلالى قرأ عليه السلم، واستفاد منه.

وعن العلامة المقرئ السيد مبارك الشيظمى السالف الترجمة، قرأ عليه القرآن العظيم مرات متعددة بما يحتاج إليه من رسم وضبط وغيرهما.

وعن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسى.

وعن العلامة أبى عبد الله محمد بن أحمد بنيس، وعن الشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن بن عمار الجزائرى، وعن الشيخ عبد العزيز بن حمزة المراكشى.

وأخذ عن العالم الموقت أبى عبد الرحمن محمد السعيدى بن الموقت عبد القادر بن الموقت محمد بن الموقت عبد الرحمن بن محمد الفاسى به عُرِف، الشاوى المعزاوى المترجم جده فيما تقدم، قرأ عليه التوقيت علما وآلة قراءة تحقيق، وإمعان نظر وتدقيق.

وعن الموقت ابن عبد الله محمد بن الفقيه محمد بن أحمد المصمودى، قرأ عليه التوقيت أيضا علما وآلة.

وأخذ عن العلامة أبى عبد الله محمد بن الحسن بنانى محشى الزرقانى المتوفى عام أربعة وتسعين، التفسير، والكتب الستة، والموطأ، ودلائل الخيرات، ووظيفة الشيخ زروق، وأحزاب الشاذلى، وحزب النووى، وحزب الفلاح، والمشيشية، وحصن الحصين، والحكم، والنصيحة الكافية، والتسهيل، والألفية، والمختصر، وألفية العراقى فى الاصطلاح، وسنن المهتدين، والتوضيح، والصغرى، وعقائد النسفى، وتحفة ابن عاصم، وأقرأ بحضرته وحضه على الدءوب على ذلك.

وأخذ عن العلامة سيدى زيان العراقى المتوفى فى الثامن والعشرين من جمادى الأول عام أربعة وتسعين لازمه أربعة أعوام ونصفا صباحا ومساء، كان يقرئ التفسير فى الغلس وبعده فى مجلس واحد البخارى، وفى الضحى المختصر، وبعد الظهر التسهيل، وبين العشاءين المرشد وغير ذلك مما كان يتداوله إذا فرغ من بعض تلك الكتب.

وعن الشيخ التاودى ابن سودة لازمه مدة مديدة وقرأ عليه التفسير، وبعض المختصر، وابن عاصم،والزقاقية، والألفية، وجامع الشيخ خليل، وابن السبكى، والحكم، وبعض الكتب الستة، والموطأ والشمائل، والدلائل ووظيفة زروق، وحزب الشاذلى الكبير والصغير، وحزب النووى، وحزب الفلاح للجزولى، والمشيشية، والحصن واستجازه فأجازه وأقرأ بحضرته فرضى بذلك وحضه على الدءوب على ذلك.

وعن العلامة الداركة الشيخ عبد الكريم بن عمر بن على بن أبى بكر الزهنى المعروف باليازغى المتوفى أواخر عام مائتين وألف لازمه مدة مديدة، وقرأ عليه الموطأ وأوائل الكتب الستة والألفية،والمختصر، والسبكى، والمغنى، واستجازه فأجازه.

وعن العلامة أبى محمد عبد القادر بن أحمد بن العربى بن شقرون، لازمه سنين عديدة، وقرأ عليه المختصر، والألفية، واللامية، والتلخيص، والسلم وأوائل الموطأ، والصحيحين، والشمائل،والشفا.

وأخذ فى رحلته الحجازية عن الشيخ مرتضى الحسينى الزبيدى الحنفى، والشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير،والشيخ أحمد بن موسى البيلى - بكسر الموحدة - المالكيين، والشيخ سليمان العجيلى - بكسر المهملة وفتح الجيم وسكون الياء وكسر اللام مشبعة - الشهير بالجمل، والشيخ محمد بن

أحمد الجوهرى بضم الجيم الخالدى، والشيخ أحمد العروسى، والشيخ عبد الوهاب بن محمد بن على الشبرواى المصرى الشافعيين، والشيخ صالح بن يوسف بن مصطفى المقدسى الحنبلى الأزهرى شيخ حنابلة مصر.

أما مروياته فقد أخذ رواية ورش عن شخيه الشيظمى، وهو عن الأستاذين السيد على الخراز والسيد المهدى بن الحاج أحمد بن موسى بارة المتوفى سنة ثلاث وسبعين بتقديم السين ومائة وألف، كلاهما عن سيدى إدريس المنجرة.

وأخذها أيضا عن محمد بن عبد السلام الفاسى عن عبد الرحمن المنجرة عن والده إدريس المنجرة، عن أبى عبد الله محمد السرغينى الشهير بالهوارى، عن عبد الرحمن بن أبى القاسم بن القاضى، وأخذها أيضا عن شيخيه الأمير المصرى والشيخ مرتضى الزبيدى.

وأخذ عن السيد مبارك أيضا بالأسانيد المذكورة، والشيخ مرتضى والأمير رواية قالون، والبزى، وقنبل، والسوسى، وهشام، وابن ذكوان، وشعبة، وحفص، وخلاد، والدورى، وأبى الحارث.

وأخذ عن الأمير والشيخ مرتضى الزبيدى رواية ابن جماز، وابن وردان وروح، ورويس، والوارق، وإدريس، وخلف.

وأخذ الموطأ برواية يحيى بن يحى الليثى عن السيد الغازى بن الحاج العربى ابن عبود المكناسى، عن الحاج على بن عبود، عن محمد بن سالم بن أحمد الحفنى، وأخذها أيضا عن الشيخ محمد بن محمد بن أحمد بن عبد القادر الأمير والشيخ أحمد بن موسى البيلى، والشيخ مرتضى الحسينى الحفنى، والشيخ سليمان العجيلى، والشيخ محمد بن أحمد الجوهرى، والشيخ أحمد العروسى كلهم عن أبى عبد الله الحفنى.

وأخذها بالرواية المذكورة أيضا عن الشيخ محمد بن الحسن بنانى، عن الشيخ محمد بن عبد السلام بنانى، عن الشيخ محمد بن عبد القادر الفاسى، عن الملا إبراهيم الكردى.

وأخذها أيضا عن الشيخ محمد بن الحسن الوكيلى، عن أبى العباس بن عبد العزيز الهلالى، عن العجيمى.

وأخذها أيضا عن الشيخ عبد القادر بن شقرون،وعن الشيخ محمد بن أحمد بنيس، وعن الشيخ التاودى ابن سودة، والشيخ أحمد بن عمار بن عبد الرحمن ابن عمار الجزائرى، وعن الشيخ عبد الوهاب الشبرواى الشافعى المصرى، والشيخ عبد الكريم المعروف باليازغى الفاسى، ومن طرق بعض هؤلاء الشيوخ روى روايات أبى مصعب، ومطرف، وابن الحسن، وأبى حذافة حسبما هو مبسوط فى ثبته إتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد.

وأخذ صحيح الإمام البخارى عن السيد الغازى وبنيس المذكورين، وعن سيدى محمد بن الحسن بنانى، والشيخ التاودى بن سودة، كلاهما عن ابن عبد السلام بنانى، عن سيدى محمد بن عبد القادر الفاسى، عن والده، وعن الشيخ صالح بن يوسف المقدسى الحنبلى، عن العدوى.

وأخذ صحيح مسلم عن ابن عبود، والوكيلى، والتاودى، وابن الحسن، بنانى وبنيس، واليازغى، وابن شقرون، وعن صالح المقدسى، وعن الشيخ الأمير وغيره ممن ذكر من المصريين بأسانيد الموطأ المتقدمة.

وأخذ سنن أبى داود عن الغازى بن عبود، ومرتضى، وبنانى بالأسانيد المتقدمة.

وأخذ جامع الترمذى، وسنن النسائى الصغرى المجتبى، عن ابن عبود وبنانى، والجزائرى، والمقدسى، والمصريين.

وأخذ سنن النسائى الكبرى عن شيوخه بنانى، والجزائرى، والعروسى.

وأخـذ عنهم أيضا بأسـانيـدهم المسطرة فى ثبـته سنن ابن مـاجه، ومـسند الشافعى، ومسند الإمام أحمد، ومسند الدارمى، والمخلص لأبى الحسن المعافرى، والتقصى لابن عبد البر، ومسند الطيـالسى، والأدب المفرد، ومسند عبد بن حميد، ومسند البزار، وعمل اليوم والليلة.

وأخذ معاجم الطبرانى الكبير والوسط والصغير عن الأمير وغيره من شيوخه المصريين المذكورين فـى أسانيد الموطأ، وكذلك مكارم الأخلاق للـطبرانى، ومسند أبى يعلى التميمى الموصلى، ومسند ابن مخلد الشيبانى.

وأخذ صـحيح ابن حـبان عن العروسى وغـيره من المصريـين وكذلك سنن الدارقطنى، ومسـتدرك الحاكم، والحلية لأبـى نعيم، ومسند الإمام أبى حنيـفة، - ومن طريق الجزائرى أيضا - ومـسند القضاعى، وأخذ مسند الفـردوس عن الأمير وغيره من المصريـين، وكذلك كتاب الفرج بعد الشدة لابن أبـى الدنيا، وكتاب ذم الملاهى، وكتاب قـصر الأمل، وكاب التوكل، وكـتاب محاسبـة النفس كلها له، وعن العروسى وغيره من المصريين كتاب اليـقين، وعن الأمير وغيره من المصريين كتاب الدعاء، وكتاب الشكر لابن أبى الدنيا، وعن ابن الحسن بنانى والأمير وغيره من المصريين مشكاة الأنوار لابن عربى، وكذا سائر كتبه.

وعن بنانى والجزائرى والعـروسى الأربعين للنووى، وعن الأمير وغـيره من المصريين الأربعين للبـاخرزى، وكذلك الأربعون حديثا لأبى منصـور النيسابورى، والأربعون للشيبانى، وعن العروسى الأربعين لأبى بكر الآجرى والأربعين البلدانية للسلفى، وعن الجزائرى والأمير والعروسى والجوهرى المصابيح للبغوى.

وعن الغازى بن عبود، وابن الحسن بنانى، والجزائرى، والشيخ مرتضى الشفاء للقاضى عياض وسائر كتبه، وعن الأمير وغيره من المصريين مشكاة الأنوار للتبريزى، وعن العروسى ثلاثيات عبد بن حميد تخريج الحسينى، وعن بنانى والجزائرى والجوهرى والعروسى الجامع الكبير والصغير للسيوطى، وعنهم أيضا الترغيب والترهيب والشمائل للترمذى، والجوهرى معانى الأثر، وعن الأمير وغيره من المصريين عوارف المعارف، وعن الجزائرى والأمير والعروسى مصنفات الصاغانى، وعن الجزائرى والأمير كتاب شرف أصحاب الحديث للخطيب البغدادى، وعن الأمير والجوهرى مسند الهداية للبرهان المرغينانى، وعن العروسى والأمير وغيره من شيوخه المصريين سنن البيهقى، وعن الأمير منتقى ابن الجارود، وعنه وغيره من المصريين مسند ابن أبى شيبة، ومسند أبى عوانة، ومسند سعيد بن منصور، وصحيح ابن خُزَيْمة، والخلعيات للموصلى، ومسند الحارث بن أبى أسامة، وصحيح الإسماعيلى، وتأليف أبى الشيخ، وكتاب الزهد والرقائق لابن المبارك، ونوادر الأصول للحكيم الترمذى، ومسند ابن راهويه، والدرة الطاهرة للدولابى، ومسند بَقِى بنَ مَخْلَد، وتاريخ ابن مَعِين، ومصنف وَكِيع، وتأليف أبى مهدى عيسى الثعالبى الجزائرى ثم المكى، وابن شاهين، ومسند الحميدى، ومعجم ابن قَانِع، وعشاريات القلقشندى، والفوائد الغيلانيات وتأليف الحسن بن عرفة وأصول الإسلام الأربعة للدانى، ومكارم الأخلاق للخرائطى، ومصنفات ابن أبى حاتم، ومؤلفات الخلال، وجامع الأصول لرزين وتآليف ابن الجوزى وأبى بكر الأزرق، وعن العروسى كتاب القربة لرب العلمين، فى فضل الصلاة على سيد المرسلين، لابن بشكوال، ومشيخة ابن البخارى، والإعلام، بفضل الصلاة على النبى عليه الصلاة والسلام للنميرى.

وعن الأمير تآليف عبد الحق، وتآليف السهيلى، وشرح ابن ماجه للبرهان الحلبى، والعشرة الغوالى للرئيس الأصبهانى، وعن بنانى الأبى، وعن الشبراوى

تيسير الأصول، ومؤلفات البقاعى، ومؤلفات إسماعيل اليمنى، والقاضى المزجد وشرح الشفا للدجلى.

وكذلك روى عن أولئك الشيوخ تصانيف العراقى، والسخاوى، والسنباطى وزكريا، وابن حجر، والقسطلانى، والزرقانى، والشبراملسى، والغيطى، والمناوى، والمهيثمى، والشوبرى، والفرغانى، والذهبى، والقرطبى، وابن عبد البر، ومقدمة ابن الصلاح، وشرح البخارى لابن الملقن، والكرمانى والفصل بين الراوى والواعى لابن خلاد.

وروى عن شيخه الفاضل العالم النبيل الكامل المسن البركة الشيخ عبد العزيز ابن حمزة المراكشى المسلسل بالأولية سمعه منه بالحرم المكى تجاه الكعبة، وبالحرم المدنى تجاه قبر النبى ﷺ، وهو سمعه من مرتضى، وعن بنانى وغيره من الشيوخ المذكورين المسلسل بالمصافحة والمشابكة والسبحة، إنى أحبك، وقراءة سورة الصف، والقبض على اللحية، وسلسلة الذهب، والمحمدين، والمصريين، وقراءة الفاتحة، ومناولة الطاقية القادرية المعروفة فى المغرب بالعراقية، ومسلسل تلقين لا إله إلا الله، ومسلسل الصوفية والفقهاء، وقول: والله إنه حق إن شاء الله، وقول: جعلك الله نوراً يستضاء به فى المشارق والمغارب فى الأذن اليمنى، ومسلسل قص الأظفار يوم الخميس ومسلسل يوم العيد ويوم عاشوراء والأحمدين.

وكذلك روى الاكتفاء، وعيون اليعمرى، والدرر لابن عبد البر، وتاريخ ابن خلدون، وسيرة ابن إسحاق، والواقدى، والحلبى والشامى، وابن فارس، والمحب الطبرى، وشرح ألفية العراقى لياسين الخليلى.

وأما مصنفات علوم القراءات فروى منها مؤلفات الشاطبى، والتيسير وشرحه، ونظم الفريد، وتهذيب الغافقى، ومؤلفات الصفّار، وأبى الحسن بن سليمان، والجعبرى، وتعريف السهيلى فى المبهمات، ومقنع الدانى، وممتع ابن

الكماد، ومختصر ابن البقال، وتكملة القيجاطى، والحصرية والخاقانية والبارع، روى ذلك عن شيوخه ابن عبد السلام الفاسى، والشيظمى وغيرهما.

وروى فى علم الرسم والضبط تآليف الخراز، وابن نجاح، وابن عاشر، وابن برى، وشرح الخراز للتنسى، وأبو جير على الدرر لابن مسلم.

وعن الأمير بمحضر جماعة من العلماء بالزواية الناصرية المجاورة لداره بمصر القاهرة فى سادس عشر شوال عام ثلاثة ومائتين وألف، المسلسل بالضيافة على الأسودين، والمسلسل بقول أشهد بالله وأشهد لله كما قال ذلك المترجم عن نفسه فى ثبته.

وعن ابن الحسن الوكيلى، وابن الحسن بنانى، والعروسى، تفسير ابن عطية، وسائر مصنفاته، وهداية مكى.

وعن الغازى بن عبود، وابن الحسن الوكيلى، والجزائرى، تفسير البيضاوى وسائر مصنفاته.

وعن بنانى، والأمير تفسير ابن جرير.

وعن بنانى تفسير الثعلبى، وعنه وعن الأمير والعروسى تفسير الواحدى، وتفاسير أبى حيان الثلاثة.

وعن بنانى تفسير أبى السعود، والكواشى، وعنه وعن العروسى تفسير الفخر الرازى.

وعن الجزائرى والجوهرى والعروسى تفسير البغوى وسائر مؤلفاته، وكذلك روى تفاسير السيوطى وبقى ابن مخلد، والمحلى، والخازن، والسفاقسى، والحاتمى، والثعالبى، والزمخشرى، والماوردى، والسلمى، والاعتبار للحازمى، وبيان المنن لابن الطليسان، وأخلاق حملة القرآن للآجرى.

وروى عن والده محمد بن محمـد بن عبد الرحمن بصرى، عن أبى القاسم العميرى، عن أبى العباس الشدادى، عن أبى العباس بن الحاج، عن سيدى عبد القادر الفاسى.

وكذلك عن ابن الحسن بنانى والشيخ التاودى كلاهما عن ابن عبد السلام بنانى كتب الفقة المالكى، كمختصر خليل، وابن الحاجب، ومؤلفات البرادعى، وابن عرفة، والقرافى، والمواق، وابن أبى زيد، وابن عبد السلام، وابن رشد، وحلولو، والرصاع، والبرزلى، والمشدالى، وابن ناجى، والتتائى، والمقرى والوانوغى، وابن الجلاب، والفاكهانى، والمازرى، وابن بشكوال، والخرشى، وابن راشد، والبساطى، والقباب، واليزناسنى، وابن فجلة الزرقانى، والجنان، والحطاب، والمكناسى، والزقاق، وعبد الرحمن الفاسى العارف، وبابا السودانى والسنهورى، والبدر القرافى، والمعيار، والمنجور، وابن فرحون، وابن جماعة، واللقانى، وابن رحال، والنفراوى، والأجهورى، وعبد الوهاب، وابن شاس وابن عمر، وابن عاشر.

وعن الجزائرى، والعروسى، والأمير، والبيلى، والشيخ مرتضى، والشيخ الجمل عن عطية الأجهورى فقه الشافعى.

وروى فى الفقه الحنفى عن التاودى ومرتضى عن مشاهير علماء الحنفية، وروى فقه الحنابلة عن التاودى وصالح المقدسى.

وروى من الفهارس فهرسة ابن غازى، وابن حجر، وزكرياء، والمنتورى، والقصار، وزروق، وابن الزبير، والوادى آشى، والبديرى، والبصرى، وأبى سالم العياشى، وحسن العجيمى، ورحلة ابن رشيد.

وروى فى علم الكلام مصنفات الأشعرى، والرازى، وابن زكرى، والسنوسى، والنسفى، وإمام الحرمين، والكورانى، والماتريدى، والعضد، والسعد، والباقلانى، والبقاعى، واللقانى.

وروى فى أصول الفقه مصنفات التقى السبكى وولده التاج، والمحلى والعراقى، وابن أبى شريف، وابن دقيق العيد، والعضد، والعصام، وابن الحاجب، ومراصد الفاسى.

وروى فى النحو كتاب سيبويه، ومصنفات ابن مالك، وابن هشام، والمكودى، والبجائى، ويحيى الشادى، والراعى، والزياتى، والقدومى، وابن المجراد، والشاطبى، وأبى حيان، وابن آجروم، والسيوطى، وابن الحاجب، والعينى، والمرابط الدلائى، وعبد السلام القادرى.

وروى فى علم المعانى والبيان تآليف القزوينى، والعباسى، والجرجانى، والعصام، والسعد، والجربى، والولالى.

وروى فى اللغة وفقهها القاموس، والصحاح، وأفعال ابن القوطية، والفصيح، والزبيدى، وألفاظ ابن السكيت، والمقصورة الدريدية، والحازمية، وأدب الكتاب، ومصنفات الحريرى، وأبى منصور الثعالبى، والقلائد، وديوان الستة وشعر المتنبى، وأبى تمام، والمعرى.

وروى فى الأنساب تآليف الرشاطى، وعبد الحق، وفى علم التعبير المرقبة العليا، وابن جابر، وفى العروض الخزرجية وشرحها للغرناطى، وزكريا، وفى المنطق شروح السلم لابى مدين السوسى، والعربى بردلة، وقدورة، وشرح المختصر للولالى، وفى علم الأوفاق تآليف العربى الفاسى والجزنائى، وفى الهندسة كتاب ابن ليون، وابن الرقام.

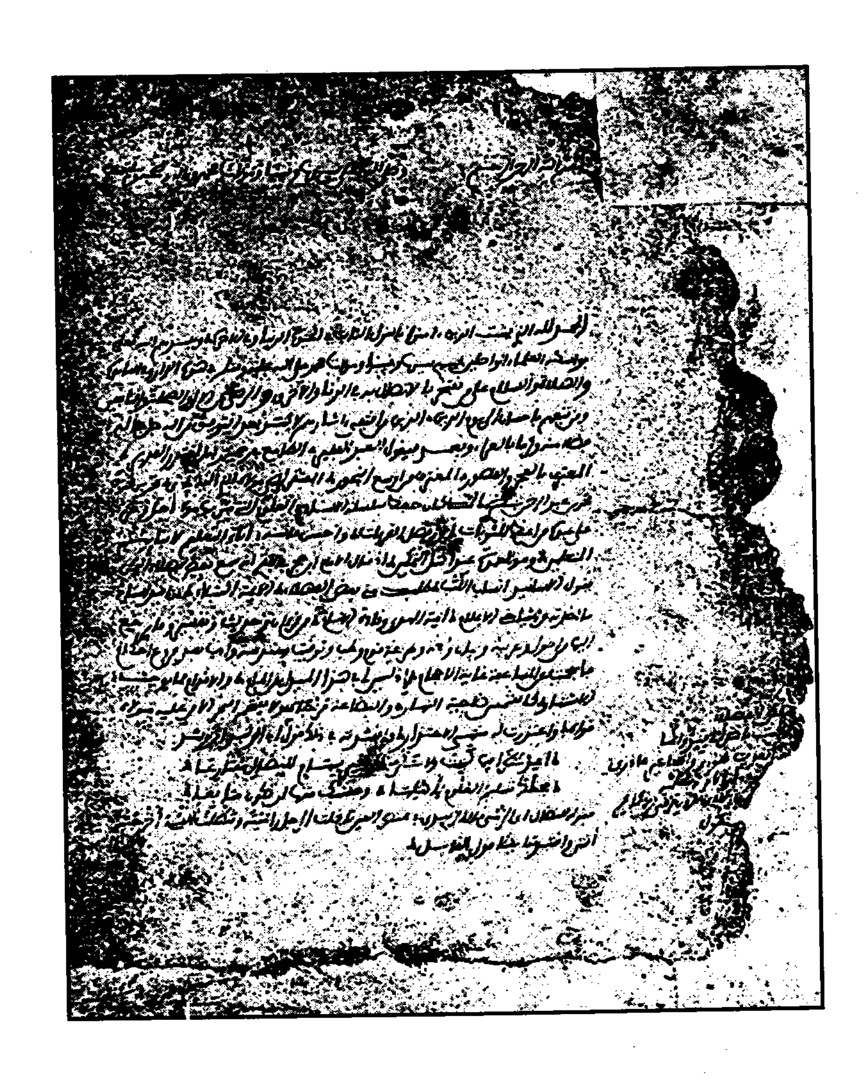
وروى فى الطب تآليف ابن زهر، والحفيد ابن رشد، وابن الخطيب، والشقور، وابن نفيس، وفى الحساب مؤلفات القلصادى، وابن البنا، وابن قنفذ، والمنية.

وروى فى الفرائض الحوفى، والتلمسانية، وشرحيهما للسنوسى، وكتب الطنجائى، والعقبانى، والقلصادى، والسيتانى.

وروى فى التوقيت والتعديل والأسطرلاب روضة الجادرى، وشرحها للماواسى، والزجنى، وابن القاضى، وكتب ابن الرقام، وابن الكماد، وابن البناء، وابن الحباك.

وفى التصوف روى كتب زروق وابن القيم، وابن عطاء، وابن عباد، والساحلى، والبوصيرى، والسنباطى، والقوت، وتذكرة القرطبى، وصفوة ابن طاهر، ومصنفات الشعرانى، والنووى، واليافعى، والقصرى، والحرانى، وابن الفارض، والسهروردى، وإمام الحرمين، والغزالى وابن مت الهروى، والقشيرى، وأبى مدين، والجيلانى، وابن مشيش، والشاذلى، حسبما هو مبسوط بأسانيده المتعددة وطرقه فى ثبته المشار له آنفا.

مؤلفاته: منها ثبته الحفيل الدال على غزارة علمه وسعة رحلته وشدة اعتنائه بالدراية والرواية المعنون بإتحاف أهل الهداية والتوفيق والسداد، بما يهمهم من فضل العلم وآدابه والتلقين وطرق الإسناد، قال فى أوله: رأيت هذا الأمر على أكيد، إذ قطعت على أخذ العلم دراية ورواية بعض مشارق الأرض ومغاربها برها وبحرها بريداً فى بريد، ومع ذلك تخاطب بلسان حالها هل امتلأت؟ وأقول أما من الخيرات فلا نقنع بل هل من مزيد، ذكر فيه أسانيده أولاً، ثم أوائل كتب الحديث، وختمه بأبواب وفصول فى فضل العلم وآداب الطلب وما يتعلق بذلك من الفوائد مع ذكر الشيوخ الذين أخذ عنهم بالقراءة أو الإجازة، وثبته هذا بخطه فى أصله بمكتبتنا، ومنه انتسخت بعض النسخ لبعض أصدقائنا وقد سقطت منه بعض أوراقه فى موضوعين أولها عند ذكره أوائل كتب الحديث، والثانى عند ذكر شيوخه.



أول صحيفة من فهرس بصرى بخطه فى مسودته



آخر صحيفة من فهرس بصرى بخطه

أما وفاة المترجم فلم أقف عليها، نـعم صرح هو عن نفس، بأن تاريخ فراغه من تبييض ثبـته المذكور كان زوال يوم الخميس التـاسع عشر من شعبان عـام ستة ومائتين وألف كما ذلك بخطة آخر الثبت المذكور.

وقد أضاعه قومه خصوصـا، وأهل بلده عموما، وأى فتى أضاعوا، فلم أر من يعرفه من أقـاربه وبنى جلدته فضلا عمن يعـتنى بالأخذ والرواية عنه أو بشىء من آثاره وأخباره.

وهذا البيت البصرى قـد أَفَلَت اليومَ شموسُه وأقمـاره فلمِ يبق فيه أحد ممن يذكر بعلم أو فهم على ما سلف فيه من الأئمة الأعلام والأولياء الأخيار.

٢٦٥ - محمد بن العلامة القاضى أبى عبـد الله محمد الطيب بن محمد بن عبـد الرحمن بن أحـمد بن عبـد الواحد بن مـحمد بن أحـمد بن عـبد الرحمن بن ولى الله أبى موسى عمران بصرى.

أحد كبار الأولياء العظام الشان.

حاله: له فى المعـقول والمنقول رسوخ وثبات، وهجـوم على حل الغوامض ووثبات، إمام همام، تاج مفرق الأعلام، مدرس نفاع.

مشيخته: أخذ عن الغازى ابن عبود، وأبى حفص عمر الفاسى، وغيرهما.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو عبد الله بصرى صاحب إتحاف أهل الهداية ألفية ابن مالك وبعض مختصر خليل، وأخذ عنه غيره من النقاد.

وفاته: توفى ضحى يوم الجمعة تاسع رجب عام ثمانية ومائتين وألف ودفن بعد صلاة الجـمعة بزاوية سيـدى محمد الغمـارى، قرب سيدى عـمرو بوعوادة، وقبـره ما بين السـارية الأولى عن يسار الـداخل، وبين الباب مـتصلا بالـسارية، وحضر جنازته خلق عظيم رحمه الله ورضى عنه.

---

٢٦٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٥١.

٢٦٦ - محمد بن عبد الوهاب بن عثمان الكاتب السفير الرحالة الوزير الكبير المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة أديب أريب نبيه، حسن البديهة، قوى العارضة، شاعر مفلق، نقاد كاتب بليغ، يطرز كتابته بفنون البلاغة والإنشاء، وفق ما يشاء، اصطفاه أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله لسرد الكتب وهو إذ ذاك فى عنفوان شبابه، وقد كان مورقا وواعظا بمحل أبيه، ثم اتخذه كاتبا فى بساطه الملوكى، ثم قلده الولاية بتطوان مدة أعوام كما للزيانى فى الفهرسة، ثم استوزره.

وكان من أهل الفضل والدين قائما بمأموريته أحسن قيام، وكان منقطعا ليتيمة الأشراف مولاى على بن أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله، وله فيه أشعار رقيقة وأمداح رائقة فغمره إحسانا وإنعاما وامتنانا.

ثم استعمله السلطان المذكور فى السفارة بينه وبين الدول، فجال بسبب ذلك فى أوروبا وإفريقية وآسيا وما بينها، أرسله أولا سفيرا عنه لدولة إصبانيا وملكها كارلوس الثالث للنظر فى أمر الأسارى المسلمين الذين عندها وكان ذلك سنة ١١٩٣، فعقد معها معاهدة، وألَّف فى ذلك رحلة.

قال «شينى» قنصل فرنسا لذلك العهد بسَلاَ فى صحيفة ٥١٩ من الجزء الثالث من كتابه عن المغرب المطبوع بباريس سنة ١٧٨٧: إن الخلاف الذى وقع بين فرنسا وإنكلترا غير الحاله الساسية بأوربا، فرأت إصبانيا أن ذلك يساعدها على تجديد العلائق مع المغرب، فجدد السلطان معها الصلح والعلائق إجابة لسعيها وذلك سنة ١٧٨٠ بواسطة ابن عثمان وقبل بكل ارتياح جميع المطالب الإصبانية.

ثم وجهه ثانيا سفيراً لحكومة مالطة ونابولى فباحث الأولى سنة ١١٩٥ فى شأن الأسرى، وعقد مع ملك نابولى اتفاقا، وألَّف فى هذه السفارة رحلة أخرى.

---

٢٦٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٦٣.

ثم رحل للحج مقلدا التكاليف المولوية فى سفارة ثالثة للدولة العثمانية وذلك سنة ١٢٠٠، وكانت مبارحته رباط الفتح - حيث كان حلول الركاب الشريف ثَمَّ - مهل المحرم فاتح السنة المذكورة ودخل القسطنطينية العظمى ودمشق الشام والقدس الشريف وزار الخليل ودخل الجزائر وتونس وتلمسان، ولقى أعلام تلك البلاد، واستفاد وأفاد، ثم آب لمسقط رأسه، ومحل أُنسه، مكناسة الزيتون، حيث له الأهل والإخوان والبنون، ضحوة يوم الثلاثاء لست بقين من شوال عام اثنين ومائتين وألف وكتب فى ذلك رحلة أُخرى، وقد أسلفنا شرح ما وقع له فى هاتين السفارتين ملخصا من رحلتيه فيهما فى فصول العلائق السياسية من الترجمة المحمدية.

ثم عثرت بعد ذلك على كلام بعض المؤرخين من الإفرنج يدل على أنه تولى السفارة أيضا للسلطان المذكور إلى إمبراطور النمسا، وأنه تولى السفارة من بعده لولده مولاى اليزيد إلى دولة الإصبان، فقد ذكر «أكرابير دى همسو» فى صحيفة ٢٣٤ من كتابه الموضوع باللغة الإيطالية المسمى (بالمظهر الجغرافى والتاريخى للمغرب) المطبوع بجنيف سنة ١٧٣٤: أن ابن عثمان توجه سفيراً لنابولى ثم سار منها سنة ١٧٨٣ إلى فينا عاصمة النمسا من قبل السلطان لعقد معاهدة سلمية تجارية بين الدولتين، وكان إمبراطور النمسا يومئذ: جوزيف الثانى.

وقد تكلم على هذه السفارة أيضا القنصل شينى فى كتابه المذكور وطوماسى فى صحيفة ٣٠٥ من كتابه: المغرب وقوافله أو علائق فرنسا مع المغرب، المطبوع بباريس سنة ١٧٤٥ إلا أنهما لم يتعرضا لاسم السفير الذى هو ابن عثمان صاحب الترجمة.

وقال همسو المذكور فى صحيفة ٣٦ من كتابه: مختصر الأدب التاريخى فى المغرب، وهو جزء صغير تعرض فيه لذكر من ألف فى المغرب من سائر الدول طبع بليون سنة ١٨٢٠: أن عثمان كان وزيرا صدرا عند السلطان سيدى محمد بن

عبد الله، وأن بعض رجال حاشيته المرافقين له فى سفارته لنابولي، وفينا ألف رحلة فى جزء صغير، وأنه رأى نسخة من هذه الرحلة وبها صور وأبنية شاهدها بأوربا.

وذكر همسو أيضًا فى كتابه المذكور أن المولى اليزيد وجه ابن عثمان سفيراً لمدريد، ولم أر أحدا غيره تعرض لهذه السفارة، وعلى كل فقد حفظ زيادة على أنه للمنافى لقوله: ولما وردت سفارة أصبانيا على المولى سليمان لتجديد المعاهدات السابقة بينها وبين المغرب كلف وزيره المترجم بمفاوضتها وإمضاء ما يقع الاتفاق معها عليه فعقد معها معاهدة عام ١٢١٣ الموافق لعام ١٨٩٩ المشتملة على ثمانية وثلاثين مادة وشرطا، وفى صحيفة ٦١ من السنة الثامنة من جريدة المنيتور الجمهورية، أن هذه المعاهدة التى أوقعها ابن عثمان مع إصبانيا تعد خطوة جديدة فى سبيل التقدم والمدنية، وذكر طماسى المذكور فى صحيفة ٣٦١ من مؤلفه المشار إليه أن مولاى سليمان ووزيره الأكبر ابن عثمان عرفا كيف يقاوما أعداء فرنسا وإصبانيا حليفتها، فلذلك لما بعثت إصبانيا هداياها للسلطان وتبعتها إنكلترا بهداياها التى ضاعفت فيها هدية الإصبان سعيا فى قطع علائق الدولتين مع المغرب لم تنجح فى مساعيها.

هذا وقد كانت بين صاحب الترجمة وبين عصريه ومشاركه فى الكتابة والتقدم أبى القاسم الزيانى المؤرخ منافسة تعرض الزيانى لبعضها فى رحلته الترجمانة وغيرها من كتبه، ونال من المترجم على عادته مع معاصريه وغيرهم، قابله الله بالعفو والغفران آمين، وذكر أنهما اجتمعا معا فى الأستانة وكل منهما حامل لأوامر ملوكية، وأن الدولة العثمانية اعتنت بالزيانى لمحافظته على آداب السفارة بين الملوك أكثر من اعتنائها بالمترجم مع كونه هو السابق فى الورود عليها، وأن المترجم غار من ذلك وحدثت بسبب ما ذكر بينهما وحشة تفصيلها فى رحلة الزيانى.

مشيختة: أخذ عن أمير المؤمنين مولانا سليمان.

وأخذ بالقدس عن القدوة البركة العارف الشريف الشيخ أبى السعود محمد المأذون بالخلوة القادرية والخلوتية، قال عن نفسه: وصافحنى بمصافحة شيخه فى الطريقة السيد مصطفى بن كمال الصديقى الدمشقى البكرى الخلوتى، عن الشيخ عبد اللطيف بن حسام الدين الحلبى، عن الشيخ مصطفى أفندى الأدرنوى، عن الشيخ على خرباش، عن الشيخ إسماعيل الجروى بسنده المتصل المذكور فى رحلة المترجم.

ولقى بالشام الشيخ المحدث سعد الدين الحنفى حفيد الشيخ عبد الغنى النابلسى، والشيخ كمال الدين محمد بن محمد الدمشقى الشهير بالغزى مفتى الشافعية، ومفتى الحنابلة الشيخ إسماعيل الجراعى، ولقى بتونس صالح علمائها الشيخ أحمد بن عبد الله بن محمد السوسى السكتانى المغربى، أخذ أبوه عبد الله عن سيدى أحمد بن ناصر ومكث مجاورا بين مكة والمدينة سبعا وعشرين سنة ومات بتونس سنة ١١٧٧.

مؤلفاته: منها الإكسير؛ فى فكاك الأسير، وهى رحلته فى سفارته الأولى لإصبانيا، ومنها: البدر السافر، لهداية المسافر، إلى فكاك الأسارى من يد العدو الكافر، وهى رحلته فى سفارته الثانية لمالطة ونابولى منها نسخة بخزانتنا، ومنها إحراز المعلى والرقيب، فى حج بيت الله الحرام وزيارة القدس الشريف والتبرك بقبر الحبيب، وهى رحلته التى كتبها فى سفارته الثالثة وحجته وهى موجودة بخطه فى مكتبتنا أيضا، ومنها أيضا منظومة فى المناسك.

شعره: من ذلك قوله:

جاء من طال ما تشوقت النفـ ـس إليه بشرى لنا وهنيه

أنعش الروح شم رياه لولا ... ذاك لم تبق فى الحياة بقيه
إذ تداعوا بالأمس وسط نهار ... درة الملك قد أتتنا جليه
فتأخر عن لقاه محققا ... فارتقاب الهلال يلفى عشيه
هكذا الشأن ما تقولون أنتم ... عن يقين قلتم وصدق ونيه
فأجابوا أما ترى الشمس ولى ... نورها كاسفا رأته البرى
قلت فى الفقه إن تبدى هلال ... فى نهار أعطوه حكما وليه

وقوله مداعبا بعض أصدقائه وقد أخلف ما اعتيد منه من الزيارة لشغل عاقه، وكان يبعث له كل يوم يقول غداً آتى:

إن عهد الملاح ليس بواف ... مثل سائر لأهل النسيب

إلى أن قال:

علانى بكاذب الوعد دأبا ... فانتظار الآمال يطفى لهيبى
ليت شعرى إذا الصدود جفاء ... أم حذار من وقع عين الرقيب

إلى أن قال:

موقدا فى الفؤاد نار غرام ... موفدا فى الحشاء جيش نحيبى

إلى أن قال:

جد بوصل ولو بطيف خيال ... إذ هوى النجم فى الدجى للغروب
وتدارك حشاشة القلب إذ كا ... ن لمثواكم من الموهوب
طمعى الآن فى الوصال قوى ... وشفيعى فى نيله المرغوب
يصدق الفجر بعد ما يتجلى ... كاذبا فى الآفاق غير مغيب

وقوله وقد تعلق به بعض أصدقائه كان اشترى جارية فوجدها تبول فى الفراش، فأراد ردها إلى البائع فامتنع فى خطاب قاضى البلد:

يا أيها القاضى الإمام الكامل ... وكافل الأيتام والأرامل
وابن السبيل والغريب قدما ... يشمله الإحسان منه حتما
ضيفكم الفقيه إسماعيل ... يبيت بالليل له عويل
قد اشترى من ذى البلاد جارية ... يحسبها على المراد جارية
فلم يرى من خيرها علامة ... أعيب من بغل أبى دلامة
تبول بالليل على الفراش ... على الثياب وعلى الرياش
منتنة الريح وعكسه إذا ... حذفت ياء فتحت به أذى
كفارة المرحاض أو كعجل ... فقد أضر ريحها بالمقل
لا مثل نتن جيفة أو حيض ... أو كظة ممزوجة بهيض
لولا هبوب الريح ذات المدد ... وكوننا فى منزل عن بعد
نظل بالبخور طول الأبد ... أضر نتنها بأهل البلد
أما ثيابها فدأبا تصطفق ... تقطر من أبوالها وتلتزق
عيناه من صنانها فى كمد ... ولو ثوى فى جبل من إثمد
أشفاره إن لم تدارك سقطت ... والتزقت أجفانه واختلطت
يقبح أن يأتى لنيل رفعة ... ويترك الزغب تحت الدفة
مع تحمل نوى الأسفار ... يرجع للأهل بلا أشفار
عيناه من جواركم فى حرم ... من بائع على الإحسان برم

فـهـو بما ضـره غـير مـعـتـبـر   هان على الأملـس مـا لاقى الدبر

فـاسـتنقـذنه وادفـعـن عـاره   وراع فـيـه جـانب الإمـارة

وهـو مع الـعـلـم الذى يـمـت   بـه إلـيـكـم شـكـركـم يـبـت

فى كـل بقـعـة وكل أرض   وكل إقـليم لـيـوم العـرض

وكتب من المدينة المنورة لصاحبه الشيخ كمال الدين الغزى مفتى الشافعية بدمشق مع تمر من تمر المدينة بعثه اليه، وسبحة من النوع المسمى باليسر:

أحيى مـقاما خص بالرحب والبـشر   كمـا خصـصت أنفاسه بذكـى النشر

تحـيـة حب لا تـزال مـعـادة   بيـوم إذا يجـرى وليل إذا يـسـرى

وأهدى إلى الذات الكريمـة سـبحـة   تظل بهـا يمـناك مـلأى من اليـسـر

ومن طيبـة جـئناك بالعـجـوة التى   أحب رسـول الله من سـائر التـمـر

ليـغنك منهـا لونهـا-وسـوادها   من المسك-عن عرف وعن عنبر شحرى

فـهـيئى لهـا مـنكم قـبـولا أعـده   لدى ذكـركم يوم السـلو من الذخـر

وقوله من قصيدة فى الشيخ عبد الغنى النابلسى دفين صالحية دمشق:

مناقـبـه الكثـيـرة لا تـناهى   فنشـر حـديثـه فـى كل حى

دواويـنـه من الأمـداح مـلأى   لـصـحب أو ولـى أو نبـى

فلم يتـرك إلى غـيـر مـقـالا   وآب الكـل ذا حـصـر وعى

فـصاحـته من الرحـمان فـيض   فـمـا سـحـبـان أو غـيـلان مى

نثره: من ذلك قـوله فى وصف القسطنطينية العظمى، التى فـاقت حواضر الدنيا ترتيـبا ونظمـا، إن قلت بلد، اتكالا على مالهـا من التخصـيص فى القلب

والخلد، فقد أضعت حقها، ويبقى الاحتمال فى أن يكون هناك من هو فوقها، وإن قلت مدينة واقتصرت، فلا منعت دخول غيرها ولا حصرت، وإن قلت إقليم فقد يشتمل على عمران وخراب، وبحران وسراب، والحق أعلى، وتأدية الحقوق من أخبارها أولى، وما رأيت ما يؤدى وصفها ومعناها، وما اشتمل عليه أقصاها وأدناها، فهى محشر الأمم ومحط الرحال وبحر العمران وغاية القصاد، والمورد العذب للوراد، لا يوقف فى وصفها على حد، ولا يتناهى فى مآثرها ومحاسنها على عد، فلها المساجد التى بهرت، وبالتدريس وطلاب العلم ازدهرت، إلى أن قال: إلا أن بردها عاصف، وقرها لا يصفه واصف، لا يرده دثار، ولا موقد نار، فهى إناء للثلج المنصوب، فتنبو عن المضاجع من قرها الجنوب.

وقوله من فصول استدعاء لبعض أصدقائه: وإنا لننتظر قدومك علينا قبيل الشمس شروقا، والإبريق يصطك فؤاده لسقياك حفوقا، حتى نقضى من منادمتك حقوقا، والساقى مشمر عن ساق، والإبريق متأهب بما يليق لأن يراق، والكاس، بحلى عسجدية كاس، والكل للقياك متأهب. وبطاعتك متقرب.

وقوله مجيبا لبعض الخاصة من أصدقائه: أبقاك الله لطرفة تحليها، وبنات أفكار بدر نثارك تحليها، ونادرة تردفها بأخرى تليها، تلك ريض تفتحت عن أزهارها أكمام، ولات حين للأزهار إلمام، هذه يقظة أو منام، تهدى بالرياض لم ينتج الآن لشمام، أو ذاك مسك فض عنه ختام، تحيرت فى ذلك أظنه سحرا أجل نفث به حبر وإن شيئت بحر فخد أمام، إمام تجلت بطلعته الأيام، وتجمعت له شوارد العلوم فتسنى له بعد تفرقها التئام والتمام.

أما الأدب فهو بعض بعض فنونه، ورشوحه من معين انهمار عيونه، أما تراه قدوة للأنام، حل من درى المعقول والمنقول حيث لا محل للمحلى، وأربى فيما أبدع من البدائع على بدائع الحلى، أليس معدودا فى إحراز السبق فى مرتبة لو

كانت قبل المجلى، وأما ذكاؤه فهو شهاب يتوقد، والمعية فى كل آونة تتجدد، فقد غدا إياس، عن إدراك شأوه ذا إياس، عذبت مـفاكهته، وعدمت مشـاكهته، رمى بسهـمه فى أغراض المداعبـة فقرطس، واستـخرج من لجج بحارها ما أعـجز من غطس، ما ألطفه تشبيها، يشهد للمشبه بأن له شبيها، فى ذكر القلانس والخطيب، فـقد هصـرت من أفنان البـلاغة كل غـصن رطيب، ومـا أعلى منازعك، علوت منازعك، ولو حضر لأذعن لك ابن الخطيب، وقد وصف سيـدى ما استحسن من المجلس والساق، وسـاق ذلك أحسن مسـاق، فأبدع ما شـاء فى تناسب واتساق، وإحكام المبنى، وتسديد اللفـظ لغرض المعنى، والخروج من معنى لآخـر حيث لا شعور للسامع، شاغلا له ببوارك سحرك اللامع.

غير أن سيـدنا يسر حسواً فى ارتغا، وما أدرى ما الابتغـا، فقد رأيته راجع الالتفـات، لاستدراك مـا فات. وللنظرة ومدها اسـتنزر. ولصيـده فى جوه حلق واستنسر. وذكر أنه ما أعرض عنه إلا لتوهمه أننى هيأته لنفسى فاستأثرت به. وإلا لالحفه بثوبه. فإن كانت المثابـة العلية ممن يقنع بنظرة. وإن أعقبت حسرة وتمذهب بمن قال:

وهـــويته يســقى المــدام كأنــه ‏ ‏ ‏ ‏ قمر يطوف بكوكب فى مجلس

فقد استوفى حظه. وأنال مراده لحظه. وليكتف بذلك أدام الله حفظه. ولم تبق له منة على فى استـبقائه. حيث اسـتسقى الشـمائل السالفة عند المعـاطفة من تلقائه، وإن يقنع بذلك المقـدور من التغزل، وأراد من خلع العذار كـمال المرام من التنزل، وتمذهب بقول الآخر:

وضمـــمته ضم البخـيل لماله ‏ ‏ ‏ ‏ أحنـو عليــه من جميع جهاته

فلا مـلام. على اغتلام، فـالمجلس والغلام مع كـمال المرام، ولعل بتيـسر الجمع تجـردكم عند الانفصال غـمام، هذه دعابتى بعـثت بها إلى محل كـمالك،

وعظم جلالك، ثقة ببرك. ورحيب صدرك، واعتمادا على تحملك لمداعب، وإغضائك عن المعائب. فأغض أبقاك الله واسمح. وبعين الصفح والتجاوز فامنح.

وفاته: توفى فى مراكش الحمراء بالوباء العام بحواضر المغرب عام ثلاثة عشر ومائتين وألف.

٢٦٧ - محمد بن قاسم بن حَلاَّم المكناسى الدار والقرار.

حاله: خاتمة أعلام عصره فى تقرير مختصر خليل بالزرقانى، وبنانى حسبما وصفه بذلك بعض تلاميذه، فقيه جليل، مدرس نفاع حفيل، تولى نيابة القضاء والأحكام الشرعية، بالعاصمة المكناسية حسبما وقفت على نسخة رسم مسجل عليه محلى فيه بالعلم والتدريس، والنيابة عن قاضى الجماعة بالحضرة المكناسية المولوية بتاريخ منتصف ربيع الثانى عام خمسة وعشرين ومائتين وألف، وعدلاه العلامة القاضى مولاى أحمد بن عبد المالك الحسنى السجلماسى المترجم فيما مر، والسيد محمد بن عبد القادر بن عمر المكناسى.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس أحمد الأغزاوى المدعو الجبلى المترجم فيما مر.

وفاته: توفى سنة أربع وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بالمباح الجديد من ضريح المولى عبد الله بن حمد، دفين خارج باب البرادعيين من مكناس، الموالى لكدية العشاق المبنى سنة نيف وعشرين على عهد السلطان المولى سليمان رحمه الله كذا فى بعض تقاييد أبى العباس المذكور وأخذ عن المترجم.

---

٢٦٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٥٠٤.

٢٦٨- محمد بن عبد القادر بن محمد فتحا بن عبد القادر بن على بن موسى بن المير الصبيحى النافعى الغربوى أصلا الزرهونى داراً ومدفنا يعرف بابن قدور.

حاله: فاضل دين، خير ناسك ورع، فقيه متضلع جليل، علامة معتمد فى الفروع والأصول، مفت مدرس، بركة كامل، تولى قضاء الجماعة بالحضرة المكناسية المولوية الهاشمية، وقفت على رسم حبسى مسجل عليه بالحوالة المشتركة بين الكبرى والأحمدية أعنى المنسوبة لمولاى عبد الله بن حمد بتاريخ تسعة عشر ومائتين وألف، وذلك بصحيفة مائتين وثلاثة عشر محلى فيه بالعلم والفضل والتدريس والتحقيق والإتقان وقضاء الجماعة بالحضرة الهاشمية المولوية السلطانية مدينة مكناسة، وآخر بتاريخ أربعة عشر ومائتين وألف، وآخر تأدية بصحيفة مائتين واثنى عشر، وآخر بتاريخ سبعة عشر ومائتين وألف وفيه زيادة نسبة النافعى بعد نسبة الصبيحى.

حدثنى ابن عمنا العلامة الثبت المحقق سيدى محمد بن أحمد العلوى أنه أخبره بعض المسنين ممن أدركه يتعاطى خطة الشهادة سماعا من الشريف الفقيه سيدى عبد الواحد الإدريسى، أن المترجم كان قاضيا بالزاوية الإدريسية من قبل الأمير مولانا سليمان، فاتفق أن الأمير المذكور جاء لزيارة الضريح الإدريسى فخرج أهل البلد لاستقباله عدا الفقيه المذكور، وأهل مجلس درسه، فإنه تأول أن محبة الأمير فى العلم ونشره تقتضى أن يجده فى درسه حين مروره بالمسجد للضريح فعمل على ذلك، وحين دخل الأمير المسجد وعاين اشتغاله بالدرس قام مع أهل مجلسه وأدوا حينئذ تحية الأمير فغضب من ذلك وعزل المترجم من خطة القضاء، قال محدثى المذكور: لكن سألت عن ذلك بعض المسنين من عدول بلدنا، فأخبرنى أن المترجم لم يتول القضاء بالزاوية، وإنما كان من جلة المفتين، فاتفق أن أفتى فى قضية وقعت من يهودى كان محترما بأخت السلطان المذكور بأن تقطع يده

لموجبه فقطعت وفق فتياه فأفضى ذلك إلى موت اليهودى، فغضبت من ذلك أخت السلطان فسجن المترجم لذلك فى دار شأنها إهلاك من يسجن فيها، فلما أُدخلها المترجم ودار على أماكنها وجد على حجر كنيفها اسم الجلالة مرقومًا بقلم لا يهتدى إليه كل الناس، فأسرع بتقليع ذلك الحجر وتطهيره ورفعه إلى محل لا تصل إليه إذاية، فكان ذلك من أسباب سلامته وحصول الفرج له، وانضم لذلك كون الشيخ سيدى أحمد التجانى كان كتب لصاحب الترجمة بملازمة قراءة صلاة الفاتح والله أعلم أى ذلك كان.

مشيخته: أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة، وأجازه عامة حسبما وقفت على ذلك بخط بعض الأعلام الأثبات، وعن المحشى بنانى وطبقتهما، وأجاز له خاتمة المحدثين الشيخ مرتضى الزبيدى شارح الإحياء، والقاموس.

الآخذون عنه: منهم مسند فاس وراويتها فى القرن الثالث عشر أبو محمد التهامى ابن المكى بن عبد السلام بن رحمون المتوفى عام ثلاثة وستين ومائتين وألف، وأجازه عامة وبجميع ما تضمنته فهرسة الشيخ التاودى ابن سودة، وفهرسة ابن الحسن بنانى، وفهرسة ابن قاسم جسوس، وفهرسة أبى العباس الهلالى، وفهرسة بن العربى بن الحاج السلمى، والمنح البادية لأبى عبد الله محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى، وفهرسة ابن عبد السلام الناصرى، حسبما وقفت على ذلك فى نص إجازة المترجم لتلميذه المذكور ومنها نقلت، ومنهم أبو حامد العربى الدمناتى فقد صرح بالأخذ عنه فى فهرسته، وابن العربى الحدرانى، والسيد المهدى الورياجلى وغيرهم.

مؤلفاته: منها رجز نظم فيه العقائد المندرجة تحت كلمة الإخلاص ودونك نصه:

وقـــــــول لا إله إلا الـلـه — مـــــحــــمــــد، أرسلـه الاله

يجـمـع سـتـة من الصـفـات — وضف لهـا الـسـتـين بالثـبـات

أولهـــا الوجــود ثم الـقــدم — كـــذا البـقـــاء دائمـا لا يعــدم

مـــخـالف وقـــائم كـمـــا أتى — والسـمع والبـصـر جـاء يا فـتى

كـذا الكلام مع سـميع وبـصيـر — ومـــتكـلم تعـــالى المقـــتـــدر

ونفى الأغـراض وحـــتم الفـعل — كـــتـــأثيـــر بقـــوة فــحـــصل

فـهـــذه أربعـة عـشـر صـفـة — وضـــدها تحت الـدنى مـؤلفــة

وتحت الافـتـقـــار يدخل عـدد — قـــدرتـه إرادته علم الصــــمــــد

حـــيـــاة قـــادر مــريد عـــالم — حى وواحــــدانيــــة لا تســـأم

ونفـى تأثيـــــر بطبـع وكــــذا — حـدوث عـــالم وضـــد ذا خـذا

فـــهـــذه عـــشــرتان مما وصف — مع اثنتـين ضـفـهـمـا لما سلف

وتحت ثـان من شــــهـــادتـين — صــدق أمـــانة بغـــيـــر مــين

كــذاك تـبليغ وضــــد كـــذب — خيـانة كـتـمـان شىء لا تخب

جـواز الأعـراض وضـدها فـزد — الإيمـان بالعـقـبى وبالرسل تعـد

وبالمـلائكـة أيضــــا والكـتب — وصد ذى الأربعـة العظمى تصب

فـــهـــذه تدخل تحت الصـــدق — عليك بـالمسيـــر صــوب الرفق

وكل مـــا ذكـر مــن صـفــات — جـملتـهـا ست على الثـبـات

كمل بهـا الستـين تحظ بالصواب — وتملك الأمـان فى يوم الحـســاب

صلى إلـه العــرش كلمـــا دفق — حب الغـــمــــام وبه نور فـــتق

على البـشـير والـنذير المصطفى — وكل من بالاعـــتـــقـــاد قـــد وفى

وله توليف فى نحو الكراسة على ما قاله مؤرخ سَلاَ، الفقيه السيد محمد ابن على السلاوى فى الكلام على البسملة والحمدلة والصلاة على النبى وفى نسب الحمد والشكر.

وفاته: توفى فى منتصف حجة الحرام متم عام واحد وثلاثين ومائتين وألف، وضريحه أسفل المحل المعروف بالدرازات من حومة الحفرة عن يمين الذاهب لمزارة الحرم الإدريسى من الزاوية الإدريسية فى بيت خاص به معروف.

٢٦٩ - محمد بن العربى الزمورى، من زمور الشلح القبيلة البربرية الشهيرة، الحدرانى بفتح الدال وتشديد الراء نسبا المكناسى دارا.

حاله: علامة حافظ، مدرس أديب مشارك، نحوى عروضى منطقى بيانى أصولى، فهامة دراكة، خاتمة المجتهدين، وقدوة العاملين حاج أبرّ. صالح أشهر.

مشيخته: أخذ عن صاحب الترجمة قبله يليه كما سبق.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس الأغزاوى الجبلى مار الترجمة فى الأحمدين، وهو الذى حلاه فى تقاييده بما ذكرناه ومن خطه نقلت مباشرة وقال أيضا: وقد رثاه الفاضل الوجيه، العلامة النبيه، الحافظ الأكمل العالم الأجل. الحجة الأنبل. المدرس الأكبر. المحدث الأشهر. أبو عبد الله سيدى وسندى محمد ابن الحاج الأبر، الفقيه الأشهر. صاحب العلم الأكبر، علم الأبدان، الواجب تعليمه قبل علم الأديان، سيدى الحاج محمد الهادى الغرناطى الأندلسى نسبا المكناسى أصلا ومنشأ ودارا. هـ.

٢٧٠ - محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن هنو اليازغى قاضيها.

حاله: فقيه علامة، مشارك موثق، مؤلف مجيد فاضل، حافظ حجة، أعدل أهل عصره، صدر نحرير كامل، وكان يتعاطى خطة الشهادة بسماط عدول فاس،

وكان غير حريص عليها، قنوع بالقليـل، خرج يوما القاضى أبو العباس ابن سودة من مقصورة مـجلس حكمه فرأى الشيخ المترجم ذاهبـا من سماط العدول لداره، فسأله عن مـوجب استعجاله؟ فقـال له الشيخ: حصلت على ما أحتاج إليـه لنفقة يومى ولا حاجة لى بـالزائد على ذلك، وتولى قضاء الجماعـة بالحضرة الهاشـمية مدينة مكناسة الزيتون.

وقفت على رسم سجل عليه بتاريخ سابع عـشر جمادى الأولى عام عشرين ومائتين وألف، وآخر بتـاريخ خامس جمادى الأخيرة من العام المذكـور محلى فيه بما لفظه: يشهد الفـقير إلى الله سبحـانه، الراجى عفوه وغفرانه. قاضى الجـماعة بالحضرة المولوية الهاشمية وهو محمـد بن محمد الهنيوى اليازغى أعزه الله، وآخر مؤدى عليـه بتاريخ خامس رجب العام عـدلاه عبد الرحمن بن التـهامى المزطارى ومحمد المكى بن الجيلانى بن المير، وآخر بتاريخ عشرى شعبان من العام نفسه نص تحليته فيه العـلامة إمام المدرسين، وقدوة المتقين، قاضى حـضرتى فاس الإدريسية القرويين والهـاشمية السلطانيـة المولوية مدينة مكناسة الزيتـون، المصونة باسم الله المصون، وهو القاضى الخ.

مشيخته: أخذ عن الشيخ عبد الواحد بن أحمد بن التاودى بن سودة حسبما صرح به فى مكتوب له، والشيخ عبد الكريم اليازغى المتوفى فى السابع والعشرين من ذى القعدة عام تسعة وتسعين ومائة وألف وغيرهما.

مؤلفـاته: له شرح على شـامل بهرام فى عـدة أسفـار ضخام تـم به شرح العلامة التسولى بأمر السلطان الأعدل مولانا سليمان رحم الله الجميع.

نثره: من ذلك قوله مقرظا البسـتان الظريف لأبى القاسم الزيانى: الحمد لله الذى له ملك السـمـوات والأرض وحده. والصـلاة والسـلام على من هو للأنام قدوة. مولانا محمد أفضل هذه الأمة. وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى مولانا

أميـر المؤمنين، وأختم بالدعاء والرحمـة، لمن نزه أبصارنا وشنف أسمـاعنا بمطالعة هذا التأليف الحافل البـاهر، والبحر المتلاطم الأمواج الزاخر، الجـامع لخبر الأوائل والأواخر، وأطلع فى فلك شـمس هذه الدولة العلوية الإسماعيليـة التى كانت فى حيـز الإهمال. ولم يتعـرض لذكرها أحد من أدباء وقـتها بنقص ولا كـمال، ولا تفصيل ولا إجمـال، وفى غابها الأسد الهصور، والنمر المقـدام الجسور، والهيكل الأكبـر، والقمر المنير الأزهر، الـعادل بن الكامل بن الفاضل بن الجليل، سليـمان ومحـمد وعبد الله وإسـماعيل. وكيف لا وفـيها ثالث العمـرين. ومشيد مـعالم الدين، بهجة الزمان، وآية الرحمن، أمير المؤمنين مولانا سليمان، فكيف لا يفتخر على الأدباء من ألفـه، وكـيف لا يعلو على الرؤسـاء من صنفـه، وخلد آثاره فى وجنات الدهور وشما، ومكارمه فى المشارق والمغـارب وسما، فحقه أن يكتب منه نسخـا ويشهر، ولا يقـتنى ويدخر، لاشتـماله على فضـائل هذا السلطان الجليل، الماجد الأصيـل، وجمعه لخبـر الأولين والآخرين، فى الجاهليـة والإسلام والفرق الضالة الملحدين، خذ ما شئت من آيات قرآنية تنزيلية، صحابية، وقصص معلومة تابعية، ومـواعظ صوفية، وحكم لقـمانية، وحكمة أفـلاطونية، وسياسـة عدلية، وقوانين أزلـية، ورسائل سـجاعـية، وأشعـار أدبية، وحكايات أنسـية، وقـواعد هندسية، وضوابط فلسفـية، ونوادر ومداعبات سرجية، وتقـاويم فلكية، ومساحة طولية وعرضية، وصورة أرضية، مكورة وبسيطة، ونصوص قطعية سنية، فى الرد على أهل البدع من الخوارج والروافض والمعتزلة.

وشبهت هـذا التاريخ. بالنخلة ذات الشماريخ، تعلو عـلى رءوس الأشجار كالتاج، وتضىء ثمارها كـالسراج، ينفتح طلعها فى بياض الأكمـام، وحبه كالدر المنظوم فى أجيـاد الحور المقصورات فى الخـيام، ثم يرجع كالياقـوت الأحمر، ثم يكون فاقعا أصفر، فإن نضج عاد العسل منه يقطر، فإذا اسود ويبس يكون تمر.

وكذا هذه الدولة مطرزة بلطائف كل دولة، منمقة بكلِ من له نخوة وصولة، ممزوجة بكل حـادثة وقعت قبلها، وفى قـصرها وضعت كل حامل حـملها، وكل عروس طوقتهـا حليها، اطلب ما شئت من شراب عـذب سائغ بعد القرى، فكل الصيد فى جـوف الفرى، تقبل الله من مخـترعه عمله، وبلغـه فى الدارين قصده وأمله هـ.

ومن ذلك رسالة كـتب بها إلى العلامـة سيدى عـبد الواحد بن أحـمد بن التاودى بن سودة، رأيتـها بخط العلامة المحـقق، قطب الفصاحة وأسـاس البلاغة والبراعة، مـركز العلوم، المحيط بالمنطوق والمفهـوم، المتخلق بمكارم الأخلاق، مع الأقارب والأباعـد، سيـدنا العلامـة أبى محـمد عبـد الواحد، من تحلى بـقلائد العقيان، وبرز على الأقران. إلى غاية لا يختلف فيها اثنان، وليس الخبر كالعيان، وكيف لا وهو نتيجة مولانا أبى العبـاس نجل مولانا الإمام، سيد العلماء الأعلام، وشيخ المشايخ العظام، خاتمة المحققين، ونخبة الأولياء العارفين.

مَنْ أشرقت أنواره على الحاضر والبادى، سيدنا ومولانا التاودى، قدس الله روحه وأعلى درجته فى عليين، وأبقى بركتـه فى ذريته وعقبه وسائر المسلمين إلى يوم الدين، هذا وقـد ورد علينا كتـابكم السنى، وخطابكم الشهـى، وقد تلألأت بمعانى تـبيانه وجـواهره الحسـان أقلام السطور والطروس، واهتـزت ببديع براعـته وبلاغته الأعطاف والرءوس، وسما ببديع البنان وسحر البيان، على قس وسحبان، لا زالت أقلامكم تجـرى بالسعـادة والسعـود، وتبعث الأمانى البـيض من الخطوط السود، وبعـد سلام ألطف من نسيـم الصبا، وألذ من أيام الشـيبة والصـبا، وثناء منتظم كعقود الجمان، وأبهى من الورد فى أجيـاد الحسان، فإن سائلكم عن مسألة الحبس قال إنه يأتى برسـمه لينظر، فلعله بدا له وتأخر، ونحن على مـحبتكم مع الاعتـراف بنفعكم والأخذ عنكم، زاد كم الله شـرفا وتعظيمـا، ومكانة وتكريما،

كتب من ولا يخفى عليكم وسمه لطف الله به محمد بن محمد بن عبد الرحمن الشهير بابن هنو تغمده الله برحمته ثامن وعشرى شعبان عام تسعة وعشرين ومائتين وألف.

٢٧١ - محمد بن أحمد بن الكبير العوفى قاضيها.

حاله: فقيه جليل، علامة نبيل، صدر نحرير، فاضل كامل، قدوة بركة شهير، حافظ حجة حفيل، إمام خطيب، مصقع بليغ، تولى خطة القضاء بالحضرة السلطانية مدينة مكناسة الزيتون، وقفت على رسوم بخطاباته وإعمالاته والتسجيل عليه أحدها بتاريخ سابع ربيع النبوى عام ١٢٢٨ ثمانية وعشرين ومائتين وألف وآخر بتاريخ ثلاثين ومائتين وألف.

حدثنى من أثق به من أهل العدل أن أهل مكناس رفعوا شكواهم بالمترجم للسلطان العادل مولانا سليمان وطلبوا منه عزله عنهم فلم يرفع لهم رأسا، وقد كان عزم على الوقوع ببعض عتاة البرابر، وأظنه عين له زمور الشلح، فلما نزل بهم ظهروا عليه فصار يقول: اللهم اشهد بأنى عزلت العوفى عن منصبه. فوقعت الكرة حينا على أولئك العتاة وظفر بهم وكسر شوكة بغيهم فنجز عزله فى الحال.

شعره: من ذلك قوله مضمنا الكلام على فروع أولاد ابن سودة ونسبهم وما كانوا عليه قديما وحديثا حسبما وقفت على ذلك فى بعض الكنانيش ودونك لفظه:

تدرى وتجحد ما ترى قوما رووا ... عنى أحاديث الصبابة ما اختفوا
سل عن غرامك من وثقت بنصحه ... لتكون من أهل المحبة إذ هووا
واجف الجوى وأرض الهوى متثبتا ... بشعاره كى لا ترى ممن جفوا

---

٢٧١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٥٠٤.

فـالصبـر أجدر بالتلذذ فى الهـوى والذل عين الـعز فاصبر إن قـضوا

ودلالهـم فـيــــه المـنى لو بالمـنا يـاهـل تمـثل مـن أطـاع بمـن أبـوا

وإذا الذليـل تواصلت أفــــراحـــه هجــر الألـى عن باب ذلهم انـثنوا

طابت حـيـاة مـــسـاعـدى ودنا له فـأعـــاق واشـيـه وســروهم بكوا

ما كل من يهـوى يراعى فى الهوى نهج الألَى يـهـوى ومـا عنـه نهـوا

والمدعى لو شـــاهدت عـــيناه مـــا شــاهـدته يفنـى كـأقـــوام فنوا

تركـــوا المآكل والمشـــارب عـفـــة وتمسكـوا بودادهم وبه اكـــتـــفـوا

هانوا النـفـوس تذللا فـحـــبـاهم عـز الوصـال وعاينوا مـا قـد عنوا

قـرت العـيـون منهم بحـبـيـبـهم ورضـــوا بذلهم له وبه اشـــتـفـــوا

فغـدا الغـرام شفـيعهـم فتشفـعوا فى المدعـين فخـيروا فـيمن عـصوا

فهـموا فهامـوا فى الحقيقـة فانجلى عنهم ظلام الجـهل فـيهـا واجـتلوا

والمقـتدون على الشـريعة خـيمـوا فـسقـوا معـين شـرابها حـتى رووا

سهروا الدياجى فى العلوم فأصبحوا غـرا جهـابذة على الفـضل احتـووا

مـثل السـراة السـوديـين فكم بفـا س من مجـالس أظهروا ولهـا علوا

حـــفظا لـدين الله مـن غـــرناطة جـاءوا وما زاغـوا ومن كفـروا قلوا

بزغوا بدورا مـوضحيـن سنا الهدى زمن المرينى فـــاسـتـقـروا وازدهوا

جـاءوا إلى نشـر العـلوم فـيـالهم بالنسـك والدين القـويم لهــا أتوا

مـــا بان فى أفق السـعـــادة طالع للدين إلا نحــوه خـبـبـا ســعـوا

فى كل عـصـر هم أئمـة وقـتـهم فتوى قـضا نسكا به الفضـلا اقتدوا

فسلن لسان الدين أعنى ابن الخطـ ـيب وصفوة والقادرى عمن مضوا

جمعوا الفضائل والمكارم والتقى وعلى معارج نسبة الشرف استووا

فالسوديون جميعهم من متلد منهم بأندلس ومن يمن ثووا

سل عنهم صنعا بذى يمن وعن شرف شهير كالظهيرة قد حووا

فلهم بها مجد وعلم ثروة ومروءة وعلى حبا الخير انطووا

وعصابة منهم بأندلس لقد نسبوا لمرة من قريش واكتفوا

علموا بأن العلم أوفر قسمة بالإرث من طه فحازوا واقتنوا

خاروا انتسابهم إلى علم وما بانوا عن الشرف الأصيل وما انتفوا

شيم إذا عدت يباهى بعضها بعضا ولكن الفعال بها نموا

خل المزايا وائت بالخلق التى كرمت وكل العالمين بها سموا

تنسى الأواخر ما الأوائل أنهجوا فإذا الأوائل من أواخرهم حيوا

فالسوديون المريون ذوو الوفا لهم المكارم والمنابر قد علوا

ما كان غيرهم استحق دراسة فى مدرس أو جامع وهم يروا

ومن استمد سجية من فضلهم منحوا المريد مراده ولكم حبوا

ناهيك ما فى الغرب إلا دارهم وهم بها يعسوب سر ما انقضوا

لا زالت الأحقاب تبدى عزهم والعز يتبع شوطهم وله مشوا

سل من تشا فى بابهم فهم الأولى سادوا وشادوا ذروة ولها ارتقوا

أكرم بهم يا نعم ما حازوه من مجد أثيل شامخ فيه اجتبوا

هذى شعارهم وهذا دأبهم ما أن يحيدوا عن كريم لا ولوا

زانت مـدائحـهم نـظام مـحـبـهم فـامـتـاز بين مـعـانديه وإن عـتـوا

ما كل مـن مدح الكرام أصـاب ما فـيهم ومـا كل إذا مـدحـوا صغـوا

لـكـن مناقـب هـؤلاء جـليـلـة أنسـتك ذكـر من مـضى لما بدوا

دلوا على الهـدى القـويم بحـالهم ومـقالهم ومـن الجهـالة قـد شفـوا

فـالله يحـفظـهم ويبـقى فـرعـهم وهم هداة لـلأنام كـمـا اهتـدوا

قلت: حدثنى بعض العدول المبرزين الأثبات من شيوخى الأعلام، أنه وقف على هذه القـصيدة بـخط ناظمهـا عند الفقـيه السيـد المكى بن سودة نجـل قاضى الحضـرة المكناسيـة العلامة السـيد الحاج المهـدى آتى الترجمـة خاليـة من الأبيات المصرحة بنسبة الممدوحين بهـا للشرف، وإنما هى ملحقة بالهوامش بخط غير الخط المكتوب به الأصل. هـ.

وعليه فلا ريب أن تلك الأبيـات مختلقة، ومما يؤيد اختلاقـها ويبرهن على براءة المترجم منها قـوله فى البيت الرابع والثلاثين من نفس القصيـدة: فالسوديون المريون ذوو الوفا، فـإنه اقتصر على نسبـتهم لمرة، وقد حقق النـسابون أن مرة من مشـترك الأنساب كمـا هى فى قريش فى غيـرها من قبائل العرب، وقـد تقرر أن الأعم لا إشعار له بأخص معـين، وإذا كانت القرشية لم تتحقق فكيف بالهـاشمية التى هى أخص، وقوله أيضـا قبل ذلك فى البيت الثـالث والعشرين فـسلن لسان الدين الخ، فإن ابن الخطيب وصاحب الصفوة والقادرى فى النشر المحال عليهم لم يفه واحد منهم بكون السوديين من أهل النسبة الطاهرة الهاشمية.

هذا وقد وقـفت على ما يقطع دعوى كل ناعـق النسبة لبـيت السوديين فى رسالة للعلامة الأصـيل السيد أحمد بن سودة قاضى حضـرتنا المكناسية جوابا عن

مكتوب مخزنى صدر له فى الباب ودونك نص السؤال والجواب بعد الحمدلة والصلاة:

«محبنا الأعز الأرضى الخلفية عم مولانا المؤيد بالله مولاى عرفة أمنك الله سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصل كتابك معلما بأن الفقيه السيد التاودى بن سودة ورد عليك بجريدة عرف بكتابها عدلان يريد إثبات النسبة الطاهرة طالبا منك توجيهها لشريف الأعتاب بقصد اطلاع العلم الشريف عليها وإمضاء مضمونها بالطابع الشريف تسليما لأمرها، وصار بالبال، فقد وصلت وأنهيناها لعلم سيدنا أعزه الله فاستفهم أيده الله عما كان تقدم لأسلافهم فى ذلك، وهل كانوا ينتمون إليها ويدعونها لأنه قد مضى منهم عدد من فحول العلماء كالشيخ التاودى وأضرابه ويبعد كل البعد عدم اطلاعهم على شىء من ذلك وجهلهم به، بل قد وقع الوقوف فى عدد من التواريخ الصحيحة على دعوى انتسابهم لمرة بن كعب وبه كنانبشه وتقاييده ولا زالت قائمة الذات إلى إلا آن.

ولو قيل قد يفتح الله للآخر ما لم يفتح به للأول، لقال بذلك والده الفقيه السيد المهدى رحمة الله، وعمه الفقيه القاضى السيد أحمد، فهل يدعى شيئا من ذلك أو يقول بين ذلك عن أمر سيدنا أيده الله ليظهر، وها الجريدة ردت إليك طيه وعلى المحبة والسلام وفى ثانى عشر قعدة عام ثمانية عشر وثلاث مائة وألف».

«الحمد لله حبنا الأجل الأمجد، الفقيه الكاتب السيد الحسين بن سعيد حفظكم الله ورعاكم، وسلامه عليكم ورحمته، عن خير مولانا نصره الله وأدام علاه.

وبعد: وصلتنى نفولتك مع ما كتب به لسيدنا ومولانا الخليفة أسمى الله قدره وعلمنا المراد من ذلك كله، وأن نجيب عنه بما عندنا، فاعلم رعاك الله أن

الذى أدين به الله سبحانه وألقاه به هو ما كنت أسمعه من أشفتى ومنهم أخونا سيدى المهدى وعمى شقيق والدى وهو السيد حمو رحمه الله، هو أن بيتنا بنى سودة ينتهى إلى مرة بن كعب أحد أجداد النبى ﷺ، وعليه فما يرويه ابن أخى سيدى المهدى المذكور فالله سائله عنه يوم القيامة، وكفى حديث من انتسب إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام، اللهم إنا نبرأ إليك مما يدعيه هذا ابن الاخ وأمه قرميدية بنت هم أمى قرميدية، ولا نعلم له حجة فى ذلك لا باعتبار أبيه ولا باعتبار أمه، وبيننا وبين من يؤيده ويعضده الله تعالى.

وأما الجريدة التى أدلى بها فلا تقوم له بها حجة، لأنها مطعون فيها من وجوه كلها شرعية، إذ مبناها على هى بن بى، وقد قال التتائى شارح خليل نقلا عن التوضيح قضية والناس مصدقون فى أنسابهم وتبعه بهرام ما نصه: وهذه العبارة واضحة بالنسبة للالتحاق، وأما إن ادعى شخص أنه شريف فينبغى أن لا يصدق، فكتب عليه العارف بالله سيدى عبد الرحمن الفاسى فى حواشيه على المختصر ما نصه، فقول التتائى: فينبغى أن لا يصدق، يعنى حماية لجانب النبى ﷺ وغيرة، فهو موافق لما نص عليه غيره من العلماء.

وكفى هذا فقها قاله وكتبه مشهدا به على نفسه فى ثالث، حجة الحرام متم عام ثمانية عشر أحمد بن الطالب بن سودة، ولا أقول السودى لأنه نسبة إلى قرية باليمن، مع أن سكنى أسلافنا غرناطة ثم بفاس زيادة أسلافنا قدموا فى جند الشام زمن بنى أمية إلى الأندلس، فنزلوا إلبيرة ثم انتقلوا إلى غرناطة ثم إلى فاس وقاها الله من كل باس» من خط من كتب من خطه بحروفه وناهيك به حجة.

وفاته: توفى شهيدا رحمه الله بالطاعون الذى كان عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف، ودفن بروضة المولى عبد الله بن حمد الولى الشهير آتى الترجمة بالمباح الموالى لكدية العشاق، كما وقفت على ذلك ببعض التقاييد الموثوق

بصحتها، بخط العلامة المتفنن أبى العباس أحمد بن محمد الأغزاوى الشهير بالجبلى المكناسى المترجم فيما مر.

٢٧٢ - محمد بن الكبير العوفى.

حاله: فقيه متفنن كاتب موثق فاضل خطيب مصقع ولى خطبة جامع بريمة من حضرتنا الهاشمية المكناسية.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره ممن هو فى طبقته.

وفاته: توفى بعد المترجم قبله يليه بأيام قلائل مطعونا أيضا، ودفن بمباح ضريح ابن حمد المذكور آنفا.

٢٧٣- محمد فتحا بن أحمد بن محمد بن الولى الصالح أبى يعقوب يوسف بن على الحاج المدعو بركْشة[1] بفتح الباء وكسر الراء وسكون الكاف الرهونى.

حاله: حامل لواء تحقيق الفقه المالكى فى زمانه، مرجوع إليه فى تمييز لجينه من لجينه، ورد فروعه لأصوله، أحد أفراد رجال الديار المغربية علما وعملا وفضلا وصلاحا وتقى وهديا وتواضعا وورعا ونسكا وصلابة دين، وضبطا وإتقانا ومعرفة وتحريرا وتحبيرا ونقدا، وقبولا وردا، له مشاركة تامة وباع مديد، انتهت إليه رياسة الفتيا فى زمنه ببلاد الهبط، وكان له القدم الراسخ فى إدراج الجزئيات تحت الكليات، والتصرف فى المذهب بقواعده، ينسب الأقوال لأربابها على طريق المتقدمين، وحاشيته على الزرقانى وبنانى أعظم دليل على تضلعه فى الفروع والأصول ومديد باعه، وسعة اطلاعه، وبلوغ الغاية القصوى فى إصابة المرمى،

---

٢٧٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٩٣.

(١) فى إتحاف المطالع: «المدعو بروكشة».

والاقتدار التام على الخوض فى عباب الفقه المالكى، ومعرفة أسرار منطوقه ومفهومه، وتفوقه على كثير ممن تقدمه وعاصره، وكان سريع الدمعة دائم الخشية والذكر والتهجد بالأسحار، محبا للصالحين منحاشا لأهل الفضل والخصوصية من المتقين لا تأخذه فى الله لومة لائم، وبذلك نما حاله وتم أمره وأثمر غرسه.

وكان أكثر مقامه بوزان، وقد خطب بها بمولاى سلامة بن محمد بن عبد الله بن مولانا إسماعيل أول جمعة عندما بويع له بها وذلك يوم الجمعة متم رجب الفرد الحرام عام ستة ومائتين وألف، وكان المتولى حمل راية بيعته سيدى على بن أحمد بن الطيب الوزانى المتوفى يوم الثلاثاء تاسع ربيع الأول عام ستة وعشرين ومائتين وألف، وأعانه على ذلك جماعة أبناء عمه وسيدى على بن ريسون، ودامت دولة المولى سلامة بوزان شهرين، أفاض فيها الأموال الطائلة والملابس الفاخرة على أهل وزان، ثم خلع نفسه وخرج فارا من وزان ناجيا بنفسه ليلة السبت تاسع عشرى شعبان عام ستة ومائتين وألف على ما فى تاريخ الضعيف، ويأتى إيضاح ذلك بحول الله وقوته فى ترجمته وفى القسم الدولى.

ثم إن المترجم قد استوطن مكناسة مدة، وكان محل استقراره بها بمدرسة الخضارين كما يشير إليه ما يأتى عنه، وذلك مدة نقل شيخه الجنوى إليها.

ومن فوائد المترجم فى حاشيته على الزرقانى وبنانى ما قاله فى قول المتن فى باب قصر الصلاة ولا تنقل بينهما ولم يمنعه ولا بعدهما ونصه، انظر هل يدخل فى النقل بعده أى بعد الجمع ليلة المطر سجود التلاوة، كما إذا قرئ الحزب على الوجه المعتاد بعد الجمع بالمسجد، وقد وقعت هذه المسألة بمكناسة الزيتون زمن قراءتى فيها على شيخنا الجنوى بمدرسة الخضارين، فمن الطلبة من ترك السجود، ومنهم من سجد، ثم تنازعوا بعد الفراغ فى ذلك، ثم تكلموا أو بعضهم معى فى ذلك فقلت لهم: ترك السجود أولى، فلما أصبحنا سألت شيخنا الجنوى، فقال:

السجـود أولى فقلت له: لم؟ فقال: لأنه أرفع رتبـة من مطلق النوافل، بدليل أنه يسجـد بعد الصبح قبل الإسـفار وبعد العـصر قبل الاصفـرار، فقلت له: ولم لا يسجد بعد الإسفار والاصفرار؟ فقال: لأن الكراهة إذ ذاك أشد، فقلت له: فإذا لم يفعل ذلك لـشدة الكراهة فهنا أحـرى لمنع النفل بعد الجـمع، فقـال لى: من قال بالمنع؟ فقلت له: المواق نقلا عن عرفة والزرقانى، فأمر طيب الله ثراه بإحضارهما فأحضـرا، فوجد الأمر كمـا قلت فَسَكَتَ فسكتّ فانفـصل الأمر على ذلك، ولم أزل بعد أبحث على النص فى ذلك الـبحث الشديد، وأطلبه الطلب الأكـيد، إلى وقتنا هذا فلم أجد من تعرض لذلك أصلا، والظاهر عندى أنه لا يفعل لما ذكرته، ولأن القول بأن سجـود التلاوة كمطلق النفل لا يفعل بعد الصبح ولا بـعد العصر قوى. هـ وقد تابعه مختصره فيما استظهره والله اعلم

مشيخته: أخذ عن الشيخ التاودى ابن سودة المرى المتوفى يوم الخميس تاسع عشرى حجة عام تسعة ومائتين وألف عند صلاة العصر ودفن من غده بعد الظهر، سمع عليه موطأ الإمام مالك بقراءته عليه، وصـحيح الإمام البخارى بعضه بقراءته وجله بقراءة غـيره عليه وهو يـسمع، وسمع منه مـواضع من التفسـير وشيـئا من صـحيح الإمـام مسلم، وشـيئـا من لامـية الأفـعال لجـمال الدين بن مـالك فى التصريف، وذاكره فى عدة مسائل فقهية وأجازه عامة.

وأخذ عن الشريف أبى عبد الله محمد بن الحسن الجنوى المترجم قبل، وهو عمدته وعليـه معوله لازمه فى الحـضر والسفر، ومن ذلك ملازمـته له بمكناس لما أسكنه السلطان بها بقصد بث العلم ونشـره فيها كما تقدم، قرأ عليـه التفسير إلى سورة الـرعد، وصحـيحـى البخـارى ومسلم بقـراءته عليه، والأربعـين النووية، ومخـتصر الشـيخ خليل غير مـا مرة قراءة تحـقيق وتدقـيق، ورسالة ابن أبى زيد القيروانى، والمرشـد المعين لابن عاشر، والتـحفة لابن عاصم، إلا أنه لم يختـمها

عليه أيضــا، وألفية ابن مــالك غير مــرة، ومقدمــة الشيخ ابن آجــروم، وتلخيص المفتاح، وجــمع الجوامع لابن السبكى إلا شيــئا يسيرا من آخــره، والحكم العطائية كل ذلك قراءة حسنة ذات أبحــاث رائقة، وتحريرات فائقة، كــما صرح بذلك كله المترجم عن نفسه فى ديباجة حاشيته على بنانى والزرقانى قال: ولقد منّ الله علىّ بمعرفته وصحبته وخدمته سفرا وحضرا زمنا طويلا، قال: ومن أعظم منن الله علىّ أن غطى عنه مساوئى الكثيرة، وذنوبى الغزيرة التى لا يعلمها إلا الله تعالى، فكان يحبنى حبا شديدا، ويظهر ذلك. هـ وأجازه عامة.

وأخذ الطريقة الوزانية عن سيدى على بن أحمد بن الطيب الوزانى وكان من خاصــته الملازمين له المتــهتكين فى محــبته من غــير غلو ولا تفريط شــأن العلماء العاملين.

الآخذون عنه: أخذ عنه السلطان العــادل مولانا سليمان بن محمــد بن عبد الله وقرظ له حــاشيته على البنانــى والزرقانى وكفى كلا منهــما شرف بصاحــبه، وأخذ عنه أديب الربــاط العلامة ابن عــمرو، وقاضى العــدوتين ومكناسة العــلامة السيد الطيب بن إبراهيم بسير وجماعة من الأعلام.

مؤلفاته: ناهيك منها بحاشيته على الزرقانى وبنانى الموسومة بأوضح المسالك وأسهل المراقى، إلى سبــك إبريز الشيخ عبد الباقى، وحــاشيته على الشــيخ ميارة الكبير للمرشــد المعين، وأظنها لم تكمل، ومجموعــة خطب، والتحصن والمنعة، ممن اعتقد أن السنة بدعة، وإظهــار ما يفكر أهل الفطنة، ليعرض على ذوى الذكاء والفطنة، وهذا أدرجه فى حاشية الزرقانى، إلى غير ذلك مما هو مدرج فى الحاشية المذكورة وما هو مستقل بنفسه.

نثره: من ذلك قــوله فى استدعــائه الإجازة من شيــخته التــاودى ابن سودة ولفظه: الحمد لله الذى لا يعزب عن علمه مــثقال ذرة فى الأرض ولا فى السما،

الذى من استند إليـه ارتقى فى ذروة الكمال وسما. والصـلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد أجل من أسند عنه الرواة والعلما. وأفضل من ارتوى من رشح علومه وحكمه الأولياء والحكما. وعلى آله وأصحابه الذين نقلوا من أقواله وأفعاله وتقريراتـه ما أزالوا به عنا كل غـشاوة وعمـا، صلاة وسـلاما دائميـن ما أرسلت السماء قطرا وبدا بها صحو أو غما، والرضا عن ساداتنا التابعين لهم بإحسان وكل من انتسب إليهم إلى يوم الدين وانتمى.

وبعد: فليتـفضل سيدنا وسندنا ووسـيلتنا إلى ربنا الحبر الهمـام، ذو الثبات والرسوخ شيخ الشيوخ الجهابذة الأعلام، الذى ألقت إليه العلوم كل زمام، فالناس له تابعون وبه مـؤتمون وهو الإمام، أبو عبد الله سـيدى محمد لـتودى ابن سودة المرى، لازال الكريم بنفائس المعـارف إليه يقرى، بالإجـازة لهذا العبد الضـعيف، الذى قطع عمره فى البطالة والتسويف محمد بن أحمد بن محمد بن يوسف الحاج الرهونى، وهو وإن لم يكن لذلك أهلا، فاقبلوه منًّا منكم وفضلا، كى تهب عليه نفـحاتكم العظمى، ويسـتوجب بذلك مـن الله مزيد الرحـمى، ويرتفع بالإسناد إليكم قدر هذا الخـسيس، وكـيف لا وأنتم القوم لا يشقى بكـم الجليس، أجازكم الكريم بأنفس ما أجـار به وفده المقربين، وأطـال بكم النفع للخاصة والعـامة من المسلمين، بجاه سيد الأولين والآخرين، وأختم استدعائى هذا بما قال القائل:

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله   وهـذا دعـاء للبـرية شـامل

ولادته: ولد فى ذى القعـدة الحرام عام تسعة بتـقديم المثناة وخمسـين ومائة وألف.

وفاته: توفى بعـد فجر يوم السبت ثالث عشـر وقيل موفى عشـرى رمضان سنة ثلاثين ومائتين وألف، ودفن يسار محراب روضة شيخه سيدى على بن أحمد المذكور بوزان، رحم الله الجميع بمنه آمين.

٢٧٤ - محمد بن عبد الوهاب أجانا.

حاله: شيخ علامة مشارك نبيل ذكره السلطان أبو الربيع سليمان فى عناية أولى المجد.

مشيخته: أخذ عن أبى عبد الله محمد بن عبد السلام بن محمد فتحا الفاسى المتوفى بمرض الاستسقاء يوم الأربعاء ثانى عشر رجب سنة أربع عشرة ومائتين وألف عن نحو خمس وثمانين سنة.

ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٥ - محمد بن عمر الصنهاجي الأصيل المكناسى الدار.

أحد موالى أمير المؤمنين السلطان مولانا سليمان.

حاله: فقيه كاتب مشارك علامة محرر.

مشيخته: أخذ عن السلطان العادل مولانا سليمان وغيره، ذكره الزيانى فى الجمهرة، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٦ - محمد بن حمادى الصنهاجي الأصل المكناسى الدار.

حاله: فقيه علامة تولى قضاء الحضرة المكناسية.

مشيخته: أخذ عن أعدل الملوك، مولانا سليمان، صرح بذلك الزيانى فى جمهرته، وعن غيره من الأعلام ولم أقف على تاريخ وفاته.

٢٧٧ - محمد السلاوى أحد موالى السلطان مولانا سليمان والداً عن والد.

حاله: فقيه كاتب، نشأ ببيت الإمارة وغذى لبان الأدب الغض، ولاه السلطان المذكور كاتبا بديوانه الملوكى، ثم رقاه إلى الوزارة، ثم إلى الإمارة فى

٢٧٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤٩٤.

الثغور البحرية والقبائل الفحصية ثم لقبائل العرب من المضرية واليمنية، ثم جعل له النظر والكلام إبراما ونقضا مع نواب وسفراء أجناس النصارى ولم يزل يتقلب فى المناصب العظام، ومعارفه وصدقه وإخلاصه تقدمه إمام، إلى أن لبى داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن مولاه أمير المؤمنين مولانا سليمان كما صرح بذلك الزيانى فى جمهرة التيجان، وعن غير واحد من جلة شيوخ وقته.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون عام ثلاثين ومائتين وألف.

٢٧٨ - محمد الزرهونى الأصل الفاسى الدار.

حاله: فقيه كاتب، رقاه السلطان المولى سليمان من الكتابة إلى عمالة وجدة وأعمالها، ثم عزله ورده للكتابة ببساطه الملوكى، ولم يزل بها إلى أن نقله الله إليه.

مشيخته: أخذ عن السلطان المولى سليمان كما لصاحب جمهرة التيجان وغيره من أعلام وقته.

وفاته: توفى بفاس عام ثلاثين ومائتين وألف.

٢٧٩ - محمد بن الطاهر بن محمد بن محمد فتحا بن السعيد بن محمد بن محمد فَتْحًا بن قاسم بن مولاى الحسن بن سيدى يوسف.

نجل مولانا على الشريف من شرفاء بوسلام، أحد قصور ملوية.

حاله: فقيه علامة مشارك نقاد، مدرس فريد عصره، وأعجوبة دهره،

---

٢٧٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٥٣٩.

محقق إمام فى سائر الفنون عقليها ونقليها، ماهر فى التفسير والحديث وعلوم العربية، كثير المطالعة، غزير الاطلاع، محبوب مسموع الكلمة، محب فى الأولياء والصالحين المجاذيب والسالكين، صلب فى دينه، يقال: إنه كان يظعن ويقيم بكتبه العديدة النفيسة وكانت نحو أربعين جملا.

وكان ذا جاه ووجاهة، وهمة جاوزت الجوزاء، ونزاهة، قال فى الشجرة الزكية: استوزره إمام وقته مولاى عبد الرحمن ونوه به ولازمه فى حضره وسفره. هـ.

أخذ مبادئ العربية بسجلماسة، ثم ارتحل لفاس واستوطنها، وكانت سكناه بزقاق الحجر منها حسبما أخبرنى بذلك بلدينا حفيده، ثم استوطن مكناسة الزيتون مدة مديدة، ولازال عقبه بها إلى الآن، وكانت سكناه بها آونة بحومة زقاق القرمونى، وأخرى بحومة حمام الجديد.

مشيخته: أخذ عن سيدى حمدون بن الحاج ومن فى طبقته، وشاركه فى الأخذ عن الشيخ التاودى، واعتمد السيد عبد القادر بن شقرون المتوفى زوال يوم الخميس حادى عشر شعبان عام تسعة ومائتين وألف، والشيخ الطيب بن كيران.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد الطالب بن الحاج، وسيدى التهامى بن رحمون، وأجاز للآخرين عامة بتاريخ فاتح رجب عام ستة وثلاثين ومائتين وألف، ومولاى الزكى صاحب الشجرة الزكية، ومولاى الصديق، ومولاى الحبيب أبناء مولاى هاشم بن محمد الكبير.

وفاته: توفى بمراكش منتصف جمادى الأولى عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، ودفن بضريح مولاى على الشريف مع عمه رحم الله الجميع بمنه.

٢٨٠ - محمد بن منصور الفويسى المراكشى.

ذكـره الضعـيف فى تاريخه وحـلاه بالأديب، وقـال: إنه توفى بمكناس فى شعبان عام ثلاثة ومائتين وألف.

٢٨١ - محمد بن الطيب الشريف الحسنى العلوى البلغيثى.

حاله: فقيه عالم محقق عـدل رضى وجيه، بزكة فاضل منور السريرة وقور معتـقد، عالى الهمة، صلب فى دينه، من أهل زاوية زرهون، تولى نيـابة القضاء بالزاوية المذكورة من عام خمسين إلى سـتين ومائتين وألف، ونسخ البخارى وغيره بيده، وبه اشتـهر عقبه بأولاد ابن القاضى، وبـبلده الزاوية الإدريسية، توفى ودفن بالظهير المقبرة المعروفة بها.

مؤلفـاته: منها شرح على الحكم العـطائية فى جزءين وقـفت على جزء منه بخط يده.

وفاته: بعد الستين ومائتين وألف، إذ تاريخ زمام تركته ثانى ربيع النبوى عام ثلاثة وستين ومائتين وألف.

٢٨٢ - محمد بن إدريس بن محمد العمراوى الوزير الأديب الكبير.

حاله: فقيه أديب شهير، نـاظم ناثر، إمام الصناعتين، وحامل لوائهما بدون مين، تزرى ببديع الزمان بدائعه وأوابده، وتخجل الفتح بن خاقان رقائقه وفرائده.

حلاه بعض حـذاق الكتاب من معـاصريه بما لفظه: رئيس الكتـاب. الآخذ بحلقة الباب، الصدر الذى لا يحسن فيه التـأخير، والحبر الذى لا ينبغى أن يعامل باليسير، برع فى الأدب، وساد بالحسب والنسب. أخـلاقه تنبئ عن نسبه، وشيمه تفصح بعراقـة حسبه، كان ذا همة عـالية وسلامة صدر عن الحقـد خالية، يكافئ المسيء بالإحسان، ويعـامله بما يناسب من الامتنان، ذا وجه وسـيم، وثغر بسيم،

ومروءة ورزانة، وعفاف وصيانة، يحلم إذا أوذى، ويجيب بالسيادة إذا نودى، ويكرم نزيله ويواسيه، ويتفقد أحواله ويدانيه، سهل المنال، لين المقال، صاحب همة عالية، ومائدة بأنواع الخيرات وافية، جاهد أولاده فى تعليم القرآن والعلم، ودربهم على الاحتراف بالحلم، أشد الخدم اعتناء بخدمة مولاه، راع وحافظ لما تولاه، ناصح فالح، قادح مادح، إذا أطلق عنان القلم فى القرطاس، أتى بكل غريبة وحجج مضيئة كالنبراس، لا يتوانى فيما أسند إليه من العمل، ولا يتراخى بطول الأمل، حنكته التجارب والخطوب، وعلمته المحن كل مكروه ومحبوب، هـ مختصرا.

وكان له معرفة بالحساب والتعديل والنحو واللغة والعروض والأدب، منحاش لجانب الله، محب فى الصالحين وأهل الفضل والدين، زوار لهم، متطارح على أعتابهم، يحب السماع ويستنعش به ويرتاح له.

وكان فى أول أمره ينسخ الكتب ويؤدب الصبيان، ثم انحاش إلى أبى القاسم الزيانى وصار ينسخ له مؤلفاته فى الدولة العلوية وغيرها، ثم وقعت بينهما وحشة أوجبت انقطاع المترجم عن الزيانى، ثم عادت الوصلة بينهما على ما كانت عليه قبل حسبما أوضح ذلك الزيانى فى بعض كتبه، وهو الذى قدمه إلى سيدنا الجد من قبل إلام السلطان الهمام، مولانا عبد الرّحمن بن هشام، أيام خلافته بفاس إثر خمود نار ثورة أهله على السلطان العادل مولانا سليمان ولم يزل يقربه ويصطفيه.

ثم لما جلس على كرسى الخلافة بعد عمه السلطان مولانا سليمان أبقاه من جملة كتبته، بل رأسه عليهم لما رأى من حسن عقله وديانته، ثم استوزره فقام بشئون مأمورية وظيفه أحسن قيام لما أسند إليه الرياسة، واختص بالتدبير والسياسة، وصار لا يدخل إلا من بابه، ولا تنال الرغائب من غير ميزابه، واستمر

على هذا الحال، مرضى المقال، مجاب السؤال، إلى سنة ست وأربعين فعزل فى شوال منها عن الرياسة والكتابة، وأمر بلزوم داره وانقطع عند الوارد والصادر.

ثم سجن ونهب وثقل بالحديد، وأصيب بالنكال الشديد، وجفاه القريب والبعيد، إرضاء للأوداية الذين أوغروا قلب السلطان عليه، وصرحوا بأنه السبب الوحيد فى إيقاد نيران الفتن بينهم وبين السلطان أبى زيد مخدومه المذكور، وأنهم لا يرضخون للطاعة ما لم يقتص منه، ولا يرضون وساطته ولا يقبلون دخوله فى أمر ما من أمورهم.

ثم بعد مدة سرح من السجن، وبعد أيام خرج بقصد زيارة مولانا عبد السلام بن مشيش فوشى به بعض الحسدة للسلطان وقرر له أن مقصوده بهذه الوجهة هو الهرب بمال كان دسه، والاستيجار بذلك الضريح، فوجه السلطان فى إثره من رده على عقبه، ثم امتحن محنة أشد من الأولى، فبقى بفاس مدة يلتجئ إلى الله تعالى ويتعلق بأوليائه الصالحين، إلى أن أشار عليه من يشار إليه بالخير والصلاح بالتوجه لمكناسة الزيتون، والسلطان إذ ذاك بها، فذهب إليها واحترم بضريح جد الأملاك مولانا إسماعيل.

ولما بلغ خبره للسلطان أمنه وأمره بالطلوع لشريف أعتابه، فاستكتبه أولا مع وزيره الفقيه السيد المختار الجامعى، ولم يزل فى ترق ودنو إلى أن رده لمنصبه وأعطاه الطابع وعزز له الوزارة بالحجابة، وذلك سنة إحدى وخمسين، ولم يزل على وظيفته بعد عزيزا مكرما، ملحوظا معظما، إلى أن استهل هلال المحرم من سنة أربع وستين فمرض اثنى عشر يوما وقضى نحبه على ما سنذكره بعد رحمه الله.

وكان من عادته أنه يلازم الجلوس بباب القصر السلطانى حتى فى الأعياد وأيام البطالة، يذهب أرباب الوظائف والخدم لدورهم، ويبقى هو بالباب لا يبرح، فإذا تمم أشغاله نام هنالك، ولا يذهب لبيته إلا فى أوقات محدودة، أو حاجة أكيدة، ويقول: الأيام حبالى لا يدرى ما تلد، فربما يحدث أمر وأكون غائبا.

وكان ذا ملكة واقتدار على الاشتغال، يَسُدُّ مَسَدَّ أربعة إذا اجتهدوا، وكان ينبسط إلى الكتاب ويمازحهم قصداً لإدخال السرور عليهم، وكان إذا تحدث مع جلسائه فى فن التوحيد أحجم، وقال: كان شيخنا سيدى محمد الحراق يقول:

نحن فى شرعة الغرام أذله إن أقمنا على الحبيب أدله

ويقول: يكفينا قول من قال: اللهم إيمانا كإيمان العجائز، وكان يقنع فيه بالتقليد ويكره الخوض فيه، ويقول: الخوض فيه مما يوقع اللبس فى ذهن العاجز، وكان لا يرى فى غالب أوقاته غير كاتب أو مطالع أو مصل، وكان محافظا على الطهارة كلما أحدث توضأ.

قال أبو عبد الله أكنسوس: وجدت بخطه يعنى المترجم فى ذكر بعض آبائه الكرام محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس بن محمد بن إدريس ثلاث مرات، فقلت له: ما هذا التكرار؟ فقال: هكذا بخط والدى السيد محمد بن الإمام إدريس ابن إدريس بن عبد الله الكامل، بتكرير محمد بن إدريس فى عمود آبائنا تبركا بالجد المذكور، قال: فقلت لوالدى: هذا النسب صحيح؟ قال: هكذا كان آباؤنا ينتسبون، وكانت عندهم ظهائر الملوك المتضمنة التعظيم والاحترام، وضاعت لهم فى بعض الفتن الواقعة فى باديتهم بعد انتقالهم لفاس هـ.

قال: وكان مقام سلفهم بقبيلة زمور من بنى عمرو منهم من عهد قيام مغراوة على الأدارسة واختفاء الأدارسة فى أغمار القبائل هـ.

قلت: وقد وقفت على تحليته وذكر نسبه وبعض آبائه فى رسوم أنكحة بعض أولادها هكذا: «العالم العلامة، الصدر المكين الدراكة الفهامة، الوزير الشهير، الأديب الكبير، الذى نظم درر الفصاحة فى أسلاكها، وضم درارى الأدب فى أفلاكها، وأسكت كل لسان ببلاغته وأعجزه وأخجل، المرحوم المنعم بفضل الله عز وجل، سيدى محمد بن الفقية الناسك الأجل، الواعظ المحدث المبجل، سيدى إدريس بن الخير الأرْضَى، سيدى محمد بن المكرم المرتَضَى، سيدى إدريس بن سيدى التهامى بن سيدى على بن سيدى محمد بن البركة الشهير الشريف المكين

الأنور المرفوع نسبه إلى أحـد ولدى مولاتنا وسيدتنا فاطمة الزهراء البـتول، سيدنا ومولانا الحسن أحد ريحانتى الرسـول، أبى الحسن سيدى على الشريف الإدريسى الحسنى الشهير بالعمراوى الزمورى البويحياوى.

وكذلك عثـرت على بعض الوثائق بيد أحفـاده أحدها رسم يتضمن مـعرفة الشهود السـيد أحمد بن يحـيى ومن عطف عليه من المتعاشريـن مع بنى عمر من البربر المستقرين بالدروج بأنهم يعرفونهم على أتم وجوه المعرفة وأكملها وبها ومعها يشهدون ويتحققون انتسابهم للجانب العلى، واتصال نسبهم للسيدة فاطمة الزهراء تاريخ الشهادة رابع محـرم عام ستين وتسعمائة، وبعدها أعمـال بعض القضاة لها منهم على بن حماد الحسنى، وقاضى سَلاَ، بتاريخ سادس عشر جمادى الثانية عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف وغيرهم من القضاة المنطمس شكلهم، وبهذا الرسم بتر وانكماش.

والثانى ظهير إسماعيلى نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع السلطانى بداخله إسماعيل بن الشريف الحسنى:

«كتـابنا هذا أسماه الله تعـالى وأعز أمره. وأطلع فى سـماء المعالى شمـسه النيرة وبدره، . . . بيـد حملته الشرفـاء أولاد سيدى أحمد بن يحـيى الحسنى وهم السيد يخلف. . . عبد الملك بن أحمد، والسيد محمد بن أحمد، والسيد العميرى ابن أحمـد، والسيد منصور بن أحـمد، وكافة إخـوانهم القاطنين بقبيلة بنـى عمر يتعرف منه بحول الله وقوته، ونصـره ومعونته، أنه لما ثبت عندنا، واتضح لدينا، وأنهم شرفـاء ينتسـبون للشـجرة النبـوية وبيدهم رسـوم وبراوات الملوك المتقـدمة على. . . فى ذلك وأسبلنا عليـهم أردية التوقير والاحتـرام، وحملناهم على كاهل المبرة والإكرام، . . . عما يطالبون به العوام، بحيث لا. . . أو يحدث لشملهم. . . ولا زيادة. . . معارض يعـارضهم ولا منازع ينازعهم، ومن نازعهم من قـبيلة بنى عمر ولا غيرهم يخاف على رقبته، والواقف عليه يعمل به والسلام فى أوائل ربيع

النبوى عام عشرة ومائة وألف» وبعده شهد على الطابع الشريف صدره عدل فقبل، وانظر اتصال المترجم بهؤلاء المشهود لهم.

ودار سكنى المترجم بمكناس كَانَتْ أولا بحومة حمام الجديد، ثم عوضت لبنيه من بعده بأخرى أحسن بحومة تيبربرين لا زالت تعرف باسمه إلى الآن.

مشيخته: منهم أبو عبد الله بن محمد بن الطاهر بن أحمد الحبابى رئيس الموقتين بمنار القرويين، والفقية الأزمى، والسيد حمدون بن الحاج، والسيد محمد اليازغى، والعلامة سيدى محمد بن الطاهر العلوى المترجم فيما مر وغيرهم ممن هو فى طبقتهم، وأخذ عن الشريف سيدى الطيب الكتانى، والشريف سيدى عبد القادر العلمى دفين مكناسة الزيتون، وسيدى محمد الحراق، واستجاز سيدى عمر ابن المكى الشرقاوى.

شعره: له شعر كثير، كالدر النثير، جمع بعضه ولده الكاتب الأديب الحاج إدريس المترجم فيما سبق فى ديوان يقع فى سفرين وقفت على أولهما ينتهى بحرف النون، قال أوله: إنه كان لوالده القدم الراسخ فى موالاة أهل البيت الشريف ومحبتهم، والانقطاع إليهم وخدمتهم، من عصر الشبيبة إلى الشيخوخة والوفاة، وأنه كانت تصدر منه فى أغراضهم أشعار رائقة، وقواف فى أمداحهم رائقة، وعقود جواهر فى تعداد وقائعهم متناسقة، غير أنه لشغله بالخدمة، وأداء حق النعمة، لم يحتفل بجمعها، ولا ابتغى غير الآخرة من نفعها، فتفرقت أوراقها شذر مذر، وحجب تعاقب الليالى محاسن تلك الغرر، فشرح الله الصدر لجمع ما بقى منها فى بطون الأوراق، وصدر أهل الأذواق، مما رق وراق، وأنه لما رأى ذلك من آكد الحقوق، والإعراض عن تلك البقية ضرب من العقوق، فجمع منها عُلاَلَة[1] بين أمداح نبوية، وتوسلات وهبية، وفوائد وعظية، وتيجان ملوكية،

(١) العلالة: بقية كل شىء.

وحقائق سلوكية، ونسيب وغزل، وجد فى المسامرات وهزل، وقدمه هدية لمخدومه السلطان مولاى الحسن رحم الله الجميع.

ومن جيد شعره قوله من صدر ميلادية:

أعد الحديث عن الحمى وظبائه	فالسمع مشتاق إلى أنبائه
وصل الحديث عن اللوى وعقيقه	والنازلين الجذع من جرعائه
فهناك معترك النواظر والنهى	ومجال أفراس الهوى وظبائه
كم من صريع هوى بأفنية الحمى	فتكت عيون العين فى أحشائه
ومتيم لعب الغرام بقلبه	لما سقاه الوجد من صهبائه
وأسير وجد فى إسار جمالهم	قادته مرسلة العيون لدائه
أن القتيل من الغرام ودائه	مثل الشهيد مضرجا بدمائه
يا صاح إن وافيت منزلة اللوا	ومررت ما بين العذيب ومائه
ولقيت أسراب الظباء رواتعا	يمررن حول الحى فى أرجائه
فاحفظ فؤادك من ظبا تلك الظبا	فلكم كمى صيد فى أحيائه
وإذا بدا سلع فعرج نحوه	وتنشق الأرواح من تلقائه
وإذا مررت بحى قوم حيهم	وصل السلام على الحمى وظبائه
واخلع نعالك فى مقدس وادهم	واحطط رحالك خاشعا بفنائه
فهناك طابت طيبة من طيب من	طاب الوجود بطيب طيب ثنائه
وهناك روضة خير من ركب المطا	وأجل من لاذ الورى بعلائه
وهناك قبر المصطفى من فضله	غمر الوجود بجوده وعطائه

وهناك مَنْ أسرى الإله بذاته ليلا فنال الفوز فى إسرائه

وحباه قربا لا يضاهى وخصه بمصون سر الحب فى إيحائه

وأراه من آياته وصفاته ما كلت العقلاء عن إحصائه

وكساه من إجلاله وجلاله ما حارت الأفكار فى إنهائه

إلى أن قال يذكر السلطان:

فاق الشواقب بالمناقب والحلى وزرى بطيب المسك طيب ثنائه

قد فاخر الأعصار عصر وجوده وتنافس الأملاك فى استصفائه

غمرتنى أنعمه التى قد أعجزت شكرا فقمت لها ببعض أدائه

واتيت من حر الكلام بمدحه خلع الجمال عليها حسن روائه

وجلوت عذراء المدائح غادة وشىً حلاها الفكر من إنشائه

أهدى القريض لها عقود جواهر نظمت على همز الروى وهائه

وأتى بكاملها الرفيع لكامل بحلى الكمال سما على أكفائه

والله أسأل بالنبى محمد فى أن يمتعنا بطول بقائه

ويديم نصرته ويثبت عزه وعلاءه ويثيبنا برضائه

صلى عليه الله ما حيى الحيا وترنم الحادى بحسن غنائه

وعلى الأماجد آله وصحابه والتابعين الحق من خلفائه

وقوله يمدح السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام ويذكر إجراءه الساقية المسماة بتسلطانت حوز مراكش إلى الغراس والجنات السلطانية:

وردت وكان لهـا السعـود مواجـهـا والحـسن مـقـصور علـى مواجـهـا

وبدت طلائع بشـرهـا من قـبلهـا كـالشـمس طالـعـة لدى أبراجـهـا

وتسـيـــر مـا بين الأبـاطح والربى ترمى فـــريد الدر من أمـواجـــهـا

وتصوغ من صـافى النضار سـبائكا حلت بهـا الأعطاف من أثبـاجـهـا

هبطـت إليك من الجـبـــال وطالما تعـبت ملوك الأرض فى إخـراجهـا

وأتتك راغـــبـــة تجـــر ذيولهـــا وتفـيض غمـر النيل من أفـواجهـا

تنســـاب مـثل الأفـعـوان وتـنثنى كـالغـصن بين وهادها وفـجاجـهـا

خطب الملوك نكاحـهـا فـتـمنعت وأتتك واهبـــة حـــلال زواجـهـــا

فلتـهنك الخـود الرفـيـعة منصـبـا وليـهنهـا أن صـرت من أزواجـهـا

حـــمـــراء عـــبـــاســـيـــة بدوية نشـرت ذوائبـهـا عـلى ديبـاجـهـا

وافـــتك وافـــدة صـبـغ الحـيـــا وجناتهـــا وجـرى على إدراجـــهـا

فكأنهـا بلقـيس جـاءت صرحـهـا لكنه صـــرح بغـيـــر زجـاجـــهـا

حاكت لك السيف الصقيل مضرجا بدم العـدا إذ أدمـيـت للجـاجـهـا

فكأنمـا ذبحـوا بـهـا زمـــرا فـــذا قـانى الدمـاء يسـيل من أوداجـهـا

علمت أنـاملك الشـريفـــة أبحـرا غرقت بحـار الأرض فى عجاجـهـا

فـأتتك طالبـــة الأمـان لنفـســهـا لتنال بعض الصـيب من ثـجاجـهـا

لبـتك إذ سـمـعت نداك وأقـبلت مـــرهوبة تستن مـن إزعـاجـــهــا

ونزعـتـهـا بالقـهر من غـصـابهـا والسابقـون رضوا ببـعض خراجـهـا

جليت مـــراكـشـا بدر عـــقـودها وفـتحت مـغلق نهـرها وشـراجهـا

وجلبت منـهـا للرعـيـة نفـعـهـا وحللت مـا قـد عـز من أرتاجـهـا

كم من مـزارع أخصـبت وحـدائق حلتـهـا بالأقـراط من أزواجـهـا

يعلى على الإسكندر اسـتـدراكهـا ويحار رسـطاليس فى استـخراجـها

نالت من النـيل المقـدس شـعـبـه وزرى بطيب المسك طعـم مزاجـهـا

لو يعلم الحـكمـاء مـا فى مـائهـا ما عـالجوا المرضـى، بغيـر علاجـها

فـاق الرضـاب حـلاوة وعـذوبة وحكى لباب الشـهد حلو مجاجـها

لو مـازجت مـاء الـبـحـار بمائهـا غلبت عـذويـة مـائهـا لأجـاجـهـا

يغنـى عن السكـار طعم زلالهـا وعن الغناء ينوب صـوت لجـاجهـا

تنسى الغـريض ومعـبدا نغـماتهـا ويحـار إبراهـيم فى إهزاجـهـا

حلت لنـا دار الهناء وخـصـصـت روض المســرة إذ أتتـه بتـاجـهـا

أحـيت نبات الأرض فى جـنباتهـا وأرت نجـابة دوحـهـا ونـتـاجـهـا

حيث الحـدائق شاكلت زهر السـما فى زهرها الـزاهى وفى أبراجـهـا

نسـجت زرابى فى الفـلا مبثـوثة من نورها كـالمسك فـى آراجـهـا

حـفت بهـا حلل الأعـارب رغبـة فى مـائهـا وكـلائهـا ونتـاجـهـا

جعـلت بساحـتها مـلاعب خيلـها ومطالع الأقـمـار من أحـداجـهـا

وأسامـت الأنعام حـول فسيحـها فنمت بنجـم جمـالهـا ونعـاجـهـا

يا أيهـا المحـيى شـريعـة جـده والمرشـد الهـادى إلـى منهـاجـهـا

والبـاعث الجرد السـلاهب ضمـرا نحـو الـعـدا تستن فى أفـواجـهـا

تهـدى أسنتـهـا ولمع سـيوفـهـا نحو العـدا كالشهب تحت عجـاجها

تجتاب باسمك كل خرق سبسب | وتعود بالإفلاج عند معاجها
الله يسر ما تروم أما ترى | عقم المنى عادت إلى استنتاجها
لو شئت من زهر الكواكب وصلة | لهداك رافعها إلى معراجها
كم أمة شقيت بسيفك إذ عثت | أخنى عليها الدهر باستدراجها
وقبيلة تبعت سبيلك فاهتدت | حاطتها حارسة العلا بسياجها
وممرد لعب الهوى بضميره | أرضته خطية القنا بزجاجها
ومحب حق قد جذبت بضبعه | فحبته أيدى المكرمات بساجها
تفد الوفود عليك طالبة الغنى | تزجى الركائب تحت مبهم داجها
فتنال غاية قصدها ولو انها | نادتك لباها ندى أفلاجها
عمت مواهبك الأنام فمالها | إسآدها يهدى إلى إدلاجها
أنزلت رحلى فى حماية مالك | سامى المناقب والحلى وهّاجها
ولئن لجأت فقد لجأت لسيد | كشاف معضلة الورى فرّاجها
طود الجلالة أصل كل فضيلة | بدر الخلافة فى الورى وسراجها
خذها أبا زيد نتيجة فكرة | بكراً تهز العطف فى ديباجها
طالت فطابت كالمنوه باسمها | إن شئت سحر البابلى فناجها
والبس من المدح المنظم حلة | قد طرزت واعطف على نساجها
واسلم لدهر أنت شمس زمانه | ولأمة أنت الكفيل بحاجها

وقوله فى العتب:

عَرائس الروض تزهو فى عرائشها | لها خدور لصون الحسن والحسب

قـد ربيت فى مـهـاد مـا يحـركـه | إلا النسـيم إذا يهـفـو على كـثب
وأرضـعـتـهـا ثدى السـحب درتهـا | فى كل حـين ولم تبرز من الحـجب
فأصـبحت بعـد ما تمت رضـاعتـها | تعزى إلى الكرم لا تعـزى إلى السحب
تكاد تسـقط سكرا فـى أريكتـهـا | لو لم تقـم بسـريـر العـود والـعنب
فـيها لأهل التـقى شكر ومـهـمله | وزر لأهل الهـوى وذا مـن العـجب

وقوله يداعـب الشريف الفكه الظريف مـولاى الحجازى العـلوى الذى كان المولى عبـد الرحمن يتأنس بمداعبـته وكان قـد مات له غلام يسـى بيـدق وجارية تسمى شويطرة:

هى الأيام تـفـجع بالمـصـاب | وتمزج حلو نـعـمـتـهـا بصـاب
تكـدر بالمنيـة كل عـيش | وتولع بانـتـهـاب واغـتـصـاب
وتخـتلس الـنفـوس ولا تبـالى | وتسـتلب النفـيس ولا تحـاب
رمت عن قوس نبـعتـها سهـاما | أتت من لم يكن لى فـى حسـاب
أصـابت بيـدقـا ورمت جـهـارا | شـويطـرة ولم تشـفـق لمآب
فـهـذا كـان يتـبـعنى نـهـارا | وتلك خـديمـتى عـند الإياب
فـتـحسن عـشـرتى وتقم بيـتى | وتحـرسـه وتغـسل لى ثيـاب
وذلك كـان يحـفظ لى مغـيـبى | وأمـتـعـتى ويحـرس حـول باب
وكـان الصـدق شأنهـمـا ولكن | جـيـوش الموت تولع بالـرغـاب
أأضـحـك بعـد نيـل الموت منى | وأنعـم بالطعـام وبـالشـراب
وقـد علـقت شـويطرة المنايا | وجـاورت البـويـدق فى التـراب

فـأفجـعت الفؤاد بهـا وحسـبى	آسى وعلى الإله أرى احـتـسـاب
وكـانت أنفس الأشـيـاء عندى	وأحـذق من يجـيب إلى خطاب
وكنت أُعـدها لأمـور نفـسى	وأحـبسهـا لأنسى فى اغـتـراب
وأطمع فى اقتضـائى لافتضاضى	بكارتهـا فـيـرجع لى شـبـاب
فـوا أسـفا على مـا فـات منهـا	فـإنى بـعـدها حلف اكـتـئـاب
مـضـت عنى شـويـطرة وأبقت	فـؤادى من هواهـا فى عـذاب
وإنى أرتجى خـلفـا قـريـبـا	من الرحـمن مـع حـسن المآب

وقوله وقد وصله كتاب، من شانئ يريد السباب، فسد فى وجهه الباب:

ألا أيهـا الرامى بـسـهم سـبـابه	على جهـة التعرض لى فى كـتابه
رويدك عندى للسـفـيه مـثـالب	ولكن أغض الطـرف دون جـوابه
رمـيت امـرءا لا يعلق الذم ثوبه	وليس يحوم العـيب من حول بابه
ولى من لسانى صارم الحد فاتك	يقـد حشـا المغـتاب لى فى قـرابه
فإن مـضك الذم الذى أنت أهله	فـأنت الذى أحـوجـتنى لجـوابه
وإن مزقت أسمال عرضك نفثتى	فأنت طرقت الليث فى وسط غابه
نهـيـتك عن أمـر تبـينت غـيـه	وقلت لك التـوفـيق عند اجـتنابه
فـآليت أن لا ترعوى لنصـيـحـة	وزدت لجـاجا فى عظيم اغـتيـابه
إذا المرء لم يقبل نصـيحة مـشفق	ولـم يتـحرج من قـبيح اكـتسـابه
فـدعـه وأحداث الزمـان تنوشـه	سيطرقه من لم يكن فى احـتسابه

وقوله:

ذكرت ريح الصبا عهد الصبا ... فهوى الصب هواها وصبا

ما سرت إلا وسرت قبله ... ونفت عنه العنا والوصبا

باكرت روض النقاد وارتشفت ... من لمى ثغر الأقاح الأشنبا

صافحت زهر اللواغب السرى ... وأتت صبحا تشكى الوصبا

جررت ذيل دلال سابغا ... وجرت طلقا بأكناف الربا

شوشت أغصان بان عندما ... نازعتها برد خز وقبا

سلبت من كل نور نفحة ... وغدت تهدى إلينا السلبا

جددت وجدا لنجد والحما ... منذ اهدت من مواليه نبا

ما هفت يوما على القوم وقد ... سكنوا إلا استطاروا طربا

وأتت من طيها فى حيها ... بشذا فاق العبير والكبا

كيف لا تسمو على الطيب وقد ... جاورت جيرة سلع وقبا

وقوله:

مضى فى المناهى والملاهى شبابى ... كأنى لم أومن بيوم حساب

ولم أدخر زادا ليوم مقامتى ... ولم أتخذ عقبى وحسن مآب

أنافس مثلى فى البطالة والهوى ... وأعرض عن تقوى ونيل مثاب

وأسريت فى ليل الجهالة خابطا ... به خبط عشوا فى هوى وسراب

أأنعم عيشا فى الورى بعد ما بدا ... بياض مشيبى فى سواد شباب

وقوله:

وأنفع النفثات السحريات رقى ... ينثها قلم الإنشاء فى الكتب
وأكبر السحر تأثيراً وأصعبه ... سحر تولد بين الحبر والقصب
قاض على الكل مقبول وقد شهدت ... له المصاقع عند الحكم بالغلب
لم يهرم الدهر ما أثنى على هرم ... زهيره وفنى ما نال من نشب

وقوله:

أما الرسوم فلم ترق لما بى ... واستعجمت عن أن ترد جوابى
ولقد وقفت بها أكفكف عبرتى ... طوراً وأمسح فى فضول ثياب
وأسائل الربع المحيل تولها ... حتى رثى صحبى ورق ركاب

وقوله:

أريد إقامة الحجج المواضى ... لا محو زور أقوال الوشاة
وأدحض بالحقيقة كل وغد ... يبين الود وهو من العداة

وقوله وقد كان فى سفر مع السلطان ماراً ببلاد زمور الشلح فبدا سرب من نسائهم متعرضات للسلطان فاستنشده بعض الرفقاء فأنشده بديهة:

أظباء زمور سلبتم مهجتى ... بقنا القدود وصارم اللحظات
وهتكتم بالقهر حصن تنسكى ... بجيوش حسن خريدة ومهات
شنت علينا بالنواظر غارة ... فأخذتم الألباب فى الثارات
كفوا ألحاظكم الكحيلة وارددوا ... أسلاب ألباب على المهجات
أولا أبيحوا للشفاه شفاءها ... ولتستحلوا لثم تى الوجنات

قالت أفى شرع الغرام تحكم | أرأيت منحكم على الفتيات
نحن الملوك على الملوك وإنما | أحكامنا بالقهر والغلبات
الجور عدل عندنا والظلم حـ | ـق بيننا والذنب كالحسنات

وقوله فى معنى التغزل والوداع. وعرض لذلك داع. وتخلص منه لمدح السلطان:

عرضت لنا كالظبية المغناج | تختال فى حلل من الديباج
هيفاء فوق قضيب بان أطلعت | بدر التمام بليل شعر داج
ورنت بعين مهاة رمل أودعت | فتنا تنسى فتنة الحلاج
لضعيف ذاك الجفن صولة قادر | فى العاشقين كصولة الحجاج
خرسى الخلاخل والسوار وقرطها | والحلى مهما مشت كثير لجاج
يشكو لليل الشعر مدمج خصرها | ما مسه من ردفها المواج
والعين من فرط السقام شكت لنا | ما يشكيه الخصر من إدماج
أعدى سقام جفونها جسمى كما | قلبى بنار الخد ذو إنضاج
إن مت من فرط الغرام فقاتلى | غيد الغوان بكل طرف ساج
دينى على ظبيا تهن مواعد | بالقرب منهام الغرام علاج
كم من شفا بين الشفاه لذى الجوى | ودواء صب فى لذيذ نتاج
أصف الدواء لذى الهوى وأظننى | من لحظ عين العين لست بناج
إن التى سفكت دمى بلحاظها | وسبت فؤادى بطرفها المعتاج
حيت فأحييت صبها بمكحل | أحوى ووجه أبلج وهاج

وتبسمت فأرتنا سمطى جوهر ... بمفلج لمدامة مجاج

لم أنس وقفة عيسها يوم النوى ... والظعن فى الإلجام والإسراج

والقلب من ألم الفراق على لظى ... والعين تسخو بمد مع ثجاج

تشكو النوى لمحبها بلواحظ ... نعس الشفار ومقول لجلاج

ساروا فكم من مهجة فى إثرهم ... ومدامع تستن كالأمواج

هم أودعوا قلبى الجوى إذ ودعوا ... وطووا بدور التم فى الأحداج

نعب الغراب ببينهم فتفرقوا ... ليت الغراب مقطع الأوداج

بانوا فبان تصبرى من بعدهم ... وكلفت بالتأويب والإدلاج

سقيا لمنزلة اللوى من معهد ... فلكم قضينا بربعه من حاج

أيام تسعدنى سعاد بقربها ... وتزيح عنى الهم حين تناج

والدهر غض جفون كل مكاشح ... أوقاته للأنس ذات نتاج

كم ليلة طلعت طلائع أنسها ... فجلت جيوش نوائب ودياج

إذ نطلع الكاسات فيها أنجما ... تجلى على النغمات والأهزاج

وندير من خمر الصبابة بيننا ... صهباء صافية بغير مزاج

لا نقتفى غير العفاف ولا نرى ... غير الوفا فى الحب من منهاج

وعشية رقت وراقت منظرا ... فى شط بحر زاخر عجاج

يبدو فتحسبه سماء أفرشت ... أمواجه تلتاح كالأبراج

لو كنت شاهده وقد هب الصبا ... لعلمت كيف تلاطم الأمواج

والشمس ناشرة دوائب شعرها ... تبدو لدى آفاقه كالتاج

وتزين صـــفـحـتـه بمذهب نورها فـيـهـز عطف التيـه عـقـبى الداج
والموج أمـــثـــال الكتـــائـب يرتمى ويغـيـــر نحـــو الشط فى أفـــواج
تهـدى إليـه بنفـسـجـا من مـائهـا فــيــرده مــتـكـســرا كــالعــاج
ويكـاد يحـكى الملك الرضـــــا فى جـودها لو كــان غـيـر أجـاج
المالـك الميـــمـــــون طائـره ومن حيـــاه وجـه السـعـد بـالأفـلاج
مـــا عـابد الرحـــمن إلا رحـمـــة ظهـــرت لحـسـم ضـلالة وعـــلاج

وقوله:

قـالوا أنراك عدلت عن سنن الهـوى مذ حدت عن نظم القـريض ونسجه
فـأجـبـتـهـم بـرد الزمـان أصـابنى فـجـمـود نار قـريحـتى من ثلجـه

وقوله:

ترقـرق فى وجه الصبـاح صبـوح فـــبـــان به للهـم عنى ســـروح
وعـــاودنى للأنس عـيـــد مـســرة به لعـــهـــود الأنســـات فـتـــوح
ولم أر مـثل (المامـونيـة) مـعـهـدا بأكـنافـــه تـغــــدو المنـى وتروح
هو السـهب للشـهب الزواهر مطلع وللفـــضل فـيـه والجـــلال وضـوح
قـبـــاب كـأبـراج السـمـــا ومنازل خـــلال بروج قـد علت وصــروح
بهـا للـظبـاء الكانســـات مـلاعب ســــمــت ولربات الجـناح جـنوح
وقـد صفـقت تحت الظلال مـذانب وساحت فصاحت فى الغصون صدوح
ظللنا بهـــا والســـحب ينثـــر دره وللغـصن فـيـه والأضـات طمـوح
تلون فــيـه الجـو كـالدهـر بشـره يمـــارجـــه تحت الـغـــمـــام كلوح

وللريح فى تلك الخمائل زفرة كزفرة صب قد عراه نزوح

وللكأس فى كف السقاة تبسم وللشرب تقطيب لها وكلوح

فلا زال مأوى للملوك وللعلا تقرر فيه للسرور شروح

وقوله:

بنفسى روض من جمال جلوته وقد غفل الواشون عند صباح

سقاه حيا حتى ارتوى ورد خده حياء فحيانا بثغر أقاح

وغرد ورق الحلى من فوق قامة سمت فوق ردف كالكثيب رداح

فعانقت منها الغصن يهتز ناعما وقبلت منها البدر غب لياح

وقوله:

دعا داعى الشريعة للجهاد فلبوا مهطعين إلى الجلاد

فما هذا التثاقل والتوانى وحزب الشرك يضرب فى البلاد

وكم هذا التغافل والتعامى وقد حفت بكم زمر الأعادى

وقال من مولدية:

يا نسمة هبت مع الأسحار تحيى القلوب بعرفها المعطار

وتقر من أهل المحبة أعينا لم تكتحل بعد النوى بغرار

حيت بأنفاس الخمائل أنفسا تشرى اللقا بنفائس الأعمار

وافت تجر من الدلال ذيولها وهنا وتسمح أوجه النوار

تروى أحاديث العقيق وحاجر عن بان نجد عن شذا الأزهار

فتسوق للصب المشوق صبابة وتشب فى الأحشاء جذوة نار

وتبث عن عرب برامة خيموا — سرا تنزهه عن الإضمار

تتمايل الأشجار عند سماعه — طربا وتفصح ألسن الأطيار

لم تدر دارين لسالب مسكها — طيب الأريج ولا ظفير ظفار

لم لا تفوق وقد تلقفها الصبا — وروى شذها نسائم الأسحار

وأتت على دار الحبيب فآذنت — منه بقرب مسرة ومزار

وتوافق السعدان فازداد العلا — فصل الربيع ومولد المختار

شهر به اهتز الوجود بأسره — لظهور سر الله فى الأسرار

وسرت مسرته على طول المدى — وتجددت بتجدد الأعصار

لاحت بغرته السعود وأشرقت — فرحا بوسطاه سنا الأنوار

وتزينت فيه الجنان وحورها — وتبرزت بمنصة استبشار

وقال من قصيدة يهنئ بها مولانا على بن مولانا سليمان بدار أسكنه فيها والده السلطان رحمه الله وقد جمع فيها العلماء والأعيان، لقراءة ختمات من القرآن، وكان ممن جمعته تلك الجملة، وانخرط مع أولئك الجلة، :

حياك حياك رب العرش يا دار — ودار مع ساكنيك العز ما داروا.

ولن تزالى بإذن الله دار على — والمجد والجود والعلياء عمار

دار تود الشموس لو تحل بها — وتحسد النازلين فيها أقمار

شيدت بها غرف من فوقها غرف — وقد جرى تحتها كالخلد أنهار

بها سوارى عوارى كالجوار بدت — عليها للحسن والإتقان أنوار

قد نمقت ببديع الحسن ساحتها — كأنها الروض والألوان أزهار

جـرى بهـا سلسل مـثل اللجـين بدا | فى خـصـة فـيـهـا لـلرائين أسـرار
فـمـا البـديع بـديع عند رؤيتـهـا | وليس يـذكـر للـزهراء أخـبـار
أُست على الدين والتقوى ألست ترى | فـيـها مـدى الدهر للرحـمن أذكـار
عذراء قـد بهرت حسنـا وقد عنست | دهراً لكفء لهـا فـى الناس تخـتـار
فكفـؤها المرتضى الأسمى أبو حـسن | فنعـم من حلهـا ونعـمت الدار
وزادها شـرفـا فـخـمـا إلى شـرف | أن قد غـدا صنوه الأسمى لهـا جار
بتنا بـهـا ليلة مـا كـان أقـصـرها | كـذا ليـال الوصـال فـيها أقـصـار
للـقـارئيـن لدى أرجـائـهـا | وللمـصلين بالـتـسـبـيح إظهـار
بنعـمـة تدهش الألـبـاب مـطربة | ليـست تحـاكـيـهـا قـينة وأوتار
للنـد والعـود فى أرجـائهـا أرج | وللـمـدائـح إقـبـال وإدبار
وللشـمـوع سطوع فى مـجـالسنا | كـأنـهن قنا سنانهـا الـنار
قـابلن جـيش الدجى فـفر منـهزمـا | إن الدجـا من جـيـوش النور فـرار
وللمـصـابيح فى تأنيـقـهـا عـجب | مـثل الـنجـوم لهـا فى الـليل إزهار
نردد الطرف فى أرجـائهـا عـجـبا | فـيرجع الطـرف عنها فـيـه إحسـار
يقول مـبصـرها من حسن بهـجتـها | وللورى بـبـديع الحـسـن إقـرار
يا روضة الحسن منك الحـسن مسترق | وللـبـهـا منك إيراد وإصـدار
أنت التى جـمعت للحـسن أجـمـعه | لما ثوى بك من لـلمـجـد مـخـتـار

وقال يهنئ أخاه فى الله الفقيه النزيه السيد محمد الشرفى بعرس:

هنيئًا أبا عبد الإله لك البشرى ... فهذا زمان السعد قد أظهر البشرا
وهذى رياض الحسن تزهو أريضة ... وهذى بشارات السعود أتت تترا
فرد من زلال الود غير مكدر ... وجل برياض الحسن واقتطف الزهرا
فقد وصلت من بعد طول تشوق ... غزال بليل الشعر قد أطلعت فجرا
سرت وظلام الليل أرخى سدوله ... وزارت على بعد الديار لنا بدرا
عجبت لشمس زارت البدر فى الدجى ... وعهدى بأن الشمس لا تدرك البدرا
حكت ظبية وعساء جيدا وناظرا ... وأزرت بقد الغصن والصعدة السمرا
تشوق منها القرط صوت خلاخل ... فأرسل للإتيان بالخبر الشعرا
وقد غردت من فوق غصن قوامها ... حمائم حلى آذنت باللقا جهرا
تريك عقود الدر عند ابتسامها ... وتسقيك من سلسال ريقتها خمرا
ولا عيب فيها غير سقم جفونها ... وكفل رداح ثقله أنحل الخصرا
وغير حديث قد حكى السحر رقة ... له فى سويدا قلب سامعه مسرا
فواصل بها وصل السرور ودم على ... ذرى المجد والعلياء مرتقيا فخرا
وخذها كما شاء الوداد خريدة ... تفوق الذى أعطيت فى وصلها مهرا
ودونكها كالروض قد نشر الحيا ... بأرجائه من دمع ديمته درا
ففتق من صوب الكمام أزاهرا ... فأعبقت الأرجاء من طيبها نشرا
ونادت طيور الشكر فوق غصونها ... هنيئا أبا عبد الإله لك البشرا

وقال يتغزل:

سحرتك بالطرف الكحيل الساحر وبحسن قد كالقضيب الزاهر
وبغرة كالفجر تحت ذوائب كدجنة فاعجب لحسن باهر
وبنقطة مسكية فى وجنة وردية ذات الأريج العاطر
وبريقها المعسول إلا أنه يشفى الحشا من كل داء ضائر
ريق أعز على من نيل المنى وألذ من رشف الرحيق لخاطرى
ماذا وكم أوقعتنى فى حسرة وجلبت لى من شقوة يا ناظرى
ولكم جمحت بتيه ميدان الهوى وحصلت فى شبكات ظبى نافر
ولأنت يا قلبى فكم أصليتنى ورميتنى فى بحر حب زاخر
أدخلتني فى وسط معركة الهوى ما بين جيش قواضب وبواتر
وتركتنى فى حى ليلى مشخنا بظبا ظباء لم أجد من ناصر
يا سعد هل لى فى الهوى من سعد بشفا شفاه اللعس تحت غدائر
أم هل بنجد هواهم من منجد لمتيم فى حاجز بمحاجر
فتكت عيون العين فى أحشائه بشفار ألحاظ رمت بخناجر
وسطت عوامل قدهن بقلبه فغدا أسير عوامل ونواظر
أوثقنه بحبال وعد مخلف وشددن أسر وثاقه بمغادر
نفسى الفداء لظبية فتانة فتاكة بشفار شفر فاتر
نامت نواظرها وقد سلبت كرى طرفى بطرف بابلى ساحر
وغدا الجمال بأسره فى أسرها والسحر أيد جنده بعساكر

فـإذا بدت سجـد العـيـون لحسنهـا تسـبـيـحـهـا سـبـحـان ربى الفـاطر

وترى القلوب خـواشـعـا لجمـالهـا مكسـورة من كـسـر طرف كـاسـر

شـمس على غـصـن تكون فى نقـا من تحـت ليـل ذوائب وغـدائر

نصـبـت قـسى حـواجـب مـوتورة بالسـحـر ترمى كل صـب ناظر

فكأنمـا هاروت عن أجـفـانهـا يروى فـيـسند سـاحـر عن سـاحـر

ورعت رعـاها اللـه فى ربع الحـشـا حب القلوب ولـم تخف من زاجـر

غـيداء قـد ورثت مـحـاسن يوسف ناهـيك مـن حـسـن بـهى بـاهر

وتوطـنت بـالمنـحنـى من أضـلعـى ومحـصب الأحشا رمت من حـاجر

فـغـدوت مـا بيـن الأنام مـتـيـمـا بجـمـالهـا ومـهـيـمـا فى سـائر

وغـدا عـذولى عـاذرا فـى حـبـهـا فـاعـجب لـعـاذل ذى غـرام عـاذر

كم من عـذول فى الهـوى ومكاشح غـابت شـواهده بوجـه سـافـر

ولكم رقـيـب فى الهـوى ألفـتـه بالشـعـر حـتـى عـاد عند أوامـرى

ولكم نـظمت سلوكـه فى غـادة فـاقت قـلائـده بدر فـاخـر

ولكم لـيـال قـد جلـوت فـريدة والكـاس نجم فى سـمـاء أزاهر

ومـديـرنا رفع العـقـيـرة منـشـدا قـطعـا ألـذ من المدام الدائـر

يشـدو فـيـبـدو الدر من أصـدافـه ثغـر وشـعـر مع عـقـود جـواهر

سـقـيـا لأيام الـوصـال وقـربـهـا وزمـان أنس بـالأوانس زاهـر

إنى لأذكـره فـأحـسب أنـنى من كـثرة الأشـواق بين مـحاضـرى

وأقـول لـلأيام هل مـن عـودة لزمـاننا المـاضى بوصل حـاضـر

فـعـسـاه يظهـر لى المتـاب بعـودة ويكفـر المـاضى بحـسن الآخـر

وقال يمدح سيدى محمد بن السلطان الموالى عبد الرحمن وكان إذ ذاك خليفة والده بمراكش وولى عهده ووجهها له سنة ١٢٦٢ مع ولده الحاج إدريس:

عرضت وجيرتنا على أوفاز ... فى سرب عين بالنسيم جواز
هيفاء يعطفها الدلال فتنثنى ... فرحا ويكسوها حلى الإعزاز
هزت من القد القويم مهفهفا ... ومن اللحاظ الدجع حد جراز
حكمت بحلية الدماء ومادرت ... أن الشريعة لم ترد بجواز
وقضت علينا بالوفاء ولم تدن ... فى مطل موعدها لنا بنجاز
بانت فقلبى خافق ومدامعى ... مرمضة والصبر فى أعواز
تلك الظباء ظباء رامة قد غدت ... فى جيش أرباب الغرام غواز
من كل قاصرة تطول إذا رنت ... حزب الكماة وهى فى تجواز
تبدى التأنس بالنسيب وطالما ... أعيت مكايدها على الغناز
جور الحسان على الكرام وظلمهم ... عدل بلا شكوى ولا اشمئزاز
ما ذاك إلا أن أنصار الهوى ... فى صولة تخشى وفى إعزاز
ملك الجمال على القلوب محكم ... وجيوشه من أفخذ الأوشاز
تعنو لهيبته الرقاب كما عنت ... لمحمد المحمود ذى الأحراز
علم تفرد بالجلالة والنهى ... وغدا لخصل السبق ذا إحراز
زان الرياسة بالسياسة والعلا ... بسخائه والوعد بالإنجاز
وسما إلى رتب الكمال بعزمة ... لا تنثنى وبصارم هزهاز
فاق الثواقب بالمناقب وارتقى ... عن طيب أخلاق وطيب نجار

قل للمحاول شأوه أقص فقد ساويت بين الصقر والخزباز
ما كل برق لاح برق تهامة كلا ولا كل النسيم حجازى
والطير يظهر فى المطاعم فضلها ما صيد باشقها كصيد الباز
حاولت مدح محمد فأقامنى إجلاله فى موقف الإعجاز
وأطلت فى أوصافه متطفلا فوجدت بسط القول كالإيجاز
يا مفردا جمع الفضائل كلها ما إن لفضلك فى الزمان موازى
أرهقت أرباب الضلال بصولة ردت أبى النفس كالجلواز
وأسمت سرحك فى رياض سعادة وسواك سام السرح فى الأجراز
وكساك والدك الرضا حلل الرضا وقضى لوعد علاكم بنجار
أدركت فى التقديم كل حقيقة لما اكتفى منها السوى بمجاز
سابقت أرباب العلوم ففقتهم بذكاء فهم زائد وحزاز
فلك اليد البيضاء فى أنواعها والسبق فى الميدان يوم براز
فسعيت سعى موفق ومسدد ونطقت نطق مصدق ممتار
كم فتكة بكر لسيفك فى العدا ومشاهد مشهودة ومغار
كيف النجاة وسيف سعدك طالب للمارقين وسيف كفك غاز
قدت الخميس إلى الوطيس بعزمة تذر الكماة الصيد كالحزار
واسود حرب غابها سمر القنا مشهورة بالفتك فى الشراز
لا يعرفون سوى التقدم فى الوغا والضرب فى الأعناق والأجواز
وإليكها أبكار فكر غضة جهزتها لحلاك خير جهاز

تاهت على شعـــر العراق لطافـة ... وزرت بـــأهــل الــرى والأهـــواز

يهـوى الرقـيق الطبع رقـة طبـعهـا ... ويعـــدها الجـــهـــال فى الألغـــاز

قــد جئت بالدر النفـيس مفـصـلا ... عـــقــدا ومـــا أنفـقت من أعـــواز

ولطـالما طلب الـغـــواة ذخـــائرى ... حـرصـها فــفـــاقـوهم نفـــيس ركـاز

سـمحت بهـا الأفكار وهى لواعب ... فـــأتت بـغنة قـــينـة مـــيـــجـــاز

وأتتك عـــفـــوا حـــرة من حـــرة ... والحـــر لا يحـتـــاج للمـــهــمـــاز

أنى يعــارض الـغـوى وقـد غـدتَ ... بصـفـات حمـدك فى صـوان طراز

حـصنتـهـا بـعــلاك خـيـر تميـمـة ... من كـــيـــد كل مـكاشح همـــاز

ترمى نجـوم سـمـائها حـرسـا لهـا ... شـــهـبــا لحـــرق الكاشح اللمـــاز

ويحـــوط حـوزة سـرهـا ذو مـرة ... فـكأنـه باز عـلى قـــــــفـــــاز

ولكم دَعِىٍّ رام عـــجم عـقـــودها ... والدر لا يـمـــــتـــــاز لـلبـــــزاز

أسـدى وألحم فى مـــجـال غـروره ... مـا حـــرفـة الصـــواف كـالـقـزاز

والشـعـــر يعـرف قدره من حـاكـه ... نســـاجـــــه أدرى من البـــــزاز

دم فى ذمـام المجد مـحروس العـلا ... فى نعـــمـــة مـــوصـــولة بمفـــاز

وقال:

نادى الســرور بسعــــدكم فـتنزهوا ... فـالروض قـد أهـدى حـلاه وخـزه

بسط الـربيع به بـســـاط زبرجـــــد ... قـد أحسنت أيدى الـسحـائب طرزه

قـد كان كنزا فى الـتـراب مطلسمـا ... فـتـحـت رقى كنز الغـمـــائم كنزه

أبدت خـــبـايا الأرض من بركـــاته ... مـا أوضـحت لسن الكمـائم رمـزه

طلعت طلائعه بكل ثنية تهدى بدائعه وتنشر بزه

وجيوشه النوار تظهر فى الربُّى أعلامه يبدى علاه وعزه

ملك الفصول له التقدم بينها من رام شأو سناه منها عزه

فخر الزمان بصفيه وخريفه وشتائه يوم الفخار وبزه

متصرف فى الأرض عند وروده فأشب نرجسه وشيب لوزه

تتنفس الجنات فيه أما ترى أرجا سرى أحيا الفؤاد وهزه

وقال:

ما للظباء الجواز أعرضن عند الجواز

فتكن بى فمن أفتى فى مهجتى بالجواز

بكل قد قناة وكل شفر جراز

لهن فى كل يوم لدى فؤادى مغاز

قد طال للعين جور وهن حلف اعتزاز

ولا شفاء لقلبى إلا اللقا والتجازى

سأشتكى الظلم يوما إلى (الشريف الحجازى)

فهو فى الحب قاض يقضى بحسن نجاز

قد حاز كم من خصال فهو بها ذو امتياز

ففى الفصاحة فرد ما أن له من مواز

إن قال أسكت قهرا كل فصيح مماز

وهل لديك صراخ إن صاح فى الأفق باز

أقسم بالبيت حقا وبالصفا والحجاز
ما إن رأيت ظريفا مثل الشريف الحجازى

وقال يتغزل:

ألا خبروا ذات الخلاخل والقرط بأنى ملك للجمال بلا شرط
لقد أودعت قلبى وربك لوعة غداة بدت بين الوشاحين والمرط
تميس كخوط البان غازله الصبا وتسفر عن بدر وتفتر عن سمط
رمتنى بسهم الغنج عن قوس حاجب فأصمت فؤاد المستهام ولم تخط
وما كان الحب إلا بنظرة وتبتدئ النيران من ضرم السقط
عجبت لها مذ ورد الحسن خدها وزينة كف المحاسن بالنقط
وحلت بقلب المستهام وأهلها بذات الغضا ما بين نعمان وأسقط

وقال:

أبصر مقلتى فريد جمال قد سبى مهجتى بثغر الرباط
ظبى أنس قد قلبى بلحظ حل فى حبه على رباطى
همت فيه لما تطلع بدرا فوق غصن هفا بـ(برج السراط)

وقال مجيبا لبعض أهل الرباط، ممن كان له به معاشرة وارتباط، وضمنها مساجلة ومداعبة فى عتاب، وملاما على تقصير فى كتاب:

أتانى نظام منك كالدر فى السمط فأنهلنى كأس الوداد على شحط
وذكرنى عهد الصبا ولطالما صبا للصبا النجدى ذو اللمم الشمط
هززت به عطفى ارتياحا ونخوة كأنك قد عاطيتنى كأس إسفنط

ودبت حميا لفظه فى مفاصلى جررت بها من نشوة طربا مرطى
وقرظت أرضا بالجهاد تشرفت وحلت من العلياء فى موضع القرط
أما فى رباط الفتح للفتح آية لمن يفهم المعنى المراد من الربط
ولكننى أملى عليك دعابة تلوح كأخت الظبى تختال فى الربط
وأبديت فى حكم الغرام تلونا فطورا أخو ضبط وطورا أخو خبط
كأنك فى هذا خليع صبابة يشبب بالسودان طورا وبالقبط
أراك استباك البحر والموج والهوى وهمت هيام البط بالماء والشط
وقابلتنى لما نأيت بجفوة ولم تجر فى شرع الوداد على شرط
أما هذه شهران مرت ولم يجئ رسولكم لا بالسلام ولا الخط
إلى أن أتت من بعد نأى رسالة خبطت بها عشواء فى مضمر الخبط
وجئت بها بدعا لفرط اختصارها ولم تسم الأخبار والود بالضبط
ولولا اتضاح الصفح فى صفحاتها وما قد حواه الصدر من غرر البسط
لأرسلت من عتبى إليك كتائبا مجللة بالزعف والبيض والخطى
ولولا الحياء من صفيى أبى العلا أخى المجد والعليا والخلق البسط
لم يراعى السرى فى الأرى واغتدى على البعد يغرى الكف بالقد والقط
حماك حماه من سماع يراعى فلا ترع بعد مربع الأثل والخمط
وقم فى مقامى عنده وارع وده وراع رعاك الله مالى من قسط
وكن شاكرا للفضل والفصل ذاكرا عهودى ولا تصبح لذاك أخا غمط
فلا زلتما فى نعمة وسلامة بجيد كما حلى المكارم كالسمط

وقال من قصيدة:

بدور أعارت للبدور كمالها ... وأخفت بأفلاك السعود جمالها
حوى كل خدر بدر تم وأسدلت ... عليها الغوانى الحافظات حجالها
فقلت أفجر قد تبلج ضوؤه ... أم الشمس أبدت فى السحاب اعتدالها
فقيل بلى شمس الجمال تطلعت ... فأخفت لنا شهب السما وهلالها
تأمل ترى حسن البداوة ساذجا ... تجل عن التمويه من أن ينالها
تعلم منها الظبى حسن تلفت ... وقد سلبت غض الغصون اعتدالها
تشابه حسنا ثغرها وعقودها ... تأمل ترى أسلاكها وفصالها
وفى الكلة الحمراء بيضاء غادة ... تود ذوات الحسن منها دلالها
لديها قلوب العاشقين أسيرة ... تروم ببذل الروح منها وصالها
عجبت لها والليل أرخى سدوله ... بآفاقها والنور يبدو خلالها
نظرت إليها نظرة يوم حاجر ... فأهدت إلى نفس المحب خبالها
وأخرى بأكناف العقيق فأرسلت ... إلى القلب من قوس اللحاظ نبالها
فعدت وفى قلبى من الوجد لوعة ... تهد من الشم الرواسى جبالها
وعاشت لما منت من الوصل برهة ... وقد سئمت نفسى الغداة مصالها
إذا أزمعت وصلى نجازا لوعدها ... تصدى لها واشى الهوى فأمالها
وإن رمت سلوان الهوى قال قائل ... من الوجد هل تسلو الجياد اختبالها
سموت إليها بعد هدء وهجعة ... وقد جدل النوم الثقيل رحالها
فقالت ألص أنت أم أنت فاتك ... يروم من الحسناء قهرا منالها

فقلت لها إنى محب فقهقهت وقالت لعًا لو كان غيرك قالها

أتهوى وصال الغانيات وقد بدا بفودك صبح الشيب ينفى اتصالها

فأبت ولم تعلق بكفى ريبة وعدت على نفسى أُقبح حالها

أشيب وعيب إن ذا غير لائق بمن يبتغى الأخرى ويبغى كمالها

وقال يصف أهل الزمان، وأن الإنسان لا يسلم منهم كيفما كان:

أرى الناس قد أغروا ببغى وريبة وغى إذا ما ميز الناس عاقل

وقد لزموا معنى الخلاف فكلهم إلى نحو ما عاب الخليقة مائل

إذا ما رأوا خيرا رموه بظنة وإن عاينوا شرا فكل مناضل

وليس امرؤ منهم بناج من الأذى ولا فيهم عن زلة متغافل

وإن عاينوا حبرا أديبا مهذبا حسيبا يقولوا إنه لمخاتل

وإن كان ذا دين رموه ببدعة وسموه زنديقا وفيه يجادلوا

وإن كان ذا زهد يسموه نعجة وليس له عقل ولا فيه طائل

وإن كان ذا صمت يقولون صورة ممثلة بالعى بل هو جاهل

وإن كان ذا شر فويل لأمه لما عنه يحكى من تضم المحافل

وإن كان ذا أصل يقولون إنما يفاخر بالموتى وما هو زائل

وإن كان مجهولا فذلك عندهم كبيض رماد ليس يعرف خامل

وإن كان ذا مال يقولون ماله من السحت قد رابى وبيس المآكل

وإن كان ذا فقر فقد ذل بينهم حقيرا مهينا تزدريه الأراذل

وإن قنع المسكين قالوا لقلة وشحة نفس قد حوتها الأنامل

وإن هو لم يقنع يقولون إنما يطالب من لم يعطه ويقاتل

وإن يكتسب مالا يقولوا بهيمة أتاه من المقدور حظ ونائل

وإن جاد قالوا مسرف ومبذر وإن لم يجد قالوا شحيح وباخل

وإن صاحب الغلمان قالوا ألاَ بنت وإن أجملوا فى اللفظ قالوا مبادل

وإن هوى النسوان سموه فاجرا وإن عف قالوا ذاك خبيث وباطل

وإن تاب قالوا لم يتب لزهادة ولكن لإفلاس وما ثم حاصل

وإن حج قالوا ليس لله حجه وذاك رياء أنتجته المحامل

وإن كان بالشطرنج والنرد لاعبا ولاعب ذا الآداب قالوا مداخل

وإن كان فى كل المذاهب نافذا وكان خفيف الروح قالوا مثاقل

وإن كان مقداما ما يقولون أهوج وكان ذا ثبت يقولون ناكل

وإن يعتلل يوما يقولوا عقوبة لشر الذى يأتى وما هو فاعل

وإن صح قالوا ليس لله حاجة بمن يتعداه الردى والغوائل

وإن مات قالوا لم يمت حتف أنفه لما هو من شر المآكل آكل

وما الناس إلا جاحد ومعاند وذو حسد قد بان منه التحامل

فلا تتركن حظا لخيفة قائل فإن الذى تخشى وتحذر قائل

وقوله مادحا السلطان المذكور ومهنئًا له بشامخ تأييده لما خرج جيش الوداية عن الطاعة، وشقوا العصا ونبذوا يد الجماعة، وظهرت له مخايل الإعراض من جلالته قبل النكبة، واستجماع الهزبر للوثبة، وكثرت به الوشايات، ودبت له عقارب الإذايات، فخرج له المدح بالعتاب. وذكره بصالح خدمته لتلك الأعتاب، وما يغنى الدفاع إذا تمكنت الأسباب، وإلى الله المرجع والمآب:

أمــولانا أمــيــر المؤمنينا حـبـاك الـله نصراً مـسـتـبـينا

وزادك رفــعــة وعلو شــأن وإســـعــادا وتمكـينـا مكيـنا

وحكم سيف عدلك فى الأعادى وأودى به البــغــاة المعــتــدينا

فـإنـك غـالب بالله مـهـمـا غـزوت حـبالك الفـتـح المبـينا

كـفـاك به اعتـصـامك كل عـاد فــعـــون الله للمــتـــوكلـينا

فقـد حان حين مـهلكهم ونادى فـقم بالله ربك مـسـتـعـينا

ولو لم تـغـزهم لكـفـاك ربى وكـان لهـم بمكرهم مـهـينا

وقـد فـشلت رياحـهم وخـابت مكايـدهم وعـادوا صـاغـرينا

وقـد سـامـوا كـبـارهم هوانا وأضـحـوا مـا أتوه نـاكـرينا

وقل لعـبـيـد سيـدنا البـخـارى ومن فى حـزبـهم والمسلـمـينا

ثقـوا بالله واعتـصـموا وقـولوا إلهى أنـت خـيـر الناصـرينا

فــأنت مـلاذنا وبـك اسـتـعنا على هـلك البـغـاة المارقـينا

سـيـخـزيهم وينصـركم عليـهم ويشـفـى صـدور قـوم مـؤمـنينا

ولا تخـشـوا فـأنتم فى جـهـاد ونصـرة ديـن رب العـالميـنا

فـإن الشـرع فى البـاغين أفـتى وألحق فـعلهم بـالمشـركـينا

وقـدم أهل مـذهبـنا جـهـادا الـ ـبغـاة على جـهـاد الكـافـرينا

وحكم الشرع فى الأعـداء ماض وليـسـوا فى الأنام بمـعـجـزينا

فقد شـقوا العصا وبغـوا وخانوا بغـدرهـم أمـيـر المؤمنيـنا

فكم من مـثلهم صـاروا حديثـا وذكـرا سـائرا فى الغـابـرينا

وإن البـغى مـرتعـه وخـيم عـقـوبتـه مـعـجلة يقـينا

فـهم أهل الردى إن لم يتـوبوا ولم يـأتوا لحكـمك، طائـعـينا

وأنتـم أهل مـكرمـة وحـلم وعـفـو عن جـمـيع المذنبـينا

يزيد الـله أهل العـفـو عـزا كـمـا بـحـديث خـيـر المرسلينا

أمـيـر المؤمنين إليك أشكو أمـورا خلفـت قلبـى حـزيـنا

وأكـبـرها صـدودك لا لشيء سـوى زور الوشـاة الحـاسـدينا

وإهمـال الخـديم وذاك عـار على أهـل الوفـاء الأكـرمـينا

فـلا كـتب تـسـر ولا سـلام به يحـيى المشـوق إليك حـينا

وإصغـاء السـمـاع إلى أعـاد حـسـبتـهم للملك ناصـيحـينا

وقد أشفوا صدورهم وأضحوا بنا بـين البـريـة شامـتـينا

وكم قـاسـيت بعـدك من أمـور يكاد الـصـخـر منهـا أن يلـينا

بكـيت لهـا دمـوع دم ولما أجـد بين الـبـريـة راحـمـينا

وضـاقت هذه الأرضـون عنى لزور المـمـترين المفـتـرينا

فلو كـان الممـات يبـاع يومـا لكنـت لكأسـه فـى الشـاربـينا

ولكنى سـأسـأل عـفـو ربى فـإن الله خـيـر الراحـمـينا

وأرجـو الحق يبـدى الحق حـتى يريـك الأصـدقـاء والكاذبيـنا

فـإن الـله لا يخـفـاه شىء وليس يضـيع صـدق الصـادقـينا

وهل يخـفـاكم أمـرى وأنى خـدمـت جنابكم تـسـعـا سـنينا

وأفنيت الشـبـيـبـة فى رضـاكم ولم أمـدد لغـيـركم عـيـونا

ولم تكن الخيانة من فعالى ... ولست بناشئ فى الخائنينا

ولكن ضاق بى الأعداء ذرعا ... فأبدوا من مكايدهم فنونا

فلولا حلمك البادى علينا ... لكنت بمكرهم فى الهالكينا

فديتك إن غدوت بعيد دار ... فلا تسمع كلام العار فينا

فشيمتك الكريمة ذاك تأبى ... وتأباه قلوب العارفينا

وحسن الظن خلقك قد عهدنا ... فعاملنا بذلك ما حيينا

فرجع حسن ظنك بى فإنى ... على حسن المذاهب ما بقينا

وتعلم حالتى وصلاح أمرى ... وحسن تقدمى فى الناصحينا

فما بدلت بعد البعد حالا ... عرفت ولا رضيت سواها دينا

أنا الياقوت فى طبع ونفع ... يزيد علا بنار الموقدينا

وإنى إن عدت عنكم عواد ... لملتزم لحضرتك الحنينا

وأسأل ربنا فى كل وقت ... يكن لك فهو خير الناصرينا

بجدك سيد الأكوان طه ... محمدنا شفيع المذنبينا

عليه صلاة ربك مع سلام ... وآل والصحابة أجمعينا

وقوله مخاطبا الأمير المذكور وقد بلغه أن أعداءه نسبوا له عنده الخوض مع من خاض من أهل فاس فى الفساد عند خروج الوداية، ونجردهم للفحش والإذاية، وكان السلطان يعرف براءته ودينه، ويورده من حسن الوداد معينه:

مولاى إنى بعهد ودك واثق ... إذا أنت بالحال الخفى عليم

قد أكثر الواشون من بهتانهم ... والزور فى خلق الورى معلوم

ليس الملام عليهم فيما أتوا ... بل من يصيخ إلى الوشاة ملوم

إنى صبرت على المكاره حسبة ... والله يعلم أننى مظلوم

وكفى بعلم الله واسع قول من ... قبلى وظلم الحاسدين قديم:

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه ... فالقوم أعداء له وخصوم

خافوا فضيحتهم بردى فانبروا ... للسعى فى هتكى وذلك لوم

إنى ليحجزنى الوفاء عن الجفا ... والدين عما زوروا والخيم

فالود باق والمحبة غضة ... والصدر من داء الفساد سليم

إن كنت خنتك فى المغيب فخاننى ... حال المصاب الصبر والتسليم

وإذا سمعت بما يسىء سماعه ... أملت أن لو حل بى المحتوم

إنى سعيت ولا أزال بفضلكم ... أسعى لنيل طلاحكم وأروم

وبذلك نفسى وما ملكت لأجلكم ... وصبرت حيث المستعين عديم

ولسوف تتضح الحقائق جهرة ... ويلوح من أسرارها المكتوم

وإذا علمت بحالتى ولم تصخ ... للحاسدين فأمرهم معدوم

إن صح لى منك الوداد فإنه ... حسبى وحسب الحاسدين الشوم .

ظنى الجميل بكم لحسن وفائكم ... ولدينكم ولفضلكم معلوم

أنا عبد إحسان له بولائكم ... كولاء سلمان له التقديم

وعليكم حفظ الوداد لأنكم ... أهل الوفاء وعبدكم مكروم

حاشاكم أن تشمتوا الأعداء بى ... أو أن يساء على الوفاء خديم

والله أسأل أن يدوم لملككم ... النصر والتمكين والتعظيم

بالمصطفى وبآله وصحابه ... فعليهم الصلوات والتسليم

وقوله فى حالة سجنه، وفقدان أمنه، يتضرع للسلطان فى إقالة عثرته، واستنقاذه من نكبته:

الحلم شيمة أهل البيت والكرم — والصفح والعفو والإغضاء شأنهم
والرفق ينشأ منهم والحنانة مع — لطف وعطف فمهما استرحموا رحموا
حسن الوفاء وحسن العهد شأنهم — طول الدوام ومنهم تحفظ الذمم
لا يؤيسنك من غير عقابهم — فبعد رعد وبرق تسكب الديم
خلائق ورثوها عن أب فأب — قد سنها خير خلق الله جدهم
أقررت بالذنب والغفران يشملنى — وجئتهم تائبا والفضل فضلهم
وقد جعلت شفيع الخلق كلهم — وسيلتى أرتجى الغفران عندهم
ياسيدى عابد الرحمن عفوك عن — عبد مسىء بحلم منك يعتصم
قد تاب توبة صدق من جنايته — وعندك الحلم والإغضاء والكرم
عامله لله وأعتقه ورق له — فقد أضر به التعذيب والعدم
قد عم حلمك كل الناس من كرم — فكيف يخرج عنه مفرد علم
لا زال ملكك فى عز وفى شرف — والفتح والنصر والعليا لكم خدم
بجاه جدك خير الخلق قاطبة — صلى عليه إلهى ما بدا كرم
والآل والصحب ما هبت بجاههم — نسائم اللطف للقصاد فاغتنموا
وما سرى فرج للمستجير بهم — وجاء العفو والتسريح والنعم

وقال وهو بحال الاعتقال، وكان الحكيم محمد يفرح رحمه الله رمز له بمقال، وأوضح له لغز فال، فكتب له يستدعيه، كى يستفيد منه ما يعيه:

عسى نفحة من حضرة القدس تسرح فيـزهو بهـا قلب المعنى ويـفـرح
وتأتـى بتـفـريج وأمن وبسـطة ويصـدق مـا قـال الموفق يفـرح
لقـد غـاب عنى النهـار وضـوؤه فـلا سـره يبـدو ولا الكتب تشـرح
لئن صـدر عـنا النهـار وضـوءه فبعد غروب الشـمس مسرى ومسرح
عليـه سـلام اللـه مـا هـب ناسم وما دامت الأرواح فى الـكون تسرح

وقال:

ألا عطفـة يا آل بيـت مـحـمـد على ضائع فى السجن من غير فائدة
أضـر به ثقـل الحـديـد وبرده وهذى الليـالى بالـبـرودة شـاهدة
يحاكى الذى الموصـول معنى وصورة هبـوا صلة بالفـضـل منكم وعـائدة

وقال:

ألا يا سـيـد الشـفـعـاء غـوثا لعـان قـد أضـر به الحـديد
وآله الـشـقـاف وعـظم حـزن يخـر لبـعـضـه البطل الشـديد
دعـاك وإنه فـيك ذو يـقـين يعـالجـه بك الفـرح العـتـيـد
وأنزل رحله بـك مـسـتـجـيـرا فـداركـه بجـاهك يا حـمـيـد
علـيك الـله فـى القـرآن صـلى وسلـم إنه الرب الحـمـيـد

وقال من قصيدة:

أسـيـدنا إنى بـعـفـوك لائذ من الـعـتب أو مـن ظنة ومـلال
تكدر عـيـشى مـذ رأيتك معـرضـا وأسـهـرت فى عـد الذنوب لـيـال
فـإن كنت قد أذنبت فـالعفـو واسع وفى العـتب للأحـرار ضـرب نكال
وفى سـارعـوا خـيـر لمثلـك نيله وأخـذك بالآداب خـيـر مـنال

وسر العلا والود يظهر للفتى | بإفهام حال أو بلحن مقال
فلا تشمت الأعداء بى بعد ما غدت | رقابهم يوم الفخار نعال
ولا ترخصوا عرضى لهم بصدودكم | فإنى إن تولوا المبرة غال
ولا تجمعوا هجرا على وغربة | وداء عفاكم ربنا المتعال
خدمتكم عشرا سنين أعدها | وسابقت فى الميدان كل مغال
قطعت بها شرخ الشباب وقد بدا | صباح مشيبى فى سواد قذال
ومثلى محسود عليكم ومثلكم | خبير بواش فى الأنام وقال
إذا ما حوت نفسى رضاك فحسبها | ولست بحزب المبطلين أبال
وقد كنت فى يمينى يديك جعلتنى | فلا تجعلنى بعدها فى شمال
وأنت بتتميم الصنائع كافل | وبالرعى للخدام خير موال
وعودتنا من حسن عهدك شيمة | ومن خلقك المحمود حسن فعال
تسائل عنا حيث غبنا وتعتلى | وتمنحنا فضلاً بغير سؤال
وتولى الذى تلقى البشاشة راضيًا | وتلك لعمرى شيمة المتعال
ولم يك عن سوء يظن تأخرى | وأنتم - حفظتم - تعلمون بحال
وإنى لمولاكم وكاتب سركم | ولى ذمة منكم وحرمة وال
أعادى الذى عاداكم وأذمه | وأمدح من والاكم وأوال
وإنى لعمر الله حسان مدحكم | أنافس فى أمداحكم وأغال
وقلدت جيد الدهر كم من قلادة | بحمدكم فاقت سلوك لآل
فلا تحرمونى قربكم بعد نيله | ولا تقطعونى بعد طول وصال

ولا تطردونى بعد ما بعلاكم ... عرفت فأنتم سادتى وموال
بقيتم بقاء الدهر كهفًا لأهله ... وهنيتم النعمى بغير زوال
بجاه رسول الله جدك أحمد ... شفيع الورى السامى بكل كمال
عليه صلاة الله ثم سلامه ... وآل وصحب ماجدين وتال

وقال:

لمكناسة الزيتون عرج على صحب ... وخيم به فى ذروة السعد والرحب
وحى به من صفوة الود جيرة ... كرام السجايا عاكفين على الحب
وأوطان أوطار سقى ربعها الحيا ... وطيبها العرف الأريج من القرب

وقال:

نأت قوت قلبى فالصبابة عائدة ... وزائدة فى حرقة القلب زائدة
قد استأنفت نفسى لمكناسة هوى ... لواذع شوقى نحوها متزايدة
وقد كان قبل بالقديمة لى هوى ... ولكن نفسى بالحديدة واجدة

وقال:

أحن إلى ثغر الرباط وأهله ... حنين غريم للصبابة والوجد
وأصبو إليه كلما عنَّ ذكره ... صبابة قيس أو مضاض إلى هند
وما ذاك إلا أن قلبى ساكن ... لدى سكن فيه قريب على بعد
متى تجمع الأيام بينى وبينه ... وأشكو إليه ما لقيت من البعد
ويبدى الرضا والشوق منا تعانقًا ... بصدر إلى صدر وخد إلى خد
فأجنى ثمار الوصل من روضة المنى ... وأسقى كئوس الأنس من خمرة الود

وقال:

أخلاى بالحمراء هل شفكم بعدى | وهل شاقكم ذكر المعاهد من بعدى
وهل عهدكم باق كما قد عهدته | فإنى لعمر الله باق على العهد
وهل عهدكم صافى المناهل سلسل | جميل صفات الود مستحكم العقد
فإنى وإن شطت بى الدار عنكم | لأكثركم شوقًا ووجداً بذى ودى
فإن تدعوا فى الشوق أبعد غاية | فأضعف ما تعنون عندكم عندى
سلوا الليل عن وجدى بكم وصبابتى | وبزل المطايا عن حنينى وعن وجدى
أكن الجوى والدمع يبدى سرائرى | فلله ربى ما أكن وما أبدى
عسى نفحة أو لمحة من جنابكم | تعلل صبا مستهامًا على بعد

وقال وقد لقى بعض السلويين فسألهم عن أدباء بلدهم فأخبروا عنهم بالعجب فشوقوه لرؤيتهم والرواية عنهم فأنشد:

أأهل سلا إنى مشوق لربعكم | لألقط من أشعاركم حلية النحر
وما هو إلا الدر نظم عندكم | ولا غرو يلفى الدر فى ساحل البحر
وللقلب سر فى سماع حديثكم | ليعلم كيف النفث فى عقد السحر

وقال على شاطئ البحر بسلا فى ٢٠ محرم سنة ١٢٣٨م وكان قد توجه مع وفد إعلام، ذوى آراء وأحلام، قاصدين السلطان المولى سليمان فمكثوا بالعدوتين مدة، وخامرهم شوق جاوز حده:

عرانى من ذكر الأحبة وحشة | تضاعف وجدى عندها ونأى صبرى
لطيف سرى بالوهم وهنا خياله | فزار على بعد وقد كان لا يسرى
عجبت له أنى اهتدى ومتى ارتقى | إلى وكم من مهمه بيننا قفر

وولى فكم نار توقد فى الحشا … اشتياقًا وكم دمع على أثره يجرى

فبت وجنبى عن قتادة مسند … وعينى حديث السهد تروى عن الزهرى

فقلت أسلى الهم عنى بنظرة … إلى خضرة أو بالتعجب فى البحر

فما زادنى إلا اشتياقًا كلاهما … وصرت كمثل مطفئ الجمر بالجمر

لعل الذى كان التفرق حكمه … سيجمعنا بالقرب من حيث لا ندرى

وقال:

يا ظبية الأنس ذات الدل والخفر … كم صدت صبابسهم الغنج والحور

تخذت قلبى كناسًا تنزلين به … والقلب منزلة تعزى إلى القمر

متى أفوز بوصل منك مفردة … يا منية القلب والإسماع والبصر

ولا رقيب سوى كأس نروقها … ولا مؤنس غير رنة الوتر

وقال:

حنت لأحمال أثقال النوى عيرى … فذكرتنى أصوات النواعير

يا عيرى حثى الخطا واستنشقى أرجا … من نحو فاس وإن عز الخطا طيرى

فما مقامى بأرض لا أنيس بها … ولا شراب سوى ماء الخطاطير

إيه فما البعد عن أرض بها سكنى … أهل الحضارة فيها والقناطير

فى كل قطر بها روض وساقية … فلا مجاز سوى على القناطير

تلقى بها أوجها راقت نضارتها … مثل الدنانير فى زى النواوير

وقال:

رأيت العز أجمع والمعالى … بظل المشرفية والعوال

وضـــرب الخـــيل المذاكى وتسليط الرجال على الرجال

وإن خطابهم بلســان سيف لأفصح من مخاطبة المقال

إذا أبدى على الراحات وعظا هدى رشداً وأنقذ من ضلال

ومرهم بندق الجعبات شاف لأهل البغى من مرض الخبال

إذا ومضت بوارقه وحنت رعـود الوند من طلب النزال

رقت روح الكماة إلى التراقى وطار القلب من خوف اغتيال

وقال:

عسى نفخة الألطاف يهدى نسيمها شذا فرح يشفى القلوب شميمها

فإنى بباب الله أنزلت حاجتى وفى فضله آمال نفسى أسميها

وجاه رسول الله أفضل شافع إلى الله فى حاج لعبد يرومها

فما خاب من إفضاله متوسل به فهو مقبول المساعى عظيمها

ومالى مع حسن الرجاء وسيلة سوى دعوات بالخضوع أديمها

وقولى وقد ضاق الخناق ضراعة مقالة مكسور الجناح هضيمها

ألا يا رسول الله غوثًا لضارع فإنك محمود الخلال كريمها

وإنى وإن علقت كفى بصاحب وقربى بباب الله لست أريمها

وقال:

حيت فأحييت بروج اللطف والفرج وانشقت من شذاها أطيب الأرج

صبًّا صبا كل صب نحوها شغفا إذا هفت أذهبت ما كان من حرج

عجيبة الصنع لو مرت على جدث أحيت به ميت الأشباح والمهج

ولو سرى نفس منها على كبد حرا لأطفأ ما تلقى من الوهج

ولو تنسم يوما عرفها دنف عان لعالجه الرحمن بالفرج

وافت وقد حملت من كل نافحة شذا به يدرك الإفراج كل شج

فى ضمنها من ربى نجد وجيرته ما فاوح العنبر الشحرى فى أرج

جاءت بنشر الخزامى فى تنفسها وحنوة وعبير عبهر بهج

فلو درى مسك دارين بهبتها إذا سرى سرقا من نشرها الأرج

وهل يقاومها طيب وقد نفحت من نحو طيبة مأوى صاحب الفرج

محمد صفوة الأكوان من خلقت لأجله واكتست من نوره البهج

ما زال يدعو إلى الرحمن حتى هدى من اهتدى لسبيل الرشد والفلج

وكانوا من قبل فى ظلماء مجهلة حتى استضاءوا بصبح منه منبلج

خير الوسائل أزكاها وأشرفها عند الإله وأوفاها بمنزعج

به توسل آدم فنال علا وفاز بالتوبة الخلصاء والعلج

وكل فضل بدا فى الكون منشؤه من سيد الرسل والخيرات منه تجى

وكل من نال تشريفًا ومكرمة فمن علاه رقى لأرفع الدرج

عمت شفاعته دنيا وآخرة لكل فرد بذاك الجاه مندرج

بالمصطفى كل صعب يستلين لنا فى كل ضيق بإذن الله منفرج

وباسمه إن دعونا يستجاب لنا أو استجرنا ننال الأمن فى اللجج

فسل بجاه النبى كل ما أمل وافتح بجاه الرسول كل مرتتج

فجاهه عند رب العرش ذو عظم وقدره أرفع الأقدار والحجج

إنى نزلت حماه الرحب محتميًا بجاهه دافعًا للضيق والحرج
وإن عرتنى من الأيام نازلة ناديت يا أزمتى بالمصطفى انفرج
وإن تخوفت مكرًا أو خشيت أذى فليس إلا على علياه منعرج
فلن يخيب امرؤ حط الرحال به وإن غدا عن سبيل الرشد ذا عوج
أستغفر الله مما ضاع من عمر فى سكرة الجاه محسودًا على الهوج
وما اقترفت من الأوزار مشتغلاً فى كل ممشى إلى نيل الدنا ومج
يا ليتنى قد خلصت من حبالتها رأسا برأس ولم أحصل على حرج
وليس لى عند حسن الظن أو لجإى لباب خير الورى بمنطق لهج
يهيج الوجد شوقى من تذكره وأى قلب بذكر الحب لم يهج
أقول للنفس إذ جد الرحيل بنا ونحن من خدع الأيام فى وهج
قدمت شيئًا تنالين الأمان به قالت نعم برجاء المصطفى فلج
ما خاب قاصد خير الخلق من مضر وكيف وهو بكل المكرمات حج
كم ذا التوانى وركب القوم قد سبقوا لحضرة الله والمغبون فى هوج
فإن حضرة خير الخلق قد فتحت باللطف بادر إلى أبوابها ولج
وسر على نهج أهل الخير مقتفيًا أثر الثقات وإن أصبحت ذا عرج
وتب إلى الله واضرع فى القبول له وابك الذنوب بدمع غير ممتزج
والجأ إلى الله فى التوفيق مبتهلاً بالمصطفى ولتقل بمنطق هزج
يا رب بالمصطفى والآل عترته وكل قلب بذكر الله مبتهج
دارك عبيدك يا رب برحمة وستر لطف بسر العطف متتسج

واحــــفظـه فى أهله ومـــالـه أبداً وامـددهم مـدد الخيـرات فى فـرج
وصـل رب وسلـم دائمـًـــا أبـداً على حـبـيـبك هادى الخلـق للنهج
والآل والصحب والأخـيار أجمـعهم فـالـكون من نورهم فى منـظر بهج
وارض عن الأوليـاء الصالحيـن فهم حصنى وأمنى وهـم بين الورى سرج
إنى بـكم يا رجـــال اللـه فى وزر فـدار كـونا بخيـر الخـلق بالفـرج

وقال:

والله لولا ســبــعـة أرجــو بهــا نيل المـفــاز ورحــمــة الرحــمن
مـا قـمت فى بـاب الخـلافـة آمـرا أو ناهيــا فى خــدمــة السـلطان
إبلاغ حــاجـات وغــوث مــؤمل ودفـــاع مـكروه وبـذل أمـــان
وعـــلاء إسـلام وبث نصـــيـحــة وإعـــانة الإخــــوان والأخـــدان

وقال:

أدر كـــاس البـــشـــارة يا نـديم فـقـــد رضى الإمـام على الخـديم
وقـــابـلـه بإقـــبـــال ورفق وعـــاتبـــه مــعـــاتبــة الـكريم
علـمت بـأننى عــــبـــد لمـولى سـمـــا بالفـــضل والصـدر السليم
يعـــود على الجناة بفـــضـل حلم إذا صـدقــوا ويعـفـو عـن المظلوم
أضـعت الحـزم من جهلى فـأغـضى وأدبـنى بتــــأديب كـــــريـم
درى إنى ســبــيل رضـــاه أقـفــو فــــعــلمـنى وناهـيك مـن علـيم
فلم يهـمل لحـسن العـهـد أمـرى وأجـرانى على العـــهـــد القـديم
ولولا فــضله مـــا كنت شـيـئــا ولكـنى انتــســـبـت إلى عظـيم

إذا ظفـــرت يدى برضـــاه عنى حـــصلت على الكرامـــة والنعـــيم

وإن آنست مـنه وحـــاش غـــيـــرا يـلـمـلـنـى مـلـمـلـة الـسـلـيـم

أدام الـلـه رفـــعـــتـــه وولى كـــرامـــتـــه على النـهج القـــويم

وأســـألـه رضـــاه فـى رضـــاه وفـــوزاً بالـنجـــاة من الألـيم

بجـــاه جـــده المخـــتـــار من قـــد حـــبـــا الرحـــمـن بالخلق العـظيم

ســـلام الـلـه والصـلوات تـتـــرا علـى عليـــاه من رب رحـــيم

وآل والصـــحـــاب ومن تـلاهم على نـهج الصـــراط المستـــقـــيم

وقوله متغزلاً:

حـوراء لو نظرت إلـى صم الصـفـا عـادت كـثـيبًا باللـحاظ مـهـيـلاً

ولو انتـمـت يومًـا لعـزة حـسنها لا ترتضى غـيـر الـنجـوم قـبـيـلاً

وقال:

من لى بأهيف أحـوى الطرف أحوره ممزق الـود حلو الـوعـــد كـــاذبه

بدر ولـكن قـلبى مـن مطـالعـــه ظبى ولكـن فـؤادى من مـلاعـــبـه

رفـعت راية حـبـى إذ خـفـضت له قـدرى فـجاد بجـرى عن نواصـبـه

لو لـم يكن مفرداً فى الحسن ما كتبت يد العـــذار سطورا حـــول شـــاربه

لو لم يكن حـبه قـد حل فى خلدى مـا بت لـيلى أرعى فى كـواكـــبـه

أقـــول للنفس إذ لج الـغـرام بهـــا أمـــا ترين الجـــوى، الذى كـــواك به

وقال:

أحب القدود الهيـف والأعين النجلا وأهوى الثغور البيض والساعد العبلا

وأهفو لذات الردف والعطف إن مشت ... تحمل ضعف الخصر من عظم ثقلا

فيا رب نعمنى بإدراك غادة ... فإنك يا مولاى عودتنى الفضلا

وقال:

وافت تجر من الدلال ذيولا ... ومن الهوى تجرى إلى خيولا

هيفاء تخطر فى برود شبابها ... فتزيد نظرتها المحب ذبولا

وتهز مرط قوام قد مثمر ... بدرا كسا بدر السماء أفولا

وقال:

سل الرواة عن نفثات شعرى ... فكم أبرأن من قلب سقيم

وكم أظهرن جودا من بخيل ... وكم أولدن من بكر عقيم

فإن الشعر فى التحقيق سحر ... كما قد جاء فى الأثر الكريم

ولى فى نظمه القدم المعلى ... وأسرار تغيب عن العليم

فأنظم حين أنظم رائعات ... تفوق الدر فى العقد النظيم

وأرفع بالمديح مقام قوم ... وإن كانوا ذوى أصل لئيم

وأخمل بالهجاء منار قوم ... وإن كانوا ذوى قدر عظيم

ولى قلم به بأس شديد ... يثلم حده حد الصريم

يلين بالبلاغة كل قاس ... ويسحر بالبيان لهى الصريم

ويترك ضربه الأقران صرعى ... لدى الميدان بالضرب القويم

نثره: من ذلك فى ظهير شريف، علوى منيف، أصدره السلطان مولاى عبد الرحمن لولده ولى عهده سيدى محمد معلمًا له بما أتاح له المولى من الفتح

والظفر بمردة قبيلة زمور الشلح فى واقعة سنة تسع بتقديم المثناة على السين وخمسين ومائتين وألف، تلك الواقعة التى فات منهم فيها الأحزاب، وتقطعت بهم الأسباب: «ولدنا الأرضى الابن الأرشد، سيدى محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته.

وبعد: فقد كنا أردنا الإبقاء على قبيلة زمور رحمة وإشفاقًا، وحملهم على الاستقامة بالإرهاب من الشدة فى بعض الأمور هداية وإرفاقًا، فلم يرد الله بهم خيرا لفساد نيتهم، وخبث طويتهم، واتكالهم على حولهم وقوتهم، فما رأوا منا ميلاً وسداداً، إلا ازدادوا شدة وفساداً، ولا أظهرنا لهم عظة وإرشادا، إلا أظهروا تطاولاً وعنادا، وما أخرنا المحلة المنصورة عن الركوب إليهم إبقاء وإلفا، إلا ظنوا ذلك عجزاً وضعفًا، قد طمس الإعجاب منهم بصرا وسمعا. ولم يروا أن الله قد أهلك من قبلهم من القرون من هو أشد منهم قوة وأكثر جمعًا:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت، اللئيم تمردا

ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا مضر كوضع السيف فى موضع الندا

فلما رأينا لجاجهم وعماهم، وعدم رجوعهم عن هواهم، وأنهم لم يعتبروا بجلائهم عن بلادهم، ولا بما أصابهم من الفتنة فى أنفسهم وأولادهم، ولم يرعوا ما نهب من زرعهم القائم والحصيد، ولا ما استخرج من مخزونهم الكثير العتيد، رأينا قتالهم شرعًا، وجهادهم ذبا عن الدين ودفعا، فاعتمدنا على حول الله وقوته وأمرنا بالزيادة عليهم فى الأخذ والتضييق، والمبالغة فى النهب والتحريق، وتركهم محصورين فى أوعارهم، ومقهورين فى أوكارهم، إذْ رُبَّ مطاولة؛ أبلغ من مصاولة، فتوالت عليهم الغارات، وتتابعت عليهم النكبات، لا يجدون إلى الراحة سبيلاً، أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً، ففى كل يوم تثمر العوالى رءوس

رؤسائهم، وتختطف أيدى المنايا أهل بأسائهم، وكلما زادوهم إقبالاً وطلبًا، ازدادوا توغلاً فى الجبال هربا. حتى نهكتهم الحرب، وضرستهم موالاة الطعن والضرب، وضاع بالحصار الكسب والمال، ولحق الضرر الأولاد والعيال، فجعلوا يرحلون لقبائل جوارهم، طالبين لحلفهم وجوارهم، وبلغ البؤس فيهم غايته، وأظهر الله فيهم آيته.

وهم فى خلال هذا كل حين يتشفعون، ويتذللون فى قبول توبتهم ويتضرعون، ونحن نظهر لهم التمنع والإباية لنبنى أمرهم على أساس الجد، ونجازيهم على ما ارتكبوه من خلف الوعد، فلما أنجزت القهرية فيهم وعدها، وبلغت العقوبة فيهم حدها، قابلنا إساءتهم بالإحسان، ورعينا فيهم وجه المساكين والنساء والصبيان، فولينا عليهم منهم ثلاثة عمال، ووظفنا عليهم خمسين ألف مثقال، وشرطنا عليهم تقويم مائتين من الحراك مثل قبائل الطاعة، والتزام الصلاح والخدمة جهد الاستطاعة، فقاموا بذلك أحسن قيام، وأعطوا المراهين فى أداء المال بعد أيام، وكان أخذهم بعد تقديم الأعذار، وتكرير الإنذار، وعفونا عنهم عفو غلب واقتداء، ورب عقاب أنتج حسن طاعة، وتوبة نصوح تداركت ما سلف من التفريط والإضاعة، وفى الناس من لا يصلح إلا مع التشديد، وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد:

وما عن رضا منها عطية أسلمت ... ولكنها قد قادها للهدى القهر

أردنا بها الإبقاء فازداد عجبها ... وأد بها التشديد والفتك والأسر

ولو قيدوا النعمة بالشكر لأمنوا الزوال، وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له وما لهم من دونه من وال، والسلام فاتح رجب الفرد الحرام عام تسعة وخمسين ومائتين وألف».

وقوله فى مقامة:

«الحمد لله. حدثنا فتح بن سلامة، عن نصر بن كرامة، قال: ألحفنى السعد ببرده، وأتحفنى بحلو عيشه وبرده، وبوأنى من حمى الخلافة العلوية العلية ظلالا، وأعلق كفى فى خدمة الحضرة المولوية العبد الرحمانية حبالا، فى دولة علوية أعلى العلا أعلامها، وحـمى الإله حماها، عقد السعود على التناصر عـقدها وذمامها، واليمن قد واخاها، فـبلغت بطلعتها أمنها ومرامـها، وتوصلت لمناها، وبنى الأئمة من قريش مجدها ومقامها بين الورى وعـلاها، حموا الشريعة بالسيوف وأوضحوا أعلامـها وتنوروا بسنـاها، فكنت منتظمًا فى سلك كـتابهـا، ومعـهود فى خـدمة أعتـابها، وصـحبت ركاب مـولانا العلى العلوى، وجـيشه المنصـور المولوى، فى إحدى قدماته من الحوز، فى سفر أسفر طالعه عن وجه الظفر والفوز:

فى عـسكر مـلأ القلوب مـهـابة   والأرض خـيلا بالعـوارف يفـهق

للفـــتح والتـمكن فـــيـه دلائل   وعليـــه ألوية السـعـادة تـخـفق

نهض لها أيده اللـه غرة ذى الحجة مـتم عام ناشـر، والسعد لمعـهود العنانة ناشـر، والرعب يقدم جنوده، والسـعد ينشـر ألويته وبنوده، والنصـر تحت ظلال أعلامه، وحفظ الله من خلفه وأمامه:

والدهر مـعـــتـدل الآناء مـقـــتـبل   والشمس حلت ببرج السعد والشرف

ومطارف السنـدس بالآفـاق قـد نشـرت، وجنود النور حـــشـدت ألوانهـا وحشرت:

والأرض تجلى عروسًا فى ملابسها   وشت حـــلاها يد الأنواء بـالزهر

والنسيم قد عطر بنشره الأودية، وغازل الأغصان فنازعها المطارف والأردية، وجر ذيل دلالة فى الآكام والأودية.

والـريـح تـلـطـم أرداف الـربـى   مـــرحـــا وتلـثم أوجـــه الأزهار

ومنابر الأغصان قد قامت بها   خطباء مفصحة من الأطيار

وألسن الحال تهدى إلى التفكير فى مصنوعات الله وترشد، وكأنها تتمثل بقول أبى نواس وتنشد:

تأمل فى نبات الأرض وانظر   بدائع ما بها صنع المليك
عيون من لجين شاخصات   على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرجد شاهدات   بأن الله ليس له شريك

والناظر الأديب المتأمل، ينشد قول المجنس الممثل:

إن هذا الربيع شىء عجيب   تضحك الأرض من بكاء السماء
ذهب حيث ما ذهبنا ودرٌّ   حيث درنا وفضة فى الفضاء

والجيش المنصور بحر متلاطم الأمواج، يسير فيملأ الفضاء ويغص الفجاج، ويقيم فيكون هالة على بدر سعود وشرف، وسور حفظ لا يعرف له طرف، قد رصت صفوفه، وتعددت ألوفه، وتنوعت أجناسه وصنوفه:

من كل أبيض قد تقلد أبيضا   عضبا وأسمر قد تقلد أسمرا

والخيل تمرح فى أعنتها، وتمضى فى الخيلاء على سنتها، قد خليت من الأسلحة بما راق وراع، وأعجز وصفه ألسن اللسن وأهله اليراع:

مؤصلة من ذى العقال وداحس   وآل الوجيه والنعامة والخيفا

فمن أشهب لبس النور رداء، وسابق البرق عداء:

فكأنه فى حليه وسلاحه   صبح تقلد حلية الجوزاء

ومن أدهم خلع الليل عليه إهابه، وأثبت بين عينيه شهابه:

فكأنما لطم الصباح جبينه   فاقتص منه فخاض فى أحشائه

واحمر فأما وصـفه فمطهم عتيق، وأما لونه فعقـيق، واصفر كأنما صيغ من ذهب، أو خلق من لهب:

ألقى الأصـيل عليـه من نضـارته غـلالة وشت الظلمـا حـواشيـهـا

ومن أزرق قد تسـربل حلة السماء وتحـلى بالنجوم، أو رام استـراق السمع فرمته بشهب الرجوم:

عطـايا أمـــيـــر المؤمنيـن وبره بأجنـاده والبـر بالجند يحـمـــد

مليك حلـيـفـاه التـوكل والرضـا وأوصـــافـــه علم وحلم وســؤدد

يصـاحـبـه أمـن ويمن ورحـمـة ويعـضـده فـتـح ونصـر مـجـدد

فـتى المجـد أمـا هـديه فـمـوفق رشـيـد وأمـــا رأيه فـــمـســـدد

به الدين سـام والشـريعـة غضـة تروق وركن المجـد عـال مـشـيـد

وإن له فى مـقعـد الحكم حكمـة يحل بهـــا فى الله طورا ويعـــقـد

فلا زال مـحمـود المساعى مـؤيداً يغـــور ثناه فـى البـــلاد وينجـــد

فسرنا تحت ظلال العدل والأمن، نستـجلى كل حين من غرته الميمونة طالع الفتح واليمن، ونرفل فى أردية المعـالى الضافية، ونكرع فى بحار الجـود الصافية، ونتمسك من النجح بالعهود الوافية، ونرتع فى روض الأمانى والعافية:

وقـــد بدت لنا وجـــوه الهـــدى مـــســـفـــرة ولاح نـور الفـــلاح

فلما خيمنا بشاطئ وادى العبيـد، قابلنا بوجه الجبار العنيد، وأبدى من مده آية الإعجـاز، وقال بلسـان حاله لا مـجاز لا مجـاز، واستـعان من ثلج الجـبال بالمذاب، فأرانا بحراً طامى العباب:

نهـر يريك السـهم سرعـة جـريه والبـحر عـمقًا والشفـير سـعيـراً

فليـــسلم النفـس المريد عـبــوره إن لـم يكــن لطف الإله ظهـــيـــراً

فأحجم عن عبوره القوم، واستبشر بالزبون العارف بالسباحة والعوم، وبات الناس فى الآراء يترددون، ولقصص الناجين والغـرقى يعدون، وقصارى أمنية كل واحد عـبور ذلك الصراط، والانتظام فى سلـك الناجين والانخراط، حـتى أنشد بعضهم واستحسن، وتمنى ما تمنى الحسن:

ألا ليت شعـرى هل أبيتن[1] ليلة بسـهب الثنيـن أو بسـهب بنى ورا

وهل تعـبرن نهـر العبـيد ركـائبى وهـل أتـركـن دايـا وأدواءهـا ورا

فلمـا تبلج أدهم الليل عـن أشهب الصبـاح، وحـيعـل الداعى بحى على الفلاح، وتولت نجـوم الليل تقفو إثره، وغدت سـيوف ذكاء تخرق سـتره، وأدى الناس النفل والفرض، وأشرقت بنور ربها الأرض.

ولاحت لنا شـمس النهـار كغـادة بدا حـاجب منها وضنت بحـاجب

صدر الإذن المولوى بالعبـور، وقدم له الصبور فالصبـور، وجعل فاتحة ذلك نجله الأسعد، وفـرعه الأنجب الأصعد، سيدنا ومـولانا محمد، تفاؤلاً لتسـتحسن العاقبة وتحمد، وكان قد تقدم الأمر المطاع بإعداد المعادى، للإعانة على عبور ذلك العدو العادى، فلم يكن إلا أن عبر الأول مكتفـيًا بالمختصر عن المطول، وظهر من لطف الله وسعادة مولانا ما عليه المعول، وحمد الناس الله على ما سهل من ذلك وخول، وتتابع العبور على الـريح والأعواد. مع سلامة الأنفس والأزواد. وشاهد الناس لجيش مولانا المنحمى، شبه ما ظهر من الكرامة لعبد الله بن الحضرمى، ولا غرو أن يعطى التابع حكم المتبـوع، ويظهر للعيان حقيقة مـا هو مروى ومسموع، ولله قوم يسعدهم ويسعد بهم، ويظهر عنايته على من تعلق بسببهم.

---

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «أبين» وهو غير صحيح عروضيًا، والبيتان من بحر الطويل.

وإذا السعادة أحرستك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

واصطد بها العنقاء فهى حبالة واقتد بها الجوزاء فهى عنان

ولما خيمت الجموع بالعدوة الأخرى، ورأوا السلامة غنيمة وذخرا، وعاين الناس ما تعودوه مع أمير المؤمنين من النجاة والصعود، والفوز المشهور المشهود، والتيسير المعلوم المعهود، هنأ بالسلامة بعضهم بعضًا، وجعلوا ذلك بينهم سنة وفرضًا، فلا تلقى غير حامد وشاكر، ومقر بنعم الله ذاكر، واتسع لديهم المجال، فى الروية والارتجال، فمن ناظم وناثر، ومقصر ومكاثر. ومن قائل:

أرى نهر العبيد غدا عنيدا يعاملنا بجور واشتطاط

عبرناه على خطر وخوف على غير اختيار واحتياط

وذلله الإله لنا فسرنا من الريح المسخر فى بساط

يهنئ بالعبور البعض بعضا كأنا قد عبرنا على الصراط

ومن متمثل فى عبور الوادى. على المعادى:

لئن كنا ركبناها ضلالا فيا لله إنا تائبونا

فأخرجنا عن المرغوب منها فإن عدنا فإنا ظالمونا

ومن منشد، وإلى لطف الله مرشد:

عبرت نهر العبيد قهرا على بساط من الهواء

ولما حمد الناس الإيراد والإصدار، واستقرت بهم بعد العبور الدار، وشكروا على فضل الله إمامهم، وجعلوا القبيلة التادلية أمامهم، وذكروا معاهد البلد ورجالها، وأطالت الألسن فى ذلك مجالها، وأوضحوا بذكر كراماتهم غرر السيادة وأحجالها، فقام زعيمهم، فقال: يا قوم إن الشعر ديوان العرب، ووسيلة لقضاء

الأرب، ومفتاح لكنوز الأسرار، ووصلة إلى عطف الأبرار، وحلية للفضلاء والأحرار، تنفعل النفوس الكريمة لنشيده، وتعنو الهمم العلية لبديعه ومشيده، وترتاح إليه الطباع العربية، وتهتز له النفوس الأبية، فتستجلب الأرباح بتقليد أعلاق فريده، وتستحلب أخلاف الفضل بحديثه الغض وجريده:

فكم شفع القريض فنال سعدا ... وقرب للسيادة من قصى
وكم أغنى أخا فقر وأقنى ... وكم أعلى أخا قدر دنى
وحسبك آية إكرام كعب ... وما قد نال من عطف النبى

فهل فتى منكم يورى فى مدحهم زنده، وينفق على أخوته مما عنده، ويجلب للجميع ببديع الاستلطاف، ورفيع الاستعطاف، ما تفيض به أبحر المواهب، وتستجلى به وجوه المذاهب. فقال أحدهم أجل، وقام وارتجل:

أرجال تادلة إليكم عزمتى ... تسمو وعطفكم الذخيرة والسنا
أنزلت رحلى فى حمى عرصاتكم ... فعلى الكرام لضيفهم نيل المنى
فتعطفوا لنزيلكم وتلطفوا ... ونداكم يقضى بإدراك الغنى

فقالوا لقد دعوت منهم مجيبًا، وسترى من سر الله عجيبًا، غير أنك اقتصرت واختصرت، وقصرت لما اهتصرت، فهلا آثرت من نحن جميعًا تحت ظلاله الوارفة، وخصصت من ملكنا بفضله تالد المجد وطارفه، واستجلبت فإن المولى، أحق بالأثرة وأولى، مع أن نواله للبرية شامل، وأفضل ما به يدين الإنسان الله ويعامل، وقد أفصح عن ذلك وأعرب، أثر الدعاء إذا كان أعم كان إلى الإجابة أقرب، فأنشد فتى وما روى، وأنقع غلة السامعين وروى:

أرجـــال تادلـة الأكـــا رم أنتم خـيــر الرجـال

وإلـيكـم تنمـى العـــوا رف والمعـــارف والمعـــال

ولـديكـم يرجـــو المؤمـ ل عطـف أرباب الكمـــال

هذا أمـــيــــر المؤمنيـ ـن بحـيكم حط الرحـــال

مـتـفـيـئـا من ظـلكم وعــلاكم ضـافـى الظلال

وقـــراه نيـل العـطف مـن كم والقـبـول والوصـــال

راج منكـم فـتـحـا ونصـ راً ظاهـرين بلا قـتـــال

وصــلاح أحــوال الـرعـ ـيـة فى مـقـام وارتحال

ومنـال تيـسـيـر المقـــا صـد كـلهـا فى كـل حـال

فـــلأنتم أسـمـى الوســا ئل فى السـؤال والابتـهـال

ولأنتم الحــصن الحـصـيـ ـن إذا طغـا خـطب وهال

ولأنتـم العــضـد القـــو ية والقـــواضب والنبـــال

وحــمـاكم الحـرم الأمـيـ ن لذى اعـتـلاء واعـتـلال

مـــا أمكم مـتــوسل بـعـــلاكـم إلا ونـال

كـلا ولا انتـصـر امـرؤ بجـنابـكم إلا وصـــال

فلـتـقـبلوا ولتـقـبلوا بالفـضل يا أهل الكـمـال

إلى أن قال: فلما أكمل الإنشاد، وأشاد من المفاخر ما أشاد، بلغت النفوس مرادها، واستحسنوا ختام المجلس بذكر أهل الفضل والنسك، واستنشقوا مسك ختامه وكان ختامه مسك».

بعض ما قيل فيـه: من ذلك قول الأديب الشيخ بدر الدين يوسف المدنى لما وفد على حضرة السلطان سنة ١٢٥٧:

شنفت أســمــاعى بقــول مطرب ... للـه درك من بـليغ مــعــرب

لاطفــتنى وجبــرتنى وســررتنى ... ولقــاء شــمس عــلاك غـايـة مطلبى

ورضاك حسبى فى الفخار فكيف إذ ... ألبـــســتنى حلـل الثناء الأطـيب

مــا كنـت أهلا للثـنا كــلا ولا ... جـيـدى لذاك العـقـد بالمسـتـوجب

أنتم أولـو المجــد الذى يـأوى إلى ... بيت عـلى هام الســمــاك مـطنب

وبحليــة العلم الشـريف وبـالتـقى ... والحلـم زينـتم جـــلال المنـصب

فلكم بدا الفـضل المبـين وغـيـركم ... مــســتنجع لومـيض بـرق خلب

وعـقـود دركَ سـيـدى جـمع الثنا ... فـيـها وكـان الفـخـر حـال المطنب

شكرا فـإن جـميل بـرّك قد حـوى ... رقى وضـاق بنيـل كـفـؤك مـذهبى

حليـت منى عــاطلا وذكــرت مـ ... ـنى خـاملاً وأزلت حـالك غـيهـبى

لن أســتطيع لـك الجـزا لـكن من ... بالوسع جـاد فـذاك غيـر مـؤنب

فـاعـذر وإن قـابلت درك بالحـصـا ... هذا مــقـام العـائـذ المسـتـعــتب

وعليك مـن مـحض الوداد تحـيـة ... أذكى وأشـهى من سـلاف الأكـؤب

وفـاته: توفى ضـحى يوم الأثنين الرابع من المحـرم الحـرام فـاتح سنة أربع وستين ومائتين وألف.

٢٨٣ - محمد أبو عبد الله بن على بن حرزهم المكناسى أصلاً ومنشأ ودارا.

حاله: فقيـه أستاذ حافظ، أعدل أديب خطيب بجامع مكناسـة الكبير، كان

قد حاز قصب السبق فى ضبط القرآن وحسن الصوت، فكان يخطب بأمير المؤمنين مولانا سليمان، هكذا ذكره أبو العباس الأغزاوى الجبلى فى بعض تقاييده.

٢٨٤ - محمد فتحا بن أبى سالم عبد الله بن الطاهر الشريف الأمرانى.

والد المولى الكامل المتقدم الترجمة، وقد تقدم رفع نسبهم الكريم فى ترجمة ولده المذكور.

حاله: علامة مشارك، خطيب مصقع، صالح عابد، ذاكر ناسك، فاضل جليل القدر، ولد بأفران ونشأ بزرهون، وقرأ بفاس وسكن مكناسة الزيتون، وتولى خطبة الجامع العتيق بها، وكان لا يخطب بخطب غيره ينشئ كل جمعة خطبة بحسب مقتضيات الأحوال، وكان ناصرى الطريقة ناهجًا نهج السنة والجماعة فى سائر شئونه.

صاهره السلطان أبو الربيع سليمان ببنته المصونة السيدة أم هانى، وكانت صالحة عابدة ناسكة، تقرأ دلائل الخيرات، والورد الناصرى، لم يكن فى وقتها أجمل منها، فما مات والدها السلطان أبو الربيع ولم يكن دخل بها بَعْلُها هَمّ السلطان بعده أبو زيد بن هشام بالعقد عليها لنفسه، فلما بلغها الخبر ذهبت إليه وقالت له: يا فلان، اتق الله فإن هذا لا يحل، ألست تعلم أن والدى كان زوجنى من الأمرانى، فتراجع وأمر بزفافها لزوجها المذكور ودونك نص عقد الصداق:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد المصطفى الكريم، وعلى آله وأصحابه أولى البر والتعظيم، ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم، الحمد لله الذى خلق من الماء بشراً فجعله نسبًا وصهراً وكان ربك قديرا، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث إلى سائر الخلق بشيراً ونذيراً، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيراً.

---

٢٨٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦١٢.

أما بعد: فإن سيدنا ومولانا أمير المؤمنين المنصور بالله. المتمسك بأذيال سنة رسول الله، المصحوب بالأمن والأمان، أبا المواهب سيدنا ومولانا سليمان، زوج بنته المصونة البكر التى فى حجره، وتحت نظر أمره، سيدتنا أم هانى شقيقة سيدنا ومولانا إدريس أصلحه الله وحفظه وأقر به العين آمين للشريف الأرضى، الفقيه المرتضى، مولاى محمد بن مولاى عبد الله الأمرانى لمروءته، وطلبه وقرابته ومسكنته، على صداق مبارك قدره ونهايته أربعون مثقالاً سكية حلولا حضر الزوج المذكور وقبل ما ذكر وارتضاه، وألزمه نفسه وأمضاه، شاكرًا فعل سيدنا وداعيًا له بأن يجعل جزاءه رضا الله والنظر فى وجه رسول الله ﷺ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا، إشهادًا تامًا وقبولاً عامًا، كما يجب على سنة المسلمين، وطريقة سيد المرسلين، شهد على مولانا دام نصره وهو على كرسى ملكه وعلى الزوج بحال الكمال من أشهداه به وعرفه فى عشرى رمضان المعظم عام أربعة وثلاثين ومائتين وألف عبد ربه تعالى محمد التهامى البورى، لطف الله به وعبد ربه تعالى أحمد بو عشرين لطف الله به».

ووقفت على كتاب للوزير المختار الجامعى بعثه للمترجم يستدعيه للحضرة السلطانية نصه بعد الحمدلة والصلاة:

«سيدنا الشريف الجليل، الماجد الأصيل، والفقيه العلامة الداركة مولاى محمد بن عبد الله الأمرانى سلام عليك ورحمة الله بوجود مولانا أيده الله ونصره.

وبعد: فاعلم بأن والدكم البركة مولاى عبد الله شاور عليك سيدى نصره الله فأثنى عليك سيدى غاية، وأمرنى أيده الله بأن نكتب لك بأن تقدم لحضرته العلية فبوصوله إليك جد السير ولا تتراخى بارك الله فيك، وعلى عهدك ومحبتك والسلام فى ٢٣ من جمادى الأولى عام ١٢٤٧ المختار خار الله له ولطف به»:

مشيخته: أخذ عن الأزمى وغيره ممن فى طبقته العلوم العقلية والنقلية الأصلية والفرعية، أخبر المؤرخ الثبت الفقيه القاضى حينه بقبيلة بنى حسن السيد عبد الحفيظ الفاسى أن نجل المترجم العلامة مولاى الكامل حدثه أن والده المترجم حدثه أنه قرأ مختصر الخليلى على شيخه الأزمى فى أربعين يومًا فى كل يوم يقرأ الشيخ درسين أحدهما صباحًا والآخر مساء فى كل درس نصف حزب، وأخذ الطريقة الناصرية عن الشيخ أبى بكر بن على الناصرى، عن والده على المذكور عن والده سيدى يوسف، عن ابن عبد السلام بنانى، عن أبى العباس أحمد بن ناصر، وأخذها أيضًا عن والده عن سيدى على بن يوسف المذكور وعن غيرهما.

وفاته: توفى بفاس متم سنة خمس وسبعين ومائتين وألف، ودفن بالزاوية الناصرية هناك.

٢٨٥ - محمد بن العربى بن عمر الصنهاجى أصلاً المكناسى داراً ومنشأ.

حاله: فقيه صوفى منور السريرة، درقوى الطريقة، لقنه إياها الشيخ المحبوب المدعو بأيوب.

مؤلفاته: منها تقييد على الأبيات الثلاثة المنسوبة للإمام الجنيد وهى:

توضأ بماء الغيب إن كنت ذا سر ... وإلا تيمم بالصعيد أو الصخر

وقدم إمامًا كنت أنت إمامه ... وصل صلاة الفجر فى أول العصر

فهذى صلاة العارفين بريهم ... فإن كنت منهم فانضح البر بالبحر

وقفت على مبيضته فى نحو الكراسة فرغ من تبييضه ليلة الأربعاء ثانى شهر رجب عام أربعة وسبعين ومائتين وألف.

٢٨٦- محمد فتحا ابن الهادى غريط المكناسى النشأة والدار المراكشى الإقبار.

حاله: من أهل المشاركة فى العلوم، ومن يشار إليهم فى تحرير المنطوق منها والمفهوم، حصل على الإجادة والإتقان، وأصبح علما يهتدى به، قوى العارضة، جيد النظم والنثر، ماهر فى علم الطب وخواص النباتات، تقى نقى، هين لين، صالح خاشع متواضع، انتقاه سيدنا الجد السلطان المولى عبد الرحمن بن هشام لنفسه وحرمه وجعله الطبيب الخاص به، له فيه الثقة الكاملة، يعتقده ويعظمه ويقدره، ويأتمنه على حياته، لا يفارق على بابه، يظعن بظعنه ويقيم بإقامته.

وكان رحمه الله مغرمًا بحب الصالحين وأهل الفضل، معتقداً خصوصيتهم منتسبًا ظاهراً وباطنًا إليهم، وعلى الأخص العارف الكامل أبو محمد عبد القادر العلمى فكان ملازمًا لخدمته، فانيًا فى محبته. مستغرق الأوقات فى مجالسته. والثناء عليه والحض على صحبته. والعض عليها بالنواجذ، وقفت على عدة مكاتيب له أصدرها لخاصة أصدقائه بما ذكر ودونك بعض نصوص بعضها ومن خطه نقلت:

عوض أخى وولدى حقًا وصدقًا، الطالب السيد الهادى بصرى أصلحك الله وحفظك، وسلام عليك ورحمة الله عن خير ولله الحمد.

وبعد: فقد وصلنى يا أخى كتابك، وأفهمنى مضمونه خطابك، وقد لوحت إشارتك، ووضحت عبارتك، وإنى وأنت يا أخى كلمحة برق فى بعض العوالم، غير أن الله تعالى تفضل علينا جميعًا بنفحة كرمه تنسمت نسمات طيبها العاطر فى مظهر منة العلمية، فاستوجبت منا جميعا أن ننفق بضاعة عمرنا فى أداء شكر من بسط ضياء شمس وجودها علينا جميعًا، ومتعنا بوسع كرمه اللدنى فيه حتى شملتنا مبرته فأوسعنا خاطره رضى الله عنه بالتنزل الرحمانى الربانى، حتى إنه

رضى الله عنه مع ثقوب نورانية كوكبه الدرى فى بسط خلقه معنا جميعا كأحدنا، وأحني وأشفق علينا جميعا من والدينا، يهتـم لما أهمنا وما يهمنا أكثر من اهتمامنا لأنفسنا.

وهذا الأمر يا أخى فى كـثير من المعارف والأحـباب صار كعنقـا مغرب فى زماننا، بل وفيمـا قبله فى غالب غابر القرون الماضية، فلم يبق لنا جـميعا يا أخى والله إلا حصـر الشوفـة القلبيـة والقالبـية فى انتظار كـرم الكريم فيمن أظـهر لنا كرامته، وأوسعنا مبرته، ففيه بربنا وربه غاية المنى، وشفاء الضنا، وفى إقبالنا بالله عليه تسهيل المقاصد، لكل قاصد، وسترى أنت وأنا وجميع أهل محبته رضى الله عنه من فضل الله ورحمته ما لم يكن لنا فى حساب، فالله يا أخى معنا حيثما كنا حاضر لا يغيب، ودائم الحياة لا يموت، وعلى ما يشاء قدير لا يعجز أبداً.

هذه مذاكرة معك فيمـا لا يخفى عليك، والحمد لله يقننا الله وإياك بكمال اليـــقـين، وطوى طويتـنا وطويتك على إخـــلاص الموقنين، ورزقنـا وإياك شكر الصابرين وتوبة الصديقين إلى الآخرة.

وما أوسع يا أخى حلم الحليم، ورحمـة الرحيم، وإن ربى لطيف لما يشاء، ولا تغفل يا أخى عنى وعسى نصر من الله وفتح قريب، متعنا الله جميعًا يا محل إخوتى فى مطالعة كتب محاسن قدرته، ومحـاضرة أنس بشائر ذخائر مبرته، فيما تفضل الله علينا به، فجعله لنا قدوة الاهتداء، وجـمعنا به إليه فصار لنا خير دليل عليه، وبالحقيـقة كان الله ولا شىء معه، وفى قريب يرى عبـد الله حسن الشفاء والعافيـة بالضامن الملى جل وعلا، وطالع يا أخى والخير العظيم فى قـراءة ما شاء الله من القرآن العظيم بالتـرتيل والتأمل، وفى الأسحار ربيع الأبرار، ومـلازمة ما تيسر من دلائل الخيرات بالتأمل التام أيضًا، تستلزم جلب المسرات، ودفع المضرات

بمنة الله، واذكرنا بقلبك لله وعلى المحبة والسلام فى سابع عشرى محرم عام ثلاثة وستين ومائتين وألف هـ. من خطه.

فانظر هذا النفس النفيس، وتأمل ما منحه صاحبه من الرسوخ وثبوت القدم فى توحيد الله وانغماسه فى بحر الحقيقة الذى هو عبارة عن مقام الإحسان من الله علينا بالولوج فيه على أكمل الحالات وأرضاها لله وكم للمترجم من رسائل على هذا المنوال.

مؤلفاته: منها رجزه المسمى رياض الأنس والفكر والقلب فى التصوف والنصائح والمواعظ والرقائق وأحوال طريق القوم وآدابها، وسيرة شيخه العلمى وأوصافه من نشأته إلى وفاته ومعاملة أصحابه وما تلقاه منه من الحكم والأسرار والآداب، يزيد هذا الرجز على ثلاثة آلاف بيت قال فى طالعته:

سبحان من كون ما أرادا	تكوينه إعدامًا أو إيجادا
والكون محتاج إليه وفقير	لفضله سواء صغير وكبير

وفى تسميته يقول:

سميتها رياض أنس الفكر	والقلب كى يروى بنيل الشكر
لله فى مستودعات الإنسان	من فضله جل بمحض الإحسان

وفى بعض أوصاف شيخه المذكور قال:

والجذب معه نحو أربع سنين	وبعضنا به من المستيقنين
ومع ذا بسائر الأذكار	يصدع بالليل وبالنهار
حتى قضى بفجر يوم الاثنين	ليلة يوم سادس وعشرين

شعره: من ذلك قوله متوجًا بحروف حسبنا الله ونعم الوكيل:

بحفظ الحفيظ من أذى الغى والأعدا وساتر منه يرعاه من سائر الأدوا

حفظنا وعين الله تكلؤنا ومن يكدنا بسوء فى مكايده يهوى

سلمنا من الآفات والله ناصر مجير لنا وقاصد الشر لا يقوى

بك الله لذنا واعتصمنا وحسبنا حماك فلا تلمم بساحتنا بلوى

نواصى العباد فى يديك زمامها وتصريفها إلى نهايتها القصوى

أجرنا من أيدى الجائرين ورد من يروم أذانا فاقدا نيل ما يهوى

أعذنا من الخذلان وأجعل مآلنا إلى جنة الفردوس يا سامع النجوى

لو المجد ملجأ اللائذين فكن لنا وبالفضل تؤوينا إلى ذلك المأوى

لنا كنت قبل الكون فاجعل عناية لنا منك تحمينا من الضر والأسوا

أسأنا وحمل الوزر أثقل ظهرنا ولكن من الغفران أوزارنا تطوى

هداك لنا المطلوب منك مع الرضى وخيرك يا ربى يزيد ولا يطوى

ومجدك ياذا النول حتى تصوننا وتنقذنا من المهالك والأهوا

نصول بك اللهم فاحم جنابنا ومن كادنا رغمًا على أنفه يلوى

عوائدك الحسنى لنا قد تكاثرت ولولا رضاك ما على نيلها نقوى

موائدك العظمى إلينا تواردت ولا الشكر ودينا وما قدرنا يسوى

أيقوى جميع الخلق شكراً لبعضها وهيهات يحصى الرمل أو تحصر الأنوا

لك الحمد حمداً بالمزيد على المنى كفيلاً لنا أشهى من المن والسلوى

ونشكرك اللهم شكر موفق تبر به من دون سؤل ولا شكوى

كفى بك برا واهبًا متفضلاً وفضلك مع رضاك من أعظم الجدوى

يوارى جميع العيب سترك منة فللذنب أول الصفح يا رب والعفوا

لو أذى بوجهك الكريم وقدرك الـ عظيم التماسا للإجابة والدعوى

بجاه عظيم الجاه أعظم شافع ومن شربوا من هديه المشرب الصفوا

عليه الصلاة والسلام مع الرضا على حزبه الألى فضائلهم تروى

وقوله:

وسيلة خير بالخيار محبره بعبد السلام للرسول مشوره

مشيش أبو بكر على وحرمة وعيسى وسلام ومزور حيدره

محمد إدريس فإدريس كامل وبالحسنين أختم بدور منوره

وبالخل فى ذات المهيمن يخلف أخى ابن مشيش فى الطريق المبرره

وأسلافه الغر الكرام ومن لهم من أخلافهم وأولى المعالى المقرره

كمثل عبيد القادر العلمى ومن له الله بالمختار فى الحب خيره

وكل محب مخلص فى جميعهم من أهل القلوب النيرات المعمره

بصفو اليقين الراسخين به فهم سرائرهم لله فيه محرره

تجلى لهم نور الرسول وسره فنالوا الكرائم العظام المسطره

فيا ربنا بالفضل عامل جميعنا وصير لنا الخيرات منك مسخره

إليك بجاه الأصل والفرع كن لنا وللشيخ والأحباب دنيا وآخره

وصل وسلم ثم بارك على الذى أتى رحمة للعالمين مبشره

وأصحابه والآل مع كل تابع ولله أبحر المواهب زاخره

وقوله:

بيملح ابن مشيس الرشاد	وحمدان حامد رب العباد
ومن نوره منهم فى ازدياد	بنجله قاسم المستشاد
ضياه بمكناسة فى اتقاد	بعبدك يا قادر يا جواد
تفضل علينا بغير نفاد	بفضل مديد ليوم المعاد
فنرجوك والمصطفى خير زاد	لنيل الرضى وكمال المراد

وفاته: توفى بمراكش عام واحد وسبعين ومائتين وألف ودفن بضريح مولانا على الشريف رحم الله الجميع.

٢٨٧ - محمد بن عبد السلام بن عبود أبو عبد الله المكناسى أصلاً ومنشأ السلاوى الدار والمدفن.

حاله: صوفى ينحو منحى أرباب الحقائق، فصيح اللسان ذو ذكاء وحذق تام، كان لهجًا بالقرآن، متدبراً لمعانيه، مستشهدا به فى كل أحواله، حاد المزاج ضيق العطن، قل ما ترى العين مثله فى حاله، تجرد على طريق أهل التجريد، ولازم العبادة على الحالة المعروفة عند كمل الطائفة الدرقاوية من رفع الصوت بالهيللة فى الطرق، ووضع السبح المتنوعة فى العنق.

ثم رحل إلى فاس واشتهر اسمه بها، وأخذ الطريقة عنه بعض المنقطعين بها والراحلين إليها، ووقع بعض الإنكار عليه من أفرادها، ولم يزل يلقن أذكاره بها إلى أن أخرجه منها قاضيها أبو التقى الهادى الصقلى المتوفى بالمدينة المنورة بعد أدائه فريضة الحج وزيارته لجده صلى الله عليه وآله وسلم فى محرم الحرام عام أحد عشر وثلاثمائة وألف، ودفن ببقيع الغرقد رحمه الله.

---

٢٨٧ - من مصادر ترجمته: سل النصال فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٩٤٨.

فتوجه المترجم إلى ثغر سَلاً، واعتنى به عاملها إذ ذاك الخير الناسك الطيب الذكر الحاج الطيب الصبيحى مع بعض المحبين له، واشتروا له داراً قرب المسجد اتخذها زاوية لنفسه، ووقعت له مع معاصره علامه سلا، ومؤرخها سيدى أحمد ابن خالد الناصرى مراسلات بمناسبة ما كان الناصرى المذكور ينكره على الطرق، وبالأخص على الطائفة الدرقاوية، وجهها له فى معرض النصح له والتحذير من الإنكار على أهل النسبة، فلم يحتفل أبو العباس طبق ما أراد المترجم لعلمه بطرق الإنكار، وأ ما أنكرته الشريعة لا محاباة فيه، ولم تزل زاوية المترجم مزاراً للوافدين على سلا المتسبين لطريق القوم رضوان الله عليهم، والمترجم فى كل ذلك لائح عليه أثر الجذب، كثير النطق بذكر هادم اللذات إلى أن أجاب داعى مولاه رحمه الله ورضى عنه.

مشيخته: أخذ القرآن بمكناسة الزيتون عن أبى العباس أحمد الأعرج والمكى القصرى، وأبى عبد الله بن عزوز الحسنوى، وقرأ العلم بها على أبى عبد الله بن عزوز المدعو الهويج، وسميه ابن الجيلانى السقاط، والمختار الأجراوى، وأخذ الطريق الدرقاوية عن الحاج محمد العياشى أبى الشمع المكناسى المتوفى سنة أربع وتسعين ومائتين وألف، عن سيدى مالك الزرهونى، وأخذ أخيراً عن أبى عبد الله محمد العربى المدغرى العلوى وعنه تلقى الحفيظة الدرقارية.

الآخذون عنه: أخذ عنه الطريقة الدرقاوية على قاعدة أهل التجريد جماعة منهم العلامة أبو بكر بن محمد التطوانى السلاوى قاضى قبيلة زمور الشلح المتوفى بسيدى سليمان من بنى حسن سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف ١٣٣٧، وأخذ عنه الطريقة العلامة المشارك الميقاتى الفرضى سيدى المهدى متجينوش الرباطى، والعلامة المحقق شيخنا سيدى أحمد بن الجيلانى الأمغارى الفاسى، وصديقنا المؤرخ القاضى سيدى عبد الحفيظ الفاسى فى آخرين.

آثاره: له رسائل عدة على نمط رسائل مولاى العربى بعث بها لبعض مريديه والمحبين له، ورسائل فى كراريس بعث بها إلى العلامة الناصرى، أخبرنى من وقف على بعضها، وأشعار ملحونة ومتزنة كما أُخبرت من طريق البعض ولست على يقين، كما أن له رسالة بعث بها إلى أبى عبد الله الحجوى.

وفاته: توفى فى رابع ربيع الأول عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف.

٢٨٨ - محمد الوزير أبو عبد الله بن محمد بن عبد الله غريط.

يدعى الفقيه بوغنبور الأندلسى الأصل المكناسى النشأة والدار، الفاسى النقلة والإقبار.

حاله: قال حفيده صديقنا الفقيه الأديب الكاتب أبو عبد الله محمد بن الوزير الصدر المفضل غريط فيما ترجمه به ومن خطه نقلت: رجل الوقار والجد، أصيل السؤدد والمجد، شاعر تنبع الحكم من لسانه، وتمد أكف التسليم لإحسانه، كاتب حسن الشمائل، ذو رأى لا متأود ولا فائل، وحال عن العرض الزائل مائل، وخط تحسده الخمائل، ويحفه القبول عن اليمين والشمائل، وتبتهج العيون برونقه، وتنعطف النفوس لنسقه، كما قال المتنبى وأبلغ به من قائل:

من خطه فى كل قلب شهوة حتى كأن مداده الأهواء

وله يد فى الرباعيات والأزجال، وحظوة لدى بلغاء صلحاء الرجال، كالولى الصالح السمى، سيدى عبد القادر العلمى، والولى المجذوب الذى لا زالت كراماته تبدو، سيدى حفيد بن عدو، وذى الأحوال الباهرة والمدد العرفانى، مولاى الطيب الكتانى، قدم من مكناسة مسقط رأسه، ومنبت غرسه، إلى فاس مطلع شمسه، بعد أن حصل من العلم قدراً كافيًا، وورد من الآداب منهلاً صافيًا، فاستكتب لعاملها الودينى مدة ولايته، اقتصر على صروف الدهر براية رعايته، إلى أن عزل العامل لسيئة اجترحها، وفتنة اقتدحها.

قيل: إنه عبث بنسوة بعض الأعيان، وأطاع فيهن داعى العصيان، فاستجار أزواجهن بمن لهم كلمة مسموعة، وأسرة مجموعة، من الشرفاء الطاهرين أهل العدوة، وأثاروا ما لهم من نجدة ونخوة، فخرجوا عن طاعته وتمالئوا على الفتك به، وأعلنوا بعد صلاة الجمعة بحرم مولانا إدريس نور الله مضجعه بلعن القائد وسبه.

وخشى السلطان مولانا عبد الرحمن أن يتسع الخرق بسببه، فأطفأ النار بحبسه، وسد ثلمة الهيعة برأسه، وحمل إلى سجن المدينة، بهيئة مهينة، وولى على أهل فاس القائد الأحمر، فأذاقهم البلاء الأكبر والوبال الأمر، ونفى بعض أولئك الشرفاء إلى مرسى الصويرة جزاء على فعلتهم الخطيرة، ونقل الوزير المذكور لأعتابه، مؤمنًا من ملامته وعتابه، وأدرجه فى خاصة كتابه، وأغناه الله بالبحر على النهر، ومكث على ذلك حينا من الدهر، ولما كان فذ أهل أهل طبقته فى الاختصار، والتجافى عن الإسهاب والإكثار.

كان الإمام المذكور يؤثره لذلك بتنقيح واختصار ما استطوله، وتوضيح ما أشكله، فيرتب فصوله، ويلغى فضوله، ويبقى محصوله، ويغض به من يجر فى مقام التشمير ذيوله، ثم ولاه الصدارة فأوسع لها درعه، واستفرغ فى إدارتها وسعه، ولما رأى أن هذا المنصب محك القول ومحط الأهواء، وهدف سهام الوشاة والأعداء، صاحبه على غرر. وإن استخرج منه الدرر. ومعتقده فى هم وتعب، وإن افترش السندس ومشى على الذهب، فهو كراكب الأسد، يخافه الناس وخوفه منه أشد:

قرب الملوك يا أخا البدر السنى   حظ جزيل بين شدقى ضيغم

قدم للسلطان طلب إعفائه. واعتذر بأنه ليس أهلاً لهذا الأمر ولا من أكفائه. لكبره وضعفه عن تحمل أعبائه. فقال الملك ما معناه: مالك أيها الرجل كلما أردنا لك رفعا ونفعا. أظهرت إباء ودفعًا؟ أما الكبر والضعف. فكلنا بذلك الوصف. فاصبر واحتسب. فى مصالح الأمة على ما لا تحب، فأجابه بما معناه: يا مولانا إنى لا أصلح أن أكون رئيسًا معلمًا، بل يجب أن أكون مرؤوسا مسلما، ثم أعفى بعد مراجعة، وعتاب فى طيه منازعة.

واستشاره السلطان فيمن يولى هذا المحل بعده، ويطوقه عقده، فأشار بجماعة كلهم للتقديم طامح، وللانتخاب لامح، ولسمك تلك المرتبة بسنان أمله رامح، حتى وقع الاختيار، على الفقيه الكاتب أبى عبد الله الصفار، وهو إذ ذاك متعلق من المسكنة بسبب، عاطل إلا من العلم والكتابة والأدب، فأتته الوزارة على قدر، تقود البدور والبدر، وبقى المترجم له محفوظ الحرمة، كاتبا مستشاراً فى كل مهمة.

ثم استوزر لأمير المؤمنين سيدى محمد زمن استخلافه عن أبيه ولخليفته بفاس إلى أن خبت ريحه، واشتمل عليه ضريحه.

ومن مناقبه المحمودة. ومآثره التى هى على هامة الاعتبار معقودة، أن السلطان مولانا عبد الرحمن قدسه الله لما جرى عليه من الجيش ما جرى، واعترى عبيده من التشريد ما اعترى، بعد أن تفانوا على حماية جنابه، وتباروا فى التزام ركابه، حتى تغير شكل موكبه، ونهب ما عدا علمه المقدم ومركبه، واشتد عليه الظمأ، حتى لا ساقى ولا ماء. التفت فلم ير سواه، فاستدناه وآواه، فأسقاه بخفه حتى أرواه. ودخل صحبته إلى مكناسة الزيتون، فأحله حبث تجله العيون، واستنجد بأفكاره على استنتاج أطواره، حتى أدبر جيش الفتنة بسنان قلمه وفيصل رأيه، فاعترف بمزيد فضله وحميد سعيه.

ولم تزل تلك اليد محفوظة له ندية، متلوا حديثها فى جميع الأندية، وحضر مع أمير المؤمنين سيدى محمد زمن خلافته، بوصف القيام بوزارته، فى الليلة التى أسفر عن وجه النصر صبحها، وكسر سورة الخسر ربحها، ليلة أجلب الحاج عبد القادر بن محيى الدين على ملحته بخيله ورجله، وألقى بكيده وحيله.

أخبرنى من سمعه أنه قال: لما انسدلت جلابيب الظلام، وتكافأ الساهرون والنيام، وابتسم ثغر البسيط لبكاء الغمام، جاء المذكور بمن اقتفاه من صحبه، المستميتين لإعلاء كعبه، فأطلقوا على سمت المحلة من الرصاص شؤبوبا، وعبابا مشبوبا، بعد أن أوقدوا ناراً على متون الركاب، وشردوها بين الأخبية والأطناب، فامتلأت القلوب والجوانح قرحا، والجوانب قتلى وجرحى، وصارت الجيوش السلطانية ترمى بعضها، وتهم أن توسع فى الفلاة ركضها، حيث لم تدر للعدو ناحية، ولا شعرت بالداهية، ولسان حال الزعيم يقول رب حيلة، أنفع من قبيلة.

ثم نودى بالنهى عن الركوب، والصبر على الأمر المكتوب، فتراجع الطبجية إلى المدافع ففجروا منها بحاراً ذات أمواج، اهتزت لها الجبال والفجاج، وتلتها شهب منقضة من أفواه المكاحل، كحلت بميل الردى كل مدبر وواحل، فشرق الزعيم، لا يلوى على حميم، وأصبح جمعه كسيراً، ووزيره البوحمدى أسيراً، فى جماعة من تلك الفئة، التى كانت نحو الألفين وخمسمائة، ووجد على أصحابه أقبية الحرير، والعمائم الموسومة بالتذهب والتحبير، إغياء منه فى الترفيه، وزيادة فى الأثرة والتنويه، وكان ذلك فى المحرم فاتح عام أربعة وستين ومائتين وألف. هـ بمعناه.

وعلى الإجمال ففضل هذا الوزير عند أهل الفضل معلوم، وأثره فى صحف المفاخر مرسوم، ولولا تمسكه بذيل العفاف، وقناعته من الدنيا بالكفاف، وانقباضه عن غير من ترجى بركته، وتمحض على السكون حركته، لسار صيته مسير

الشمس، وأشير إلى محله بالخمس، وتغنت طيور الطمع بمدحه، ونما نتاج النفاق بسرحه. وما أحسن قول ابن الحسين:

وإذا خفيت عن العيون فعاذر   أن لا تراني مقلة عمياء

مشيخته: أخذ عن السيد اليمنى بو عشرين أصول الخط، أخذ إحكام وضبط، وعن العارفين الجليلين الشريف سيدى عبد القادر العلمى وسيدى حفيد بن عدو وغيرهم ممن يقتدى به علما وعملا:

شعره: من ذلك قوله مجيبًا أبا عبد الله أكنسوس وقد أبدع فى ترصيع نفائس الحكم، وأتقن وأحكم:

من أوتى الدين عالى القدر مغبوط   وغيره معلوماته أغاليط

والنقط ليس يزيد الحرف تكرمة   كم مهمل دونه ما هو منقوط

والجد ليس بمجد من مقاصده   يلفى بها عند الانتقاد تخليط

وأحمق الناس من قد غره عرض   به الذهاب والاضمحلال مربوط

وليس يسلم فى حال القيام به   من ذى قلى قوله بالزور مخلوط

ومن عجائب ما أبداه ذا الوقت أن   يعز شرط ولا يعز مشروط

ومن تحقق فيه ثمة لم   يفز بمشروطه لا شك مغموط

يا فاضلا فوق هام المجد أخمصه   ماذا يكافى به ثناك غريط

ألبستنى منه أبهى حلة فغدا   بها لنفسى تفريج وتنشيط

كأننى قد شربت فى معتقة   ما أن يمس بها الأعضاء تثبيط

لله من قطعة عنى قطعت بها   موصول هم به الفؤاد مضغوط

ما حاك نجل الحسين مثل بردتها   ولا ابن حجر إذا ما كان تمليط

كل المسامع تهوى أن تكون لها ... من حلى شعرك حر الشعر تقريط
وكل جيد مجيد قد تشوق أن ... يرى وهو بعقد منك معلوط
تنشيه ثم توشيه الأنامل من ... يمناك من كلفها بالخير مبسوط
بمثلكم دولة الأشراف تفخر لا ... بمثل من فيه إفراط وتفريط
وأنت غرة هذا العصر دمت وما ... للدهر يومًا على علياك تسليط

وقوله:

عبيد العصا فاضرب منهم كل من عصى ... ولا تغترر منهم بمن لك بصبصا
وإن كنت فى شك فجرب تجدهم ... كماكمه فيما نص عنه وأبرصا

وفاته: توفى بفاس عام ثمانين ومائتين وألف ودفن بالمسجد المجاور لضريح الولى الأشهر سيدى على أبى غالب وكتب على قبره هذا البيت[1] المضمن تاريخ وفاته:

فرش السعادة فى ذا القبر تاريخ ... ووزر صاحبه بالعفو منسوخ

هـ من فصول الجمان، فى أبناء وزراء وكتاب الزمان، لأبى عبد الله بن المفضل غريط المذكور.

قلت: وقد كان المترجم زاهدًا ناسكًا، حدثنى ولده الفقيه الكاتب السيد المهدى وزير الشكايات فى العهد العزيزى سابقًا ووزير الخليفة السلطانى بمراكش حينه، أن فريقًا من قبيلة عبدة وردوا عليه ذات ليلة بأمة وحمل سكر وجرابًا من الريال الدور وهدية إليه مدة وزارته، فرد ذلك عليهم وعنفهم وأقسم لهم بالله أنه لا يسمع منهم كلامًا إلا إذا حملوا هديتهم، فلم يسعهم إلا الامتثال، ولما حملوا

(١) فى هامش المطبوع: «البيت لولده السيد محمد».

هديتهم قالوا له: إننا نأمل أن ترفع شكايتنا للجلالة السلطانية بطلب رفع ضرر عاملنا فلان، وكامل العامل من خاصة المولى عبد الرحمن، فأجابهم بأن السلطان لا يقبل في ذلك العامل كلامًا لإفراطه في محبته ولكن لا بد لي من أن أبلغ كلامكم لمحله، ولما كان الفجر توجه لشريف الأعتاب طبق عادته ولما أخبر الأمير بحضوره وجه عليه، وقال له: يا فقيه أراك لا تنفع نفسك ولا تنفع غيرك، فقال له: يا سيدي ماذا فعلت؟ فقال له الأمير: الهدية التي رجعت البارحة على أصحابها لم تحزها لا لنفسك ولا لبيت المال، وكان اطلاع السلطان على ما حصل غريبًا إذ لم تكن له عيون للمراقبة مبثوثة تراقب الأمور ثم تطلعه عليها بسرعة فائقة.

وللمترجم أيضًا:

وعار على الحر المقام ببلدة ... يكون بها نذل العبيد شريفًا

قاله لما أخر عن منتصب الوزارة، وأكثر عبيد البخاري من التعريض به وإظهار الشماتة وحاول التنقل من مكناس لفاس، وله شعر جيد في احتلال تلمسان وتطوان.

٢٨٩ - محمد أمزاج المكناسي الأصل الفاسي النقلة والدار.

حاله: فقيه صوفي تال لكتاب الله ذو ذوق عجيب، وإدراك مصيب، له معرفة كاملة بالرقائق وطريق القوم ودقائقها متأدب بآدابها، ولوع بحضور مجالس العلم، متقشف معرض عن زهرة الدنيا وزخارفها، كثير الخمول متجرد لا يتشوف لما في أيدي الناس، ولا يرضى بالدون، لباسه لباس الزهاد والبهاليل، إلا أنه لا ينعق في الأسواق ولا يدعي لنفسه مزية، وربما سأل الناس إذا دعته الضرورة لقمع سطوة الجوع.

كان فى ابتداء أمره يحترف بصناعة الدباغة بجد واجتهاد وحزم وعزم، يلبس الثياب الرفيعة، ذا تؤدة ونخوة وافتخار، طوافا على حلق العلم، وكراسى الوعظ، متبعًا للسنة مستحضراً للسيرة النبوية، حافظًا للأمداح المصطفية، يحفظ جل ما فى سيرة الكلاعى من الأشعار، قال الزبادى فى سلوك الطريق: إنه سمع منه أنه يحفظ من كلام ابن الفارض ستة آلاف بيت، وكثيراً من كلام الششترى وغيرهما من كلام الصوفية.

مشيخته: أخذ عن سيدى محمد جسوس الحكم العطائية، وكان يباحثه ويعجب الشيخ بأبحاثه ويستحسن سؤالاته، وأخذ عن أبى محمد العربى بن أحمد ابن محمد فتحا بن عبد الله معن وغيرهما رحمهم الله جميعًا بمنه.

٢٩٠ - محمد بن هاشم العلوى الحرونى المكناسى الدار والإقبار.

حاله: فقيه بركة عفيف منيف، أستاذ فاضل جليل، محب فى الصالحين معتقد لهم، صاحب الولى الكامل سيدى عبد القادر الشريف العلمى وانتفع به واغترف من بحر معارفه، حدث عنه أبو عبد الله محمد التاودى السقاط الفاسى فى رحلته الموسومة بالمنح الوهبية، فى الرحلة الحجازية، أنه أخبره أنه سمع من الشيخ يعنى العلمى المذكور أن كل سارية من سوارى جامع الزيتونة الشهير بولى وأوصاه بزيارة المسجد المذكور والمواظبة عليه، وأنه ذكر له أنه لازم الإمامة به فى الصلوات الخمس أربعين سنة احتسابًا بالله تعالى، وأنه صلى به الضحى مرة وسأل الله بجاه النبى أن يجمع بينه وبين صاحب الوقت بالمسجد المذكور، فإنه لا يخلو من حضوره هناك وفق ما تلقاه من الشيخ المذكور، قال: فلما فرغت من الصلاة والباب مغلق وإذا بسيدى قدور بسارية بالقرب منه فأتى إليه فقال هو هذا الذى طلبت، يشير إلى نفسه.

مشيخته: أخذ عن مولاى عبد القادر العلمى وغيره.

وفاته: توفى فى ثالث عشرى قعدة الحرام عام خمسة وثمانين ومائتين وألف ودفن بضريح سيدى الحاج القدوة من الحضرة المكناسية.

٢٩١ - محمد بن محمد بن التهامى بن حمادى الحمادى المدعو السريح المكناسي.

حاله: فاضل وجيه نزيه، فقيه مدرس نفاع، حافظ حجة لافظ، متضلع مطلع متقن، شهد له بالتبريز جماعة من الأئمة الأعلام المقتدى بهم فى الحضرة الفاسية، وقفت على موجبين متضمنين للشهادة له بالاشتغال بالإفادة والتصدى للتدريس نص الأول منهما:

الحمد لله، يشهد من يضع شكله إثر تاريخه بمعرفته للفقيه الأنجب سيدى محمد بن الفقيه الأمجد سيدى محمد المكناسى، المعرفة التامة بها ومعها، يشهد بأنه مشتغل بتدريس العلوم مدة تزيد على ثمان سنين، فمن علم ذلك قيد به شهادته مسئولة منه فى حادى عشر من شهر الله المحرم من عام أربعة وسبعين ومائتين وألف عبيد ربه أحمد بن محمد المرنيسى، ومحمد بن الحاج، وعمر بن سودة، والحاج محمد الفيلالى، ومحمد البدراوى وبناصر النسب، وحفيد الأمرانى، وعلال المرينى، وأحمد بن الحاج، وحفيد بن محمد الحسنى، كل هؤلاء العشرة من الأعلام المحققين المدرسين بكلية القرويين عمرها الله بدوام ذكره.

ونص الثانى:

الحمد لله الذى اختص بفضله ورحمته من شاء، وأقدره على التصرف بالإخبار والإنشاء، وتوجه بعقل الكمال والتشريف، وحلاه بعد التنكير بأداة التعريف، والصلاة والسلام على سيدنا محمد مادة الوجود، ومعدن الفضل والكرم والجود، صلى الله عليه وعلى آله النجباء الأقطاب، وأصحابه الذين آتاهم الله الحكمة وفصل الخطاب.

وبعد: فإن ماسكه الفقيه الحبى العفيف النزيه، العالم الوجيه، سيدى محمد ابن الفقيه العلامة الأريب، الحافظ الحجة الصدر الخطيب، سيدى محمد بن الحمادى المكناسى ممن تصدر هذه مدة مديدة، وسنين عديدة، لنشر العلم والتدريس والتعليم، وتصدر بين الصدور للتبليغ والتفهيم، وأنفق يواقيت عمره فى حل المقفلات، واستعمل دقائق فكره فى النتائج والمقدمات، وسبر أقسام المسانيد والعلل والألقاب، وكشف عن وجوه مخدرات المعانى والبديع النقاب، واقتنص من المهمات شواردها، واقتنى من النكت فرائدها وفوائدها، وساير أرباب البلاغة فى مجالها حتى ظهر أنه من أفضل رجالها، مع ماله من الحياء والمروءة والاستكانة، وعدم الدعوى والمحافظة على دينه والصيانة، لكن قد تقرر واشتهر، وعلم لدى الخاص والعام وانتشر، أن الاهتمام بالرزق والكد على العيال، يخل بالجد والاجتهاد فى نشر العلم فى الحال والمآل، ويوجب الفتور والكسل والكساد، ويقطع الإنسان عما هو بصدده من نفع العباد.

ومقصور مولانا أيده الله، وأدام وجوده وعلاه، كثرة نشر العلم وتكثير طالبيه، وصيانة أهل العلم عما يدنس حرمتهم وحفظ ذويه، فمن المستحسن بالنظر والقياس، أن يقوى على نشر العلم بمرتب من الأحباس، ليحصل غرض مولانا من تكثير العلماء فى الناس، وأن يعان بما يكون سببا له فى كثرة اجتهاده، أبقى الله مولانا رحمة لعباده، آمين. وفى مهل رمضان الأبرك عام خمسة وسبعين ومائتين وألف عبيد ربه تعالى أحمد بن محمد المرنيسى وفقه الله بمنه، وعبد ربه أحمد بن أحمد بنانى ستر الله عيبه آمين.

رحل المترجم لأداء فريضة الحج وزيارة خير الأنام سنة أربع وتسعين ومائتين وألف وهو من جملة الأعلام الذين شهدوا بصحة نسب الشرفاء الدباغيين المنتقلين للحجاز ورفعه لخير الأنام.

مشيخته: أخذ عن والده ومن فى طبقته.

الآخذون عنه، ممن أخذ عنه الشيخ عبد الكريم الكتانى والد صديقنا المحدث أبى الإسعاد عبد الحى، وشيخانا أبو عبد الله محمد فتحًا بن قاسم القادرى، والمرحوم أبو محمد عبد السلام الهوارى قاضى فاس، وأبو العلاء إدريس بن أبى العشرين.

وفاته: توفى بالحجاز عام حجه المذكور رحمه الله.

٢٩٢ - محمد بن الهادى بن عبود المكناسى النشأة والدار والقرار والإقبار.

حاله: فقيه عالم، عدل نزيه، تقى نقى، مدرس فاضل واعظ خطيب بليغ، من أهل الخير والصلاح والزهد والرغبة عن الدنيا وزخرفها، سراداً للأحاديث النبوية وبالأخص صحيح الإمام البخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، ذو صوت حسن لا يمل سامعه، تولى الإمامة بالمسجد الأعظم، والخطبة بمسجد باب البرادعيين، ونيابة القضاء عن السيد العباس بن كيران والحاج المهدى ابن سودة.

وقفت على رسم مسجل عليه بتاريخ ثالث رمضان عام ثمانية وسبعين بتقديم السين على الموحدة تحت ومائتين وألف محلى فيه بالعلم والإمامة والتدريس والنبل والنزاهة.

وآخر بخطه وشكله بتاريخ ثالث شوال عام تسعين بتقديم المثناة على السين ومائتين وألف يتضمن تحبيس الحاج محمد بن يعيش البخارى قائد مشور السلطان إذ ذاك جميع النصف الواحد من العرصة الكائنة بسيدى عبد العزيز من ناحية حارة بنى موسى من الحضرة المكناسية على من يقرأ ذخيرة المحتاج بمسجد الشافية من روى مزيل قرب داره هناك، كل يوم بعد الفجر وقبل صلاة الصباح إلا أن القراءة صارت اليوم قبيل العصر وشرط المحبس يلبى ذلك.

وفاته: توفى بعد التسعين بالحضرة المكناسية، ودفن بمسجد أبى العباس أحمد الشلبى بالصف الأول منه.

٢٩٣ - محمد العياشى بن المكى بو شمعة[(١)] المكناسى.

حاله: فقيه فاضل صوفى عالى الهمة منحاش إلى الله دال عليه فى سره وعلانيته، ملازم للذكر وتعمير الزاوية الدرقاوية فى سائر الأوقات، محافظ على صلاة الجماعة، إذا رُئى. ذكر الله، يحض أصحابه ورفقاه على الذكر والمذاكرة فى أحوال السلف الصالح، والتأسى بأقوالهم وأفعالهم، مشتغل بقراءة الحكم العطائية، والمباحث الأصلية، ورسائل مولاى العربى الدرقاوى.

وكان يسرد صحيح البخارى مع جماعته فى الأشهر الفاضلة الثلاثة رجب وشعبان ورمضان، ويحتفل لختمه كل سنة، وكان كثير السياحة، رحل إلى حج بيت الله الحرام، مجلسه مجلس علم وخير وخشية، وكان يكنيه بعض شيوخه بعيش القلوب، وكان يقول كثيرا: لا يعتبر فى الفقير المقال ولا الكرامة، وإنما يعتبر فيه الحال واتباع السنة، ولما حضرته الوفاة ازدحم الفقراء أتباعه عليه وأكثروا الإلحاح عليه فى الدعاء لهم، فكان جوابه ما معناه دعونى الله الغنى.

مشيخته: أخذ عن الولى الصالح السيد مالك الغرباوى دفين زاوية مولاى إدريس الأكبر من جبل زرهون وعن غيره.

الآخذون عنه: منهم السيد محمد بن عبود المكناسى الأصل والنشأة السلوى الدار والاستيطان وخلق.

مؤلفاته: منها تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا

---

٢٩٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٥٧.

(١) فى المطبوع: «بوالشمع» والمثبت من إتحاف المطالع.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ... ﴿٣٢﴾﴾ [سورة فاطر آية ٣٢]، وشرح على الصلاة المشيشية حل فيه ألفاظها.

وفاته: توفى فى حجة الحرام سنة أربع وتسعين ومائتين وألف.

٢٩٤ - محمد بن المجذوب ابن عزوز يدعى الهويج بالتصغير المنكاسى.

حاله: فقيه علامه، جليل مشارك نقاد، دراكة، نبيل عدل مبرز مدرس نفاع، نحرير ذو خط بارع، وربما قال الشعر وإن كان لا يحسن صناعته ولا يجيد، وسيمر بك بعض شعره.

مشيخته: أخذ عن ابن عمه العلامة السيد فضول بن عزوز، وعمن فى طبقته، وشاركهم فى بعض مشايخهم كالحاج المهدى ابن سودة، والسيد مبارك، وابن كيران رحم الله الجميع.

الآخذون عنه: أخذ عنه العلامة السيد الغالى الستيسى، وشيخنا العلامة الناسك سيدى محمد العرائشى، والفقيه السيد محمد الواسترى، وعمنا مولاى عبد القادر، وسيدنا الوالد، وقاضى أحواز مكناسة الحالى السيد أحمد الناصرى وجماعة.

شعره: من ذلك قوله:

تبسمت الأيام واحتفت سعدها ... وقد لبست من كل حلى زبهجرا

دنا قطف آمال لصب له رنا ... بلحظ ذكى قد ألهب من الكرا

تفتحت الأزهار فى كل شارع ... وفاح لها ريح بمسك تعطرا

وقال:

إليك رسول الله أرفع حاجتى ... ومنك رسول الله أرجو قضاءها

وأنت لهـــا يا سـيـد النـاس كلهم | إذا عـقـــدت يمناك فـيـــهم لواءها
وأنت لهـــا يا من يقـول أنـا لهـا | إذا نـكـصت رسـل الأنـام وراءهـا
وأنت الذى ترجـى لكل عظيـــمـة | إذا قطـعت نفـس المريد رجـــاءها
وأنت الذى تحيى القـلوب فتهـتدى | بأنوارك الحـــسنـى وتجلو جـــلاءها
وأنت الذى لولاك مـا كان مـهتـد | ولولاك لم تدر الـنفـوس اهتـــداءها
وأنت الذى أولـيت كل فـضـيلة | فـــلا نعـمـــة إلا وصلت عـطاءها
ومن سـرك الأسرار فاض عـبابـها | ومن نورك الأنوار تبـــدى ضـيـاءها
ومن روضك الزاهى الأزاهر فتحت | ومنه استـمـدت حـسنهـا وبهـاءها
ومن برك الطامى الحـياض تدفـقت | فللـه مــا أحلى وأعـــذب مــاءها

نثـره: من ذلك ما خـاطب به تلمـيذه عـمنا مولاى عـبد القـادر: سيـدنا الشريف، العالم المنيـف، ذا الأرج الأدبى العاطر، مولانا عبد القـادر، أسعد الله صباحك وشـرف أيامك، ونشر فى ميادين المجادة أعـلامك، وسلام على شريف سيادتك ورحمة الله.

وبعد: فنحب حضورك ختام الخلاصة، ليكمل سرورنا بلا خصاصه، وأعط حامله عروش إقامة، أمدك الله بسر الاستقامة.

وفاته: توفى يوم الاثنين رابع حجة الحرام سنة سبع وتسعين ومائتين وألف، ودفن بزاوية سيدى على بن عبد الرحمن أمام فـرن الكدية حذو حمام مولاى عبد الله بن حمد.

٢٩٥ - محمد بن محمد بن أحمد المصمودى.

حاله: فقيه موقت، متقن محقق، حيسوبى، نبيل فاضل.

مشيخته: أخذ عن الموقت الماهر السعيد السعيدى المدعو الفاسى آتى الترجمة.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد محمد بن سميه بصرى صاحب إتحاف أهل الهداية، علم التوقيت علما وعملاً وغيره.

٢٩٦ - محمد بن الهادى الشريف الحسنى العلوى حفيد السلطان مولانا سليمان نزيل مكناس ودفينها.

حاله: فقيه أستاذ مجود مقرئ له معرفة شافية بعلم القراءات وإتقانها وتوجيهها، انتهت إليه رياسة ذلك الفن فى زمن، حكى عنه أنه سئل عن الإشمام والروم، فأجاب سائله عن ذلك بالأبيات الآتية، ولما تم الأبيات ذهب للحجام وأمره بقلع ثنيته ليتمكن من النطق بالإشمام على حقيقته، وقد كان مدرراً يعلم الصبيان ويرشد الشيوخ الأساتيذ نفع الله به خلقا.

الآخذون عنه: منهم العدل البركة سيدى محمد بن الرضا الطاهرى ومنه استفدت ترجمته، وآخرون:

شعره:

يا سائلى نظما على الإشمام	والروم فاستمع أخى كلامى
الرفع فيه الروم والإشمام	والخفض بالروم فقط يرام
النصب لا روم ولا إشماما	فى مذهب القراء خذ أحكاما
وفى عريص شكل قل بالمنع	وهاء تأنيث وميم الجمع

٢٩٧- محمد بن سميه بن العناية ابن فقيرة الأنصارى المكناسى.

حاله: فقيه علامة، متقن محرر متبحر، مدرس نفاع، ذو سر وبركة، لقى

الشيخ الربانى أبا العباس أحمد التجانى وصحبه وانتفع به، وكان من أخص أصحابه.

مشيخته: أخذ عن الشريف القاضى مولاى أحمد بن عبد المالك العلوى المطغرى، وعن السيد العباس بن كيران وطريق القوم عن أبى العباس التجانى.

الآخذون عنه: منهم أبو حامد العربى بن السائح العمرى الشرقاوى دفين الرباط، وناهيك به مفخرة للمترجم، والسيد المختار الأجراوى وجماعة، حسبما أفادنى بهذا كله حفيده الفقيه السيد أحمد الكاتب الأول بالصدارة حينه ولم أحفظ وفاته.

٢٩٨ - محمد بن محمد المترجم قبله يليه ابن محمد بن فقيرة.

حاله: أستاذ فاضل مقرئ، مجود متقن، حسن التلاوة، أخبرنى ولده أنه أخبره أنه حفظ قراءة البصرى قبل بلوغه.

٢٩٩ - محمد الأمرانى.

حاله: فقيه علامة معدل ماهر، ذكره خاتمة المحققين ذو الباع الطويل فى سائر الفنون والعارضة العريضة أبو إسحق إبراهيم بن عبد القادر التادلى الرباطى فى إجازته لأبى عبد الله محمد بن خليفة المدنى آتى الترجمة قائلاً فى حقه: كان آية فى علم التعديل، كان يجىء إلى المدرسة العنانية بمكناس يقرأ معى كل يوم منهاج ابن البنا فى التعديل الذى لا أصعب منه فى كتبه هـ.

وناهيك بهذه الشهادة من هذا البحر المتلاطمة بالتحقيق أمواجه فى حق المترجم، وكفاه فخرا وشرفاً كون أبى إسحاق هذا من تلاميذه.

وقد ذكره أيضًا فى فهرسته التى لا تزال مسودة بخطه بما نصه: وكان شيخنا الشريف سيدى محمد المرانى السجلماسى المكناسى المجاور الآن ١٣٠٦ بأهله

وأولاده بالمدينة المنورة غـاية فى المسكنة والصمت، لا يتكلم إلا فى علم أو ذكر، ولا يعلم سوى التعديل والتوقيت والحســاب والكيميا، والغالب الأول، كان شديد النصيحة فى التعليم، سافرت من فاس لأجله بمكنــاس فقعدت فيها شهرين فى دار ساداتنــا الكرماء العلمــاء دار العلم والولاية والكرم سيــدى بصرى نفــعنا الله به، وقرأت عليه المنهاج لابن البنا فى التعديل إلا قليلا بلا مطالعة منه.

ثم تلاقــينا بشيــخنا الشريف المذكــور المكناسى بالمدينة أيام مـجاورتنا بــها، فوجدته ملازمــا للمسجد لا يخرج منه إلا لحاجــة، لا يعرف ولا يخالط أحداً فى غير علم، فقرأت عليه شيئــاً من ذلك أيضاً وأخذنى لبيته وأكرمنى وأعطانى تقويم كسوف بعــمل يده فى قطعة كاغد بعمل المنــهاج وغريتم يتحيــر الماهر فيه، وأتقنه رضى الله عنه كل الإتقان، ربما يبقى غيره فى استخــراجه نحو شهر فأخذته لمكة، وأطلعت عليه تلامذتنا الشرفاء الذين قرأنا معهم التعديل باللمعة فتعجبوا من ذلك ووضعه ورصدوا وقت الكسوف كما هو مؤرخ فى القطعة المذكورة فصادف الوقت واليوم وصلّينــا مع أهل مكة صلاة الكسوف عــقب صلاة الظهر بــالخطبة. هـ من خط من نقل من خط التادلى مباشرة، وكذلك عدة من شيوخ أبى إسحاق المذكور تلميذه العلامة الشريف الربانى سيدى محمّد بن الحسنى الرباطى فيما كتبه بكناشته ترجمة لشيخه أبى إسحاق رحم الله الجميع.

الآخذون عنه: منهم أبو إسحاق التادلى وناهيك به.

٣٠٠ - محمد الزهنى الزرهونى.

من أهل زاوية مولانا إدريس الأكبر.

حاله: فقيــه عدل رضى من وجوه أعيان عدول الزاوية، تولى نــيابة القضاء بها عن قاضى وقته.

٣٠١ - محمد فتحا الأمرانى.

يدعى البيصارة بياء موحدة مفتوحة بعـدها ياء ساكنة ثم صاد مفتوحة مشبعة فراء فهاء.

حاله: فقيـه علامة، ، نحرير ماجد، أصيل ألمعى، نبيل عـدل، مبرز، كان يتعاطى الشهادة بسماط العدول، دين فاضل مشتغل بما يعنيه.

مشـيخته: أخـذ عن الحاج المهدى ابن سودة، والسـيد العباس بن كـيران، والحاج مبارك الفيضى وغيرهـم من الجهابذة النقاد.

٣٠٢ - محمـد بن على النيار أبو عبد الله الأندلسى القصـرى مولداً ومنشأ المكناسى داراً ووفاة.

حاله: صالح بركة، منقطع إلى الله تعالى،هذا ما وقفت عليه من ترجمته.

٣٠٣ - محمـد بن محمد بن الجيلانى بن المـعطى السقاط الأندلسى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار.

وجزم بعضهم فى نسبه غير هذا مما لا أتحققه والله أعلم.

حاله: فقيـه علامة مشارك، مدرس نفاع، عدل رضى، مـبرز خاشع، ذاكر ناسك، صالح أواه، ذو دين متين، وإقبال على الله فى كل حين، وخشية وحشمة ووقار وسمت حسن، تولى نيابة القضاء، وإمامة مدرسة الشهود، ثم إمامة المسجد الأعظم وكان من صـدور مدرسيه مـشاراً له بالخيـر والفضل، متبـرك به فى السر والعلن، منظور إليه بعين الإجلال والإكبار، وكان ذا صوت حسن له حلاوة، عليه طلاوة، يسرد ذخـيرة المحتاج بالمسـجد الأعظم فما تسـمع الآذان أحلى من صوته بها، وكانت بينه وبين الشريف البـركة المعتقد المشهود له بالمعرفـة والفضل العلامة المتضلع أبى مروان عبد الملك الضرير محبة ووداد.

---

٣٠٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٦١.

حدثنى ابن عمنا العلامة المفضال مولاى عبد السلام بن عمر العلوى، أن شيخه المولى عبد الملك رحمه الله، كان يقول له: ربما حملنى على السفر لمكناس زيارة ولدنا ابن الجيلانى، كان ملازماً للمولى عبد الملك المذكور مدة رحلته فى طلب العلم بفاس، وأنه ربما سمع شيخه يقول للمترجم: ستكون رأس علماء مكناسة فكان كذلك، كان فى وقته من هو مشهور بالعلم والتحقيق، ولكنه لم تكن له منزلة صاحب الترجمة فى الإقبال على الله والشهرة بالديانة، وأنه وقعت له معه كرامة، وذلك أنه أى المترجم توجه لزيارة مولانا إدريس الأكبر وهو - أعنى ابن عمنا، المذكور - إذ ذاك صغير يحفظ شيئًا من المختصر الخليلى، فسأل عنه بعد دخوله لدارهم هل قرأ شيئًا من العلم، فأخبروه أنه يحضر بعض المجالس، فذكر له بعض الأمثلة وطلبه فى إعرابها فأعربها له، فسكت قليلاً ثم قال: أنت سنعطيك شريفة بفاس وتكون من أهل فاس أو من علمائها، شك المحدث، قال: وما خطر لى شىء من ذلك قبل، ثم كان ما أخبر به كما أخبر.

ومن إفادته ما حدثنى به ابن عمنا العلامة الثبت سيدى محمد بن أحمد العلوى قائلاً: إنه حدثه تلميذ المترجم شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى عاشر شعبان عام ثمانية وثلاثين وثلاثمائة وألف سماعا منه، أن التجربة العادية حكمت بأن رابع شوال إن كان هو الجمعة أو السبت أو الأحد، فإن صابة صيف العام تكون تامة كاملة، وإن كان الاثنين فالصابة على النصف، وإن كان الثلاثاء فعلى الثلث، وإن كان الأربعاء فعلى الربع، وإن كان الخميس فإنما يرجى لطف الله وقد جربها الشيخ زروق السنين الطويلة فوجدها صحيحة.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة السيد مبارك الفيضى، والقاضيين السيد العباس بن كيران، والسيد الحاج المهدى ابن سودة، والسيد الهادى بادو، والمولى عبد الملك الضرير، ومن فى طبقتهم من شيوخ فاس ومكناس.

الآخذون عنه: منهم شيخنا القاضى سيدى محمد بن عبد السلام الطاهرى، وشيخنا سيدى محمد القصرى، والسيد التهامى بن عبد القادر لسوسى، والغالى الستيسى وغيرهم من الأعلام.

وفاته: توفى صبيحة يوم الجمعة ثالث ربيع الثانى عام واحد وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح السيدة العلمية من حومة حمام الجديد بالحضرة المكناسية، ولم يتخلف أحد من وجوه أهل البلد وأصحاب الحيثيات وأعيان رؤساء البساط الملوكى عن تشييع جنازته.

٣٠٤ - محمد بن عبد الله الغريسى المشرى الحسنى نزيل معسكر.

حاله: كان فقيهًا نابغة، نبيلاً قاضيًا، رحالة شاعرًا دراكة، وجيها، ورد على أمير وقته مولانا عبد الرحمن بن هشام فى سنة خمسين ومائتين وألف لدار المملكة مكناسة الزيتون.

آثاره: لم أقف على شيء من آثاره إلا على قطعة شعرية ألفيتها على ظهر كتاب بخط بعض الأثبات، نظم فيها صور الشغار الثلاث ونصها على ما فيها:

غريس خلا مذ غاب عنه الإمام   عليه من الله الرضا والسلام
وقد صار مفتى الوقت من آل واشق   عليه من الطود العظيم سلام
مررت به يقرى الشغار كنائم   ..... ثم أيقظته سلام
فلم يدر ما قد قاله فى منامه   ولا ما عراه يقظة أم منام
فقلت له والقوم محدقة به   كحوض بلا ماء عليه زحام
فهاك نظاما ما فى الشغار وحكمه   نظاما بديعا ما حكاه نظام
فإن صرحوا بالمهر قل ذلك جمعه   وإن سكتوا فهو الصريح الحرام

وإن قرنوا بين السكوت وضده فذلك قسم منهما مستقام

فهذى أصول للشغار ثلاثة وبالقبلى والبعدى ست تقام

وحكم الجميع الفسخ ما عدا جمعه إذا تم يمضى بالكثير التمام

وقيل بمهر المثل مثل صريحه وإن كان هذا فيه لا يستدام

ولا مهر من قبل البنا فى ثلاثها وقس قسمى التركيب كى ترام

كذا فصل الأشياء يا جاهلاً بها وداو سقام الجهل فهى حرام

وصل فى بلاد الله تلو أئمة أقاموا بحق الله ثم استقاموا

وقل لهم يا آل ودى تكرموا على عبدكم من جودكم يا كرام

وراقب فجر شمس علومهم فأنت إذا راقبت ذاك همام

ولم يبق يا من فى دجا ظلماته إذا طلعت شمس العلوم ظلام

وجانب مزاح الأرذلين من الملا فإن مزاح الأرذلين حرام

وسلم لأهل العلم تسلم ولا تكن ملوما مشوما فى الملا فتلام

٣٠٥ - محمد الخرزة.

رفيق المترجم يليه.

حاله: فقيه كاتب نشيط نبيل، ورد على المولى عبد الرحمن بن هشام رحمه الله فى سنة خمسين ومائتين وألف، صحبة صديقه سيدى محمد بن عبد الله الغريسى.

٣٠٦ - محمد بن عبد الله بن محمد الطاهر بن عبد القادر بن عبد الله بن فخر الملوك مولانا إسماعيل.

حاله: من أنجب أقرانه وأفقههم وأجلهم وأفضلهم وأبرعهم وأتقنهم، نسخ

بخطه البارع كتبا عديدة حديثية وفقهية ونحوية، وكان من أهل الفضل والدين المتين والاشتغال بشأنه.

مشيخته: أخذ عن السيد الطاهر بوحدو، والسيد فضول بن عزوز، والسيد محمد الهويج، والسيد فضول السوسى وغيرهم، وحفظ القرآن وجوده على سيدنا الجد المولى عبد الرحمن بن زيدان.

ولادته: ولد بمكناس بدارهم من الستينية سابع ذى القعدة الحرام سنة ستين بتقديم السين على المثناة فوق ومائتين وألف حسبما وقفت على ذلك بخط يد والده.

وفاته: توفى فى متم ربيع الثانى عام أربعة وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة سيدى عمرو الحصينى الشهيرة بالحضرة المكناسية.

٣٠٧ - محمد بن الأمين السيد المعطى المسطارى المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه عدل، مبرز موثوق ماهر، فرضى جليل، أديب بل ناظورة الأدب، ومصدر مفاخر لسان العرب، بارع القلم واللسان، له فى الارتجال أكبر باع وشان، جامع لأشتات معانى الكلام فى بديع خطاب، مجيدا فصيحا دون عى ولا إغراب، يراعه يسيل أدبا، وفكره يبدى عجبا، له اقتدار تام على الإنشاء، صرفه الله تعالى فيه كيف شاء، من أجل ذلك كانت له المرتبة السامية، والمكانة العالية، ومزيد الحظوة والعناية لدى أفخر الملوك العظام، وسلالة آل بيت الفخام. أمير المؤمنين المقدس أبى عبد الله سيدى محمد، ونجله مولانا الحسن ذى الخلق الحسن الأحمد، أفنى رحمه الله جل عمره فى خدمتهما، والتشرف بملازمة عتبتهما، مواظبا على الكتابة فى بساطهما الملوكى من أعيان الشعراء والكتاب، محافظًا على

---

٣٠٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٧٧٣.

الآداب اللائقة بذلك الجناب، مخصوصًا بمزيد الاحترام والاعتناء، أعطى اسم شاعر الحضرة دون من عداه من الشعراء.

مشيخته: أخذ عن جلة أعلام بلده مكناسة الزيتون كالشيخ عبد الرحمن بصرى ومن فى طبقته.

شعره: من ذلك قوله:

عذب فتعذيب هذا الصب فيك حلا	فالكل لما هواك من سواك خلا
لو قلت طأفى لظى وطئت مبتدرا	طوعا ولا أتقى حرا ولا وهلا
يامن إذا نظرت عيناى طلعته	قبلت موطئه وصرت مبتهلا
دل الكئيب على وصل فقد لعبت	به عواصف أشواق بها ذهلا
ورد طيف الكرى لطرفه كرما	عسى يراك خلال النوم إن حصلا
وارع لذمة رق يشتكى لهفا	كى يستقى من كريم عطفك العسلا
وانظر لفرط جواه فهو منتحل	جفا المضاجع والسلوان والبجلا
لم يبق يرقب إلا لسانك ومن	سواك لا يرتجى عطفًا ولا بدلا
أنى وحقك لم أزل أقارع ما	قد هالنى من جوى بين كفى شغلا
يا من شمائله جلت فليس لها	حد ويا مالكا به المنى كملا

وقوله:

مضى الحسن لا تسأل فقلبى فى أسر	وقلبك جذلان تسارع للفخر
ولا عذر لى دون التشبث بالرضا	وأما الهوى يقضى بما شاء من قهر
وأى فتى يهوى ولم يذق الجوى	وأقرب ما فى الحب وقف على الجمر

وأعــذبه هو الــعــذاب فــلا تقل مذاق الهـوى عذب فكم فيـه من مر

ففيمـا مضـى كان الحسان إذا رأوا عـفــيـفـا أنالوه الأمــان من المكر

ورقــوا له ثم انتــحــوا لوداده ومـالوا إليـه مـيـل من شـاق للبـر

فـدام عليـهم رونق الحسن والبـهـا ونال الذى يهـواهم الفـوز بالبـشـر

لذاك رأيت الـعــاشـقـين تميلوا بمدح شـمـائل المحسن فى الشـعـر

ولو عـاينوا ما شـمتـه اليوم لم تجـد أديبــا أتـى إلا بهــجــو بـلا نكر

فكنـت غـبــيــا بـالزمــان وأهله وهمـت بأنـسى سـنيـن من الـدهر

وصـرت على حكم الغـرام عـلامـة سمـيعـا مطيعـا صنته فى دجـا فكر

وقوله:

عـــبث النســيم بـقــده فــتــأودا وسـرى الحـيـاء بـخـده فـتـوردا

رشـأ تـفـرد فـيـــه قلبى بالـهـوى لما غــدا بجــمـــاله مـتــفــردا

قـمـر هدى أهل الضـلال بوجـهـه وأضل بالفــرع الأثيث من اهـتـدى

مـغرى بإخـلاف المواعد فى الهـوى يا ليـتـه جـعل الـقطيـعـة مـوعـدا

سلبت مـحـاسنـه العـقـول بناظر يصدى القلوب وباسـمه يروى الصدا

يا صـاحى الأعطاف مـن سكر الطلا مــا بال طرفك لا يزال مـعــربدا

قـاسـوك بالغـصن الرطيب جـهـالة تالله قــد ظلم المشـبـه واعــتـدى

حسن الغـصون إذا اكـتست أوراقـها ونراك أحـسـن مـا تكون مـجـردا

إن كنت مـحـبـوبا فـقلبى حـاجب لك فـاطمـئن الـنوم لا تخش الردى

وقوله وقد طلب منه بعض الطلبة تخميس الأبيات الأربعة المشهورة وهى: صبرت على النيران الخ فخمسها فى الحين فقال:

إلى الله رد الأمر وارض وقل عسى ولا تكثرت مهابك، القنط عسعسا

فكم سر مضني حيث قال منفسا صبرت على النيران والضرب والأسا

فأبلغنى صبرى لرشف المباسم

فذو الملك يبدى ما يشا ويعيده وفى يده بسط القضا ومديده

فالصبر ما قد غاب تصيده تأن ولا تعجل لأمر تريده

وكن راحما بالناس تبلى براحم

فداج القضا بدر الرضا قد أناره وما موقد إلا سيصلى جماره

ومن ظن شرا للهوان أصاره ومن يزرع المعروف يحصد ثماره

ومن عاند الأيام ليس بسالم

فما ضل حادى البزل أحسن سوقها وما خاب والى الناس يرفأ خرقها

فتحمده نفس قد أخمد شوقها وما من يد إلا يد الله فوقها

ولا ظالم إلا سيبلى بظالم

فلما فرغ منها قال مؤذن الظهر الله أكبر، فقال للسائل: قد استجيب لك قد استجيب لك.

وفاته: توفى أواسط جمادى الأخيرة عام خمسة وثلاثمائة وألف، ودفن بصحن روضة ولى الله تعالى مولاى عبد الله بن حمد من الحضرة المكناسية.

٣٠٨ - محمد بن إدريس بن الطيب الواسترى المكناسى.

حاله: فقيه علامة أديب نجيب له مشاركة وخط بارع نساخ للكتب، تولى خطة الكتابة بالحضرة السلطانية وخدمها نحو الستة أشهر ثم اخترمته المنية.

مشيخته: أخذ عن السيد الطاهر بوحدو، والسيد فضول بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد محمد بن الجيلانى السقاط، ومن فى طبقتهم من أهل التحقيق.

شعره: من ذلك قوله:

يا من يرى ذلى وضعفى وغربتى	إنى ببابك واقف يا عمدتى
يا من تفضل بالوجود على من	بعد انعدام مكونا من نطفة
يا من تكفل لى برزقى مذ أنا	طفل صغير إلى انقضاء مدتى
يا من يتوب على العصاة بمنه	إنى سألتك أن تمن بتوبتى
مالى سواك وسيلة فلإن رجعـ	ـت من ندائى خائبًا يا سوأتى

وفاته: توفى بعد الثلاث مائة وألف.

٣٠٩ - محمد بن الخليفة التونسى الأصل المدنى الدار، المغربى الرحلة والجوار، المكناسى الإقبار، يعرف فى تونس بالرقاع.

حاله: فقيه علامة، مشارك ناقد، راوية مسند متقن، رحال، ناظم ناثر، مجيد ناثر، مجيد فى الصناعتين، ماهر مقيد جماع، قلّ بلد إلا وله فيه أثر، وعنه بها آخذ، وله كثير من التقاييد والإنظام، ذو همة عالية فى جمع الكتب واقتنائها، وبذل الأمور فى استنساخ الغريب منها، حتى تجمع له من ذلك عدد وافر.

٣٠٩ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٠٤.

رحل فى صغره إلى المدينة المنورة وأقام بها مدة فى طلب العلم وخدمته حتى برع وفاق، ثم رحل إلى مصر وتونس والقيروان والجزائر وفاس ومراكش والصويرة وآسفى والرباط ومكناسة الزيتون وبها كانت منيته كما يأتى، ووقفت فى دفتر مرسى ثغر الصويرة على ظهير حسنى لأمنائها نصه بعد الحمدلة والصلاة والطائع:

«خدامنا الأرضين، أمناء مرسى الصويرة المحروسة بالله، وفقكم الله وسلام عليكم ورحمة الله.

وبعد: فنأمركم أن تركبوا الطالب محمد بن خليفة المدنى مع صاحب له واصلين للإسكندرية من غير كراء يلزمهما، والسلام فى ٧ شعبان عام ١٣٠٨»، وقد ذكر فى فصل الصوائر المختلفة من باب الصائر من الدفتر المذكور المبلغ الذى أُرْكِبَا بِهِ «القفيه الشريف محمد خليفة مع صاحبه بريال ٤٠».

مشيخته: أخذ بالمدينة عن الشيخ أبى خضير الدمياطى المدنى، وأبى حفص عمر بن إبراهيم برى المدنى، والمفتى محمد بن عمر بالى المدنى الحنفى، والسيد جعفر البرزنجى، وأبى المحاسن محمد بن خليل الطرابلسى.

وبمكة عن الشهاب دحلان، والشيخ محمد حقى النازلى، صاحب خزينة الأسرار والشيخ رحمة الله الهندى صاحب إظهار الحق.

وأخذ بمصر عن الشيخ عبد الهادى الأبيارى، والشمس الأنبانى، والشيخ إسماعيل الحامدى وغيرهم.

وبالقيروان عن الشيخ الصدام، والشيخ محمد بهاها الصغير.

وبتونس عن الشيخ سالم بو حاجب المتوفى فى الرابع عشر من رجب عام اثنين وأربعين وثلاثمائة وألف، والشيخ الطيب النيفر المتوفى فى رجب عام أربعين وثلاثمائة وألف، والشيخ الطاهر جعفر.

وبالجزائر عن المفتى الشيخ على بن الحفاف، والشيخ على بن موسى.

وأخذ بفاس عن سيدى جعفر الكتانى، وولده سيدى محمد، وقاضيها حميد بنانى، وأبى محمد عبد الله بن خضراء السلوى، وأبى محمد عبد الهادى الصقلى، وأبى محمد عبد الله بن إدريس البدراوى وغيرهم.

وأخذ بالرباط عن أبى إسحاق إبراهيم التادلى وتدبج فيه مع قاضيه سيدى أحمد بنانى.

وأخذ بمراكش عن الحاج محمد أزنيت، وأبى حامد العربى بن السائح، وأبى العباس أحمد الوعزونى التنانى الصويرى وغيرهم من شيوخ المشارق والمغارب، وجل هؤلاء أجازه عامة ومنهم من تدبج معه.

الآخذون عنه: أخذ عنه السيد أحمد بن العباس البوعزاوى، والشيخ فتح الله بنانى الرباطى، وأخوه أبو محمد زين العابدين وغيرهم.

مؤلفاته: منها رسالة فى جدار المحراب أهو من المحراب، وفى صورة أنه من المحراب فالمصلى بحذاء المحراب إذا لم يسجد فى المحراب فهل يكون مصليا خارجه أو يكون مثل مصل سجوده فى المحراب وقدماه خارجه، وعلى تقدير أنه يعد مصليا خارجه فهل يكره.

شعره: من ذلك قوله مقرظًا رسالة شيخه الشيخ عمر برى المسماة رسالة الأفراح والبشائر، لطالب العلم والمجاهد والحاج والزائر، فى نحو الكراسة:

يا مغرما بمناصب الدنيا ارعوى	أو ما دريت بموتك المستقرب
فالعلم أنفس منصب فى دارك الـ	أخرى فما لك نحوه لم تذهب
أو ما ترى البرى كيف زهت له	أيامه وحبى بأصفى مشرب
ترك المناصب واستعد لنصرة الد	ين القويم وذاك أعظم مأرب

ولئن تخلى عن مناصب أرخت ... برسالة الأفراحِ آكد منصب

٧٧١ ٣٢١ ٢٧ ١٨٢ ج ١٣٠١

وقوله فى تقريظها أيضًا:

لله درك أيها المفضال إذ ... أبديت لؤلؤ فكرك السماح

وأجلت فكرك فى فرائد سنة ... فجمعت منه نزهة الأشباح

وجنيت من روح البيان دقائقا ... تورى الجهول محجة الأفلاح

وأزلت عن غرر الأدلة برقعا ... حتى غدت فى غاية الإيضاح

واخترت أقوى حجة تتلى بها ... أبكت كل معارض ملحاح

قد كان يبطل حكم هجرتنا التى ... أفصحت عنها أكمل الأفصاح

يا زائرين عليكم بزيارة الـ ... ـبرى مولى البر والإصلاح

عمر المعمر للمدينة بالتقى ... والعلم معجز ألسن المداح

يا حاديًا عرج بساحته وقل ... نفديه بالأجسام والأرواح

إذ قد أفاد جنانه ولسانه ... وبنانه بنظيرة المصباح

أضحت به مفتاح كل عويصة ... لكنها تسمو على المفتاح

بعذيب مشربها فارخ طاب لى ... من مبدع لرسالة الأفراح

ونظمه رسالة الجانى، ومزيلة ترح العانى، فى مدح القطب الصمدانى، مولانا أحمد التجانى، بها أبيات سبعمائة.

وقوله معارضا قول من قال:

ألا يا مستعير الكتب دعنى ... فإن إعارتى للكتب عار

فمحبوبى من الدنيا كتابى   وهل أبصرت محبوبا يعار

ومن خطه نقلت:

ألا يا مالكا للكتب عرها   فما بإعارة للكتب عار

لئن أحببت من دنيا كتاب   فمحبوب الأحبة قد يزار

وقول من قال:

لا تعيرن كتابا   واجعل العذر جوابا

واقبض الرهن عليه   إن فى الرهن صوابا

بقوله:

عرا لى الخل كتابا   لا يك العذر جوابا

واترك الرهن عليه   لا ترى فى ذا صوابا

فإذا خالفت قولى   أنت ضعيف الصحابا

وفاته: توفى سن الخمسين بمكناسة الزيتون بالعلى الذى بالزاوية التجانية منها ربيع الأول عام ثلاثة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ محمد بن عيسى خارج باب السيبة أحد أبواب العاصمة المكناسية.

٣١٠ - محمد بن العربى المنونى المكناسى الأصل والنشأة والدار والإقبال.

حاله: فقيه علامة، مشارك مدرس، خطيب مفوه، تقى نقى، عدل فصيح خلو الشمائل، حسن الصوت لا يمل سامعه، كان الناس يأتون لسماع قراءته وسرده الأحاديث والواعظ والأمداح المصطفية من الحومات البعيدة عنه لما رزقه من الحلاوة والطلاوة، وتأثير ما يخرج من فيه بالقلوب التأثير العجيب.

وكان ميالا لجناب الله محبا فى المنحاشين إليه، ملازما للتدريس، وغالب تدريسه كان بزاوية شيخه التجانى، وكانت له معرفة بعلم الأسماء والأوفاق، وكان ممن يرجع إليه فى الطريقة التجانية غير متغال ولا متنطع فيها ولا متقول على الشيخ رضى الله عنه ما لم يقله، ولا ملصق به ما هو برىء منه براءة الذئب من دم يوسف، بل كان لا يحيد فيها عن نهج السنة الذى بنيت عليه، مقتد فيها بقول الشيخ: ما سمعتموه منى فزنوه بميزان الشرع، فما وافق فخذوه، وما خالف فاضربوا به وجه الحائط، شأن السلف الصالح، تولى آخر عمره عدالة المرس المخزنى الذى تجبى إليه الأعشار.

مشيخته: أخذ عن العلامة ابن الجيلانى السقاط وهو عمدته، وعن أبى العباس قاضى الحضرة المكناسية السيد أحمد ابن سودة المرى، وعن الشيخ السيد المفضل بن عزوز، وعن أبى حامد العربى بن السائح العمرى، دفين الرباط، وتلقى منه فوائد عملية مشافهة مدة مقامه بمكناس وغيره ومراسلة، وعن غيرهم من حاملى لواء التحقيق والإتقان من علماء وقته.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا وابن عمنا مولاى الحسن بن اليزيد العلوى المحمدى، والشريف الفقيه العدل سيدى محمد بن إدريس الإدريسى الشبيهى، والفقيه الشاعر العدل السيد عبد القادر بن أحمد العرائشى، والأستاذ الفقيه النجيب السيد محمد فتحا بن العربى بن شمسى وجماعة.

وفاته: توفى ثالث جمادى الأولى عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح العلامة الصالح سيدى يوسف الخطيب من حومة براكة بفتح الباء وتشديد الراء مشبعة.

٣١١ - محمد بن أحمد بن المكى السوسى.

حاله: فقيه نجيب، علامة فاضل، عدل مبرز، مدرس نفاع، قليل العبارة، لا يستطيع أن يعبر عن مقصوده كما يريد، كثير الانحياش لجانب الله، محب فى أهل الخير والدين، زوار للصالحين، وكان فيه انقباض وضيق صدر حتى ربما يقع له ذلك بأدنى سبب فى مجلس درسه فيقوم قبل تمام الدرس مغضبا منقبضا، وكان يفر من كل هرج ويحب العزلة.

مشيخته: أخذ عن عمه السيد فضول، وعن قاضى الحضرة أبى العباس أحمد السودى المرى وغيرهما ممن هو فى طبقتها.

الآخذون عنه: أخذ عنه أخوه شيخنا السيد محمد فتحا السوسى، وابن أخته مولاى إدريس بن عمر المطهرى، وشيخنا أبو على الحسن بن اليزيد وجماعة من نجباء وقته.

وفاته: توفى فى أواخر عام ستة عشر وثلاثمائة وألف.

٣١٢ - محمد بن محمد فتحا المنونى الحسنى المكناسى النشأة والدار والوفاة.

حاله: عدل رضى، فاضل من أهل الخير والصلاح، كثير الاعتناء بمطالعة كتب القوم والمذاكرة فيها، حسن السمت والهيئة والمروءة، وافر الحياء، هين لين، عالم بالحساب والتوقيت بالمسجد العتيق من حضرتنا المكناسية كأبيه وجده من قبله، ثم رشح لنظارة الأحباس الصغرى مدة، ثم كاتبا بالحضرة السلطانية زمن السلطان المقدس مولانا الحسن برد الله ثراه ببنيقة الداخل من الأعتاب المولوية، ثم

---

٣١١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٦.

٣١٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨١٥.

بعد وفاة السلطان تنازل عن خطة الكتابة ورجع لوطنه مكناسة، وتصدى لتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول إلى أن لبى داعى مولاه.

وفاه: توفى رحمه الله فى سابع جمادى الثانية عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى غريب من حومة الأنوار بمحروسة مكناسة.

٣١٣ - محمد أبو عبد الملك بن زيدان.

ابن جد العائلة المالكة الأعلى المولى إسماعيل السلطان الأعظم الطائر الصيت فى المشرقين والمغربين.

حاله: فقيه خير دين ناسك، متواضع كريم الأخلاق، ذاكر تال لكتاب الله له معرفة كافية بالفقه والعربية، ومزيد تثبت، لا يرى نفسه شيئًا ولا تهمه زهرة الحياة الدنيا، راض بما قسم له، كان يؤدب الصبيان فى آخر عمره، وعليه حفظت القرآن وجودته، تخرج على يده عدة من حملته، وكان له خط بارع، ومعرفة بالرسم والتجويد.

والله ما خرج من الدنيا حتى كاشفنى بأمور جاءت بعد وفاته وفق ما أخبر، من ذلك أنه ورَّى لى محذرا إياى من بعض أبناء العم، وقال لى ما معناه: ما لى ولفلان عينه لى مهما أغمضت عينى فى هذه الليلة يقف أمامى يريد كيت وكيت ثم يأخذه رحمه الله مثل السنة ثم يستيقظ يكرر مقالته.

ومن ذلك أنه وَرَّى لى بانقضاء أجله، وأنه يموت صبيحته قائلا جاءنى الآن الشيخ فلان رجل صالح عين لى اسمه وناولنى مفاتيح وشيئا آخر وقال لى: خذ أجرك فقد تم بناء دارك.

ومن ذلك أنه حدثنى بتشاجر عظيم بين رجلين كانا على قلب واحد إذ ذاك

---

٣١٣ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٠.

فوقع بينهـما من التشاجر مـا أخبرنى به، وتصدى كل منهـما لإذاية صاحبـه كما تصـدى لإذايتى من حذرنى منـه بكل ما فى طوقـه فكفـانى الله شره، وأوقـفنى سبحانه على ما دسه لى بخطوط يده بعد وفاته سامحه الله، وجزاه على إذايته لى بالجنة، والكل حدثنى به قبيل انسلال روحه بنحو ثلاث ساعات برد الله ثراه.

مشيختـه: أخـذ عن شـيخنا أبى عـبد الله القـصرى، والطاهر بـوحدو، والمفضلين ابن عـزوز، والسوسى، وأبى عبد الـله الهويج، وشيخنا أبى عـبد الله محمد بن عبـد الهادى الفيلالى، وشيخنا المعطى بن عبـود، وقرأ القرآن والتجويد على والده، وأتقن حفظه على شقيقه الأستاذ أبى محمد عبد القادر.

الآخذون عنه: منهم عمنا المولى الطاهر حـفظ عليه القرآن العظيم، والمولى الطيب بن عبـد الله المترجم فيـما سلف، والمولى العربى بن إبراهيم بن عـبد الله وجماعة من حملة القرآن، وعليه حفظت الكتاب المبين، وجملة من المتون، وعليه تعلمت أحكام الوضوء والصلاة ومـبادئ النحو، رحمه الله وجـزاه عنى أفضل ما جزى به أبا عن ولده.

وفاته: توفى بعـد طلوع شمس يوم الثلاثاء سابع عـشرى حجة الحـرام متم عام سبعة عشر وثلاثمـائة وألف، ودفن بروضة ضريح الولى الكامل أبى زيد عبد الرحمن المجـذوب جوار ضريح جـده الأكبر السلـطان الأعظم مولانا إسمـاعيل، حيث مدفن سلفه.

٣١٤ - محمد أبو عبد الله السوسى الأصل.

حاله: أسـتاذ مقرئ مـجود يحفظ العشـر ويحرره، حافظ متـقن ماهر، له معرفـة بعلم النار، أخبرنى من شاهد مـباشرة عمله لذلك من أهل العـدل الثقات الأثبات، وأنه خرج بمحضره سـبيكة فضة خالصة، وكان يستـحضر الألفية، وابن

عاشـر، وصدراً من المختـصر الخليلى، ولاميـة الشاطبى، ودالية أبى العـباس بن المبارك، ومنظومة ابن الجزرى فى التجويد وغير ذلك.

وكان خيرا دينًا فاضلا، تقيا نقيا، زكـيا مرضيا، كثير التلاوة لا يعرف كللا ولا مللا، قدم مكناسة الزيتون بعد الحادية عـشر من القرن الرابع عشر، وأقام بها مدة ودخل الأستانة والجزائر وغيرهما فى طلب علم النار.

مشـيخته: أخـذ عن شيخنا العـلامة أبى الفضل الفـاطمى الشرادى، ولازم دروسه بفاس نحو ستة أعوام، وأخذ القراءات السبع عن المتبرك به الشيخ الزوين، والعشر الكبير عن القاضى الفلاق، والولى الصالح ابن يرمق.

الآخذون عنه: منهم صديقنا الأسـتاذ المقرئ المجود أبو عبد الله مـحمد بن أحمد الحميدى، أخذ عنه العشر الكبير.

٣١٥ - محمد أبو عبد الله الريفى.

حاله: علامة مشارك، أستاذ مـجود يحفظ السبع ويتقنه، فاضل زكى، كان يؤم بمسجد باب عيـسى، وكان العلامة الناسك أبو عبد الله مـحمد جنون لا يبغى بالصلاة خلـفه بدلاً إذا كان بمكناس، يأتـى الصلاة خلفه من حـومة أبى العـباس أحمـد بن خضرا، فـقيل له فى ذلك، فقـال: إن نفسى تطمئن بالصـلاة خلفه لما اجتمع فيه مما تفرق فى غيره، فإنه عالم بأحكام الصلاة، عارف بفن التجويد، كذا حدثنى الفقـيه الحميدى المذكور فى الترجـمة قبله يليه قائلا هكذ: حـدثه شيخه بل شيخ جماعة الأساتذة المقرئين بالعاصمة المكناسية أبو الحسنات العربى بن شمسى، وهو ثقة صدوق، أخـبر عن مشاهدة، ويكفى صـاحب الترجمة فخـرا شهادة أبى عبد الله جنون له.

٣١٦ - محمد بن الهادى فَرمُوج الصنهاجى الأصل المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: عـدل مبرز فقـيه، نبيه مـدرس، تولى نيابة القضاء عن العـلامة أبى العباس ابن سودة المترجم فيما مر، وكان تدريسه بالزاوية المعروفة بزاوية حمادشة.

مشيختـه: أخذ عن شيخ الجماعة السيد مبارك الفـيضى، وعن السيد المهدى ابن سودة، والسيد الهادى بادو، ومن فى طبقتهم.

الآخذون عنه: أخذ عـنه السيد محمـد الزيانى، والسيد عبـد القادر الريو، والسيد قاسم بن حمدوش.

وفاته: توفى فى جـمادى الأولى عام ثمـانية عشـر وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية من الحضرة المكناسية.

٣١٧ - محمد بن المهدى المنونى الحسنى المكناسى.

حاله: فقيه مجود مرتل له الطولى فى معرفة الرسم وتعليم الصبيان، وإفادة المقرئين، لا يرى فى غالب أحواله إلا تاليا أو ذاكرا أو معلما، وقور مهاب، معتقد عند الخاصة والعامة، محبوب لديهم، مـتبرك به، اتخذ عدة مكاتب لتعليم القرآن العظيم عـامة وخاصـة، ونفع الله به أقـواما، ثم رشحـه السلطان مولانـا الحسن لتأديب بناته بداره المحروسـة المحوطة، وأفاض عليه من سجال البـر والإحسان ما هو له أهل، ورتب له أحسن قيام إلى أن لبى داعى مولاه وانتقل لما اختير له رحمه الله.

الآخذون عنه: منهـم شيخنا الشـريف سيدى الحـسن بن اليزيد خـتم عليه ختمات من القرآن، وغيره ممن لا يعد كثرة.

---

٣١٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٣.



الخليفة سيدى محمد الأمرانى

وفاته: توفى فى حجة الحرام عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح الولى الصالح سيدى محمد فتحا الغمارى حذو سيدى عمرو بوعوادة، من حومة حمام الحرة من الحضرة المكناسية.

٣١٨ - محمد بن الشريف الفقيه العدل مولاى عمر بن هاشم العلوى المدغرى.

حاله: فقيه وجيه عدل رضى، من صدور العدول، وأعيان الأشراف، ملحوظ بعين التبجيل والتكريم بين قومه، كريم السجايا، سمح الأخلاق، فاضل نبيه، كان يتعاطى خطة الشهادة بالزاوية الإدريسية مدة، ثم رشحه أبو العباس بن سودة للنيابة عنه فى القضاء بالزاوية المذكورة إلى أن أُعفى.

مشيخته: أخذ عن العلامة الصالح المتبرك به مولاى عبد المالك الضرير، وعن غيره ممن هو فى طبقته.

وفاته: توفى زوال الاثنين ثانى جمادى الثانية عام اثنين وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن أمام الخارج من باب جامع الموتى بالمزارة الفوقية من الزاوية الإدريسية.

---

٣١٩ - محمد بن سميه بن هاشم العلوى الحرونى المدعو الشيخ التيكر.

حاله: فقيه نبيه، مسن بركة نزيه، ذاكر متبتل، محاضر مستحضر، مقبل على شأنه، خلع لباس الدعوى وارتدى برداء الخمول والوقار، له اليد الطولى فى نسج الأزجال الملحونة على أبدع منوال وأحسن أسلوب، وكان يميل إلى التقشف، ولباس ما خشن من الثياب، وربما احترف بخدمة حب الزيتون وعصره زيتا.

عنّ له يوما من الأيام لدى الوزير الصدر غرض من أغراضه الشخصية فذهب إليه لمحل مأموريته بالحضرة السلطانية، فوجد معه جلة أعلام منهم

أبو محمد العربى بن السائح، وجماعة يتجاذبون أطراف المذاكرة إلى أن قال بعضهم لمزيته ﷺ، والمترجم وراء الباب مع أوباش الشرطيين غير مبالى به، وعليه أثواب رثة وسخة، فناداهم قائلا: يا فقيه المزية لا تقتضى التفضيل، فبهتوا وانقطع حديثهم، وصار بعضهم ينظر لبعض فقال لهم الوزير وهو إذ ذاك موسى بن أحمد: ما لكم سكتم؟ فقال المترجم مجيبا له من وراء الباب بقوله تعالى: ﴿وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [سورة النمل: آية ٨٥].

فاستدنوه إذ ذاك منهم، وقالوا له مثلك لا يجلس هنالك، وسألوه عن حسبه ونسبه وأين قرأ، وعمّن أخذ فعرفهم بذلك وشاركهم فى المذاكرة، فقالوا له: بين لنا معنى كون المزية لا تقتضى التفضيل، فقال: إن الوزير رعاه الله وأعز أوامره له من نفوذ الكلمة والأوامر المطاعة ما لا يحتاج إلى إقامة دليل عليه، إذ قد ميزه المولى تبارك وتعالى بجعل سر كلمة التكوين بين شفتيه، أرأيتم لو أمر بضرب أحدنا أو سجنه وإخراجه من هذا البساط مذموما مدحورا لامتثل أمره على الفور ونفذ بالفعل وفق ما أمر به، فهذه مزية له امتاز بها دوننا وهى لا تقتضى تفضيله، بل منا من هو أفضل منه، فأنصت الكل لمقاله وأنصف، وله بالفضيلة الجميع اعترف، وأقدوه قدره، وقضى الوزير فى الحال أمره، ثم إن المترجم تخلى فى آخر عمره عن جميع الأشغال الدنيوية، ولازم الضريح العلمى، واشتغل بعبادة ربه حتى أتاه اليقين، ولم يزل نهما يتطلب العلم ويحضر مجالسه ويذاكر أهله إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن السيد المفضل بن عزوز، والسيد فضول السوسى، والسيد المختار الأجراوى، والسيد محمد بن الجيلانى السقاط، والسيد أحمد ابن سودة المرى، والحاج المختار بن عبد الله وشاركهم فى جل شيوخهم، كالسيد مبارك بن عبد الله الفيضى، والسيد الهادى بادو، والسيد المهدى ابن سودة، والسيد العباس ابن كيران.

وفاته: توفى رحمه الله بالحضرة المكناسية فى يوم الجمعة تاسع عشر حجة الحرام، متم عام ثلاثة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتنية بالصف الأول منها.

٣٢٠ - محمد القصرى شيخنا أبو عبد الله العبدرى[1] المكناسى الأصل والاستيطان والوفاة.

حاله: فقيه علامة مشارك، مدرس نفاع، كان فى أول أمره يحترف بعمل الخبز، ثم أقبل على التعلم بجد واجتهاد حتى وجد ضالته المنشودة، فأكب على التدريس بحزم وعزم، وكانت له ملكة كاملة يقتدر بها على التدريس بدون مطالعة، وكان مقترا عليه فى الرزق، ثم رشحه السلطان المولى عبد العزيز لإقراء إخوته وأعمامه ونفذ له مؤنة ضافية طعامية يومية وشهرية، تحسنت بها أحواله المادية، ثم حالت الأحوال وأسقطت عنه تلك المؤنة ورجع لأشر مما كان عليه، ولم يزل صابرا محتسبا إلى أن لقى الله مع همة عالية، ونفس آبية.

مشيخته: أخذ عن العلامة السيد فضول بن عزوز، والعلامة السيد فضول السوسى، والعلامة السيد محمد بن الجيلانى الساقط وهو عمدته وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه قاضى الأحواز المكناسية أبو العباس الناصرى، والعلامة السيد محمد الواسترى، وشيخنا السوسى، والفقيه السيد محمد فتحا بن مبارك الهلالى، والفقيه مولاى إدريس بن عمر المطهرى، ووالدنا المقدس، وشيخنا أبو على الحسن بن اليزيد، وجامع هذا الديوان عفا الله عنه وغيرهم من أعيان نجباء فقهاء مكناس.

---

٣٢٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٤٣.

(١) فى الإتحاف: «العبدوى».

وفاته: توفى ليلة الاثنين خامس صفر الخير عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى الدغوغى من حومة جامع الزرقاء.

٣٢١ - محمد بن عبد الواحد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد بن عبد الله بن محمد بن عبد القادر النقيب بن عبد الواحد بن الولى الصالح المتبرك به حيا وميتا أبى العباس أحمد الشبيه.

دفين روضة رأس التاج المعروفة اليوم بروضة عمرو الحصينى، إحدى الروضات الشهيرات بالحضرة المكناسية، وإلى أبى العباس هذا ينتسب كافة الشبيهيين.

وهو ابن عبد الواحد بن عبد الرحمن بن أبى غالب بن عبد الواحد بن محمد بن على بن عبد الواحد المجاهد، وهو أول نازل من الجوطيين بمكناسة، وفيه يجتمع الشبيهيون والطاهريون.

وهو ابن عبد الرحمن بن عبد الواحد بن محمد بن على بن حمود بن يحيى ابن يحيى مرتين بن إبراهيم بن يحيى الجوطى على قول ابن القاسم بن إدريس الأزهر، بانى مدينة فاس ودفينها ابن إدريس الأكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن ابن الحسن بن على وفاطمة الزهراء ابنة سيد المرسلين ورسول رب العالمين، مولانا محمد الصادق الأمين، صلى الله عليه وآله وأصحابه والتابعين، الشريف الحسنى الإدريسى الجوطى الشبيه من أهل زاوية جده مولانا إدريس الأكبر رضى الله عنه وأرضاه.

حاله: فقيه علامة، مشارك محاضر، ممتع، باقعة فى السياسة والكياسة، كان إليه المرجع فى الفتوى بالزاوية الإدريسية، وبيده أزمة نواب قضاتها، وعليه

---

٣٢١ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٤٤.

التعويل فى التعديل والتجريح، وعند إشارته يقف الولاة وغيرهم من الأكابر فى كل مهم، مع السمت الحسن، والهدى المستحسن، والدين المتين، والأخلاق الحسنة، والكرم المبذول، والتحبب إلى أهل الخير وموالاتهم والسعى فى مرضاتهم ومجاملة كل فريق، بما هو به خليق، مع المبادرة إلى كل فضيلة، والتخلى عن كل رذيلة، مرت عليه سنون عديدة وهو لا يرى إلا فى مسجده أو فى داره ولا تراه خارجا عنهما إلا فى النادر لموجبه القوى.

أما الولائم فقد كان تاركا لحضورها، عكس عيادة كل من له حق يقتضيها من المرضى، ولا يكاد يتخلف عن حضور جنازة تجده فى كل ذلك من أهل الرعيل الأول، ولقد كان الإمام فى الخمس بالضريح الراشدى، والواعظ الوحيد بالمسجد الجامع من بلده إثر صلاة الصبح يصعد كرسى الوعظ وهناك ويشنف آذان السامعين برقائق التفاسير القرآنية، وجوامع الكلم المصطفية، ونافع معارف السادات الصوفية، فترتاح لذلك القلوب وتنشرح الصدور لحسن تحبيره، وتمكن تصديره.

ولقد كان مع هذا كله لم يترك نصيبه من الدنيا يحسن تدبيرها، وخصوصا الفلاحة، وقد كان قائما بحظ وافر منها، وسيطا بذلك فى الثروة وتنمية العقار، وفذاً واحداً فى الجاه وعلو المنزلة، وخصوصا بعد وفاة مشاركه فى الصدارة وكمال المنزلة ابن عمه العلامة مولاى الفضيل.

حدثنى ابن عمنا العلامة الأقعد سيدى محمد بن أحمد العلوى أنه شاهد يوم موت المترجم رجلا كان يشار له بالخير يقول خطابا لبعض الحاضرين إنه - يعنى صاحب الترجمة - من أهل الخير والصلاح، قال محدثى المذكور: ومن قرائن ذلك أنه لما بقى لموته نحو عشرة أيام صمم العزم على أنه حان وقت لقيه لمولاه تبارك وتعالى، وتجرد من كل العلائق وأوصى وحبس وأعتق وأعطى وقسم على أولاده حتى فراشه ولباسه، ولم يبق فى محل سكناه إلا الفراش الذى هو

راقد عليه والثياب التى هو لابس لها، وودع أحبابه ومعارفه من حضر منهم بالمشافهة ومن غاب بالمكاتبة، وهيأ نعشه وعين صدقة أيام مَأْتَمه، ومن يغسله، ومن يصلى عليه، ومن يلقنه فى قبره إلى غير ذلك، وصار بعد ذلك لا يأذن لمن ودعه فى الدخول عليه، ويقول: قد ودعته فى الله، واختلى تلك المدة بربه لا يدخل عليه عند الحاجة إلا ولداه الفقيه المولى على والفقيه سيدى محمد، إلى أن انتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

وأنه شاهد يوم وفاته جماعة من سعاة أهل بلده يبكون عليه ويقولون مات أبو الدراويش، كان يعطينا ويفعل معنا.

وبالجملة فالرجل لم يترك بعده ببلده مثله رحمه الله.

وكان سكنى هذه الشعبة الشبيهية التى منها المترجم أولا بمكناس، ثم انتقل جلهم لجوار ضريح جدهم بزاوية زرهون، وبقى البعض إلى الحين الحالى بحضرتنا المكناسية، صانها المولى من كل بلية.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدى أحمد المرنيسى، والعلامة الحاج المهدى ابن سودة، والعلامة سيدى الحاج عمر ابن سودة، والعلامة الحاج أحمد بن سودة، والعلامة ابن عبد الرحمن الحجرتى وغيرهم ممن هو فى طبقتهم.

الآخذون عنه: منهم ابن عمنا العلامة مولاى عبد السلام بن عمر العلوى المدغرى، وابن عمنا النقاد الأقعد الثبت السيد محمد بن أحمد، والعلامة سيدى الفاطمى بن الفضيل الإدريسى، وولداه مولاى على وسيدى محمد وغيرهم من أهل العلم والدين.

مؤلفاته: له تقييد فى أدب زيارة الأولياء والترغيب فى ذلك، وآخر فى جواز تأخير السحور إلى طلوع الفجر، وطرر على صحيح البخارى من كتاب

التفسير إلى الختام وغير ذلك حسبما أخبرنى بذلك ولده الفقيه العدل مولاى على قائلا: لازال الكل تحت يدهم فى مسوداته لم يخرج.

وفاته: توفى سحر ليلة عيد الأضحى متم عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بتربته التى أعدها لنفسه أعلى الظهير بالتصغير، الروضة الشهيرة خارج باب زاوية زرهون رحمه الله رحمة واسعة.

٣٢٢ - محمد بن محمد فتحًا المتقدم الترجمة ابن عبد الله بن الطاهر الشريف الأمرانى.

أمه بنت السلطان المولى سليمان.

حاله: فاضل وجيه نزيه، نسيب حسيب نبيل، سياسى ماهر، داهية عاقل، حنكته التجارب وحنكها، فارس شجاع، خبير بالأمور، بصير بالعواقب، كان السلطان المولى الحسن اصطفاه وقربه وصاهره بشقيقته المصونة السيدة أم كلثوم، وكانت أحب الناس إليه يجير من أجارت، ويجيبها لما أشارت، وبسبب ذلك حظى المترجم لديه بكل عناية، واختص لديه بكل حظوة ورعاية، فكان ينتدبه للطواف بالنواحى والنظر فى أمر القبائل وإصلاح أحوالهم وجمع الموظف عليهم، وتأديب من ارتكب العصيان منهم، وتعيين من يصلح لهم من العمال، وإصلاح ذات بينهم، فكان يقضى تلك المآرب المولوية على أحسن وجه تارة بالسياسة، وتارة بالقوة حسبما تشهد بذلك أعماله فى القصابى وملوية ونواحى زيز وآيت يوسى وأولاد الحاج وآيت يزدك وقبائل الريف وغيرها.

وقف على عدة ظهائر ملوكية علوية فى التنويه بقدره وقدر عائلته الكريمة والحض على احترامهم وتبجيلهم وتوقيرهم واعتبارهم، منها ظهير حسنى منيف ودونك نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

---

٣٢٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨٧٨.

«يعلم من كتابنا هذا النافذة أوامره، المسفرة عن وجوه الحق بواطنه وظواهره، ويتعرف من فحوى خطابه، لمن أمعن النظر فى أساليبه وأسبابه، أننا بحول من له القوة والحول، والمنة والطول، أقررنا حملته أبناء عمنا سيدى محمد ابن المرحوم بكرم الله مولاى محمد الأمرانى وشقيقيه مولاى عبد السلام، ومولاى الكامل على ما ألفوه من جانبنا العالى بالله، وجانب أسلافنا قدسهم الله، من التوقير والتعظيم والاحترام، ومزيد القرب والاجتباء والإكرام، وزدناهم على ذلك توقيرا واحتراما وعناية وتعظيما بحيث لا يسام جانبهم باهتضام. ولا يعاملون إلا بالجميل والإعظام، وأبقيناهم فى ذلك على عادتهم المألوفة، وطريقتهم المعروفة، من التحرير من جميع الكلف المخزنية، والوظائف السلطانية، وجعلنا أمور زكواتهم وأعشارهم بيدهم جريا على عادتهم إقراراً تامًا، نأمر الواقف عليه من عمالنا وولاة أمرنا أن يعمله ويعمل بمقتضاه؛ ولا يحيد عن كريم مذهبه ولا يتعداه، صدر به أمرنا الشريف فى حادى عشر جمادى الأولى عام تسعة وثلاثمائة وألف» هـ.

وكان السلطان المذكور يقدمه للشئون ذات البال، ويعتمد على سياسته ودهائه ويعترف له بذلك، ودونك نص اعترافه له بما ذكر بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف الذى نصه (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه):

«الفقيه الأرضى القاضى السيد عبد الوهاب البادسى سددك الله، وسلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وافى كتابكم بتيسير ما وجه لأجله ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى، على أقصى الأمانى. مثنيا عليه بحسن السياسة ولطف التدبير. وجميل المباشرة والعقل الكبير. فنعم هو كذلك ونحن نعرفه منه سدده الله والسلام فى سادس عشرى حجة الحرام عام واحد وثلاثمائة وألف»هـ.

وكان يأخذ برأيه فى مهمات الأمور ويعتمده وله الوثوق التام بصدقه وأمانته قامت لدى الخاص والعام على ذلك براهين ساطعة، فكم جهز الجيوش الهامة ذات العدة والعدد، وعقد له عليها وأسند إليه أمرها، وقصر النظر فيه عليه، وبالجملة فقد كان له لديه جاه ووجاهة ومكانه لم يلحقها غيره، يرافقه فى الأسفار. ويخصه ببث الأسرار. حتى إنه كان كلفه بالنظر فى كل ما ينسب لفل ذة كبده وأعز أبنائه لديه وولى عهده من بعده السلطان السابق مولاى عبد العزيز، ودونك نص الظهير الصادر له فى ذلك بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكبير:

«يعلم من كتابنا هذا أعلى الله مقداره. وأجرى على فلك الإسعاد مداره. أننا بحول الله وقوته. وشامل يمنه ومنته. كلفنا ابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى بالنظر فى كل ما ينسب للولد عبد العزيز أصلحه الله من الماشية والحرث ونحو ذلك مما تنتجه المواشى من الغلة كالصوف والسمن والنتاج ونحو ذلك، وكذلك الحرث بحيث يكون بصيرة فى الكل يعرف الداخل والنتاج والغلة وما زاد وما نقص حتى لا يضيع شىء منه، ويعلمنا عن ذلك بما ظهر له فيه من صلاح أو ضده، وكذلك فى عمل المكلفين به، وما يرى فى ذلك من استحسان وتسديد أو غير ذلك، لنأمر فيه بالمقتضى والسلام صدر به أمرنا المعتز بالله تعالى فى خامس محرم الحرام فاتح عام أربعة وثلاثمائة وألف»هـ.

وقد اقتفى أثر هذا السلطان العظيم المقدار فى تبجيل المترجم وإجلاله وندبه للمهمات وترشيحه للملمات، بنوه الملوك الجلة من بعده ووجهه المولى عبد العزيز لقبيلة الأخماس وطنجة وتطوان لما تفاحش أمر الريسونى بتلك النواحى، ولو تتبعنا خصوص ما بمكتبتنا من الأوراق الرسمية المتعلقة بمأمورياته لجاء فى مجلدات، وإليك مثالا منها كتبه له أحمد بن موسى باقعة الوزراء وداهية الصدور والرؤساء:

«محبنا الشريف الأرضى، سيدى محمد الأمرانى أمنك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصل كتاباك أحدهما بتاريخ رابع عشر شهر التاريخ، والثانى بتاريخ خامس عشر منه أخبرت فى الأول بأنك لما حللت المحلة السعيدة ألفيتها بخير، غير أن فساد الأعشاش وملال ومن شوكتهم اشتدت شوكتهم وكثرت آراؤهم فى تعمير موسم طبق ما تقدم الإعلام به بعد ما كان أخبر عمال الأعشاش باضمحلال أمره، وأن الفساد تمالئوا واجتمعوا بسوق أولاد محمد ونادوا بعمارته رغما على كل أحد، وصار الفساد يسرى، وأن العمال لم يغنوا فى ذلك شيئا ولم تظهر لهم خدمة ولا نتيجة، وأنك لما رأيت ما هم عليه من الرعب خاطبت قواد أولاد مراح والشبانى والبرهمى بإنهاض حركتهم حلة ومحلة امام المحلة لعزمك على الرحيل غد التاريخ والتخييم بطالع السلطان قرب بلاد الأحلاف والأولاد بعد مفاوضتك فى ذلك، مع عمال الشاوية المخيمين بالمحلة وجوابهم لك باستحسان ذلك وعدم المصلحة فى طول مقام المحلة، وأن بسبب ذلك استطال الفساد حتى صاروا يزحفون لقرب المحلة، واشتد طمعهم فيها وسرى ذلك لغيرهم من القبائل التى كانت تنالها الأحكام، فامتدت أيديهم لنهب السبل وقطعها على المارة، وأن من المتعين إنهاض محلة القرب للتخييم بقربكم وتجديد شريف الأمر للجوار بشد العضد والتضييق بالفساد حيث لازال لم يظهر أثر منهم عدا أولاد عبدون الذين لم يقصروا فى ضرب الخزازرة.

وأن من المصلحة تعجيل نهوض الركاب العالى بالله لتدارك رقع أولئك خرق أولئك الفساد، وجعل ذلك بيت القصيد، ذاكراً أن من هون أمر تلك الناحية وسهل أمرها، فقد خان وغش الجناب المعتز بالله.

وأخبرنى فى الثانى بنهوضهم يوم التاريخ المذكور بالمحلة السعدية وتخييمكم بطابع السلطان قرب دار الحاج عبد القادر الحلفى وقرب الأولاد وتلقيه لكم مع قواد الأولاد والخدمين الإبراهيمى والشبانى بعدد وافر معتبر من الخيل، مظهرين الفرح والسرور، وتخييم بعض حلة أولاد مراح مع حلة الشبانى والإبراهيمى بقرب المحلة، ذاكراً أن هذا النهوض يكون بحول الله سببا فى إخضاد شوكتهم وتفريق جمعهم الفاسد، وأنه ظهر بسببه أثر الخير، وطلب منك عمال الأعشاش الزيادة بالمحلة لقصبة المعاريف قرب دار ولد توزرت، وأشار عليك البعض بالتخييم بدار ابن أحمد، حيث إن بعض أولاد محمد نازل بقربها، وأنك كتبت لأعيانهم وكبرائهم بما تقتضيه المصلحة من التأليف المشوب بالإرهاب مع التأمين عليهم، وأنه إن أفاد ذلك فيهم فذاك المراد، وإلا فلا بُدّ من الزيادة بالمحلة السعيدة للتخييم بأحد المحلين المذكورين إظهاراً للسطوة المولوية عليهم، وصار بالبال بعد اطلاع العلم الشريف، فقال دام علاه: أما ما كانوا توافقوا عليه من عمارة موسم الفساد إلخ فقد كان بلغ شريف علمه ذلك وصدر الأمر بالبحث عن حقيقة ذلك، وأمّا ما خاطبت به أولاد مراح ومن ذكرت معهم من إنهاض حركتهم حلة ومحلة أمام المحلة السعدية بقصد التخييم بطالع السلطان، فقد استحسنه مولانا دام علاه وعده من الحزم، وأما ما أنتجته مفاوضتك مع عمال الشارية من تعين نهوض المحلة الغربية للتخييم قربكم إلخ، فقد صادف الحال أن الأمر الشريف صدر لمولاى الأمين بالنهوض بها والتخييم بمائة بير وبير من بلاد الحلاليف من زعير فى الحدود بينهم وبين الأعشاش، ولا يكون الأوصل وجدد له شريف الأمر بالتضييق بهم فقد جدده لهم وأكد عليهم فيه، وها مكاتبه الشريفة بذلك تصلك طيه لتوجهها لهم على يدك، إلا أنك لم تبين المراد بالتضييق هل بشد الوطأة عليهم فقط كما أمروا الآن أو بضربهم فلتبين ذلك.

وأما ما ذكرته من المصلحة فى تعجيل نهوض الركاب الشريف فقد تقدم لك الإعلام بما ظهر منهم، فلتمض على ذلك.

وأما ما أشـرت إليه من عدم تهوين أمـر تلك الناحية، فسـيدنا أيده الله من ذلك على بال، وسيحكم الله فى كل فاسد بباهر قدرته.

وأما نهوضكم وتخييمكم بالمحل المذكـور، فقال أعزه الله جعله الله نهوض يمن وظفر وسلامة.

وأما ملاقاة من ذكر من الخدام للمحلة السعيدة بعددهم وعددهم فقال نصره الله: ذاك المراد منهم أصلحهم.

وأما ما ذكرت من ظهور أثر الخير بسبب نهوض المحلة فقال أعزه الله: كمل الله بخير وحكم سيف عدله فى رقبة كل باغ، آمين.

وأمامه طلبه عمال الأعشاش من نهـوض المحلة لقصبة المعاريف وما أشار به الغير من نهوضها لدار ابن أحمد، فقال نصره الله: الحاضر بصيرة، والذى تقضيه المصلحة من التخييم بأحد المحلين يرتكب.

وأما ما كتبت لهم به إلخ فقد استحسنه دام علاه.

وأما مـا ذكرته من كونهم إن لم يظهـر منهم انقياد فـلا بد من الزيادة لأحد المحلين المذكـورين إلخ فقـال دام علاه: العمل علـى ذلك ولا تغيب خبـرا وعلى المحبة والسلام فى ٢٠ ربيع الثانى عام ١٣١٥ أحمد بن موسى بن أحمد لطف الله به».

وقد استـخلفه السلطان مولانا عبـد الحفيظ بثغر الدار البـيضاء ودونك نص ظهير التولية بعد الحمدلة والصلاة والطابع الكريم:

«يعلم من كـتابنا هذا أعلى الله قـدره، وأعز أمـره، أننا بحول الله وعـونه جعلنا ماسكـه ابن عمنا الأرضى سيدى محـمد الأمرانى خليفة عن جـانبنا العالى

بالله بالدار البيضـاء المحروسة، وأقمناه مقـام عمنا مولاى الأمين فيـما كان له من التكليف هنالك، والنظر فى أمور المخـزن ومباشرة المصالح المنوطـة بتلك الناحية، فنأمره أن يجرى فى ذلك على ما يراد من المقابلة بجـد واهتمام، وعدم ارتكاب ما يخل بالمصالح فى نقض أو إبرام، كما نأمر من يقف عليه من خدامنا وولاة أوامرنا الشـريفة أن يـعرفـوا قـدر ما أسندناه إلـيه من ذلك التكـليف، وطوقناه من ذلك الوظيف، والله يلهم الجمـيع رشده والسلام، صدر به أمرنا المعـتز بالله تعالى فى ثامن عشر حجة الحرام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف» هـ.

وأقره على ذلـك هنالك السلطان المعظم مولانا يوسف، وزاد بـأن جمع له بين الخلافة عنه والـعمالة هناك، ونص الظهير الشـريف الذى أصدره له فى ذلك:
الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه (يوسف بن الحسن بن محمد الله وليه) ومن تكن برسول الله نصرته إلى منتقم:

خدامنا الأرضـين أهل الثغـر البيـضاوى كافـة، وفقكم الله وسـلام عليكم ورحمة الله.

فقد اقتضت المصلحة العامة اجتماع ووظيفتى خليفة حضرتنا الشريف وعامل البلد فى ذلك الثـغر فى يد واحـدة، وعليه فـقد أعفـينا خديمـنا الطالب محـمد الجباص من التكليف هنا كم ووظفناه بالوزارة الكبرى، وأسندنا لابن عمنا الأرضى سيدى محمد الأمرانى الوظيفتين المذكـورتين وأمرناه بالقيام بشئونهما، فنأمركم أن تسمعوا وتطيعوا فيما يأمركم به من أمـور خدمتنا الشريفة أسعدكم الله به وأسعده بكم ووفق الجميع لما فيه رضاه، والسلام فى متم رجب عام ١٣٣١».

ولم يزل قائما بأعباء تلك المأمورية أحسن قيام إلى أن قبضه الله إليه.

وهو الذى ترأس جيوش الحماية عند مقـدمها لفاس، ثم لمكناس عند انتصار السلطان مولاى عبد الحفيظ بها على باغية البرابر زمن قيامها عليه بمكناس على ما

سنوضحه بعد بحول الله، ولولا حسن سياسة المترجم لأصبحت مدينة مكناسة فى خبر كان.

مشيخته: أخذ العلم عن شيوخ عصره والطريقة الناصرية عن سيدى محمد ابن أبى بكر الناصرى، والعلامة الصالح سيدى محمد بن طلحة النسب بمراكش، وهو عن سيدى على بن يوسف.

ودلائل الخيرات عن والده، وعن خاله الشريف الفقيه الناسك مولاى يوسف بن الأمير مولانا سليمان عن والده الأمير المذكور عن والده الأمير العظيم الشأن مولانا محمد بن عبد الله.

كما أخذه أيضًا عن ابن طلحة المذكور، وكان أخذ السلطان المولى سليمان له عن والده ومناولته إياه له وما معه من الأحزاب بالمسجد الأزهر المعروف بجامع الأروى من القصبة السلطانية المكناسية عام ستة وتسعين ومائة وألف.

كما أخذ دلائل الخيرات عن الشيخ عبد الكبير بن المجذوب الفاسى، وكل ما له فيه رواية من الأذكار والأوراد والدعوات.

ولادته: ولد فى ربيع الأول عام تسعة وأربعين ومائتين وألف، حسبما وقفت على ذلك فى ظهير أصدره سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام فى جواب لابنة عمه والدة المترجم الشريفة المصونة السيدة أم هانئ بنت السلطان الأعدل سليمان عن إعلامها إياه بازدياد المترجم عندها، وإليك لفظه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الفخيم.

«بنت عمنا لال أم هانئ سلام عليك ورحمة الله.

وبعد: وصلنا كتابك وعلمنا بالولد المتزايد لك جعله الله مبارك الناصية، وها أمرنا يوافيك للأمين السيد المعطى المزطارى بأن يدفع لك أربعين مثقالا عُقِّى بها عن الولد، وقد سميناه محمداً والسلام ٢٣ ربيع الأول عام ١٢٤٩»هـ.

وفاته: توفى بثغر الدار البيضاء ضحوة رابع عشر رمضان عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، وحمل فى سيارة لفاس ودفن من غده بروضتهم الشهيرة حذو الزاوية الناصرية هنالك.

٢٢٣ - محمد بن العباس المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه نبيه لوذعى، فاضل دين خير ذاكر متهجد، مشرف على تاريخ المتقدمين ووقائعهم وطرق أخبارهم، حببت إليه العزلة، له اليد الطولى فى علم الأوفاق وسر الحروف واستخدام الجان، تواترت عنه فى ذلك وقائع، أخبرنى من وثقت بخبره ممن أخذ عنه أنه سمع من بعض خاصة المترجم المعروفين بالصدق ومتانة الدين أنه كان كثيرا ما يخرج مع المترجم لاسترواح النفس خارج البلد فى بعض الأصائل ويتحرى الأماكن الخالية من الناس، ثم إنه فى بعض الأيام نسى المخبر لبدة له كان جالسا عليها مع المترجم لم يتذكرها حتى رجع وفارق المترجم، ثم لما خرجا على عادتهما من الغد، وراما الجلوس بحث الشيخ تلميذه عن اللبدة فأخبروا بتلفها، فسكت الشيخ، ثم من الغد وجدوا اللبلدة عند الشيخ، فظن التلميذ أن الشيخ هو الذى كان أخذها بقصد أن يباسطه ويختبر ذكاءه، فبحثه من أين له بها فقال له: إن الذى وجدها هو الذى أتى بها إلى، وذلك أنى لما أخبرتنى بضياعها توجهت إلى الله ببعض أسمائه فما أتممت ذكرى حتى أتانى فلان وطرق الباب بإزعاج واضعا يده على إحدى عينيه وهو يتألم أشد الإيلام[1]، فقال: يا سيدى نزل بى حالا ما تراه من غير سابقية سبب، ووقع فى نفسى أن شفائى لا يكون إلا على يدك، فقلت: اذهب ائتنى باللبدة التى أخذت من المحل الفلانى، فأتى بها مسرعا بعد أن أبدى أعذارا، وبمجرد ما مكننى منها زال ألمه بإذن الله.

---

(١) فى المطبوع: «أشد الامام» ولا وجه له.

وكان مقصوداً للرقيا يرقى المصابين بالمس وسائر ذوى العاهات، فيحصل لهم الشفاء بإذن الله تعالى وسر الله فى صدق الطلب.

وكان مدررا يعلم الصبيان، له ملكة على التدريب وقدرة على حسن التعليم، وجد واجتهاد لم يلحقه أحد فى ذلك.

رحل إلى الحج وزيارة خير الأنام مرتين، ولقى كمل المشايخ بالحرمين، وأفاد واستفاد، وكان كثير الولوع بمطالعة مقامات الحريرى لا يخرج من داره إلا لمكتب تعليمه أو لأداء الفريضة جماعة، أو لاسترواح النفس عند سأمها.

مشيخته: أخذ عن الشريف سيدى إدريس بن إدريس البوعنانى علم الأوفاق وتوابعه وغير ذلك من العلوم الدينية والأدبية، وعن غيره من أئمة عصره.

الآخذون عنه: أخذ عنه الفقيه السيد محمد بن العربى غريط أحد الكتاب بالصدارة سابقا بالحضرة السلطانية، ومحتسب فاس الجديد حالا، وسيدى مشيش الومغارى، وسيدى عبد القادر بن بنعيسى آل الشيخ الكامل سيدى محمد بن عيسى أخذ عنه أصول الخط ومبادئ العرابية والفقه وعليه حفظ القرآن العظيم كما أخبرنى بذلك هو نفسه.

وفاته: توفى فى صفر عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة الشيخ الكامل حذو الجدار عن يمين الداخل الصحن الضريح المذكور رحمه الله.

٣٢٤ - محمد بن أحمد حلام المكناسى.

حاله: فقيه وجيه عدل رضى، من أعيان العدول المبرزين وأعرفهم بالتوثيق وأعلمهم، له يد فى عدة فنون وبالأخص النوازل الفقهية.

مشيخته: أخذ عن قاضيها العلامة السيد أحمد بن سودة، والسيد فضول السوسى، والسيد فضول ابن عزوز، وشيخنا الحاج المختار بن عبد الله وغيرهم.

وفاته: توفى أواسط جمادى الأولى عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف.

٣٢٥ - محمد يدعى منصور أبو منصور أبو عبد الله المرابط بن محمد بن عبد الله القادر بن محمد بوعزة بن سميه بن الولى الصالح السيد سعيد ابن عبد السلام آل الولى الكامل أبى عثمان سعيد بن أبى بكر المَشَنْزَائى.

دفين خارج باب الخميس من الحضرة المكناسية.

حاله: مجذوب ساقط التكليف، ذو كشف واضح، وأحوال خارقة، تَفِدُ الناس لزيارته والتبرك به ولا سيما النساء، يكاد مجلسه أن لا يخلو منهن، يسمى كل من يدخل عليه فى الغالب باسم منطبق عليه غير اسمه، إما تلميحا لبعض أجداده أو عائلته أو وظيفه أو وظيف يرشح له استقبالا، وكان ولوعا بشرب الأتاَى ولو بالماء البارد.

كان فى أول أمره يؤدب الصبيان بمنار جده أبى عثمان سعيد، ثم انتقل منه إلى قبة الذكر من الضريح المذكور التى بها ضريحة الآن، ثم بعد ذلك اشتغل بقراءة دلائل الخيرات وكان محبا فى الصالحين معتقدا فى كل من يشار له بخير، كثير التردد لسيدى عبد القادر العلمى، ثم من بعده لسيدى عبد الكريم بن الرضى الوزانى، لازمه مدة، قيل: إن سبب جذبه أن سيدى عبد الكريم ألبسه يوما من الأيام قميصا له فغاب من حينه عن حسه،ثم بعد لازم بيته وشاع أمره واتضح كشفه وكثر معتقدوه، وصار الناس يقصدونه فى المهمات والمدلهمات فيفرج الله عنهم الكروب وينيلهم المأمول، ودام على هذا مدة ليست بالقصيرة، ثم انتقل لضريح جده ولازم عتبة بابه لا يخرج إلا فى النادر لباب الضريح، ثم فى آخر عمره صار يطوف على أضرحة بعض الصالحين وبالأخص ضريح الشيخ محمد بن عيسى، وكان يدخل ضريحه راكبا دابته، زرته مراراً، وكان ينادينى قبل الاحتلام بالمزوار مولاى على بن المتوكل، ولم يزل ينادينى بهذا الاسم إلى أن لبى داعى

مولاه، وكان ربما أقسم على الله فأبره، يورى فى كلامه للزائرين بمقاصدهم وما يعقل توريته إلا العالمون.

مشيخته: قرأ القرآن وحفظه على المسن البركة المدرر السيد عبد القادر المدعو هويضرة البخارى والأسرار والمعارف عن سيدى عبد القادر العلمى، وسيدى عبد الكريم بن الرضى وغيرهم من الكمال.

وفاته: توفى ظهير يوم الأحد ثانى عشرى ربيع الثانى عام أربعة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن من يومه بضريح جده فى قبة الذكر، ولم يتخلف أحد من العلماء والأعيان الفضلاء فمن دونهم عن تشييع جنازته رحمه الله ورضى عنه.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول ابن عمنا النابغة مولاى عبد السلام المحب آتى الترجمة وذلك عام ١٣٢٣:

طلول عفت آياتها أدمع الطل ... وطال على أشخاصها العهد بالظل

طلول لسلمى لائحات رسومها ... كما لاح وشم الواشمات على رجل

ولم يبق من آثارها غير ما بدا ... على الخد من خيلان أوحدق نجل

تمشى بها الآرام كالروم فى الضحى ... فيحسبها المنتاب، من عدد النمل

بأتلع يغلى المسك فى عقد نحره ... فيغلو إذا أُهريق صائكه المغلى

وأحور مخضوب الأكارع والشوى ... خضيب بلا حنا كحيل بلا كحل

تهيج به هوج الرياح لواقحا ... فتعقب من نكبائها المحل بالمحل

ولو جادها من جود منصور ماطر ... لأسمع فى أرجائها دوى النحل

هو الوابل الهطال والأسد الذى ... يحامى بلا ظفر ويصمى بلا نبل

هو ابن أبى عثمان والوارث الرضا ... وهل يرث الليث الهصور سوى الشبل

مناقبه كالشمس فى رونق الضحى — وأسراره مثل الكواكب فى الليل
وفرع على أقوى الأصول نباته — وأطيبها والطيب فى الفرع بالأصل
أمولانا يا منصور إنى رضيعكم — فحنوا فإن الأم تحنو على الطفل
وإنى بلا ريب محبكم الذى — برابط راج منكم صلة الوصل
وإنى لخفاق الجناح إليكم — على نصه فى الشوق صرت لدى شغل
فياليت شعرى هل أبيتن ليلة — وأصبح فى مكناس حطت بكم رحلى
بمغنى السنا والعز والسعد والهنا — ومغنى الهدى واليمن والخير والفضل
بعود بلا تدخين ماء بلا قذا — عطاء بلا من وجود بلا مطل
وإنى إذا ما سرت نحو حماكم — فما سرت من أهلى إلا إلى أهلى
عليكم سلام الله ما فاح ذكركم — وعطرت من مسك الختام به قولى

٣٢٦ - محمد فتحا ابن عمنا مولاى على بن الكبير العلوى الإسماعيلى.

حاله: أستاذ فقيه عدل رَضِيٌّ، نزيه وجيه نجيب، كثير المطالعة لا يمل من السرد حتى يمل السامع، معمر للمساجد، متقن لعبادته، ربما تحرى الناس الصلاة خلفه لتطويله فى السجود والركوع، وكان يتعاطى خطة العدالة، ولم يزل يتعاطى الإشهاد حتى لبى الدعى.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول ابن عزوز، والسيد المهدى الوزانى، والسيد أحمد بن الجيلانى الفيلالى، وسيدى أحمد بن الخياط، والحاج المختار بن عبد الله وغيرهم.

وفاته: توفى متم شوال عام ستة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بضريح سيدى الورزيغى من حومة قعروردة، إحدى حومات مكناس الشهيرة.

٣٢٧ - محمد بن عبد السلام الطاهرى.

شيخنا قاضى مكناس.

حاله: فـقيه مـشارك، مـدرس مفت موثق نقـاد، متـضلع حسن الإدراك، متواضع، يعرف من أين تؤكل الـكتف، له معرفة كاملة ومهارة كـافية فى صناعة القضـاء، وكان مـجلسة مجلس تحـقيق وتدقـيق، وكان ممتع المذاكـرة مع إنصاف واعتراف بالحق حتى للمبتدئين من الطلبة.

تصـدر للعدالة بسـماط الشـهود، وتولى إمـامة مـدرسة الشـهود المعـروفة بالفيـلالية والنيابة فى القـضاء عن أبى العبـاس ابن سودة مدة مديدة، ثم اسـتقل بالقضاء فى الدولة الحفيظية، وصدراً من الدولة اليـوسفية، وأُخر عن خطة القضاء يوم الأحد الآخـر من شعبان عـام ستة وثلاثين وثلاثمـائة وألف، وتولى بعده أبو العباس بن أبى بكر عواد السلوى.

مشيـخته: أخذ عن العلامـة السيد محمـد بن الجيلانى السقـاط، والعلامة السيد فضول ابن عزوز، والسيد المختار الأجراوى، وأبى العباس ابن سودة وأجازه الأخير عامة.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله العرائشى، وشيخنا السيد محمد فتـحا السوسى، ومـولاى إدريس بن عمـر المطهرى، وابن عمنـا مولاى على ابن الشاد الأمرانى، والحـاج الجيلانى بن الباشا حـم بن الجيلانى، والسيد مـحمد بن مبارك الهلالى، وجامع هذا الديوان، ونقيب الأدارسة الحالى المولى راشد، والسيد العباس المسطارى وجماعة.

مؤلفـاته: منها نظم رسالة الوضع، وحاشـية على ورقات إمام الحـرمين فى الأصول، وكنت القـارئ بين يديه زمن تأليـفه إياها للمتن المذكـور بشرح المحلى، وحاشية السيد عبد الله بن خضراء السلـوى، وكان كثيرا ما ينتقد كلامه، وتويلف

فى جواز العمل فى الصوم والإفطار وغيرهما من الأمور الشرعية بالتلغراف، وتقييد فى جواز إنشاد شعر فى خطبة الجمعة، وسببه أنه كان أنشد بيتا من الشعر فى خطبته الأولى بعد بيعة السلطان مولاى عبد الحفيظ فسأله بعض تلامذته، هل إنشادها إياه منصوص عند الفقهاء؟ فكتب فى ذلك التقييد المذكور.

وفاته: توفى غروب الشمس يوم الأحد رابع شوال الأبرك عام تسعة بتقديم المثناة على السين وثلاثمائة وألف، ودفن من غده بالزاوية الكتتية من الحضرة المكناسية.

٣٢٨ - محمد بن حمدوش المكناسى الخزرجى.

حاله: فقيه أديب، ناظم ناثر، وقفت على عدة أشعار له، ومع الأسف قد أتى التلف عليها وصيرها فى خبر كان لا يمكن تلفيق بيت منها على وجهه، ولم أقف على تاريخ وفاته، ولا على شىء زائد على ما ذكر فى ترجمته.

٣٢٩ - محمد بن إدريس سميه بن عبد السلام ابن يوسف البوعنانى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه وجيه، نزيه ماجد جليل خير دين خاشع ناسك تقى نقى مبجل فاضل معتقد ذو شيبة منورة متبرك به مقصود للرقيا، له معرفة بالأوفاق وخواص الأسماء وكان مدررا يعلم الصبيان القرآن الكريم فنفع الله به وتخرج عليه من حملة القرآن عدد وافر.

الآخذون عنه: منهم العلامة مولاى الكامل الأمرانى وأخوه مولاى عبد السلام والسيد محمد السوسى والأستاذ العشرى السيد علال بن صالح، وقد تقدمت تراجم بعض هؤلاء كما أخذ عنه غيرهم ممن لا يكاد يعد كثرة.

وفاته: توفى عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف بالعاصمة المكناسية.

٣٣٠ - محمد أبو عبد الله الرجراجى المكناسى.

حاله: قال فى حقه بعض تلاميذه: الفقيه الأوحد، العلامة الفهامة الأمجد، شيخنا وبركتنا.

ولم أقف على زائد يتعلق بترجمته غير ما ذكر، وغير رثاء أبى عبد الله بن حمدوش المترجم فيما مر لم تُبق يد البلا منه غير قوله:

من للمجالس بعد فقد محمد كهف العلوم وعمدة الإقراء

من للمنابر والمحابر بعده من للفصاحة حالة الإلقاء

٣٣١ - محمد دعى حمود بن محمد بن العربى بن محمد فتحا بن العربى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه عدل رَضِيّ، مبرز موثق ماهر محقق، ناقد فاضل زكى، تقى نقى، ذو خط بارع ومروءة ودين متين، يقصده الوجهاء والأعيان وذوو الحيثيات للإشهاد فيما يعرض لأمانته وكامل معرفته وتحريه، وكان يسرد بالمسجد الأعظم الذخيرة المعطوية، والتفسير، وكان يجيد قراءة ذلك ويفهمه الخاص والعام، حسن النغمة، حلو القراءة، متواضع هين لين، وكان مرشحا لإقراء أصناء السلطان مولانا الحسن بداره العلية المحنشة، كما كان مرشحا لإقراء أبناء عمه مولانا العباس.

مشيخته: قرأ القرآن على البركة السيد محمد بن الحاج أغربى، والعلم على السيد المفضل ابن عزوز، والسيد محمد بن الجيلانى السقاط، والسيد أحمد بن سودة المرى، وشاركهم فى شيوخهم كالقاضى السيد المهدى ابن سودة وعن غير هؤلاء.

الآخذون عنه: أخذ عنه عم مولانا المنصور بالله مولاى أبو بكر بن الحسن

حفظه الله والشريف الفقيه العدل مولاى على بن الشاد الأمرانى آتى الترجمة، والشريف الفقيه مولاى أبو بكر بن العباس وغيرهم.

وفاته: توفى بمكناسة عام أربعة عشر وثلاثمائة وألف.

٣٣٢ - محمد الشريف الأصيل ابن الحاج عبد الله بن البركة مولانا أحمد الوزانى.

المكناسى الدار والإقبار.

حاله: زكى ذكى، حيى أريحى، مهذب هين لين، ذو أخلاق نبوية، وأحوال مرضية، فقيه نبيه، فاضل صالح فالح، بشوش صادق اللهجة من الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما، والذين إذا رءوا ذكر الله، وكانت له معرفة بالأوفاق والتنجيم، وإلمام بالنحو والفقه والحديث، مشتغل بما يعنيه، تارك لما لا يعنيه، مائل إلى الخمول، رحل لفاس فى طلب العلم ولازم بجد واجتهاد حتى فتحت له النجابة أبوابها، وأدخلته النباهة حجابها، ثم عاد لمسقط رأسه وأقبل على شأنه حتى أتاه اليقين.

مشيخته: أخذ عن شيخنا أبى محمد عبد السلام بنانى وهو عمدته، وعلى غيره من الأعلام.

وفاته: توفى ليلة الأربعاء ثامن عشرى رمضان عام واحد وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن بروضة أسلافه من الحضرة المكناسية.

٣٣٣ - محمد بن أحمد أبو عبد الله الوزانى الأصل المكناسى الدار والإقبار.

حاله: فاضل ناسك ذاكر معتقد، ذو دين متين، مشتغل بما يعنيه، مقبل على شأنه، معظِّم لأهل البيت النبوى محب لهم، استوطن أولا بمدشر موساوة

أحد مداشير جبل زرهون حتى عرف بالموسوى، ثم انتقل لمكناس وبقى بها معظما ملحوظا عند سائر الطبقات إلى أن لقى ربه، وكان ولوعا بالرماية مسدد الرمى ماهرا فى صنع البارود، وكان يلقن أوراد سلفه الوزانيين.

الآخذون عنه: فممن أخذ عنه شيخنا أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشى لقنه الصلاة المنسوبة للعارف أبى محمد التهامى بن محمد الوزانى، وهى: اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة أهل السماوات والأرضين، وأجر يا رب لطفك الخفى فى أمرى وأمر المسلمين يكررها، مرات ١٢٩ حسبما قرأت ذلك بخط شيخنا المذكور.

وفاته: توفى بين العشاءين من ليلة الاثنين ثامن محرم عام خمسة وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن حذاء ابن أخيه المترجم قبله يليه يوم الاثنين المذكور بزاويتهم الشهيرة، وحضر تشييع جنازته جمهور أهل البلد وغيرهم.

برد الله ثراه آمين.

٣٣٤ - محمد اليزناسنى.

٣٣٥ - محمد غازى.

٣٣٦ - محمد القباب.

٣٣٧ - محمد بن عزوز.

٣٣٨ - محمد الغمارى.

٣٣٩ - محمد الإسحاقى.

٣٤٠ - محمد دادوش.

٣٤١ - محمد الزرهونى الفقيه الأستاذ.

٣٤٢ - **محمد الزولاتى.**

٣٤٣ - **محمد الجرارى.**

٣٤٤ - **محمد اقلال.**

٣٤٥ - **محمد المطاعى.**

٣٤٦ - **محمد البوعصامى.**

٣٤٧ - **محمد بن محمد البوعصامى.**

٣٤٨ - **محمد مخلوف الأستاذ.**

لم أقف على ترجمة واحد من هؤلاء الخمسة عشر، غير أنهم كانوا من العلماء المدرسين بالجامع الأعظم الذين يقبضون المرتب العامى، كما ذلك بحسابات النظار المعاصرين لهم بتاريخ عام تسعة وأربعين ومائة وألف وفاتح الخمسين، لغاية أوائل محرم الحرام فاتح واحد وخمسين، وربما كان ذكر بعضهم قد تقدم فى التراجم السالفة.

٣٤٩ - **مالك ابن العناية بن المفضل بن خدة الغرباوى الزاووى قرارا ومدفنا.**

مشيخته: أخذ عن مولاى العربى الدرقاوى.

الآخذون عنه: أخذ منه سيدى إدريس بن الشريف جد ابن عمنا العلامة سيدى محمد بن أحمد، ومولاى الفضيل الشبيهى خطيب الحرم الإدريسى، وأخوه سيدى أحمد، وجل أعيان شرفاء الزاوية الإدريسية فى وقته، ولم أحفظ وفاته، بيد أنه كان حيا سنة ست وخمسين ومائتين وألف، وضريحه بالزاوية الدرقاوية قرب مزارة الضريح الإدريسى.

٣٥٠ - المختار بن الحاج الحبيب الأجراوى.

حاله: فقيه صالح ناصح مرشد علامة متبحر، متضلع نقاد، مشارك محقق، متقن حافظ لافظ، زاهد ورع، حجة جدا، واجتهد فى قراءة العلم وإقرائه والعمل به، ما شهد قط ولا أفتى ولا تعاطى سببا دنيـويا حتى قضى نحبه، قلما تجد أحدا فى وقته لم يقرأ عليه، ختم المختصـر إقراءً دون قراءته هو على غيره إحدى عشرة مرة، تسع منها بالقطب الدردير، واثنتان بالخرشى، وكان يحفظ التسهيل وغيره من مطولات الشروح.

حدثنى بعض العدول ممن كـان يلازم درسه أنه اشترى يوما كـتابا فى النحو مبـتور الأول والآخر لم يدر ما هو، فـجاء به إلى شيخـه صاحب الترجمـة يسأله عنه، فلما اطلع عليه أخبره أنه تسهـيل ابن مالك، وأنه كان يحفظه عن ظهر قلب منذ عصر قديم.

وحدثنى شيخى أبو عبد الله بن الحسين العرائشى أن بعض الطلبة طلب من المترجم أن يقـرأ معه تلخـيص المفتاح فـقال له إن شئت أقـرأ معك النصف الأول فذاك، لأنه الذى قـرأته على أشياخى، وأمـا النصف الثانى فلا أقـدر على قراءته معك لأنى لم أقـرأه عليهم، وذلك غـاية الورع، وكان إمامـا بمدرسة الشـهود ثم رشح للإمامة بالمسجد الأعظم.

مشيختـه: أخذ عن شيخ الجماعة الحاج مبارك الفـيضى، والسيد المهدى بن سودة، والسيد العباس بن كيران، والسيد محمد بن محمد بن العناية بن فقيرة.

الآخذون عنه: أخـذ عنه شيخنا الـقاضى محـمد بن عبـد السلام الطاهرى والسيد الغـالى ابن المكى السنتيسى وشيخنا أبو عـبد الله محمد القصـرى وشيخنا

---

٣٥٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٧٥.

السيد المعطى ابن عبود وشيخنا أبو عبد الله محمد بن الحسين العرائشى وغيرهم من أعيان العلماء النقاد.

وفاته: توفى رحمه الله يوم الأربعاء سادس ربيع الثانى عام ثلاثمائة وألف ودفن بروضة سيدى عمرو الحصينى ورثاه تلميذه السيد الغالى السنتيسى بما لفظه:

يا لهف نفسى على قوم عهدتهم	كانوا هم جنة من سواء أغيار
جادت بهم راحة الأيام فانبلجت	شمس السرور بهم من كل أقطار
من كل مكرمة عضوا بناجذهم	على فريدتها فى المنظر الفار
علم وحلم وزهد عفة وتقى	جميل ظن وصبر ثم سجوار
كفاك بأعلم منهم فقه مختصر	ونحو ألفية من خير خيار
إذا أساء إليهم فاحش صفحوا	وعن قبيح يغض طرف أبصار
لو أن رضوى أتى مع ضعفه ذهبا	إليهم أدبروا هم أى إدبار
لعلمهم أن مولاهم مطهرهم	لم تلتفت نفسهم لفتا لأكدار
وكيف والله ذو الأنعام ملبسهم	من التقى لبس أخيار وأبرار
يرون كل محب مخلصا ومقا	ويسترون مساويه بأستار
لكل نائبة يولى الزمان بها	صبر جميل إليها منهم سارى
لا يعذب العيش إلا فى جوارهم	وكان طول على من أمهم جارى
يبناهم كالذى قد قص وصفهم	مستوطنون سواد وسط إبصار
إذ صاح فينا غراب البين يندبنا	من قد ألفنا بهم من كل أوطار

فأصبحت كائنات الكون قائلة — أين الذى حبه فى طى أسرارى
أين الذى أمت الطاعات أمته — قد أوهنتها عبادة بأسحار
يا عين فابك عليه غير مصحية — واستفرغى الجفن منك كل أقطار
واستبكه كل عين مدمعا هطلا — واستمطريه كثيرا سحب أمطار
يا عين فابك فإما أنت باكية — فلا أمنت، المكروه والعار
فلست أرضى به حبا سواه عدى — أن يبدل الله مختارا بمختار

هـ من خطه وقد أثبتاها على ما بها تتميما للفائدة.

٣٥١ - المختار بن الباشا عبد الله بن احماد[١] السوسى الأصل، المكناسى الدار والإقبار، الصدر الأعظم.

حاله: عالم علامة فاضل نحرير، مشارك بشوش، كريم الأخلاق والسجايا، حسن السمت والبزة، كثير الصمت، هين لين، لطيف المحادثة، أديب أريب ناقد بصير سياسى ماهر، كاتب مجيد راوية للشعر وأمثال العرب، ممتع المجالسة والمذاكرة، مدرس نفاع، يتلقى بحث الطلبة فى درسه بكل إنصاف.

استوزره السلطان مولانا الحسن مع ولده مولاى عمر مدة خلافته بفاس، وكذا مع ولده وخليفته مولاى محمد وجعله السلطان المولى عبد العزيز وزيرا لعمه وخليفته بفاس مولاى عرفة.

ثم لما توفى الشريف مولاى الطاهر البلغيثى الكاتب الأول بالصدارة العظمى اختاره ابن عمه الوزير الصدر أبو العباس أحمد بن موسى المار الترجمة للتولية مكان المتوفى المذكور، حذرا من اطلاع الكتاب الأجانب على سر،

---

٣٥١ - من مصادر ترجمته: سل النصال فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٩٨.

(١) فى المطبوع: «أحمد»، والمثبت رواية سل النصال.

ثم رشح للصدارة العظمى بعد وفاة ابن عمه المذكور وذلك فاتح عام ثمانية عشر، ثم عزل أواخر ذى الحجة من السنة المذكورة، وأخرج من مراكش وسلب مما كان خرج به من ماله بعد مبارحته بأهله لها، وذلك أنه رجع يوما من دار المخزن فى موكب وزارته فوجد كل ما بداره محمولا والنساء ينتظرنه بالباب، وكتيبة من الخيل فى انتظار وروده لتذهب به لمكناس، فأركب نساءه وسافر صابرا محتسبا، ومن الغد أدركته كتيبة أخرى بالطريق وفى معيتها مكلف من قبل المخزن للإتيان بجميع ما خرج به من مال ومتمول، فسلب من ذلك كله على وجه التعنيف والانتقام.

قيل: أخذ له من خصوص الناض ستون ألف ريال، وصدرت الأوامر المخزنية فى اليوم نفسه لفاس بإحصاء جميع ما لديه بها وحيازة ذلك لجانب المخزن منفذ الأمر الصادر، وهو فى ذلك كله يقرأ قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ ... ﴿٢٦﴾﴾ [سورة آل عمران آية ٢٦] الآية ولما وصل رباط الفتح أنزله عامله على يده ومنعه من التوجه لمكناسة، وبقى فى حكم الاعتقال بالرباط مدة، ثم غرب لتطاوين تبكيتا له، وأقام بها مدة ينشر العلم، ثم أذن له بالتوجه لبلده مكناسة، ولما حل بها أقبل على نشر العلم وبثه فى صدور الرجال غير مبال ولا مكترث بما امتحن به من العزل وسلب بعض أمتعته.

ثم فى أول تسعر نيران الفتنة البربرية فى الدولة الحفيظية وذلك فى ربيع الأول عام ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، سلبه البرابر بمقربة من فاس جميع أمتعته وأثاثه، ولم يتركوا له ولا لعياله وصغار أطفاله زائدا على ما يستر العورة المغلظة، حيث إنه كان قادما من فاس لمحل استيطانه بمكناس بعد أن باع كل ما كان له بفاس من العقار وما لا يحتاج له من الأثاث، فرجع لفاس على حالة تخجل المروءة والإنسانية، وأقام بها مدة، ثم رجع لمكناس وأقام بها إلى أن وافته منيته، وقد كف بصره فى آخر عمره رحمه الله فصبر وشكر.

مشيخته: أخذ عن العلامة المحدث أبى محمد عبد القادر العراقى الفاسى المتوفى بالإسكندرية فى ربيع الأول عام ثمانية وثمانين ومائتين وألف وأجازه عامة، وعن جنون مختصر الرهونى، وسيدى إبراهيم التادلى المتوفى فى سابع عشر حجة الحرام متم عام أحد عشر وثلاثمائة وألف برباط الفتح، والقاضى العلامة سيدى أحمد ابن سودة، والسيد فضول السوسى، وأجازه عامة وقفت على إجازته له بخطه وهى عندى يظهر مما سطره فيها أنه يرى أن الإجازة شهادة وليس الأمر كذلك كما هو مقرر مشهور، وعن السيد فضول بن عزوز، وشاركهم فى مشايخهم، وأجازه سيدى على بن ظاهر المدنى عامة عن الشيخ عبد الغنى بن أبى سعيد الدهلوى بأسانيده المفصلة فى اليانع الجنى، وأبو العباس أحمد بن زينى دحلان صاحب الشهرة العظيمة وأجازه عامة.

الآخذون عنه: منهم شيخنا ابن عبد السلام الطاهرى، أخبرنى أنه قرأ عليه درسا أو درسين فى الخزرجية، وشيخنا العرائشى، وعمنا وشيخنا مولاى عبد القادر بن زيدان، وسيدى محمد بن عبد الله بن الطاهر المترجم فيما مر، والسيد الجيلانى بن حم، والسيد محمد بن حلام والمولى راشد بن على الشبيهى نقيب الأدراسة الحالى، والمولى إدريس بن عمر المطهرى، وجامع هذا الكتاب، وأجازنى رحمه الله عامة وغير من ذكر بفاس ومكناس وغيرهما.

وفاته: توفى بمكناس أواسط شعبان الأبرك عام خمسة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكتنية من حومة صدراتة.

٣٥٢ - المكى ابن القاضى أبى القاسم العميرى.

حاله: فقيه علامة نبيه عدل رضى مبرز مفضل، ماجد زكى، من صدور أعيان عدول سماط مكناسة ووجهائها الموثوق بدينهم وأمانتهم.

---

٣٥٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٤٦٧.

مشيخته: أخذ عن والده ومن عاصره من الأعلام الجلة.

وفاته: توفى أواخر محرم أو أوائل صفر عـام أربعة عشر ومائتين وألف، إذ قد كان بقيد الحياة ووقع الإشهاد عليه بوصية فى عشرى محرم من العام، وقومت داره بعد وفاته فى سابع صفر كما برسم الشهادة على العراف.

٣٥٣ - المكى بن المختار الحناش.

حاله: فـقيه عـلامة مفوه جليل عـدل رضى كان يتعـاطى الشهادة بسـماط العدول من أعيان وجوه صدور عدول الحضرة المبـرزين وقاداتها الأخيار المعتبرين، وقفت على نسخة رسم بشـهادته بتاريخ سادس شوال عام خمسة وسـتين ومائتين وألف، وتولى النيابة بالحضرة عن قاضى وقته.

وكان أوحـد زمانه فى الأدب والإنشاء نظمـا ونثرا، نساخـا للكتب، شديد المحافظة والضبط والإتقان، حتى انتقاه سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام لنسخ مهم الكتب بحضرته السلطانية.

ويقال: إنهم أشـراف أدراسة من ذرية مولانا عـبد السلام بن مـشيش، وإن سبـب ورودهم لمكناسة هو أن لصـا سرق جـدهم الأعلى وهو إذ ذاك صبى يـقرأ بالمكتب وأتى به لحضرة فاس زاعمـا أنه ابن له، والصبى ينفر منه ويفند دعواه إلى أن علم بذلك أولو الأمر وافتـضح اللص، فأبق ناجيا بنفسه، ولما فـشا الأمر وبلغ سيدنا الجد الأكـبر مولانا إسماعيل وجه علـى الصبى واستفسره عن حقـيقة الأمر فأخبره بالواقع فأبقاه بشريف أعتابه، وأدخله المكتب من جملة أبنائه ثم بعد قلائل جاء بعض أقاربه يتطلب أثره فدل عليه، فـأتى الأبواب السلطانية فأخرج له الصبى فتعارفا، وحن كل منهما للآخر، ولما تيقن السلطان صدق الواقع أمر الولد بالتوجه لذويه فامتنع الصبى من الذهاب لما رآه من البرور به والإحسان إليه، فأبقاه السلطان

من جملة أبنائه، وكبر فى عينه وأحسن لأهله وأكرم مثواهم ووفادتهم عليه، فرجعوا لأوطانهم مبتهجين، وبشكر صنيع السلطان لهجين.

ثم بعد مدة ورد والده بسائر أهله واستوطن مكناسة الزيتون، فقوبلوا بكل اعتبار من لدن الجلالة السلطانية، وقلدوا الوظائف العالية المناسبة لهم كالكتابة والنساخة والداً عن والد، إلى أن انقرض عقبهم والبقاء لله وحده، ولم يبق لهذا العهد من نسلهم غير امرأة مسنة تناهز التسعين، ومنها استفدت بعض الترجمة بواسطة والدها من غير نسبها، وإلى الله علم تفاصيل الحقيقة.

شعره: من ذلك قوله كما بكناشة أديب الرباط السيد محمد بن عمرو:

لما حللتم جنب اليم أمكم ... وقبل الأرض مسرورا بكم وربا
وصار يهدى إليكم من ذخائره ... وصاب بالحوت إكراما لكم وحبا
أعداه جودكم حسن شدوكم ... فاهتز لقرب منكم راقصا وحبا

وقوله:

محياك شمس الضحى المشرقة ... به حدقات الورى محدقة
وأسهم لحظك ترمى الحشا ... تخالها شهب السما المحرقة

وقوله:

يا من إذا الصبح أقبل ... حكى ضياء جبينه
ومن إذا الليل أسبل ... حكى سواد جفونه

وفاته: توفى فى حدود السبعين ومائتين وألف.

٣٥٤ - **المكى بن أحمد السوسى والد السيد فضول.**

حاله: فقيه عالم عدل زكى مدرس، كان يتعاطى خطة الشهادة بسماط العدول.

مشيخته: أخذ عن والده وغيره من مشائخ عصره.

الآخذون عنه: أخذ عنه ولده السيد فضول ومن فى طبقته، ولم أحفظ وفاته.

٣٥٥ - **المكى أبو زكرى المكناسى الأصل والدار.**

حاله: فقيه كاتب بذّ، حلاه الزيانى فى الجمهرة فى عدد الذين لازموا الأخذ عن مولانا سليمان فى المقام والترحال، ولم أقف له على ترجمة.

٣٥٦ - **منانة مزوارة المكناسية.**

حالها: مجذوبة ساقطة التكليف، تخرج فى أسواق مكناس بادية فى قشابة خضراء منقبة بثوب أبيض أو أحمر، كثيرة الوقوف عند باب المسجد الأعظم، وربما جلست ببعض الدكاكين تكلم الناس بكلام لين غالبا، ولها مكاشفات كالشمس الضاحية، تقول للناس: أعطنى كذا يكن لك كذا، هذه كانت حالها إلى أن لبت داعى مولاها.

قال الزبادى كنت أزورها كلما دخلت مكناس تبركا بها وبدعائها ولما قرب أجلها لقيتها بقبة السوق فسلمت عليها فقالت لى: إنى قد تزوجت جئت تحضر عرسى، فقلت: نعم، فقالت: عاهدنى على ذلك، فقلت لها إن شاء الله تعالى ولما رجعت إلى فاس مرضت وفى أثناء مرضى رأيت فى المنام أنى بمكناسة الزيتون وجازت جنازة عظيمة معها خلائق عديدة فسألت عنها، فقالوا: منانة مزوارة، فقلت فى ذلك المنام: الحمد لله الذى أكرمنى بحضور هذه الجنازة المباركة وتبعتها

حتى دفنت بروضة السيدة العلمية، واستيقظت ومن الغد وبعد الغد دخل بعض الفقراء وذكر لى أنه جاء من مكناسة وبلغنى السلام عن الإخوان هناك فسألته عن السيدة المذكورة، فقال لى: توفيت بالأمس رحمة الله عليها، ودفنت بروضة السيدة العلمية، وكانت لها جنازة عظيمة، فكان يصف لى وأنا أنظر فى ذلك.

وفاتها: توفيت سنة أربع وتسعين ومائة وألف.

٣٥٧ - المصطفى الشريف العلوى المدغرى ابن محمد الكبير بن عبد الرحمن بن محمد، عبد الله بن محمد بن طاهر بن قاسم بن عبد العزيز بن الحسن بن يوسف بن مولانا على الشريف.

حاله: علامة مشارك، له معرفة بعلم الأوفاق وتجويد القرآن، حسن التلاوة خلو الشمائل، كريم الأخلاق، له معرفة بعلوم القراءات درس ابن برى وختمه مرتين، ثم حدث به مثل جذب واعتراه قلق وضيق صدر، فصار يطوف على أضرحة الصالحين ويتطارح على أبوابهم ويدعو بقوله: اللهم إنى أسالك بمشاهدة أسرار المحبين، وبالخلوة التى خصصت بها سيد المرسلين، حين أسريت به ليلة السابع والعشرين، أن ترحم قلبى الحزين، وتجيب دعوتى يا أكرم الأكرمين، ويكتب ذلك فى أوراق ويلصقها بجدرات أضرحة الصالحين، ولم يزل ذلك شأنه حتى تيسرت له أسباب السفر لبلاده بالصحراء، فوجد شيخه العارف بالله مولاى المهدى نزيل أبار فى مرضه الذى مات به، فلازمه إلى أن انتقل لوطن الرحمة محمود المساعى، وكان يحدث عن شيخه المذكور أنه لما قربت وفاته أكثر من تلاوة قوله تعالى: ﴿ ... أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ ... ﴿٥٤﴾﴾ [سورة الأعراف آية ٥٤] ثم بعد وفاة المولى المهدى رجع لمكناس، وأقبل بكليته على القراءة تعلما وتعليما، ثم رحل لفاس وأخذ عن جهابذة نقادها الأعلام، ثم رحل لبلاده وذلك آخر العهد به.

مشيخته: أخذ عن ابن الجيلانى السقاط، والسيد فضول بن عزوز، والسيد محمد بن التهامى الوزانى، وشيخنا البركة أبى عبد الله محمد بن قاسم القادرى والسيد التهامى جنون، وأبى عبد الله محمد بن عبد الواحد ابن سودة المدعو الجلود، والشريف القاضى مولاى محمد، والشريف سيدى جعفر الكتانى.

وأخذ القراءات عن الأستاذ العلامة أبى عبد الله محمد التهامى بن الطيب الغرفى.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا العرائشى، والسيد محمد الواسترى، والسيد أحمد ابن فقيرة وغيرهم.

نثره: من ذلك قوله فى خطبة شرحه على منظومة الهلالى بالدعاء بأسماء الله الحسنى ولفظه: الحمد لله الذى تعرف لعباده بصفات الاتحاد والانفراد، وهيأ بتوفيقه من شاء لطاعته فقاموا بالجد والاجتهاد، وكشف عن بصائرهم بنور الهداية والرشاد، نحمده على ما أسدى، ونشكره على ما أولانا قديما وعهدا، وصلاته على سيدنا محمد نور الهداية والهدى، وعلى آله نجوم الاهتدا، وأصحابه أئمة الإقتداء، وبعد فهذا شرح لدعاء الهلالى، بأسماء الله الكبير المتعالى.

مؤلفاته: منها شرحه على نظم أبى العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالى فى الدعاء بأسماء الله الحسنى عنون هذا الشرح بالمنة الإلهية، فى شرح الأسماء الهلالية، ودونك مطلع النظم المشروح:

إذا نابنى خطب وضاق به صدرى ... تلافاه لطف الله من حيث لا أدرى

ولاسيما إذ جئته متوسلا ... بأسمائه الحسنى المعظمة القدر

٣٥٨ - المعطى بن العناية البخارى الغربوى السفيانى المعتكى من أولاد علال.

حاله: ناسك فاضل جليل، له مهارة تامة فى التوقيت والتعديل والحساب وما يرجع لتلك الفنون، يحسن كل ذلك ويتقنه إتقانا تاما، وكان يحفظ قراءة ابن كثير حفظا متقنا، كثير التلاوة والذكر، مشتغل بما يعنيه، تارك لما لا يعنيه، وكان سيدنا الجد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام نظمه فى سلك موقتيه الملازمين له حضرا وسفرا بعد أن كان مستخدما لديه فى جملة أصحاب فراشه المولوى، وكان يجله ويقدره قدره ويرضى أمانته حتى إنه رشحه لإقراء بناته، ولما كبر سنه ووهن عظمه تقاعد عن الخدمة السلطانية، واستقر بمحل استيطانه مكناسة الزيتون، فنفع الله به وبمعلوماته أقواما.

مشيخته: أخذ عن البحر الزاخر السيد عبد الرحمن بن محمد فتحا بصرى المكناسى وغيره.

الآخذون عنه: منهم الطالب بوعزة بن العربى الفشار، والعدل الطالب صالح الحلمونى المترجم فيما يأتى وجماعة من مهرة الحيسوبيين وأهل الميقات.

وفاته: توفى فى ربيع الثانى عام ستة وسبعين بموحدة ومائتين وألف، ودفن بروضة الولى الصالح أبى العباس أحمد المعروف بالضاوى من سوق الغزل الواقع خارج باب بريمة من حضرتنا المكناسية.

٣٥٩ - المعطى الشاوى المسكينى القرقورى نزيل مكناسة.

حاله: يحب فى الله ويبغض فيه لباسه حائك صوف وبرنس منه وقميص وعمامة صغيرة ذو أتباع وعيال، نفقته من الفيض الوهبى، نزيه عالى الهمة، كثير الخشية، لا تأخذه فى الله لومة لائم، له مشاركة فى فنون شتى، وأكثر دروسه فى التوحيد.

وكان فى أول أمره منعزلا عن الناس، مشتغلا بعبادة ربه فى خلوة بعيدة عن رهطه وعشيرته ثم فى بعض الأيام خطرت بباله مسألة اعتقادية حيرت ذهنه وعسر عليه فهمها، فرحل لفاس بإشارة من بعض أهل الخصوصية الربانية، ولازم العلامة الصالح الحاج محمد جنون مختصر الرهونى، ومن عجيب الاتفاق أنه أول ما حل بفاس حضر درس جنون المذكور ووجده يقرر المسألة التى أشكلت عليه، وكانت سبب رحلته فلازمه مدة حتى مهر وحصل غاية منيته فى فنون شتى، ثم رحل لبلده وتصدر للإفادة وأقبل على التدريس، وأسس زاوية لإلقاء الدروس، وإفادة الناس، فاشتهر صيته، وأقبل الناس عليه من كل صوب.

ثم مر السلطان المولى الحسن فى بعض حركاته على زاويته فلقيه واعتنى بشأنه ورفع المغارم وسائر الكلف المخزنية عن أقاربه وسائر المتعلقين بأذياله، فاشتد لذلك غيظ عامل بلده حسدا من عند نفسه، ولم يزل يضمر له السوء وينصب له حبال المكايد حتى قبض عليه وأودعه السجن ومكر به، ولما علم بذلك السلطان المذكور قبح فعل ذلك المتولى الخبيث، وسب وجدع وقرع ووبخ، وأمر بتسريحه حالا والإتيان به إليه على كاهل المبرة والإكرام لحضرته المكناسية، فأقام بمكناس واشتغل بالتدريس وإفادة الناس مدة، ثم رجع لبلده، ثم نقل لسطات بقصد تولية القضاء بها وبها كانت منيته.

وقد ظهرت له مدة مقامه بمكناس كرامات، وخوارق عادات، لازال المسنون يتحدثون بها، من ذلك ما أخبرنى به بعض من وثقت بخبره من الآخذين عنه الملازمين له أنه كانت عنده آنية من العود أعدها لطعام الأضياف تسع ملء الكفين مرتين، وكان يطعم منها العدد الوافر من الناس ولا تنفد، وأنه جاءه رجل بولديه يدعو له فقال له: ارجع بولدك فإنه ولى من أولياء الله تعالى فكان الأمر كما قال، نشأ ذلك الصبى فى عبادة الله تعتقده الخاصة والعامة ويتبركون به، ولم يحفظ عنه

ما ينقم عليه فى أمر دينه، وأنه كتب له بعض أهل مكناس كتابا فأجابه بقوله: أخانا فى الطين، فقيل له: لم لم تقل له أخانا فى الدين؟ قال: ما شهدنا فى وصفه إلا الأخوة فى الطين، ولا أثر عليه من الدين، فاستقرئت أحوال الرجل فوجد كما قال، وكان لا يأكل طعاما حتى يعرف حال صاحبه فإن كان من أهل الظلم والتعدى رده عليه، ثم إنه أكل يوما مع العلماء طعام السلطان فندم وبكى واستغفر الله من ذلك.

مشيخته: أخذ عن مختصر الرهونى.

الآخذون عنه: منهم السيد الطاهر السوسى وهو مخبرى بمحل ترجمته.

٣٦٠ - المعطى بن محمد بن الهادى بن عبود المكناسى.

حاله: عالم خاشع ناسك ورع، ذو عفة ووقار وهيبة، محب فى النبى ﷺ وآله، وسائر المتعلقين بأذياله، فاضل متبتل، واعظ خطيب مصقع، مدرس نفاع، عدل رضى، عارف بالتوثيق ماهر، كان إمام المسجد الأعظم وخطيب مسجد البراذعيين، سراداً للذخيرة المعطوية، وتفسير الثعلبى، وسيرة الكلاعى النبوية، وصحيح البخارى فى رجب وشعبان ورمضان، مستحضرا لأحاديثه تولى نيابة القضاء بالحضرة المكناسية، ورحل إلى الحج وزيارة خير الأنام عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف.

مشيخته: أخذ عن والده، وعن السيد فضول السوسى وهو عمدته وشاركه فى مشايخه كالشيخ مبارك شيخ الجماعة، والسيد العباس بن كيران، والسيد المهدى ابن سودة.

الآخذون عنه: أخذ عنه سيدنا الوالد، والشريف سيدى محمد بن إدريس

---

٣٦٠ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٦٧.

الشبيهى، والسيد عبد القادر بن أحمد العرائشى، والسيد الغالى السنتيسى، وكاتب هذه الأحرف، والفقيه الكاتب السيد أحمد بن محمد بن فقيرة والنقيب سيدى مشيش بن المختار الشبيهى، ومولاى إسماعيل بن عبد الرحمن العلوى، وجماعة من أعيان أهل العلم.

شعره: من ذلك قوله من قصيدة قرظ بها همزيتى الموسومة بكفاية المحتاج، فى مدح صاحب اللواء والتاج.

أعد المديح بزينب الزيدانى	فالوقت أبرز نغمة الزيدانى
كم أشعلت فى مهجتى حرقا وكم	سدلت على مآزر السلوان
برزت فأدهشت العقول بحسنها	ورمتهم بذوابل الأجفان

إلى أن قال:

همزية همزت عقولا وارتقت	بفصاحة وبلاغة وبيان

إلى أن قال:

لا زلت فى فلك السعادة ساميا	تجلى عليك فضائل الرحمن

وفاته: توفى ليلة الثلاثاء آخر يوم من حجة الحرام متم عام ثلاثين وثلاثمائة وألف.

٣٦١ - مغيث أبو الفضائل زغبوش القرشى.

حاله: فقيه عدل صالح، نبيه كامل ناصح، عابد سالك ناسك متبرك به فالح، ذو مواهب سنية، وأحوال مرضية سنية، وقفت على تحليته فى بعض العقود القديمة بالذكى العابد، الناسك المجاهد، قدوة العباد، وعلم الزهاد، قطب العارفين، وغوث المستغيثين، من ظهرت بركاته، وبانت مآثره وكراماته.

لا زال ضريحه مزارة مقصودة للتبرك إلى الحين الحالى موقعه قرب باب البرادعيين من هذه الحضرة المولوية المكناسية، وقد غابت عنى وفاته بعد مزيد البحث والتنقير، بيد أنى وقفت على عقد صداق لبعض عقبه مرفوع فيه نسبه إلى المترجم بتاريخ أحد عشر ربيع الثانى عام سبعة عشر ومائتين وألف، صاحب الترجمة هو الجد الحادى عشر له، وفى ذلك دلالة على تقادم عصره.

٣٦٢ - المفضل بن أحمد الفلوسى الزرهونى الوربى الأصل المكناسى النشأة والدار.

حاله: من صدور أعلام الدولة الإسماعلية، ودولة ولده مولاى عبد الله، وحفيده سيدى محمد رحم الله الجميع.

فقيه عالم، أصبح علمه واضح المشاعر والمعالم، خاتمة المحققين، وأوحد النقاد المحررين المدققين، منع وأجاز، وتصرف فى الحقيقة والمجاز، وجاز إلى بيوت الدراية على أوثق مجاز، حتى تصرف فى طرفى الإسهاب والإيجاز، ووعد العقول بسحر بيانه فاختار الإنجاز، وكان من العدول المبرزين، والقادات المميزين، فى طبقة أبى القاسم العميرى، والطالب بوعنان وغيرهما من أماثل الجهابذ وكان يتعاطى خطة الإشهاد بالأحباس وغيرها بتاريخ خمسين وواحد وخمسين واثنين وخمسين بعد مائة وألف حسبما وقفت على عقود بإشهاده فى الأزمنة المذكورة.

مؤلفاته: منها شرح على همزية البوصيرى سماه الفوائد الفكرية ومن فوائده فيه لدى قول المتن:

والأقاويل عندهم كالتماثيـ ـل فلا يوهمنك الخطباء

ما نصه: وقال آخر يعنى من العلماء ما من شىء إلا يمكن استخراجه من القرآن لمن فهمه الله تعالى حتى إن عمره ﷺ كان ثلاثا وستين استنبط من آخر

سورة المنافقين لأنها رأس ثلاث وستين سورة، وعقبها بالتغابن لظهوره بفقده ﷺ وتوجد نسخة منه بمكتبتنا عتيقة فى مجلد فى غالب الظن أنها بخط مؤلفه.

٣٦٣ - المفضل بصرى.

وقفت عليه فى زمام المدرسين بالجامع الأعظم من الحضرة المكناسية الذين يقبضون المرتب العلمى بتاريخ خمسين ومائة وألف، وكذا عام واحد وخمسين، ولم أقف على شىء من ترجمته.

٣٦٤ - المفضل بن العدل الزكى السيد الهادى بن أحمد بن المجذوب صنو العارف بالله سيدى الطيب بن على بن عبد الرحمن بن على بن عزوز.

دفين زغوان، بلاد قرب تونس كما بخطه.

حاله: بحر علم متلاطم الأمواج، ينسل الناس للالتقاط من فرائد فوائده فرادى وأزواج، فقيه جليل عالم بالتفسير والحديث والسير والفقه والأصول وعلوم البلاغة، ماهر مهارة كاملة فى جميع تلك الفنون وغيرها عدا العروض وقرض الشعر، مقتدر مستحضر، متقن للقواعد غواص على درر المعانى واستخراجها من أصدافها بذهن ثاقب وفكر كشاف، عارف بإدراج الجزئيات تحت الكليات، فصيح اللسان، ثبت الجنان، سريع الإدراك والجواب، مع إصابة صوب الصواب، شديد الولوع بالمطالعة، وقفت على عدة من كتبه الطبعية لا تكاد تجد حرفا واحدا فى الغالب إلا وأعاده بقلمه.

تولى نيابة القضاء ببلده مكناسة، وانتهت إليه رياسة النوازل والأحكام فيها،

---

٣٦٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٨/ ٢٨٢٦.

ثم رشح للقضاء ببلد القصر، وتقلد به تلك الخطة التى هو أحق بها وأولى، وذلك عام واحد وثلاثمائة وألف.

وكان خروجه من مكناس مسقط رأسه لمحل مأموريته القصر الكبير فى السادس عشر من ربيع الثانى عامه، ودامت توليته للقضاء ستة أعوام، ولم يشغله القضاء عن التدريس والتقييد، تخرج عليه قادات أجلة، وكانت دروسه للمنتهين أفيد ما خاض فى مسألة الإقرار فيها فنونا وأتى بما يبهر العقول، من منقول ومعقول فيبرز المعقول، فى قالب المحسوس بأسهل عبارة وأبدع أسلوب، له من المقدرة على التصرف فى الكلام والتفنن فى أفانين التعبير وتنويع الأمثلة ما أبهت كل معاند، لا يخشى أحدا، ولا يراقبه لين العريكة، يتواضع مع العالم والجاهل، يبتدئ بالسلام كل من لقيه عرفه أو لم يعرفه، يباسط الصغير والكبير، قليل السعد مع الولاة وذى الحيثيات، صادق الفراسة.

اجتمع يوما مع جمع حفيل من أعيان الأعلام فى وليمة وقد تأخر بعض الأعلام المعزومين عن الوقت المعين للحضور فيه، فسأل عنه رب المنزل فأجابه المترجم بقوله: إنه يطالع مسألة ليلقيها علينا، فلما جاء الفقيه واستقر به الجلوس، والتفت إلى المترجم وقال له أيها الفقيه ما معنى قوله تعالى: ﴿... وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ ... ﴿٦٠﴾﴾ [سورة الإسراء آية ٦٠] مع أن الشجرة لا تكليف عليها، فلا تستحق اللعن الذى هو الطرد عن رحمة الله، فنظر القوم بعضهم إلى بعض تصديقا للفراسة، ثم أجابه المترجم بما معناه فى الآية احتمالان: الأول أن يكون اللعن بمعنى الذم مجازا لا بمعنى الطرد، وهى أى الشجرة شجرة الزقوم قد ذمها الله تعالى فهى مذمومة، الثانى أن يكون المجاز فى الإسناد أى الملعون آكلها وهو الكافر قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الأَثِيمِ ﴿٤٤﴾﴾ [سورة

الدخان]، فلما فرغ المترجم من تقرير الاحتمالين قال السائل المذكور: والله أيها الفقيه إن هذا هو الذى قالوه فضحك الحاضرون وعلموا صدق فراسة المترجم.

وقد سأله يوما بعض الجلة من أعلام فاس بمجلس عاملها إذ ذاك السيد عبد الله بن أحمد عن قوله تعالى: ﴿... فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ... ﴿١٤﴾﴾ [سورة المؤمنون آية: ١٤] والحال أن العظام مكسوة لحما وجلدا فسكت المترجم، فقال له السائل: أنظرك إلى أن تطالع؟ فقال له المترجم: لا تنظرنى، فلا أخرج من المجلس إلا بعد أن أجيبك، وبأثر ذلك قدمت لهم حريرة[1] فتركت أمامهم إلى أن بردت يسيرا أو جعلت جلدا فنظر المترجم إلى السائل وقال له: ما على الحريرة من الجلد هو حريرة أو غيرها؟ قال: حريرة، فقال له: قد أجبتك فاستحسن السائل جوابه.

وسأله هل قرأت بفاس؟ فقال: الناس يشدون الرحلة إلى فاس بقصد القراءة على أعلامها، وأنا فاس شدت إلى الرحلة حتى قرأت، فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: أعلم أهل فاس السيد العباس بن كيران جاء قاضيا لمكناس فأخذت عنه، ثم لما قبضه الله إليه خلفه السيد الحاج المهدى ابن سودة، فكان مضارعا له فى سعة العلم والإدراك، وربما فاقه فأخذت عنه كذلك، ولم أحتج إلى ذهاب لفاس، فهذا هو الجواب، فاستحسن منه ذلك.

والذى يظهر لى أن الإشكال فى الآية المتقدمة غير وارد، وذلك أن الآية إنما سبقت للاستدلال على باهر قدرة الله تعالى وإلزام المنكر لإحياء الموتى الحجة، ولم تسق لبيان التشريح واستيعاب الأجزاء التى يتركب منها الإنسان، ويمكن أن يقال على تسليم ورود الإشكال إن العظام مكسوة باللحم لا بالجلد واللحم هو المكسو بالجلد، فوقع الاقتصار على المباشر غالبا.

---

(١) فى هامش المطبوع: «الحريرة دقيق يطبخ بلبن أو دسم قاله فى القاموس».

أو تقول فى الآية حذف الواو مع ما عطفت والله تعالى أعلم، وإنما قيدت بقولى غالبًا لأنه ربما باشر الجلد بعض العظام والنادر لا حكم له.

هذا وقد مدح المترجم غير واحد من الأعلام فمن ذلك قول بعضهم وقد ختم صحيح البخارى:

جادت بوصل قرة الأعيان ... ذات الجمال اليوسفى الفتان
جاءت تميس كأنها بدر الدجى ... فى غاية الإشراف واللمعان
أهدت لنا من عطفها روحا سرى ... كالروح فى الأحشاء والجثمان
أفنى فؤادى حبها ولطالما ... كابدت فيه مرارة الهيمان
يا لائمى فى حبها ومعنفى ... دعنى فما منها قسيت كفانى
لو عاينت عيناك ما عانيته ... لغدوت فى أسر الهوى متفانى
لكن فؤادك منه خلو لم يذق ... ما ذاقه الحذاق من الحان
أهل الهوى أهل الوفا أوصافهم ... محمودة من سالف الأزمان
كيف السبيل إلى السلو وقد حوت ... رقى وأفنت مهجتى وجنانى
فهى المنى وهى الهنا وهى الغنى ... وهى الشفا مما برا وعنانى
لا يسلنى عنها سوى ختم البخا ... رى عند طود الخير والعرفان
الفاضل العلم المفضل من غدا ... فى النيل مشكور بكل لسان
الفاضل بن الفاضل بن الفاضل ... بن الفاضل بن الفاضل الربانى
الطيب العطر الهمام المرتضى ... شمس الهداة السادة الأعيان
العالم العلامة البحر الذى ... جلت مناقبه عن الحسبان

ذاك الذى صحت دلائل فضله ... وكماله من غير ما برهان
الألمعى اللوذعى الأريحيـ ... ـى وسيلتى ومنيتى وأمان
هذا هو القدر الرفيع وذا هو الـ ... ـركن المنيع مؤسس الأركان
هذا ابن عزوز وحاش جاهه الـ ... أسمى يعزز فى الوجود بثانى
هذا هو البر الزكى المحتمى ... بحماه فى سر وفى إعلان
أخلاقه محمودة أحكامه ... فى غاية الإحكام والإتقان
آدابه غرا وآية فضله ... كبرى فلا تحتاج للتبيان
همم له شما سمت أسمى السما ... وعلت معاليه على كيوان
ما شئت من حلم ومن علم ومن ... كرم ومن حسن ومن إحسان
فالزم مجالسه السنية تلق ما ... تبغيه من فهم وسبك معانى
وتجد بها بحرا يموج ذكاؤه ... بلطائف ودقائق وبيان
وترى الفصاحة والصباحة والسكينة ... والوقار هناك رأى عيان
وترى الختام الأسعد الباهى المنيـ ... ـر المشرق المتلألئ النورانى
ختم شريف طابت الدنيا به ... وتتوجت بمفاخر التيجان
ختم شريف أشرفت أنواره ... وبدت بجامعنا الكبير الشان
له ختم خصنا المولى به ... وأزال ما بالقلب من أدران
عمت مواهبه وعم نواله ... كل الورى قاصيهم والدانى
فالله يحفظ ذا الهمام وجاهه ... من سائر الأغيار والحدثان
وينيله ما شاء من خير وإقبال ... ومن عز ومن سلوان
ما ضاع مسك ختامنا الزاهى وما ... جادت بوصل قرة الأعيان

وقول آخر:

زارت فــأزرت بــالنقــا والــبــان ... تفـــتـــر عن در زها وجــــمــــان

غـيــد تلألأ نورها فـأضــات الـ ... أرجــاء بالإشــراق والــلمــعــان

حـيت فـأحـيت كل صب هام فى ... ذاك المحــيــا الفــائـق الفــتــان

فـاستنـشقت أرواحنا مـن روحهـا ... عــرفـــا ذكــيـــا عم بالــسلوان

بزغت مـن الفلك المضـى لكنهـا ... سـقط العـشـاء بهـا على سـرحـان

ظلت تـقـــد العـــاذلات بقـــدها ... وترى الغـــوانى نخـــوة الميــســان

أنى يمــاثل حــسنهــا وجـمــالهــا ... بدر الـدجى وخـــرائد الغـــزلان

عجـبا لريم راضـت الأسد الغـضا ... ب إلى حـمى الإسـعاف والإذعـان

لما درت أن أرقـــــتـنى بــالنـوى ... رقت فـــراقت مـهـــجـــتى وجنان

إذ طوقـت حلى المكـارم والوفـــا ... وتســـربلت بـلطائف الإحـــســـان

وتتـــوجت بشـــراف أخـــلاق تهـ ... ـز الـراســـيـــات بلازم الإمـكان

وأرت بمعـــصـــمـــهـــا المســـور آية ... منهـــا شـــاهدنـا باهر البـــرهان

خل العـــواذل لو تسـارع غـــيـهم ... للإفـك هاذى قـــرة الأجـــفـــان

هذى التى منها الصبـاحة أفصحت ... للـفـــاضلين بـدرة العـــرفـــان

هذى ذكـاء فـريدة العـقـد النفـيـ ... ـس من هبــتك قـلائد العـقـيــان

هذى التى زفـت لكفـؤ شـاقــهـا ... وهنـانة مـــا إن لـهـــا من ثـانى

بدر سـما فـوق السـما بصـباحـة ... علم الأجـــاود غـــرة الأعـــيـــان

قـد فاق أهل الفـقـه بالتوفـيق والـ ... ـتـدقـيق والتـحــقـيق والتـبـيـان

جبذ الشوارد من علوم أحجمت عنها الليوث فقادها بعنان

وأتى الحديث بعفة ونباهة فجلى عنا الأصداء والأدران

وأماط عنه خماره فأقره قاعا قريرا فى قرى الأذهان

فعنا له التحرير والتقرير والـ ـتصدير فى سر وفى إعلان

وغدا يعرف بالثقات عن الثقات بنقله من غير ما ديوان

بفضيلة التدريس والتدريب فى أحكامه شهدت له الثقلان

هل كل من أقرأ البخارى راق من يصغى إليه فمال كالسكران

ما مثل قاضينا ابن عزوز المفضل حسن روض عاطر فينان

أعطاه ربى رفعة وسيادة وكلاءة من صولة الأزمان

أو ما هو ابن الأوليا وكريمهم هذا المهذب سيد الأقران

أو ما مواهب ربنا هذى التى ظهرت عليه من رضى الرحمن

خال الصفا فتواصلت أمداحه فى كل قلب نير ولسان

لو لم يكن أهلا لكل جليلة ما أوتى الفصل المزيح الران

لما تصدى للحديث ففاز منـ ـه السامعون برقة وحنان

لله من ختم بمسجدنا المعـ ـظم ليلة القدر ارتقى لعنان

حضرته أهل الفضل يا بشراهم فازوا برأفة ربنا المنان

إن ابن إسماعيل نور يهتدى بكتابه فى حالك الديجان

لمَّ الأحاديث الصحاح وجاء فى أبوابه بمفاتح الإيمان

فهو الرشاد أمن بغاه فانتهج بسبيله تحظى بأى معان

تخذ الأساتيذ العظام أئمة ... أكرم بهم من ستة تيجان

ملكوا زمام العلم والتقوى فمن ... يقفو طريقهم اكتفى بأمان

غرفوا من اليم الخضم شهامة ... فسقوا معينهم لذى الإمعان

حياهم المولى الذى سناهم ... لحبا الرضا وعناية الرضوان

وأمدنا من عطفهم بالمبتغى ... من مالك الملك العظيم الشان

سبحان من يعطى لكل ما نوى ... ويقيل عثرة ذا الأسير العان

من يرتجى مدد النبى محمد ... صلى عليه الله كل أوان

وعلى الصحاب وآله ما قيل قد ... زارت فأزرت بالقنا والبان

وقول آخر:

حديث الصبا رويته عن قرنفل ... عن الورد عن زهر الربيع المفضل

عن الآس والنسرين والياسمين عن ... أكارم زهت بالقيقلان وصندل

عن الملك عن عرف البنفسج عن سنا ... رياض أنيق فيه راق تغزلى

عن الجزع عن نشر الخزامى فلعلع ... فربع بنى سعد خيام التجلل

عن الشعب عن جيران ساكنة الحمى ... حمى له فى كل المسالك موئلى

عن الشوق عن قلبى عن الوصل عن لقا ... حبائب منهم الغزالة تجتلى

عن الفجر عن صبح تلته لويلة ... تنزلت الأملاك فيها من العلا

فناهيك من صبح تلألأ نوره ... بختم البخارى فى ضحاه المهلل

تاب جليل أظهر الله سره ... فخص به التعظيم فى كل محفل

تفرد بالإسناد عن ستة هم ... ذوو العزم فى أبناء أكرم مرسل

حباهم من أولاهم كل رفعة ... وبوأهم من فضله كل منزل

فسادوا جميع الناس حيث تأهلوا ... لجمع صحاح حبها كل أمثل

فجاه ابن إسماعيل سيدنا الرضا ... محمد النحرير دون مترا على

لذلك مزاياه توالت وأنهجت ... لنا سبل الإرشاد رأد تأمل

فقراؤه والسامعون كفاهم ... تغشاهم الإشراق من نوره الجلى

أما ثملوا لما سقوا جام عطفة ... أصارتهم فى زمرة الحزب الأول

فيا آل بدر ها مشوقكم رجا ... بجاهكم يحظى بكل مؤمل

فأنتم وقاية الضعيف وأنتم ... وسيلة أندادى عليكم معول

فمنوا وجودوا واعطفوا وتفضلوا ... على عسى ما هال قلبى ينجلى

فإنى مكظوم وحالى ما خفى ... على علمكم يا جيرة الجانب العلى

وها بالبخارى جئتكم متوسلا ... فحاشاكم تثنوا على توسيلى

وبالجامع الكبرى التى ضاع نشره ... بها عند تدريس الفقيه المبجل

من امتاز فى هذى البلاد ببره ... وصار نجيبا فاق كل مفضل

ولا غرو إن الفرع يتبع أصله ... وكيف وهذا من سلالة أفضل

تشبث صان الله ربى شبابه ... بمن سن إيضاح الحديث المسلسل

فأصبح يقفو نهجه بدراية ... ففض وثاق القفل عن كل معضل

وأوضح أبواب الوصول لفهم ما ... تقاصرت السباق عنه بأجمل

فإدراكه لا يمتطيه مشارك ... فيال ابن عزوز الزكى المفضل

أنور الدياجى لا برحت مفضلا ... بريئا نزيها عن أذى المتقول

وقــاك الذى رقــاك أسنى منصــة مـراقى العـلا عنهـا تراءت بأسـفل

وتوجك الـتـقــوى لتــزداد عــزة وعلمًــا بأحكام الكتـاب المـفـصل

وأعطاك مــن يحـيـى النبى إجــابة كـمـا زكـريا قــد أجيـب بأنبل

ولا برحت عليـاك يبـرق سـعـدها فـتـرغم من شـاناك بالعـز الأكـمل

وهاك أبـدر التـم منى خـــريدة تحلت بـعـقــدها الـنـفـيس المكلل

بختم البخارى ضـمت الحسن والبها وأصـبح منهـا الجـبد غـيـر مـعطل

بهـا فكرتى رامت قـبولا فـجد لهـا بما تـرتوى مـنه فــإنك مـنهـلى

وإنك ممن حـــاز علمـــا وســوددا وفـــاز بمجــد فى البــرايا مـؤثل

فـإن تفتـخر فـاس بأعـلامهـا فهـا سنـاك بمكناس جـــدير الـتــهـلل

فلا شك هذا الختم مفـتاح رحـمة من الصـــمـد الأعلـى إليـه تبــتل

أيا يا عالم النجـوى ويا سامع الدعا ويا كـاشـف البلوى دعـاى تـقـبل

وجد واعف وارحم وامح كل جريمة تخلـلتـــهــا فى ســابق ومــؤجل

وأخلص لوجـهك الكريم مـدائحى فـقد طل فى الأهواء قـدمـا توغلى

وعن أمـة الهادى الشـفيع مـحمـد تجـاوز إذا الصـفح العظيم التـفـضل

وصل عــليـــــه يا كـــــريـم وآله وأصـحـابه أولى الـرضـا والتـوكل

صــلاة تنـاجى بالبـشــائـر من يقل حـديث الصـبـار وتيـه عن قـرنفل

إلى غير هذا مما لو تـتبعناه لجاء فى مجلد ضـخم ولكن ما لا يمكن كله لا يترك كله.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة فى وقته بالحضرة المكناسية السيد مبارك بن

عبد الله الفيضى المترجم سابقا، والسيد العربى بصرى المدعو قطيطة، والسيد المهدى بادو، والسيد المهدى بن سودة، والسيد العباس بن كيران وغيرهم من الفحول النقاد.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا الحاج المختار بن عبد الله، وشيخنا أبو عبد الله محمد بن عبد السلام الطاهرى، وشيخنا أبو عبد الله محمد القصرى العبدرى[1]، وأبو عبد الله المدعو الهويج، والعلامة السيد التهامى بن عبد القادر المدعو الحداد، والعلامة الأديب السيد الغالى بن المكى السنتيسى، والشريف مولاى المصطفى بن عبد الرحمن المترجم فيما مر، والسيد إدريس بن اليزيد، والشريف سيدى محمد بن العربى المنونى، وشيخنا أبو عبد الله محمد العرائشى حفظه الله، وخلقٌ.

مؤلفاته: منها كشف الران، عن قلب مانع الزيارة ومفضل الوظيفة على القرآن، والنصيحة الشافية النافعة للطريقة الدرقاوية، وشرح على رجز سيدى العربى الفاسى فى الذكاة اختصر فيه شرح الزياتى، وكواكب البسملة، وشرح على أبيات الهلالى: ألا يا لطيف لك اللطف إلخ، وشرح على الألفية لم يكمل، وشرح على الهمزية لم يكمل وغير ذلك.

وفاته: توفى فى شهر صفر عام تسعة عشر وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الكنتية بحومة صدراتة من العاصمة المكناسية، وقد رمز لوفاته أحد نجباء تلاميذه وهو السيد إبراهيم بن محمد بن قاسم المسطاسى بحروف (حمدا وشكرا وزهدا حاز) من قوله:

هذا ضريح سليل الأكرمين ومن	قد فاق مجدا وعلما سائر العلما
هذا المفضل نجل القرم من فخرت	به الدنا فامتطى من فخره السنما

---

(1) فى الموسوعة: «العبدوى».

عـبد الهـاد بن عـزوز وذلك من غـدا وحيـد الدهور مـفردا علمـا

وإن ترد على عام القض فابغ تجد (حمدا وشكرا وزهدا حاز) فاكتتما

٥٣ ١٢٢٧ ٣٢ ١٦ ج ١٣١٩

٣٦٥ - المفضل بن المكى بن أحمد السوسى.

المكناسى النشأة والدار، الفاسى الإقبار.

حاله: كـان رحمه الله صدراً شـهيراً علاما أصـيلا، جم التحصـيل، قوى الإدراك، منطلق اللسان، مشارك نقاد، حسن العبارة، مقتدر على التفنن فى أفانين التعبير، إمـاما فى العربية، ذا هيبة وجلال، وحزم وعـزم، لا يقدر أحد أن يكلمه فى مجلـس درسه، ما سـئل عن شىء إلا رد السائل مـسئـولا، ذا سمت وتؤدة، شديد المحـبة فى الصالحـين، كثير الزيـارة لهم والبحث على التعـريف بهم ونشر كراماتهم، وجيها عند الأمراء والولاة، مبجلا عند العظماء، مسموع الكلمة.

وكان يقرأ فى دروسه الليلية عدة مـؤلفات فى مجلس واحد يتخلص من فن لآخـر بأبرع تخلص وأحسنه، لا يـجارى فى ذلك ولا يبـارى، لا يقدر أحـد من الآخذين عنه فى حلقة درسـه أن يتحرك أو يتنحنح أو يفوه ببنت شـفة، يجلسون أمامـه كأنما على رءوسهم الطيـر، ثم إنه ترك القراءة فى آخر عـمره ولازم الوزير أحمـد بن موسى إلى أن لبى داعى مولاه، ثم لازم المـتولى بعده المهـدى المنبهى، ولم يزل يظعن بظعن السلطان ويقيم بإقامته إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن شيخ الجماعة الحاج مبارك الفيض، وأبى الإسعاد المهدى ابن سودة، وأبى اليمن العباس بن كيران، وأبى الفتوح الهادى بادو، ووالده السيد المكى وغيرهم من الأعلام.

الآخذون عنه: أخذ عنه شيخنا الحاج المختار بن عبد بن أحمد، وشيخنا أبو

---

٣٦٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٨/ ٢٨٢٩.

عبد الله محمد القصرى، وشيخنا الحاج المعطى بن عبود، والعلامة الأديب السيد الغالى بن المكى الستيسى، وابن أخيه السيد محمد فتحا السوسى، وأخوه السيد محمد السوسى، والسيد الطيب بنونة، وابن عمنا سيدى الحسن بن اليزيد، والوزير أحمد بن موسى فى جماعة من الأعلام.

نظمه: من ذلك قوله جامعا بين قول الشيخين القاضيين فى مدح السفر وذمه:

أقول وقول الحق يعظم وقعه ... تخالف طبع الناس مبنى الطرائق

فإن رمت تحقيق الحقائق سلمن ... أمورك للمولى تكن خير واثق

نثره: من ذلك قوله مجيبا ابن عمنا الفقيه الأديب الأكتب مولاى إدريس بن عبد السلام الأمرانى ولفظه ومن خطه نقلت: هلال اليمن والسعد والسعادة، الدال مبتدأ بزوغه على خير أكمل زيادة، غصن شجرة أصلها ثابت المحاسن بلا ريب، وجدول حديقة الفضائل السالمة من النقص فى علم الغيب، الطالع السعيد، فى أفق الرشاد والمجادة الحميد، من برع على الأقران، وانهزم بين يدى رشده حزب الهوى والشيطان، واقتنى كنز الحياء ساعيا فى المرضى بلا توانى، ولدنا حقا بمحبته الصادقة مولانا إدريس الأمرانى، لازالت الكمالات تخدم أبوابه، والسعادة ترتضى أسبابه، وأمنه الله من كل مخوف وحفظه وسلمه على الدوام، عن خير من أنام الأنام، فى ظل الأمان مولانا الإمام، أدام الله مجده وأناله جميع المرام.

أما بعد فقد وفى لذيذ خطابك المطرب، وعجيب بليغ فصيح إعرابك المعرب، مقرطا به ومشنفا، حتى لم تبق فصاحتك المفحمة على الحقيقة معارضا ولا معنفا، فيا لها من جواهر استحقها بالأصالة من أعارها، ومعارف لا ترضى بمفارقة من أنارها، فكل فضل فى العالمين، فمن فضل جدكم سيد المرسلين، عليه أفضل الصلاة وأزكى التحيات فى كل وقت وحين، فبجاهه وحرمته عند الله تعالى نسأله أن يبرد لهيب الاشتياق، بتحيات المشافهة والمعاينة وحسن التلاق،

ولولا[1] ما جبل الله سبحانه عليه هذا الحب العـزيز المثال، الذى لم ينسج على منواله فيما يظهر لأحد بمنوال، من علا قدره وطاب سره، وحسن بين الناس كغيبة علانيته وجهـره، الفقيه العلامة الوزير الأرشد، الأسعـد الأمجد، المسئول لنا وله من المولى الكريم فى كل وقت حسن العاقـبة، وكمال الحفظ والسلامـة كما نسأله سبحانه أن يرزقنا وإياكم التوفيق والإعـانة، ويجعلنا من أهل طاعته وطاعة رسوله ومن الحافظين للأمـانة، وأن يفتح علينا وعليكم، ويرضى أفعالنـا وأفعالكم، ولا بأس على الحب الأود، الأعز الأمجـد، الصادق فى الود شهادة وغـيبا. ولم يكن لعدو أن يثبت له عـيبا، والدك حفظه الله وجعل الضـيافة التى كان فيـها طهوراً؛ وجعل عقب ذلك سـرورا وحبورا ونورا، ولما أطلعت علم الفقـيه الوزير، بكتابك الحبير المنيـر، تهلل وجهه نشاطا، واغتبط بمثلك اغتبـاطا، وأعجب كل الإعجاب فأفصح فى الدعاء الحينى الأحسن، وشهد بأن هذا أفضل هدى وسنن، وعنده من خبر ضيافة الوالد ما أغنى، وهو بأموره وأمور أمثاله أعنى وأغنى وأقنى، كما ثبت عنده من نصحه وصداقته وبره ومروءته، فـالحمد لله الحمد لله والسلام وفى رابع جمادى الأولى عـام ستة عشر وثلاثمائة وألف المفـضل السوسى لطف الله به من خطه.

وقوله من رسالة خاطب بها بعض أصـدقائه المخلصين وكلفه فى النيابة عنه فى إعلام أحد تلاميذه النجباء الجلة، وهو ابن عمنا مولانا الحسن بن اليزيد العلوى بوصول رسـالته التى أصدرها له ويعلـمه بأنه متـهيئ لجوابه ولفظ الغـرض منها: واعلم أن الشريف المحبوب، المخصوص من الله الكريم بأفضل موهوب، قد وجه رسالة عـجيبة، ترى النفس من بلاغـة تلك الرسالة، أن أجوبتـها غير وافـية ولا مصيبة، فهى جداول بلاغة جرت فتضاءلت البحار، وأسرار مواهب سرت فأذعنت لمحاسنها وجميل محياها الأفكار، أعنى بذلك النبات الطيب معدنه وأصله، الحسن

---

(١) فى هامش المطبوع: «أغفل جواب لولا صح مؤلف».

فصله ووصله، ابن من فضله من شرف سيد الورى ﷺ يزيد، وكل خطاب زورته في نفسي ليكون جوابه كان لمبتدأ تلك الرسالة شاهدا بأن خبرها له مزيد، وربك يخلق ما يشاء ويفعل ما يريد.

ولما عزمت على ممكن الجواب فى المستقبل، عجلت لك هذه التخبرة بأنى لا أضيع فصاحته البارعة الفائقة، بل تكرم وتعز وتقبل، ولا عطر بعد عروس، وهكذا تكون طيبة الغروس، زادنا الله تعالى وإياه من الفضائل والكمال، وأصلح أحوالنا فى الحال والمآل، ولا تقصر فى إكرامه باللائق، وإنما جعلت لك النيابة عنى فى أمثاله لأنك المحب الصادق، وقد بالغ حفظه الله فى الأوصاف، فتح الله بصيرتنا وبصيرته وألهمنا الصواب وباعدنا من الإطراء والإجحاف،، وجعل سلوكنا سواء الطريق، وألهمنا الرشد والتسديد والتوفيق، آمين والسلام فى ثامن شوال عام ستة عشر وثلاثمائة وألف.

وقوله فى جواب الرسالة المشار لها تبارك الذى من هيبته وجلاله وعظمته سبحت بصريرها الأقلام، وخضعت لكبريائه وسبحت قدسه سطرر السماء طروس الأرض ودفاتر جهابذة الفصحاء الأعلام، أرسل أفصح البلغاء وأفضل الرسل لإبلاغ ما حمله فقام به أحسن قيام، وأمر بالمستطاع من عمل البر فمن أتى به لا يذم ولا يلام، ونحمده ونشكره، ونذكر بنعمائه بعض من يكفره، على ما أنعم به من الخير المزيد، المقدر فى الأزل لمن شاء من العبيد، فلا يقدر أحد منهم على نقض ولا إبرام، ونسأله الغفران لذنوب أوقفتنا لباب الاضطرار، وسترها بسعة رحمته وكفى بكرمه ومنته شؤم الإصرار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من ظن كما أمر بربه الجميل، فنال أفضل مرغوب ومسئول ومأمول من عطاء خالقه الرب الجليل، ونشهد أن سيدنا ومولانا محمد عبده ورسوله المحبوب، عين الرحمة المهداة

المبعوث ببيان السبيل الموصلة فى الدنيا والآخرة لنيل كل مرغوب، صلى الله عليه وعلى آله سفينة النجاة والأمن والأمان، وصحابته الجلة الكمل المقتدى بهم فى تحقيق إخلاص الطاعات وبمحبتهم الكاملة زيادة الإيمان، صلاة وسلاما نخوض بهما بحار المعرفة، ونتحلى فى الدنيا والآخرة بأحسن حلة مرضية فى الدين وأفضل صفة.

أما بعد فالله أكبر ولا أكبر سواه، فسبحان من صور الخلق كيف شاء فأحسن خلقه وعدله وسواه، ولا حول ولا قوة إلا بالله، الذى جعل الأسفار مطايا الرسائل، وممكن نيل الوسائل، ومجرى مجار الفواضل والفضائل، بتوالى الغدايا والأصائل، ومظهر ما تقر به العين وتنشرح به الصدور، من أسرار نتائج الأرواح أصحاب الصدق والمحبة الواصلة الموصلة لنيل الحبور، لما تضمنت أضلاعهم وانطوت عليه من خالص البر وصادق البرور، خصوصا من طاب أصله وفضله، وقد شب حسن خلقه وكرم فعله، حائز قصب السبق فى مضمار الأدب والحياء والمروءة والعفة والسماحة، من أصوله الطيبة ومعدنه المتأصل فى كمال الذكاء والرجاحة، حافظ زمام اللسن، الشريف الحيى التقى النقى الملقب بالاسم الحسن، فقد أجادت قريحته اللطيفة فى رسالتها كل الإجادة، وبنات شفته نثرت على الأسماع جواهر المعانى وأفادت أكمل الإفادة، فلله الحمد وله الشكر والثناء الجميل، حيث أظهر بما قدره من هذه الأسفار من أولاد الروح مثل هذا القيل، وشاهدت الأبصار ما تقر به العين، وانتعشت الأسرار بما أملته فيهم فكان بمنظر منها ومسمع قبل أوان الحين، وهذا بحمد من له القدرة والحول، يجبر خواطر كراسى العلم والمسجد الكبير ويقشع عنهما سحاب توهم الحنين والأنين والتحسر والهول.

فحيث حللتم هناك بهذه الأحوال العجيبة، والأقوال اللطيفة المصيبة،

تراجعت أمواج هيجان الوجد، فبشروا المحبين بالقفول القريب إن شاء الله تعالى وحلول النير المنير فى برج السعد، ولو تذكرت الكراسى والمسجد ما تلى هناك غير ما مرة فى أسباب الخروج من الأوطان والرحاب، من سفر لتجارة أو هجرة أو زيارة أولياء أو أحباب، لذهب فى الوقت ما توهم لها من الأوصاف، وسطع سرورها ولها العيش طاب، فلتذكر ما كانت تسمعه، فالعاقل اللبيب لا يتحول عما ينفعه، ولو استحضر مع ذلك ما أعد الله تعالى فى المقاصد الحسنة المستحسنة، الصارفة عن العقل غفلته ووسنه، لعاد الحنين والرد عليه بالنحيب ضحكا وسرورا، واستحسنت خدمة أَسْكُفَّة هذا الوزير المبارك الأرشد الأسعد، المخلص فى النصيحة للمسلمين القريب والأبعد، إجلالا وإعظاما وبرورا، فلن يكافئ إحسانه إلا أن نرفع جميعا أيدى الضراعة والابتهال، ونخلص له فى ظل مولانا الإمام، نصره الله على الدوام، ما أمكن العبد من مستجاب الدعاء وأكمل سؤال.

اللهم يا ذا الطول والحول والفضل والامتنان، أحسن عاقبتنا وعاقبته وبارك فى عمره وأحسن فى أثرنا وأثره وافتح بصيرتنا وبصيرة تلامذتنا أجمعين، واجعلنا ممن علم فعمل، وعمل فقبل يا قوى يا معين.

وفاته: توفى بمحروسة فاس يوم الأحد سابع ربيع الثانى عام عشرين وثلاثمائة وألف، ودفن بالزاوية الناصرية هنالك رحمه الله.

٣٦٦ - المستضىء بنور الله ابن السلطان الأعظم أبى النصر والفدا إسماعيل.

صفته وحاله: أبيض اللون، حسن القد، مليح الوجه، أمه عودة الدكالية، قاله أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بن أحمد بن محمد المعروف بالضيف الرباطى المولود سنة خمس وستين ومائة وألف حسبما قال ذلك عن نفسه فى تاريخه.

كان المترجم منكوس الراية، مسيكا ذا خفة وقساوة وطيش، غير متأن ولا ناظر فى العواقب، ولا متوقف فى سفك الدماء، بويع له بعد أخيه أبى عبد الله محمد المدعو ولد عريبة عشية يوم السبت ثالث ربيع النبوى عام واحد وخمسين ومائة وألف، وهو يومئذ بسجلماسة، فوجه له عبيد البخارى الذين سعوا فى البيعة له شرذمة من الخيل تأتى به من تافيلالت وبمجرد ما اتصل به الخبر، خرج مسرعا يطوى المراحل، ولما وصل صفرو، وخرج إليه أشراف فاس وعلماؤها وأعيانها وأدوا بيعتهم له، ولما حل بفاس ولى عليها القائد أحمد الكعيدى، واستخلف الكعيدى شعشوعا اليازغى، كما عزل قاضيها الشدادى، وولى مكانه السيد محمد الدلائى البكرى، وأصلح ما كان بين الأدارسة وعامة أهل فاس هناك.

ونهض لمكناس عاصمة ملك والده، ولما دخلها كتب العبيد له البيعة العامة، ووافق عليها أهل الحل والربط ظاهراً لما كان للعبيد من الاستبداد والسيطرة، ثم وفدت عليه بها الوفود بهداياهم وبيعتهم.

وكان وصوله لمكناسة فى رابع عشر ربيع المذكور، وكان فاتحة أعماله بها بعثه بأخيه ابن عريبة السلطان المخلوع قبله المذكور موثقا بالأغلال لفاس، ومنها لسجلماسة سجينا ينضم لغيره من الأشراف الذين بالسجون هنالك، كما وجه السيد عبد المجيد المشامرى بوطالب، والشيخ أبا زيد عبد الرحمن الشامى يسجنان بفاس الجديد، وأمر بنهب دار المشامرى المذكور والتنكيل به وسومه سوء العذاب، فامتثل أمره فيه، ولم يزل المشامرى المذكور يتقلب فى أنواع أليم العذاب إلى أن مات، وسبب محنة الرجلين شكاية مولاى عمر الأمرانى نهب داره بفاس بتداخل الرجلين.

ثم اشتغل بالبحث على ما فى خزائن والده التى لم يلق لها بالا أحد من

إخوانه الذين تملكوا قبله لاحتياجه إلى ما يصرفه ابتغاء مرضات العبيد، ولم يترك خزينا من الخزائن إلا ونسف ما به نسفا حتى الحديد والكبريت الذى كان يعد بآلاف القناطر وملح البارود والشب والبقم وغير ذلك مما كان مدخرا من الغنائم التى كان يغنمها والده من أجناس الفرنج، وباع ذلك كله، فلم يجد المتحصل فيه شيئا وأزال بعض السراجيب المذهبة والشبابيك، وألزم أهل الذمة بأداء ثمن ذلك.

ثم أنزل المدافع النحاسية من الأبراج فكسرها وضربها فلوسا كما فعل ذلك قبله أبو العباس أحمد بن إبراهيم السلطان العثمانى الذى هو أول من ضرب سكة النحاس الأحمر وموهها بالفضة، وكل ما ذكر لم يغن المترجم شيئا، كما أفصح بذلك الزيانى فى الروضة السليمانية وغيرها من كتبه، ثم وظف على أهل فاس أموالا طائلة عجزوا عن الوفاء بها، وألقى القبض على جماعة منهم وأودعهم السجون، وأمر ببيع عقارهم لاستيفاء ما بقى بذممهم مما وظف عليهم، وألزم التجار بشرائه، وقبض على بعض الأشراف العراقيين وهو السيد العربى بن السيد عبد الكريم صاحب الدار الكبرى بجرنيز بعد أن أوجعه ضربا، وزج به فى السجن بدعوى أن خناثة بنت بكار زوج والده استودعت عنده أموالا.

ولم يترك بابا من أبواب القساوة إلا وطرقه، فكم استصفى من أموال، وأزهق من نفوس بغير حق، وذلك بإغراء من رفيقه أبى حفص عمر الأمرانى انتقاما من أهل فاس، حيث إن داره نهبت على عهد أبى عبد الله محمد ولد عربية أخ المترجم، ولم يدافع عنها أحد منهم وولى أبا حفص المذكور على فاس، وأغرى البرابر على العيث فى الطرقات وشن الغارات على الودايا، فانقطعت بسبب ذلك السابلة، وتعذرت أسباب المعاش، وأصدر أوامره بتوجيه أخيه المولى زين العابدين سجينا مقيدا إلى تافيلالت بعد أن ضربه ضربا مبرحا، ولولا أن العبيد وجهوا من انتزعه من يد المتوجهين وبعثوا به لأبى العباس الكعيدى ببنى يازغة واستوصوه خيرا فاحتفظ به واعتنى بشأنه لهلك.

وكتب لصهره الباشا أحمد الريفى يأمره بالإيقاع بأهل تداون لتخلفهم عن بيعته، وقد كانت بينه وبينهم عداوة وشحناء، فاغتنمها الريفى فرصة واقتحم تطاون على حين غفلة من أهلها فدمر ونهب وقتل من وجوهها نحو الثمانية، ووظف على من بقى ما ضاقوا به ذرعا مما لا طاقة لهم بوفائه.

وقد كان الحوات هو صاحب أمر المترجم ولم يزل حاملا راية الدفاع عنه والسعى فى نصرته إلى أن قبضه الله إليه، وكانت وفاته فى ثامن ربيع الأول عام اثنين وخمسين بعد أن دعا المترجم عليه بالهلاك.

وفى سابع جمادى الأولى من العام سرح المترجم أخاه ابن عريبة من عقاله.

وفى عاشر رجب عاثت فرقة من حجاوة وانضم إليها خليط من الرعاع وأطلقوا يد السلب والنهب فى السابلة، ولما تفاحش أمرهم أرسل المترجم عليهم القبائل المجاورة لهم، وأمر بإلقاء القبض عليهم حيثما وجدوا والبعث بهم لمكناسة.

وفى السادس عشر من شوال أمر بضرب أعناق عدد ممن وصل لحضرته المكناسية من المتمردين المذكورين، وعلقت رءوسهم على أبواب المدينة وجدراتها، ولم يزل هذا شأنه معهم إلى أن تابوا وأنابوا.

وفى يوم السبت الرابع والعشرين من ذى القعدة الحرام وجه أخاه المولى بناصر لقتال عبدة لما كانوا عليه من التمرد والعيث فى الطرقات والاستطالة على القبائل الحوزية، فقتل منهم عددا وأرغمهم على الرضوخ للطاعة، ووظف عليهم مالا له بال، وآب لأخيه المترجم سالما غانما.

ولما كان عام اثنين وخمسين ومائة وألف، أوقع صاحب الترجمة بالباشا العياشى وتوالت الأمطار وقام الناس على ساق فى الحراثة رغما عما كانوا عليه من

الفاقة والإملاق وعدم الدواب لتوالى السنين الشهباء عليهم جلهم كان بالفُئُوس والأغنياء منهم حرثوا على الحمر، قال فى الدر المنتخب نقلا عن بعض المؤرخين لقد علمت أن سبعة اشتركوا فى زوجة حمير، فحملوا عليها إحدى وعشرين وسقا، وأعطى الله تبارك وتعالى البركة فى تلك السنة وتدارك عباده باللطف بعد الشدة هـ.

وفى يوم الثلاثاء سابع عشر صفر عزل السيد محمد البكرى الدلائى عن قضاء فاس، وولى مكانه أبا عبد الله محمد بن على الشدادى، وعزل أبا العباس أحمد الصبيحى عن الإمامة والخطابة والتدريس بالحرم الإدريسى، وولى مكانه العلامة أبا المواهب عبد الكبير السرغينى.

وفى الرابع والعشرين من صفر صدر الأمر السلطانى بين العشاءين بإخراج محمد مامى من الضريح الإدريسى، وقد كان مستجيرا به، فأخرج قهراً ولما مثل بين يدى المترجم بمكناسة قتله من حينه.

وفى يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول ألقى القبض على العربى بن عزوز ناظر القرويين لما تحقق لديه من اشتغاله بما لا يعنيه، واجتماعه مع لفيف من خاصته على الغناء والملاهى بداره، وسجنه مع جماعته ثم وقعت الشفاعة فيه للسلطان فعفا عنه ورده لمأموريته.

وفى سادس جمادى الأولى وقيل صبيحة يوم الاثنين الحادى عشر منه، نهض المترجم إسعافا لرغبة العبيد واتقاء لشرهم لجبل فازاز فى عساكره وجنوده، حيث بلغهم أن السلطان عبد الله بويع له بمراكش وأحوازها، والحال أنه كان بعيداً عنها، وأقام المترجم بجبال فازاز مدة تنيف على الشهر، ثم اعتراه انحراف فى المزاج فانقلب لمكناس، ودخله فى عاشر جمادى الثانية، ونزلت تلك المحال

بضواحى البلد فمدت يد التعدى بالنهب والإفساد فى أجنة وبحائر البلد وأحوازها.

وفى فاتح شعبان قتل جماعة من رؤساء العبيد منهم البشا غانم، والقائد عبد المجيد سعدون، والقائد عيسى مفتاح، وأولاد الريفى.

وفى أوائل رمضان عزل بوعزة الزيزى عن حسبة فاس ووليها العدل الحاج محمد سوسان، وفى يوم الأربعاء رابع عشر رمضان أكلت قافلة بين فاس ومكناس وتعذر المرور فى السابلة من يومئذ، وفى آخر رمضان المذكور عزل سوسانا.

وفى أوائل شوال كتب لأبى عيسى المهدى الفاسى يستقدمه لحضرته للوساطة فى إصلاح ذات البين بينه وبين الباشا أحمد بن على الريفى، إذ كانت حدثت بينهما وحشة تكدر بها جو الصفا وأصبح الريفى المذكور حجر عثار فى طريق نجاح مساعى المترجم، وفى سابع شوال وجه أبا عيسى للريفى بكتاب لفظه بعد الحمدلة والصلاة:

«الأجل الأسمى، المجاهد الأحمى، أخونا فى الله تعالى الباشا أحمد بن على أمدك الله بمعونته، وأبقاك مصونا فى حوز حمايته، وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته، وأمانه وتحياته.

أما بعد: أبعد الله عنك كل ما يطويه الفكر، وأبقاك سالم الأحوال فى جميع الآصال والبكر، وقوى محاسنك بالجد، ومطالعك بالسعد، آمين فلقد اتصل بمقامنا العلى بالله الفقيه الجليل، العالم النحرير النبيل، نجل السادات الأبرار، العلماء الصلحاء الأخيار، الأئمة الأعلام، والقدوة لمن أصلح الله حاله من الأنام، سيدى المهدى حفيد نبراس أولياء الله الأصعد، القطب الأوحد، أبى يعقوب سيدى يوسف الفاسى نفعنا الله ببركاته، وأفاض علينا من بحر كمالاته، آمين يا رب العالمين.

ولما حل بنا دينا، وخاض معنا فى ماء وادينا، أجللناه وأعظمناه، وفى داخل الأحشاء جعلناه، فتفاوضنا معه الحديث، القديم والحديث، وعقدنا له مجلسين فزنا فيهما بمحاورته، وحسن محاضرته، فألفيناه من حسن أوصافه، على طريقة أسلافه.

ولما كان من ينبوع الحكمة والعلم والصلاح، تطارحنا معه الحديث فى جانبك من إفشاء ودك وتعظيم منصبك مما هو علينا واجب ومباح، وعرفناه بما لك عندنا من المرتبة السامية، والمحبة الصافية النامية، وجلنا معه فى السر والجهر، وأطلعناه على مكنون الجوانح والصدر، لتحقيقنا فيه أن مثله ممن تذاع بين يديه الأسرار، ومن يتحمل أداء الأمانة من صدق الأخبار، وما كتمنا عنه شيئا مما هو فى الخلد والضمير، فهو يخبرك بما سمع منا ولا ينبئك مثل خبير.

فاعقد له مجلسا سريا حتى يشفيك الغليل فى جميع ما قلناه من الإبلاغ لك، فإنك تجد فى ذلك بغيتك، ومنيتك وأملك، فإنه لم ينفصل عنا حتى اتضح له الأمر ظاهره وباطنه ووقف فينا على حقيقة الحال، ونفى الظنون والشكوك والمحال، وقد وجدنا فيه من محبتك، وكمال مودتك، ما حملنا على البرور به وقربه، زيادة على الوصف الذى هو قائم به.

فقد شرح صدورنا بطيب كلامه وحسن حديثه مما نحن فيه فى جانبك أغرف.

وإلى إيذاعه والتحدث به من مثل هذا السيد ونشره بين أيدينا أشوق وأشوف، فإذا بلغك الأمانة التى حملناه فـ(اتهلا) فيه واستوص به خيرا ففى مثله تنفع الصنيعة والمعروف، ولا يستوى فى إسداء النعم الشريف والمشروف.

فهذا السيد له شرف العلم وشرف الحسب وشرف الصلاح وشرف الدين، ولا يخفى عن علمك ما كان لسيدنا الوالد قدس الله روحه فى سلفه الصالح من

صدق المحبة وخالص الوداد، وجميل الاعتقاد، فكان يؤثرهم ويعظم أقدارهم، ويرفع على سائر الديار ديارهم، مع ما أكرمهم الله به من العلم والصلاح والقيام بسنة رسول الله ﷺ وإظهار معالمها، والاصطفاء لحاملها وعالمها، وتشييدهم لبنيانها، وتدعيم أركانها، ووقوفهم فى بثها وتعليمها، وحضهم على تخليصها.

فقد أعلوا منارها بوضع التآليف، وحسن التصانيف، فكثرت فى ذلك دفاترهم، وعظمت عند العلماء والصلحاء والملوك وذوى السلوك مآثرهم، فناهيك بتلك الدار، وما لها من الحرمة والمقدار، حتى إن بعض علماء العصر ذكر فى قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق حتى يأتى أمر الله، وفى بعض الروايات وهم بالمغرب، قال: ولعلها أن تكون زاوية سيدى عبد القادر الفاسى من كثرة ما تواتر عنها من وقوف أهلها فى إحياء السنة، جعلنا الله وإياكم ممن يقوم بشروطها، ويختال إن شاء الله فى حالها ومروطها.

فثق بهذا السيد فى كل ما يبلغه عنا لسانه وبيانه، فهو كتابنا إليك حقيقة، وهذا الكتاب إنما هو عنوانه، ولما تحدثت معه على شأنك آليت له بأيمان غليظة على صدق ما حدثته به، ولا يعرف تلك الأيمان إلا من هو مثله، إذ لا يعرف الأشياء على حقائقها، وكشف دقائقها، إلا ذووها، ومعاده عليكم الرحمة والبركة وفى ٧ شوال عام ١١٥٢».

وفى يوم الاثنين الخامس والعشرين من شوال أتت فرقة من آيت يوسف بقصد قتال الودايا وشبت بينهما حرب مات وجرح فيها من الفريقين عدد، ونشأت عن ذلك قلاقل وفتن، وفى آخر شوال المذكور رفض عبيد البخارى طاعة الباشا الدكالى لقبح سيرته ومقابلته إياهم بغاية الصرامة والأذى حتى بالقتل، وولى مكانه القائد بو عزة مولى الشربيل وكان ممن حنكته التجاريب، ومن أهل السبقية فى الخدمة السلطانية فى العصر الإسماعيلى، عصر الجد والنجدة والحزم، فقام فى

مأموريته أحسن قيام، وأحيا بسياسته وتدبيره ما أمكنه مما اندرس من رسوم الخلافة ونوامسها، وأمن بولاية هذا السياسى المقتدر كل من كان خائفا يترقب.

ثم اتفق الباشا المذكور ورُؤساء الديوان ومن يشار إليه من الجيوش على خلع المترجم والمبايعة لصنوه أبى محمد عبد الله، وتم الوفق على ما ذكر يوم السبت خامس عشر ذى القعدة، ولما اتصل الخبر بالمترجم بارح مكناسة ناجيا بنفسه فى شيعته وأنصاره، ويوهم أنه يريد زيارة أبى محمد عبد السلام ابن مشيش، وكان الزمن زمن برد قارص وأمطار هاطلة، ولما علم العبيد بذلك اقتفوا أثره فوقع بينهما قتال كانت الكرة فيه على العبيد، فولوا الأدبار منهزمين وسار المترجم إلى أن وصل طنجة، فاستقبله الباشا أحمد الريفى بالإجلال والترحيب، وبقى فى ضيافته أياما، ثم استنجد الباشا المذكور وصديقة السلوى فى نصرته وشد عضده حتى يرجع لمكناسة، وينكل بمن سعى فى خلعه من العبيد.

ولما تعذر ذلك وحالت الظروف بينه وبين ما يريد، طلب من الباشا الريفى أن يوجه لمراكش، فأسعف رغبته وزوده بجميع ما يحتاج إليه ويكفيه من مئونة ومال ودواب لحمل أثقاله وأثقال أتباعه، وشيعته رسله من قبيلة إلى أخرى، إلى أن قطع تلك الجبال الفحصية، ووصل إلى كارت ومنها إلى الصحراء، ولما لم يحصل على ضالته المنشودة انقلب راجعا إلى أن وصل للقصبة التى كان بناها بجبال مسفيوة بناء محكما بواسطة أخيه وخليفته بمراكش المولى بناصر.

ثم دخل لمراكش فوفدت عليه القبائل الحوزية بهداياها وبيعاتهم ما عدا قبيلتى أحمر وعبدة، ومن انضم إليهما فإنهم رفضوا طاعته ولم يبايعوه، فأرسل لهم سبحته وأمنهم إن هم دخلوا فيما دخل فيه غيرهم، فوجهوا له مائة فارس منهم ومعهم كسوة أبى محمد صالح فلما مثلوا بين يديه، قتلهم عن آخرهم وأعطى خيلهم لدكالة.

وفى عاشر ربيع الثانى من عام ثلاثة وخمسين ومائة وألف اجتمع على جيش السلطان عبد الله الذى كان بآكدير شيعة المترجم من قبائل أحواز مراكش كالرحامنة ودكالة وزمران ومسفيوة ووقع بين الفريقين حرب شديد كانت الهزيمة فيه أولا على أتباع المترجم، ثم رجعت الكرة على الجيوش التى بآكادير لاشتغالهم بالسلب والنهب ولم يأخذوا بالأحوط والحزم، فأتاهم من خلفهم خليفة المترجم صنوه المولى بناصر واستولى على جميع ذخائرهم وأمتعتهم حتى الأخبية، ثم وقعت ملحمة أخرى بين الفريقين المذكورين فى التاسع والعشرين من جمادى الأولى كانت الهزيمة فيها على المترجم وأتباعه ففر إلى القصبة التى كان بناها بمسفيوة.

وفى أوائل محرم عام خمسة وخمسين دخل المترجم مكناسة عاصمة ملك أبيه، وأتت الوفود لتهنئته وتقديم الطاعة إليه.

وفى أواخر المحرم أرسل الباشا أحمد الريفى لأهل فاس يطلب منهم تجديد البيعة للمترجم فلم يجيبوه لذلك، فاغتاظ وأضمر لهم سوءا، وخرج المستضىء لمضايقة فاس إلى أن يرضخوا لطاعته ونزل بظاهر فاس يوم الثلاثاء رابع عشرى ربيع الأول وصار يشن الغارة على البلاد.

وفى خامس عشرى الشهر وقع القتال بين العبيد أتباع المترجم ومن انضم إليهم، وبين أهل فاس وأشياعهم، وكان الحرب سجالا، ثم وافى السلطان عبد الله جيش جرار من البرابر، ولما رأى المترجم أنه لا قبل له بهم فر ليلا وحمل أمتعته وترك الأخبية مضروبة فارغة ليس بها ما يطلق عليه اسم شىء غير رجل أنهكه المرض، ولما أصبح الصباح زحفت إليهم الجنود البربرية فأخبرهم ذلك السقيم المخلف بحقيقة الواقع، وسار المترجم على بلاد شراكة والحياينة فنهبوا

الزرع والماشيـة، وسار على ورغة إلى أن دخل تازا ثم آب لمكناسـة، ولم يدخلها لفشو الطاعون بها إذ ذاك.

وفى عشية يوم الثلاثاء الثانى والعشرين من المحرم فاتح عام ستـة وخمسين ومائة وألف، نزل المتـرجم وصهره أحـمد الريفى بالعـسال من مزارع فـاس قرب وادى سبـو، وأعجـبتـهم كثرة جـنودهم المجندة منقسـمة على قـسمين قـسم مع المترجم، وقسم مع الريفى، وفى يـوم الخميس رابع عشرى الشهـر وقعت مناوشة خفيفة بين محال المترجم ومحال أهل فاس.

وفى يوم السبت سادس عشرى الشهر وقعت معركة عظيمة مات فيها خلق، ولما كان زوال يوم الخـميس الثـانى والعشـرين من صفر حـشد الريفى ومـتبـوعه جنودهما وقطعـوا قنطرة سبو، يريدون استئـصال الجنود الفاسيـة، فقذف الله فى قلوب شيـعة المترجم الرعب بدون قتـال فولوا الأدبار، ووقع فيـهم الطعن والقتل فازدحموا على القنطرة وسقط فى الوادى عدد كـثير منهم، وفر المترجم لبنى حسن واحتمى بهم، وسار الريفى على بلاد صـنهاجة يطوى المراحل إلى أن وصل طنجة وترك جميع ما أتى به غنيمة.

ثم رجع المترجم بنواحى مكناس يأمل النصرة.

وفى ثانى جمادى الثانية دخل المترجم ومن انضم إليه من بنى حسن والعبيد وشرذمة من البـربر وذلك على حين غفلة من أهلها، ومـدوا يد النهب والإفساد، وجاسوا خلال البـلاد؛ فقاومهم أهل البلد وأخرجوهم ناكصـين وقتلوا منهم عددا عديدا وقاموا على ساق فى تحصين البلاد.

وفى يوم الأحد التـاسع عشر من رجب نزل المترجم على الرئيـس عبد الحق فنيش صاحب سَلاَ، وطلب منه النصـرة فبايعه بسلا انتقامـا من السلطان عبد الله كما فى تاريخ الضعيف، ثم تبع أهل سَلاَ، فى بيعة المترجم قبائل بنى حسن وفرقة

من عبيد دكالة لا غير، وقد راود أهل الرباط على الدخول فيما دخل فيه أهل سلا، فأبوا من إجابته، فحاصرهم أربعة عشر شهرا وبالغ فى التضييق عليهم.

وكان ابتداء حصاره لهم فى رمضان العام وألقى القبض على أبى عيسى المهدى مرينو الأندلسى الذى صار قاضى الرباط بعد أن هم بنتله، ثم سرحه وخلى سبيله لحفظه مختصر خليل.

وفى رجب الفرد عام سبعة وخمسين اتخذ السلاليم وأراد التسور بها على الثغر الرباطى ليلا من ناحية البحر، ولما أحس بذلك علج من الحرس الذى كان بالأبراج أخرج فيمن طلع نفضا مات منه خلق وكسرت تلك السلاليم، وتسارع أهل الرباط لإلقاء القبض على من انفلت من الموت ممن هبط إلى مدينتهم.

وفى ذى القعدة من العام أوقع المولى عبد الله ببنى حسن وقعة كادت أن تحص منهم كل شىء بتلماغت، ففر صاحب الترجمة لمسفيوة حيث كان اتخذ بها دارا فشرده منها صنوه أبو محمد عبد الله، فذهب إلى مراكش، فوجد صنوه الذى كان خليفة عنه بها وهو بناصر قد لبى داعى الله.

وفى ثمانية وخمسين ثار المترجم بجبال مسفيوة واجتمع عليه هنالك بعض الغوغاء أيضا وسماسرة الفتن وبايعوه، فوجه صنوه أبو محمد عبد الله من يشرده ويبدد أحزابه وشبت بينهما حروب كان انطفاؤها بتشريد صاحب الترجمة عن جبال مسفيوة، ولجأ إلى مراكش فطرده أهلها، فسار إلى دكالة فتامسنا ببنى حسن، ولما لم يرفع له رأس فى جهة من الجهات المذكورة صرف وجهته لطنجة وأعمالها، واستقر به الثوى بالفحص، فأقام به أياما عسف فيها أناسا منهم القائد عبد الكريم الريفى سجنه وسلمه واستصفى أمواله، فثار عليه بسبب ذلك أهل الريف وألقوا القبض عليه، وسلبوه من كل مال ومتمول وامتحنوه وأوثقوه وموا بتوجيهه لصنوه المولى عبد الله، ثم بدا لهم فسرحوه، فعند ذلك كتب لصنوه المذكور وكان يومئذ

بفاس يعتذر له عما صدر منه ويطلب منه محلا يستقر به فأجابه بقوله: إنك لم تأت إلى ذنبا ولم ترتكب فى حقى عيبا، إنما كنت تطلب ملك أبيك كما كنت أطلب ملك أبى، والآن فإن أنت أردت الخمول مثلى فأقم بآصيلا واسكن بها، فانها أحسن من دار دبيبغ التى أنَا بِها، وأرح نفسك كما أرحتها، وإن كنت إنما تطلب الملك فشأنك وإياه فإنى لا أنازعك فيه والسلام.

فلما وصل إليه هذا الكتاب من صنوه السلطان المذكور انتقل لآصيلا واستوطنها، واعتنى بها وأصلح منها ما يحتاج إلى الإصلاح كما أصلح دار الخضر غيلان التى بقصبتها وسكنها سنة أربع وستين ومائة وألف.

ثم اتصل به بعض الأشرار من قرناء السوء الذين يستفزهم الطمع فدلوه على التكسب بالبيع والشراء فى الزرع بجلبه من الداخلية ووسقه للبلاد الأجنبية فَارْتأى برأيه وتصدى للاتجار فى ذلك، حتى تضرر الناس ورفعوا شكاياتهم للسلطان، فصار يقرع سن الندم على إذنه له فى السكنى بالثغر المذكور، وأصدر أوامره إلى القائد أبى محمد عبد الله السفيانى بالزحف إلى المترجم وإرغامه على الخروج من آصيلا، وكتب لولده خليفته بمراكش أبى عبد الله محمد أن يبعث إليه من يعززه فى إجلاء المترجم عن الثغر، فبعث سيدى محمد رفيقه ابن عمه أبا العلاء إدريس ابن المنتصر فى مائة فارس وأمره باللحوق بالقائد المذكور طبق إشارة والده، فسار أبو العلاء إلى أن لحق بالسفيانى ونزلا على آصيلا وأرغما صاحب الترجمة على إخلائها، ولم يقبلوا منه عذراً فى التأخير، فلم يسعه غير الخروج منها.

ثم استولى أبو العلاء على جميع أمتعته وأمواله وذخائره الحربية وغيرها، وتوجه بجميع ذلك لعمه السلطان أبى محمد عبد الله، وسار المترجم إلى أن نزل بضريح الشيخ أبى بكر بن العربى من فاس، ووجه ولده للسلطان يشكو بما فعل به خليفته ولده سيدى محمد فكان من جواب السلطان له قل لأبيك: لا سبيل لى عليه هو أعظم شوكة منى ومنك، فسر إلى بلاد أبيك وجدك وأرح نفسك من

التعب والموت قريب منى ومنك، فلما بلغه الجواب لم يسعه غير التوجه إلى صفرو، وذلك بعد أن ترك عياله بدار الشريف أبى محمد التهامى ونزل هو بدار الإمارة من صفرو.

ولما أوصل أبو العلاء للسلطان ما استولى عليه من أمتعة عمه المترجم أخذ السلطان البارود والسلاح، ووجه الباقى لربه قيل، ولما طال المثوى بصاحب الترجمة بصفرو، وبعث إلى آيت يوسى يندبهم لنصرته، والقيام بدعوته، فتخاذلوا عنه وأحالوه على آيت يدراسن وجروان وواعدوه بإسعاف رغبته إن أجابه المذكورون لمطلبه، ولما لم تنجح مساعيه بعث من أتى إليه بعياله وأثاثه من فاس وذهب إلى سجلماسة فاستوطنها، وذلك فى عام ستة وستين ومائة وألف.

وكانت أيامه كلها غلاء ووباء ونحس مستمر، وما جلبناه فى هذه الترجمة هو الزبدة واللباب مما فى تواريخ أبى القاسم الزيانى وتابعيه، وتاريخ الضعيف، وتقاييد ابن إبراهيم الدكالى، مع مزيد إيضاح وتهذيب.

وزراؤه وقضاته وكتابه وعماله: فمن وزرائه العلامة أبو الحسن على بن سعيد العميرى آتى الترجمة، ومن قضاته أبو القاسم بن سعيد العميرى والشدادى، الأول على مكناس، والثانى على فاس.

ومن كتابه أبناء الوزير اليحمدى الحسن ومحمد.

ومن عماله الباشا محمد الدكالى، والباشا عبد المالك، والباشا سالم الدكالى.

بناءاته: منها داره التى لا زالت إلى الآن بسفيوة أحواز مراكش مع قصبتها.

بعض ما قيل فيه من المدح: من ذلك قول بعض أدباء العصر ولفظه:

ظفرت فصل ونل قدرا رفيعا   أتاك الملك مستمعا مطيعا

وقد حقت لك العلياء فردا   فطب نفسا بما تهوى جميعا
مولاى المستضى قطب المعالى   لنا بنت العلا حصنا منيعا
نصحت فكنت ذا حزم وعزم   فمن قدام بابك لن يضيعا
إذا دعى الملوك لأى أمر   وكل الكل عنه وقد أضيعا
أطاع بهيبة المنصور رغما   وإن لم يجتهد فيه سريعا
لك الأمر المطاع فدم هنيا   ودان لك الورى ريعا فريعا
وحق لمن وليت من البرايا   وقد خاف الحوادث أن يريعا
وينعش آمنا بل مطمئنا   قرير العين لا يخشى مريعا
لأنك للرعية خير واق   تدافع عنهم الأمر الفظيعا
حميت بسيفك المسلول منهم   جنابا كاد قبلك أن يضيعا
وكم أوليت ذا بؤس نعيما   وذا بأس تغادره صريعا
تصول إذا الوغى شبت لظاها   على الأبطال منشرحا وليعا
كأنك فيهم ليث عبوس   يطارد من ظبا داى قطيعا
وأعجب ما رآه الناس طرا   مواهبك التى جلت صنيعا
سحائب فى يمينك أم بحار   تناولت المشايخ والرضيعا
أقر بها الانام فكل من قد   رآك غدا سمائمه ربيعا
وصار لك المدا حقا ينادى: ظفرت فصل ونل قدرا رفيعا

وفاته: توفى بسجلماسة بلده سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف، رحمه الله وغفر لنا وله آمين.

٣٦٧ - مَسْلَمَة ويقال له بسلمة وسلامة ابن السلطان الأفخم أبى عبد الله محمد بن السلطان أبى محمد عبد الله ابن السلطان الأفخر أمير المؤمنين بالمغرب الأقصى أبى النصر إسماعيل الجد الأعلى.

حاله: كان جوادا كريما لا يكبر فى عينه شىء من متاع الدنيا وزينتها، آية فى السخاء وعلو الهمة، بطلا شجاعا، كريم الأخلاق والسجايا، أُمه شهرزاد العلجة، استخلفه شقيقه المولى اليزيد المترجم فيما يأتى لنا بحول الله ببلاد الهبط والجبل، وأسند إليه تدبير أمور ثغور تلك الجهة، وفوض إليه فى النظر فى مصالحها فأحبه أهلها لسلوكه فيهم مسلكا حسنا، ولذلك لما اتصل به نعى أخيه اليزيد المذكور ودعا لنفسه بايعه أهل تلك البلاد ولم يتخلف أحد منهم عن بيعته، واتفقت كلمتهم عليه، وذلك عشية يوم الجمعة ثانى رجب عام ستة ومائتين وألف.

وكان حامل راية بيعته أبو الحسن على بن أحمد بن الطيب الشريف الوزانى، وتشيع له جروان ودخيسة وأولاد نصير وآية يمور - وكانت منازلهم بسلفات - وبنو مستارة، وأهل جبل زرهون، وزمور، وزعير.

ولما تمت له البيعة وجه ولده الرشيد وجعفراً لتطاوين بقصد إلقاء القبض على عشعاش وذلك يوم السبت الموالى ليوم بيعته، ولما وصلا إليه أنزلهما وبالغ فى إكرامهما ونجا بنفسه ليلا إلى جبل العلم واستجار بضريح أبى محمد عبد السلام بن مشيش، فرجع الولدان المذكوران لأبيهما وقصا عليه القصص، وفى يوم الاثنين خامس الشهر ورد عليه قاضى تطاوين أبو محمد عبد السلام بن قريش وفى معيته الشرفاء والفقهاء والأعيان فاهتبل بوفادتهم، وأكرم نزلهم ووصلهم بصلات ضافية، وفى اليوم نفسه وردت عليه بيعة شفشاون مع قاضيها عبد الكريم الورديغى وأعيانها، ووفدت إليه القبائل الجبلية وأهل طنجة والعرائش والقصر

---

٣٦٧ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٥٤٣.

الكبير ووزان، ووجـه له البيعة أبو الحسن على الوزانى المذكـور، وأهدى له فرسا من عتاق الخيل وندبه للإسراع إلى العاصمة المكناسية.

ثم وجـه المترجم من يقطع رأس مـحمـد وعزيز، وسـعيـد بن العيـاشى، وغيرهما من قـواد العبيد فلما سمع بذلك وعزيز المذكـور وجه للشيخ التاودى ابن سودة بفاس يطلب منه أن لا يبـايع أحداً من أولاد السلطان سيدى محمـد بن عبد الله، فأجابه الفقـيه المذكور لتأخير ذلك إلى أن تجتمـع كلمة المسلمين، ويتفق أهل الحل والربط على إحضـار أبناء السلطان المذكور، وينظرون لأنـفـسهم من يبـايعونه منهم بالتـسليم أو القرعة، وإلا فـالأحق بها هو مولانا هـشام الذى حارب عليـها وقتل أخاه، وهو أيضـا بالأرض التى مات فيها السلطـان، ثم بعد هذا بدا لوعزيز المطيرى المذكـور أن يبايع أبا الربيع سليمان وزيف قـول الفقيه المذكـور وذلك بعد موافقة رؤساء العبيد معه على البيعة للمذكور.

أما المترجم فإنه أقام بتـازروت، وفى يوم الثلاثاء الثالث عشر من رجب ورد عليه أبو محـمد التهامى بن الحسنى بالفرس الذى أهداه أبو الحـسن على بن أحمد وتولى أبو محمد التهامى المذكور كلمة المترجم وصارت كالوزير له.

وفى يوم الأحد حـادى عشر الشـهر نهض المترجـم من تازروت بخيل أهل الريف وسفيـان وبنى مالك والخلط وطليق وغيرهم، وفرق فى الأشـراف وغيرهم نقودا ذهبية وخيم ببنى عروس، ومن الغد ارتحل بعد أن التقى بالمرابط السيد هدى وسار إلى أن نزل بزيتونة بنى كرفط، ومن الغـد ظعن لوادى المخازن ودخل القصر يوم الخمـيس الثالث والعشـرين من الشهر وأقـام فيه فـريضة الجمـعة، وبات يوم السـبت بصرصـر، ونزل يوم الأحـد بآزجن، وفى يوم الاثنين دخل وزان وخـيم بالظهر الطويل، وأعطى الشرفاء ألف دينار ذهبا وكساهم بالملف والحرير والكتان.

وفى يوم الجمعة متم الشهـر جددت له البيعة بوزان على يد أبى الحسن على ابن ريسون وخطب به الفـقيه أبو عبـد الله محمـد الرهونى فأعطاه نحو خمـسين دينار، وأظهـر الشعـار الملكى هنالك ولعب البارود طلقـا على الخيل، وقـبل هذا

اليوم وردت عليه بيعة كلعية، ووفد عليه البعض من برابر زمور وآيت يمور وعرب بني حسن، وتجرد أبو الحسن بن أحمد لندب القبائل للعض بالنواجذ على بيعة المترجم وحثهم على ذلك وكتب بذلك للشاوية، وَسَلاَ، والرباط.

وأما محمد وعزيز فإنه صار يندب الناس لبيعة أبى الربيع، وكتب للرباط وَسَلاَ أيضا والقبائل البربرية وأهل مكناس والعبيد وفاس وتازا وغير ذلك، فأجابوه لبيعة أبى الربيع وبايعوه، فصارت الدولة دولات والملوك وكذلك: مولاى هشام أمير مراكش، وأبو الربيع أمير فاس، والمترجم أمير وزان والجبال الهبطية وما والى ذلك.

وفى يوم السبت فاتح شعبان قدم بنو مستارة لصاحب الترجمة فرسا برسم الهدية وكذلك قبيلة دخيسة وأولاد نصير وآيت يمور وجروان، وفيه أيضا وجه القائد عمر الرحيوى البخارى للإتيان بعيال أخيه اليزيد من تطاوين وكذلك من بقى بها من نساء أبيه.

وفى يوم الاثنين ثالث شعبان وردت عليه خيل جروان وآيت يمور وأثنى عليهم بالشجاعة والثبات، وأمرهم بالتعرض لمحلة العبيد التى بقيت بعد وفاة أخيه اليزيد بمراكش، حيث بلغه أنها من أهل طاعته فليتركوها وليعززوها إلى أن تأتى إليه، فإن رأوا أنها تريد اللحوق بأخيه أبى الربيع فلينهبوها، فإنها حاملة للانفاض والسلاح والمزارق وغير ذلك مما خلفه اليزيد، ومعها نحو الثمانين بغلة وعدد رجالها ما بين فرسان ورماة نحو الألفين، ووصلهم بنقود ذهبية والتزم لهم بأداء دية من هلك منهم، وغرم ما عسى أن يموت أو يتلف لهم من أفراسهم فأجابوه بالسمع والطاعة، وتوجهوا لما أمروا به يوم الثلاثاء رابع شعبان فوجدوا المحلة التى توجهوا من أجلها دخلت مكناسة يوم الاثنين ثالث الشهر.

وفى يوم السبت الثامن منه بلغ الرحيوى المذكور آنفا جبل الحبيب راجعا من

تطاوين بمن ذكر من النساء اللاتى توجه لأجل الإتيان بهن للمترجم، فتعرض له عشعاش الذى كان صاحب الترجمة همَّ بالإيقاع به أول ما بويع له ونزع منه ما أتى به من مال ومتمول وسلاح وبارود وثياب، وأعانه على ذلك الشرفاء أولاد مولاى عبد السلام بن مشيش، وذلك يوم السبت الثامن من شعبان المذكور، وفيه وردت عليه ثلاثمائة فارس من زمور الشلح مبايعين.

وفى اليوم نفسه اجتمع أهل العدوتين سَلاَ، والرباط بالزاوية التهامية بقصد المفاوضة فيمن يبايعونه من المتصبين للملك، إذ المترجم كان قائما بوزان وما والاه مما ذكر، وأبو الربيع سليمان بفاس ومن انضم إليهما، وهشام بمراكش ونواحيه، فوقع النزاع بين أهل العدوتين عبد الله بركاش مال لبيعة هشام محتجًا بأن أبناءهم تحت يده، وأنه قاتل على الملك حتى ظفر به، وأن كتابه بطلب مبايعتهم له سبق غيره فى الوصول إليهم، وبأنهم إن بايعوا سليمان أو مسلمة يقتل هشام أولادهم، وكانوا ثلاثين ما بين أهل الرباط وَسَلاَ، فنازعه الحاج العباس مرينو وأبى إلا المبايعة لصاحب الترجمة، واحتج بكتاب أبى الحسن على بن أحمد الوزانى، فنازعه أولاد الرايس بكتاب من أبى عبد الله محمد بن عبد القادر يقول فيه: نحن أهل وزان ما بايعنا أحدا من سليمان ولا سلامة، وقال فقهاء أهل سَلاَ لبركاش: بايع من شئت، وحسبنا الإشهاد عليك، فأجابهم بقوله: لا نشهدوا عَلَىَّ ولا أشهد عليكم، وأنتم فقهاء تحللون وتحرمون، فإن بايعتهم سلامة مكنونى من خط يدكم فإن ورد هشام نمكنه منه ودونكم وإياه، أو قدم سليمان فكذلك، وكان فقهاء العدوتين يريدون سلامة إلا محمد الغربى الرباطى، فإنه كان يعزز بركاش فى رأيه، ثم اتفق رأى العلماء بعد أخذ ورد على البيعة لأول قادم عليهم من المذكورين، ثم وقعت إثر ذلك حيل وخدع لا حاجة بنا لذكرها وقد بسطها الضعيف فى تاريخه.

وفى يوم الأربعاء الثانى عشر من شعبان وجه المترجم ولده جعفرا مع بنى مالك وسفيان وبعض بنى حسن والبعض من زمور الشلح وآيت يمور ووصلهم بنصف دينار لكل نفر، وكانوا نحو الألفين وأمرهم بالتعرض لبوعزة القسطالى وقطع رأسه، ولما وصلوا وادى بهت وجدوه دخل مكناسة.

وفى اليوم نفسه وجه أبو الربيع سليمان أخاه الطيب فى جيش لمطاردة الرشيد ابن المترجم، إذ كان يومئذ مخيما بزرهون مع آيت يموريشن للغارات على الزراهنة الذين هم فى طاعته، وكان المترجم بعث للعبيد الذبن خلفهم اليزيد محاصرين لسبتة، وكان عددهم نحو الخمسمائة، ولما وافوه لوزان وجههم رِدْءاً لولده الرشيد المذكور، وفوض الأمر لرئيسهم ابن على، وأعطاه بطائق مختومة بخاتمه يكتب فيها للقبائل بما يراه مصلحة وفى اليوم نفسه وجه المترجم ولده جعفرا لإغاثة صنوه الرشيد بزرهون مع آيت يمور وزمور الشلح وبنى مالك وسفيان وبنى حسن وغيرهم، فأوقعوا بمحال المترجم شر وقعة ونسفوا أموالهم وبددوا جموعهم، وفروا إلى الريف ولحق المترجم بابنيه المذكورين وابن أخيه الحسن.

ثم بعد ذلك نهض إليهم أبو الربيع فى جنود جرارة لا قبل لهم بها، ولما التقى الجمعان على ضفة وادى سبو بالمحل المعروف بالحجر الواقف وقعت الهزيمة على المترجم وأنصاره فى أول غارة، فولوا الأدبار وتركوا جميع مقوماتهم غنيمة باردة لأبى الربيع، وبإثر ذلك وافى نساء آيت يمور وصبيانهم على الحضرة السليمانية متشفعين تائبين، وفى العفو عنهم راغبين، فعفا عفو قادر، ثم بعد هذا عسكر المترجم وسط بلاد الحياينة فتوجه إليه أبو الربيع وفلّ جموعه ورجع الحياينة فى قيود الهوان والصغار يطلبون العفو والأمان، فأمنهم قال فى الجيش: ولم يبق مع المترجم إلا خاصته وولداه وابن أخيه الحسن بن يزيد.

وفى يوم الجمعة الرابع عشر فرق على عرب الصباح صندوقين من جعاب المكاحل الرومية وكساهم وولى عليهم أحد أتباعه يسمى العياشى، وفى اليوم نفسه وقع هرج ومرج برباط الفتح حيث إن بركاش المذكور رام أن يخطب بهشام والحاج العباس أراد الخطبة بالمترجم، وآخر الأمر لم ينفذ مراد واحد منهما، وصلى الناس الجمعة ظهراً، وكثرت الأهوال، وفسدت الأحوال، واضطربت الأمور، وتحرجت الصدور، وأصبحت الدوائر على المترجم تدور؛ وفت فى عضده فخلع نفسه وقد كان فرق فى الأشراف وغيرهم نحو السبعين قنطارا.

وفى ليلة السبت الثامن والعشرين من شعبان عام ستة ومائتين وألف، خرج وزان ناجيا بنفسه، حيث رأى أن شوكة أخيه سليمان قد بلغت الغاية فى الشدة، وكانت دولته بوزان نحو شهرين، ونفوذه سائر فى القبائل الجبلية وأهل الفحص وما والى ذلك من الثغور.

ثم لم تزل أيدى التغريب والنوى تلعب به إلى أن رحل إلى الحجَ ودخل مصر وأقام بها مدة، ثم توجه إلى مكة فنزل على سلطانها صهره على أخته، ثم عاد إلى مصر، ومنها توجه إلى تونس فعظم أميرها حمودة باشا شأنه وأكرم مثواه ونزله ورتب له جراية كجراية ولى عهده، وبقى بتونس معظما مكرما، وتزوج عقيلة من بيت الشيخ القصرى أولدها ذكرا توفى صغيرا.

قال فى تعطير النواحى: زار المترجم إمام عصره الشيخ أبو إسحاق الرياحى، ولما أراد الخروج قال له: لا أُسرحك فى حر الشمس، وألزمه أن يتغدى معه، ولما أراد الشيخ الرجوع عشية أنشد للمترجم.

ولما نزلنا فى ظلال بيوتكم أمنا ونلنا الخصب فى زمن المحل

ولو لم يزد إحسانكم وجميلكم على البر من أهلى حسبتكم أهلى

فقال له المترجم: إنك إن أتيت أخى مدحته وأجازك وهو سلطان، وأنا غريب وكان بإصبعه خاتم ثمين فنزعه من خنصره وناوله الشيخ فأخذه الشيخ وضمه إلى صدره وأنشد:

نظرت لخاتم قد جل قدرا   تحف به الخلافة والكرامة

فقلت له شرفت وأى فضل   حويت بلبس مولانا سلامة

وقال له: إن خاتمك شريف، والشريف لا يستعمل، وقد أجازنى أخوك فى الدنيا وجائزتى منك فى الآخرة، ووضعه بين يديه فامتنع مولانا سلامة من قبوله، فقال له الشيخ: لا تحرمنى من جائزة الآخرة، فهى خير وأبقى والأعمال بالنيات فتركه الشيخ بين يديه، وخرج. رحم الله تعالى الجميع.

ثم بعد هذا عاد إلى المشرق ولم يزل يتردد به إلى أن وافته منيته.

هذا ملخص ما للزيانى، والضعيف، والجيش مع ترتيب، وتحرير وتهذيب، يظهر للقارئ المنصف بمراجعة الأصول.

وكان ختم أنفاسه بتونس بعد أن اعتراه شبه اختلال، وأقبر بزاوية أبى الحسن على عزوز قرب سوق البلاط، على ما أخبرنى به صاحب التعطير صديقى الحميم الشيخ عمر الرياحى التونسى حفيد الشيخ أبى إسحاق إبراهيم المذكور آنفا.

وقال أبو العباس أحمد وابن أبى الضياف التونسى فى تاريخه: إن مولاى مسلمة خرج من المغرب إثر خلعه وجاب الآفاق وأقام مدة بالديار المصرية، واجتمع فيها بنابليون الأول ووقعت بينهما المهادات، وكان هذا الشريف منصفا يذكر ما شاهد من حزم نابليون وشجاعته وثقوب فكره وإخباره بما آل إليه حال المسلمين وأسبابه من الانغماس فى النعيم والتفنن فى الحضارة واستعمال السرف؛ فى مذاهب الترف، حتى إن أثقال أمراء الجيوش توازى أثقال الجيش أو معظمه،

والحال أن بيت هذا الأمير تحتوى على فراش منامه وموضع جلوسه وأمامه مائدة عليها دواة وقراطيس وأرائك لجلوس من يأتيه لا غير.

قال: واتفق أن يوم قدوم هذا الشريف الشيخ على الباهى بحلق الوادى فقال للكاهية: عجل بإرسال الشوانى لنزول الشريف فورا، فقال له نتوقف فى ذلك على إذن خاص من الباى، فقال له: أنا رسوله إليك فى هذا الشأن وأتى الشيخ الباهى إلى الباى بباردو - وكان مقربا عنده - فقال له: إنى افتت عليك فى أمر يزيدك فخرًا، وقص عليه الخبر، فقال له: اشكر الله حيث لم يكن الأمر بالعكس، فشكر صنعه وعظم مقدم الشريف وأكرم نزله ورتب له جراية كجراية أخيه، وعين له منزلا، وبقى بتونس معظما مكرما مرموقا بما يجب لمقامه الدينى والدنيوى، وتزوج عقيلة من بيت الشيخ القصرى أولدها ولدا وتوفى صغيرا.

قال: وله فى الإيثار والسماحة أخبار، ثم اعتراه فى آخر عمره جذب احتقر به مقام السلطان والدنيا القليل متاعها الفانى، فكان يأخذ من الأغنياء ويناول الفقراء، إلى أن لبى ربه للدار الآخرة، بهذه الحالة الفاخرة.

وفاته: قال ابن أبى الضياف: إنه توفى فى منتصف جمادى الثانية من عام خمسين ومائتين وألف، ودفن بزاوية سيدى على عزوز، بالحاضرة بموكب شهده الديوان والأعيان كجنائز ملوك الحاضر رحمه الله.

٣٦٨ - مسعود الموقت ابن العلامة المشارك أبى محمد عبد القادر الطليطى الأندلسى.

الفاسى دارًا نزيل مكناس وموقت جامع قصبتها السلطانية.

حاله: خير دين فاضل، نزيه وجيه له الباع الطويل العريض فى التوقيت،

---

٣٦٨ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى الموسوعة ٥/ ١٨٢٧.

تولى رياسة التوقيت بمنار القـرويين، وبقى بها سنين عديدة، ثم نقله السلطان إلى مكناسة الزيتون، وولاه رياسة توقيت جامع قصبته.

مشـيخته: أخـذ عن مشايخ فـاس، وحصل التوقـيت على الحافظ أبى زيد الفاسى.

وفاته: توفى بفاس سنة أربع ومائة وألف.

٣٦٩ - مسعود بن جلون.

القاطن بمكناسة الزيتون، ترجمه الزبادى فى سلوك الطريق الوارية.

حـاله: قال فى سلوك الطريق فـى حقـه: المرابط الأرضى، الخيـر الناسك الخامل، المتجرد المحب، إلى أن قال: كان رحمه الله سنيا، ذاكرا محبا صادقا، ذا أخلاق كـريمة، وتواضع لله وللعبـاد، وخشوع وخـضوع، ممن تعتـريه الأحوال، وتظهر عليـه ذو وجد وغيـبة، يخبـر عن أشياء فى حـال سكره، وينكر فى حال صحوه، وكان متقشفا متجردا عن الدنيا وأهلها، لا يفتر لسانه عن ذكر الله، زَوَّاراً للصالحين الأحـياء منهم والأموات، وله خبـرة بمقابرهم، حتى كان رحـمه الله ما دخلت مكناسة قط فى حياته وسلمت عليـه إلا وقبضنى من يدى فى الحين، ويمر بى ويطوف بى على جميع من بمـكناسة داخلها وخارجها من الأمـوات والأحياء، ولا يفارقنى مدة مقامى هناك ليـلا ولا نهارا، وإذا ورد علينا لفاس لا يلتفت حتى يصل إلى دارنا وينادى علىّ، فإن وجـدنى وإلا فيقول لأهل الدار: إذا جـاء قولوا له: إن مسعودا جاء ساعيا بأبوابكم، وكان يعتمد الشيخين مولاى التهامى، وأخاه مولاى الطيب الشريفين اليملاحيين الوزانيين رحمهما الله ورضى عنهما.

مشيخته: أخذ عن مولاى التهامى، وأخيه مولاى الطيب المذكورين.

وفاته: توفي بمكناسة الزيتون عام تسعة وستين ومائة وألف، كذا في سلوك الطريق الوارية.

٣٧٠ - مسعود البريشي.

حاله: كان متوليا خطة النيابة عن القاضي بالحضرة المكناسية، وقفت على رسم مؤدى عليه بتاريخ خامس عشرى حجة عام عشرين ومائتين وألف، محلى فيه بنائب قاضي الجماعة بالحضرتين فاس ومكناسة.

٣٧١ - المهدي الزريهني بالتصغير.

جد بني الزرهوني بفاس وهم بربر من جبل زرهون.

حاله: شيخ فقيه صالح، خير متمسك بالدين، وأولاده فقهاء صلحاء، ذكره بعضهم في تأليف له في بيوتات فاس في القديم، وكذا الشيخ أبو زيد الفاسي في تأليف له في ذلك، وهو أول قادم على فاس من زرهون، وانظر هل هو القاضي الزريهني الذي كان بفاس وكان صلبا في الحق معاصرا لأبي الفضل راشد الوليدي، وأبي الحسن الصغير والله أعلم، ولم أحفظ تاريخ وفاته، بَيْدَ أنه مات بفاس.

٣٧٢ - المهدي بن عبد المالك بن إدريس بن عبد المالك بن المنتصر بن السلطان الأعظم سيدنا الجد مولانا إسماعيل.

حاله: فقيه علامة مشارك، مطلع سياسي ناقد خبير حنكته التجارب، عارف بالأمور بصير بالعواقب، مهذب الأخلاق لين العريكة، محاضر فاضل، نبيل ذكي زكي، كريم النفس، عالي الهمة، وقور هيوب، اجتمع فيه من العلم والفضل والدين والشعور ومكارم الأخلاق وحسن العشرة ما افترق في غيره من أبناء

---

٣٧٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع ٧/ ٢٦٢١.

عصره، صاهره سيدنا الجد أبو زيد السلطان مولانا عبد الرحمن بن هشام بابنته الدرة المصونة السيدة زينب، وكان له لديه جاه ووجاهة، ثم جاء من بعده ولده السلطان سيدى محمد فزاده حظوة على حظوة، واصطفاه لمجالسته ومشاورته والمفاوضة معه فى المهمات، وكان لديه مستودع سره يتيامن بآرائه لما يعلمه من فضله ودينه وأمانته، ولم يزل محبوبا مبجلا منظورا إليه بعين الإكبار والرعاية إلى أن لبى الداعى، وانتقل لوطن الرحمة محمود المساعى.

مشيخته: أخذ عن فطاحل علماء وقته، ولازم العارف بالله مولاى عبد القادر العلمى، وانتفع بأسراره ومعارفه، وظهرت عليه بركته ولا كظهور شمس الظهيرة.

وفاته: توفى ببلده محروسة مكناسة الزيتون عام ثمانية وسبعين بموحدة بعد السين ومائتين وألف، ودفن بضريح أبى العباس أحمد الشبلى الولى الشهير قرب دار سكناه.

٣٧٣ - المهدى الكحاك.

من أولاد الكحاك من أهل فاس الإدريسية المستقرين بمكناسة الزيتون.

حاله: رأس المترسلين، وصدر الكتاب المعتبرين، قال أبو عبد الله محمد بن الطيب بن عبد السلام القادرى فى الأزهار النادية لدى تعرضه لذكر المترجم ما لفظه: خدم السلطان مولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل إلى أن سار إلى سوس، ثم خدم بعده أخاه السلطان مولاى المستضىء بالله ابن مولانا إسماعيل، ثم اتصل بخليفة العصر أمير المؤمنين سيدى محمد بن عبد الله الحسنى، فكان صدرهم، يحسن الإنشاء فى الترسيل ويجتنب الفضول والتوغل فى التصريف، ولا يتكلم إلا فيما يؤمر به مشتغل بما يعنيه، يطلب من الرزق ما يكفيه، ولا يطمع فى أحد

سوى السلطان، عالى الهمة متعفف، ثقة كتاب العصر، يحب الخمول، هذا دأبه، إلى أن توفى بمكناسة الزيتون.

وفاته: توفى عام ثمانين ومائة وألف.

٣٧٤ - المهدى بن العلامة الخير الدين أبى محمد الطيب بن الصغير بصرى.

المكناسى النشأة والدار.

حاله: فقيه علامة عامل مشارك، محرر نحرير، متبحر نقاد متفنن، نبيل جليل، مدرس نفاع.

مشيخته: منهم السيد محمد فتحا بن محمد بصرى صاحب الثبت المذكور فيما مر وغيره، أخذ عنه الألفية وبعض مختصر خليل، وبعض الآجرومية، وصغرى السنوسى.

وفاته: توفى يوم الاثنين موفى عشرين من جمادى الأخيرة عام ثلاثة وتسعين ومائة وألف.

٣٧٥ - المهدى قاضيها شيخ شيوخنا أبو عيسى ابن الطالب بن محمد فَتْحًا ابن محمد الرضا بن أحمد بن محمد فتحا بن محمد بن عبد الرحمن ابن حمدون بن عبد الله بن القاضى على بن أبى القاسم بن القاسم.

أول قادم لفاس من غرناطة على عهد أبى عنان.

حاله: شيخ الإسلام، وحجة الأنام، بحر علم زاخر لا تكدره الدلاء، ولا يدرى له أول ولا آخر بين السراة الألباء؛ إمام الفقة والحديث والسير والأصول والفروع، متفرد فى المعقول والمنقول، ذو عارضة طويلة عريضة، وأبحاث دقيقة،

---

٣٧٤ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٤١٥.

٣٧٥ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٦٥٧.

ومشاركة كاملة فى سائر الفنون، ضابط متقن، راوية ذرب اللسان، ثبت الجنان، سياسى ماهر، مطلع خبير بصير بالعواقب، حامل لواء التحقيق فى زمانه، مشار إليه بالبنان بين أقرانه، درس العلم بأقطار المشرقين والمغربين فأجاد وأفاد، وخلد الثناء عليه فى الأغوار والأنجاد، وكان شيخ مجلس السلطان العادل سيدنا الجد مولاى عبد الرحمن بن هشام، ثم السلطان سيدى محمد، ثم السلطان مولاى الحسن فى صحيح البخارى فى الأشهر الثلاثة رجب وشعبان ورمضان.

رحل إلى الحج ثامن ربيع النبوى عام تسعة بتقديم المثناة وستين ومائتين وألف فحج وزار، ولقى هنالك جماعة من الفضلاء والأخيار، ودرس بمصر والحرمين، وأقر له بالفضل والتقديم دون مين، ووقع له هنالك ظهور كبير، أخبر به الجم الغفير، وقد مدحه غير واحد من أعلام تلك الأصقاع، فمن ذلك ما مدحه به الشيخ إبراهيم بن سراج الدين الإسكندرانى وذلك فى ٢٥ ربيع الثانى عام ١٢٧٠ من جملة قصيدة طويلة:

فسبحان من أمضى على الجور حكمها ... وجدد بالمهدى ما كان أخلقه

همام له فى صولة البحث مدرك ... به أنطق الدين الحقيق ومنطقه

وما مدحه به الشيخ حسن بن الحاج على اللقانى فى جمادى الأولى عامه.

أفاتكة الألحاظ مائسة القد ... أضلتك عن نهج الهداية والرشد

إلى أن قال:

أم الدين والدنيا أشارا وأشرقا ... فهل هذا روح الله أم قدم المهدى

همام له فى الفضل والعلم والعلا ... خصائص قد جلت عن الحصر والعد

هو البحر بحر العلم والحلم والتقى ... وكشاف ما تخفى العبارة عن قصد

وهى طويلة طنانة مثبوتة بخطه فى كناشته كسابقتها ولاحقتها.

وما قاله فى حقه الشيخ محمد محمود أفندى الإسكندرانى من قصيدة رائقة طويلة:

إن يكن فى الهوى صدودك حظى	لا تدع للوشاة منك نصيبا
خل قوما هم الغواة فإنى	قد رأيت المهدى فينا قريبا
قام فينا للدين ركنا حصينا	وتخلى للعلم صدرا رحيبا
قرشى عنه سمعنا حديثا	فرأينا من الحديث عجيبا

ثم رحل ثانية إلى الحج فى معية أنجال السلطان المقدس مولاى عبد الرحمن، وهم: موالينا على، وإبراهيم، وجعفر، وعبد الله، وابن عمهم أبو بكر ابن عبد الواحد بن محمد بن عبد الله فبارحوا مكناسا يوم الاثنين خامس رمضان من عام ١٢٧٤، ودخلوا مصر فى ١٢ شوال، وخرجوا منها فى تاسع ذى القعدة، فدخلوا مكة يوم الجمعة ١٧ قعدة، ودرس بها قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا ... (٢٣)﴾ الآية ووقف على قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا ... (٣٨)﴾ [سورة الحج ٢٣-٣٨] ومن ليلة الأحد سابع ذى الحجة توفى نجل السلطان مولانا إبراهيم ودفن بالمعلى، بجوار مولاتنا خديجة، ثم رحلوا من مكة ودخلوا المدينة سادس المحرم فاتح عام ١٢٧٥، ثم أعادوا الرجوع، فبلغوا إلى الحضرة الملوكية بمكناس أواخر صفر، وما جاء فى الاستقصا من أنهم لحقوا بالأمير بمراكش سبق قلم، والحق ما نقلناه من خط المترجم مخبرا عن نفسه.

وقد عد فى كناشته حسبما وقفت عليه بخطه عدد المراحل التى قطعوها وبعض الوقائع التى لاقوها فى طريقهم، وسمى شيوخ الأزهر الذين فرقت عليهم صلة السلطان على اختلاف مذاهبهم وطبقاتهم بعد أن عين للطبقة الأولى ثمانية

وأربعين ريالا، وللثانية خمسة وأربعين، وللثالثة اثنين وأربعين ,ها نص أسمائهم طبق ترتيبهم:

الطبقة الكبرى من المالكية خمسة وعشرون نفرا، وهم: الشيخ محمد عليش، الشيخ محمد المصورى، الشيخ محمد كموة، الشيخ أحمد منة الله، الشيخ عمر فتح الله، الشيخ بوشتى التتائى، الشيخ عيسى الغزولى، الشيخ عمر البرطوسى، الشيخ حسن العدوى، الشيخ عبد الغنى المكواتى، الشيخ منصور كساب، الشيخ أحمد الإسماعيلى؛ الشيخ على الطهولى، الشيخ عيسى مرزوق، الشيخ ظفر الدسوقى، الشيخ محمد الحداد، الشيخ محمود بن الشيخ عليش، الشيخ محمد رابح التونسى، الشيخ عبد الله عليش؛ عبد المنعم الجرطاوى، الشيخ محمد قطة، مصحح الطبع الشيخ محمود الفيومى مكرم، الشيخ عبد الله الدسوقى.

الطبقة الثانية من المالكية عددهم ٢٢: محمد الصاوى، محمد البساطى، محمد السنهورى، محمدى أبوهر، إبراهيم دقيس، منصور المناوى، محمد بن شهاب، إبراهيم النائمى، عبد الرحمن عليش، محمد الشماخ، محمد النطراوى، محمد الحفناوى، محمد هلال، أبو الحاج على، سليمان الصفن، عيسى البولاقى، عبد القارى المازنى، محمد الكوفى، إبراهيم الدسوقى، أحمد السمخراطى، محمد الناصرى، محمد العدوى.

الطبقة الثالثة من المالكية عددهم ٣٥: محمد الجزيرى، محمد الشعبوتى، محمد نقموس، محمد العبادى، حسن داود، أحمد الشريف، عبد الفتاح المطيع، سليمان الخونكى، على شعبان، سليمان البولاقى، إسماعيل الخمرى، مضر ناظر المساكين بمسجد أبى العباس بن طولون، عبد الله الطحاوى، محمد اللقانى، أحمد العطار، عبد الله المكارى، معتوق الفيومى، على الفيومى، محمد الكاوى الموقت، محمد الأنجباوى، عبد الرحمن الفيومى، أحمد كبره، إبراهيم التونسى، محمد الفاسى، محمد الأيوبى، يوسف الطحاوى، محفوظ العدوى، أحمد

المسلاتى، عبد اللطيف الطهولى، الشيخ عرفة، رزق مجلس، على المصرعاوى، عبد القادر المتيحى.

الطبقة الأولى من الشافعية: الشيخ إبراهيم الباجورى، الشيخ إبراهيم السقاظفى المسلط، ظفر الذهبى، عبدة اللقانى، محمد الابراستى، أحمد أبو مصلح، محمد الخنانى، خليفة القشنى، عبد الله النبراوى، السيد أبو عماشة، محمد الطوخى، يونس البوهى.

الطبقة الثانية منهم: عيسى البلتانى، على المخلاسى، إبراهيم الزور، محمد الأشمونى، محمد العشماوى، محمد الدفلاوى، محمد الحطمى، نور الدين مسرا بيردى، عبد الرحمن القيانى النجريدى، إسماعيل الكلاوى، محمد القلماوى، حسن المرصفى، محمد السبكى الطحاوى، عبد القادر القبلشلى.

الطبقة الثالثة منهم: أحمد راضى، سيد الشرشمى، محمد عميرة، حسن شخيخة، مصطفى عز، عبد الحى عبد اللطيف الشامى، محمود الغرى، فتوح الشجرى، أحمد الغربى الشرقاوى، محمد الأنبانى، محمد مليحة، أحمد الحماقى، فيروش الدمنهورى، على المناوى إمام الحسين، محمد البلقامى، ظفر الأشراقى، عبد الله الكفراوى، أحمد الأجهورى، أحمد المرصفى، عبد النبى البردينى، على الأسيوطى، صالح اليحياوى، إبراهيم الشجليقى، إبراهيم الشافعى، سليمان الخواجة، محمد النتينى خضر.

الطبقة الأولى من الحنفية: محمد العباس، المهدى الدافعى الطرابلسى، محمد القطب، ظفر القرسنى، إسماعيل الحلبى، عبد الرحمن البحراوى، على البلقى، عبد الحميد شيخ الأتراك.

الطبقة الثانية منهم: أحمد أبو العز، سليمان الخلفاوى، عبد المطلب إبراهيم الربعى، حسن الخليلى، وهبة الأسيوطى.

الثالثة منهم: عبد العظيم الطحلاوى، عبد القادر الرافعى، إبراهيم القطب، عبد الوهاب السليمانى، يوسف أفندى العاجز، أبو العلاء الحلفوى.

من الحنابلة الطبقة الأولى منهم: عبد الرحمن الحنبلى انتهى، لفظه.

وفى أوائل صفر عام اثنين وسبعين ولى قضاء بَلَدِنا مكناسة الزيتون، وبقى واليا بها إلى أن نقله الله، ومع ما كان عليه المترجم من الحظوة والجاه، فقد كان كثير التنصل من توليته خطة القضاء، فقد وقفت على عدة مكاتيب بعث بها إلى جلالة السلطان يطلب الإعفاء من الخطة ويعتذر بشدة رغبته فى التأليف والتدريس مع كبر السن، فلم يجب إلى رغبته لما عرف به من العدل والاستقامة والصرامة فى الحق.

فمن ذلك مكتوب بعث به إلى الوزير الطيب بو عشرين بتاريخ ٢٩ شوال عام ستة وسبعين ألح فيه كثيرا وأكثر من الاستعطاف، ومكتوب آخر بعث به إلى المذكور أيضا لم يدع بابا من أبواب الالتجاء إلى الأعتاب الشريفة إِلاَّ وَلَجه، ومع ذلك قدمت الجلالة الشريفة حقوق الأمة على حقوقه رحمه الله رحمة واسعة.

مشيخته: أخذ عن العلامة سيدى عبد السلام الأزمى المتوفى يوم الأحد عاشر شعبان عام واحد وأربعين ومائتين وألف وهو عمدته فى المعقول، وعن السيد عبد القادر الكوهن المتوفى بطيبة الطيبة عام ثلاثة وخمسين ومائتين وألف وهو عمدته فى الفقه، وعن سيدى محمد الحراق وهو عمدته فى التفسير والحديث، وأجازه الثلاثة عامة، وعن سيدى على بن إدريس قصارة أخذ عنه النحو والحساب والعروض، وعن سيدى بدر الدين الحمومى، وشيخ الجماعة السيد محمد بن عبد الرحمن الفيلانى وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه بمصر الشيخ عليش، والشيخ عبد الهادى نجا الأبيارى، وبدمشق الشيخ دكدوك، وبفاس أخوه السيد أحمد قاضى مكناسة من بعده، والحاج محمد جنون صاحب اختصار الرهونى، وشيخنا أبو العباس بن الخياط الزكارى، وشيخنا السيد العباس بن أحمد التازى، والعلامة سيدى جعفر الكتابى، والقاضى السيد حميد بالتصغير بنانى، وخلق وبمكناس السيد فضول ابن

عزوز، والسيد فضول السوسى، وابن الجيلانى السقاط، والسيد المختار الأجراوى، والسيد محمد الهويج وغيرهم.

مؤلفاته: حاشية على السلم فى المنطق وحاشية على رسالة العضد، وشرح على الهمزية، وحاشيتان على الخرشى، وحاشية على المحلى على جمع الجوامع، وحاشية على صحيح البخارى، وحاشية على السعد، وتقاييد كثيرة فى أوضاع مختلفة.

شعره: من ذلك قوله داعيا ربه بتيسير الحج له ولإخوانه:

يا ربنا يسر لنا المحجة	لبيتك العتيق كى نحجه
بالمال والصحة والهناء	ورفقة طيبة الثناء
يدعوك ربى أحمد والمهدى	وعمر متعهم بالقصد

وقد استجاب الله دعاءه فحج جميع من ذكر.

وقوله معتذرا وقد استدعاه السلطان الأعدل سيدى محمد بن عبد الرحمن قدس سره، للخروج معه فى بعض أسفاره، وذلك فى ربيع الأول عام أربعة وثمانين ومائتين وألف بواسطة وزيره السيد الطيب بن اليمانى حسبما ذلك بخط يد المترجم فى كناشة له ومنها نقلت:

بلغت سنين فقل البصر	وأثقل فكرى وعظمى الكبر
وبان المنام وجمع الملاذ	فماذا أؤمل ما المنتظر
وأترابنا قد مضوا جملا	فكانوا كطيف بدا فغبر
وأنت الإمام الرءوف الشفيـ	ـق بكل الورى وجميع البشر
فكيف بمن عمره معكم	مضى فى الحديث وآى السور

وهذا شفيع عظيم فجد على من بدا عجزه فاعتذر

بقيت مشيداً لدين الإله ومنك ينال المنى والوطر

ولادته: ولد سنة عشرين ومائتين وألف بالحضرة الفاسية.

وفاته: توفى عن ثلاث وسبعين سنة عشية يوم الخميس رابع رمضان عام أربعة وتسعين ومائتين وألف، ووافق أن كان أول يوم من شتنبر، وصلى عليه من الغد بعد صلاة العصر بجامع القرويين، ودفن برحبة الزبيب بمحل اتخذ له زاوية بين مسجد عقبة الزرقاء المعلق الأسفل والمكتب الكائن أسفل منه.

٣٧٦ - المهدى بن على الإسماعيلى.

الشريف الأصيل، نزيل أبار من تافيلالت.

حاله: ولى صالح، مكاشف فالح، ذو وجاهة ودين متين، وأسرار ظاهرة، وأنوار باهرة، واستغراق فى بحار المحبة الإلهية، والذات المحمدية، كثير التفكير والعبادة، دائم السكوت إلا لأمر بمعروف أو نهى عن منكر أو إبداء حكمة، يخبر بما كنته الضمائر، تواترت عنه كرامات، وخوارق عادات.

امتحن أيام السلطان مولانا عبد الرحمن بالسجن فى قيود الحديد فى دار مكناسة أياما عديدة لأسباب كانت فى الكتاب مسطورة، فكان يراه بعض الناس يحضر الجمعة بالمسجد الجامع والحال أنه مثقف عليه قيود الحديد، وإذا حان وقت الصلاة نزع القيد عن رجليه وكان إذا مشى الهوينا لا يماشيه المهرول، حدثنى غير واحد ممن وثقت بخبره من أهل بلدنا ممن كان يحرسه مدة اعتقاله أنه دخل يوم جمعة حين حان وقت الصلاة على المترجم فوجد القيد مطروحا ولم يجد المقيد والحال أن الحرس بالباب، فتحير واشتد خوفه من العقوبة المخزنية التى تلحقه

---

٣٧٦ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى الموسوعة ٧/ ٢٦٦٤.

حيث يعتقد فيه التفريط، فرجع للباب وجلس فى حيرة عظيمة فبينما هو يضرب أخماسا فى أسداس إذ سمع نحنحة المترجم بالمحل، فدخل فزعا فوجده مقيدا، فقال له: مالك أخى حتى الصلاة مع الناس نتركها إلى غير هذا مما يطول.

ولما شاعت وذاعت فى الناس كراماته سرحه الأمير المذكور، وأبدى له أعذاره وطلب مسامحته، فسامحه على أنه لم يؤثر فيه ذلك شيئا، وحدثنى بعض أهل العدل الأعلام أنه أى المترجم كان يدعو للسلطان المذكور فقيل له: كيف تدعو له وهو قد فعل بك كيت وكيت؟ فأجابه بقوله: كيف لا تدعو لمن كان السبب فى ربحك وفلاحك.

وبالجملة فقد كان المترجم كعبة خير وفضل وصلاح وفلاح، يطوف حولها أئمة الدين، وحملة شريعة خير العالمين، لاستصباح قلوبهم من فيض أنوار هديها، منظور إليه بعين الإكبار، والإجلال والاعتبار، معتقدا عند العامة والخاصة.

فلقد كان الشيخ القدوة الحاج محمد جنون كثير الإنكار على أهل الدعوى من المتصوفة شديد الشكيمة فى الله، ومع ذلك فلم يسعه غير الإذعان والخضوع والإقرار والاعتراف بفضل صاحب الترجمة، فكان إذا حل بفاس لا يتقاعد عن تعاهد زيارته ومن ذلك ما عاينه تلميذه أبو العلاء المولى إدريس الفضيلى العلوى، قال: رأيته - يعنى شيخه - جنونا يوما وقد دخل على صاحب الترجمة وحوله جمع عظيم يناهز المائة نسمة ما بين أشراف وعلماء وغيرهم، قال: وشيخنا رحمه الله محتبى بين يديه مطأطئ رأسه بعد أن احتبى حبوات بين يديه، فلما رفع رأسه - أعنى صاحب الترجمة - طلب منه صالح دعائه فدعا له بخير وانتفع رحمه الله بدعائه.

وفاته: توفى بسجلماسة أواخر شعبان أو أوائل رمضان عام ستة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بداره بأبار، إذ قد تنازع بعد وفاته فى مدفنه أهل تلك

البلاد، ثم أقرعوا فخرجت القرعة أن يدفن بقصره المذكور، وبنيت عليه قبة عظيمة، وله الآن هناك شهرة كبيرة، ولا تجد إلا من يلهج باسمه بتلك الأقطار رحمه الله ورحم به.

٣٧٧ - المهدى بن فضول بصرى.

حاله: شاب نشأ فى عبادة الله فقيه نجيب وجيه، فاضل نزيه، حيى أريحى، مهذب طلب العلم ببلدة مكناسة ثم رحل لفاس بعد العشرين من هذا القرن، واستقر بمدرسة الشراطين من فاس، ولازم الأخذ عن شيوخها حتى فتحت له النجابة بابها ثم رجع لمسقط رأسه.

مشيخته: أخذ عن شيوخنا الجلة كالقاضى ابن عبد السلام الطاهرى، وأبى عبد الله بن الحسين العرائشى، والسيد الحاج المعطى بن عبود، وسيدى الفاطمى الشرادى، ومولاى عبد الله الفضيلى، وسيدى محمد بن قاسم القادرى، وأبى العباس أحمد بن الجيلانى، وأبى العباس ابن الخياط الزكارى وغيرهم.

وفاته: توفى فى بلده مكناس عام أربعة وعشرين وثلاثمائة وألف.

٣٧٨ - موسى بن محمد بن معطى العبدوسى وبه عرف أبو عمران.

حاله: علامة محصل، ناقد خبير متضلع، نقاد مشارك، مفت مدرس نفاع، انتهت إليه رياسة العلم والفتيا فى زمنه، آية فى المدونة، وكان الشيوخ يقولون: فقهاء العصر على ثلاثة أقسام: من أعطى الحفظ فقط، ومن أعطى الفهم فقط، ومن جمعا له وهو سيدى العبدوسى.

---

٣٧٨ - من مصادر ترجمته: «جذوة الاقتباس ٣٤٦/١، شرف الطالب فى الموسوعة ٦٤٨/٢، كفاية المحتاج ٢٤٩/٢، نيل الابتهاج ٢/ ٣٠٠، وفيات ابن قنفذ - ص ٣٦٩.

قال ابن الخطيب القسنطيني فيه: شيخنا ومفيدنا طريقة الفقه، الشيخ الحافظ، مجلسه بفاس أعظم المجالس، يحضره الفقهاء والمدرسون والصلحاء وحافظ المدونة يحضره من نسخها بيد الطلبة نحو أربعين، وله إدلال عجيب فى إقراء التهذيب، سمعته يقول: لى أربعون سنة نقرأ المدونة، وفى عام وفاته وقف قارئ الرسالة على باب الجنازة فكره ذلك الطلبة وأرادوا الزيادة ففهم وقال لهم: كرهتم الوقوف على الجنائز، والله لا أقف إلا عليها، فوقف القارئ، وتوفى الشيخ تلك السنة وقال: كان له فى الفقه مجلس لم يكن لغيره فى زمانه، لازمته فى المدونة، والرسالة بفاس ثمان سنين، وكان يعظم الشيخ أبا يعزى، ويحكى عنه فى باب زكاة الحرث أنه يخرج للضعفاء تسعة أعشار صابته ويتمسك بالعشر، ويقول: من سوء أدبى أن أُخرج العشر وأتمسك بتسعة أعشار.

مشيخته: أخذ عن عبد العزيز القورى، وأبى زيد عبد الرحمن الجزولى الذى ينسب إليه شرح الرسالة المتوفى فى حدود أربعين وسبعمائة، وهو عن الفقيه راشد كما أخذ المترجم عن غيرهما من حفاظ المذهب المالكى.

الآخذون عنه: منهم الإمام ابن عباد، وأبو حفص الرجراجى، وأبو عبد الله الهوارى، وابن الخطيب القسمطينى، والحافظ عمران بن موسى الجاناتى وخلق.

مؤلفاته: له تقييد على المدونة، وآخر على الرسالة، وقيد عنه الحافظ الجاناتى التقييد البديع على المدونة فى عشر مجلدات.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون كما فى الجذوة سنة ست وسبعين وسبعمائة - بتقديم السين على الموحدة فيهما - ورمز لوفاته صاحب الإعلام، بوفيات الأعلام، بلفظ (وعست) من قوله:

وجده موسى أبو عمران   فى (وعست) وفاته الأقران

٣٧٩ - موسى العزاف.

حاله: صالح عارف كامل، له قدم عال فى التقشف والصبر على سلوك سبيل الخير والمثابرة على فعل الأوامر واجتناب النواهى، أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات، ذكره العلامة المؤرخ الأديب أبو عبد الله محمد بن أبى بكر الحضرمى فى كتابه السلسبيل العذب والمنهل الأحلى، المرفوع للخلافة العزيزة - يعنى المرينية - التى لا تزال مناقبها على مر الدهور تتلى، فى سلك من تحلى سلكم فى الأربعين فى الجيل جيل فاس ومكناسة وَسَلاَ، وذكر له كرامات.

مشيخته: أخذ عن الشيخ أبى العباس بن عاشر السلاوى، ولم يذكر له الحضرمى وفاة.

٣٨٠ - موسى بن الحجاج أبو عيسى المكناسى.

حاله: إمام فى العربية، قال فى الروض محليا له: بشيخ شيوخنا، يقوم على تسهيل ابن مالك، ويقرر الألفية بجامعها الأعظم تقريرا حسنا وكثيرا ما يتمثل:

خلت الديار فسدت غير مسود ومن الشقاء تفردى بالسؤدد

حدثنى عنه بذلك الشيخ المعمر أبو عبد الله ابن الأستاذ ابن جابر. هـ.

ويغلب على ظنى أنه هو صاحب الضريح الشهير المتبرك به بحومة التوتة إحدى حومات حضرتنا الهاشمية المكناسية والله أعلم.

٣٨١ - موسى بن على الزرهونى.

المعروف بذى الصخرة دفين مدشر موساوة أحد مداشر جبل زرهون.

حاله: ولى شهير، عارف كبير، ذو سمت حسن، ولين عريكة وخلق مستحسن، يلوح عليه أثر الخير والصلاح، كان يأتى إلى الحجارة الكبيرة والصخور

العظيمة التى لا تطاق فيجهد نفسه فى قلعها وقلبها وتشييعها، فإذا قلعها ودحرجها عن مكانها أخذ فى الاعتبار، والتدبر فى باهر صنع الواحد القهار، ولذلك سمى بذى الصخرة، وقد أظهر الله على يده كرامات وخوارق عادات.

مشيخته: أخذ عن سيدى عبد الله الخياط وغيره من صلحاء الأمة.

الآخذون عنه: أخذ عنه الولى الكبير أبو يحيى الخلطى الدخيسى المتوفى بفاس عام عشرة وألف.

وفاته: توفى بجبل زرهون أواسط العشرة التاسعة من القرن العاشر وضريحه بالمدشر المذكور مزارة شهيرة مقصودة.

٣٨٢ - موسى بن أحمد[1] بن مبارك.

حاله: شعلة ذكاء ودهاء ونباهة، تقدمت ترجمة والده وولده فى الأحمدين، ولاه السلطان أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن هشام الحجابة فقام بها أتم قيام إلى أن لبى السلطان داعى مولاه، وأقره السلطان المقدس أبو على الحسن على وظيفه إلى أن استبد على الوزير الصدر إذ ذاك، ولم يزل مستبدا على المنصب إلى أن ختمت أنفاسه رحمه الله.

وقفت على كثير من رسائل مولاى الحسن إليه لما كان لا زال خليفة عن أبيه والمترجم هو الحاجب، بعضها بخطه كلها، والبعض بتوقيعه، والبعض بطابعه وهى فى الشئون التى كانت تجرى على يده وفى محل خلافته، وقد مرت بك أمثلة منها فى الترجمة المحمدية، وأقدمها تاريخا فيما رأيت أوائل عام واحد وثمانين، وبخزانتنا أيضًا مجلدات مجموع فيها بعض رسائل المترجم الرسمية التى كان يبعث بها فى العهد الحسنى.

---

٣٨٢ - من مصادر ترجمته: إتحاف المطالع فى موسوعة أعلام المغرب ٧/ ٢٦٦٢.

(١) فى إتحاف المطالع: «احمَاد».

إليك بعضا منهـا، وهى مما كتب به لأخيه باشا فاس فى مـختلف الأوامر.
نص الأول بعد الحمدلة والصلاة:

«أخانا الأعـز الأرضى، الفقيه العـلامة الباشا الأسـعد سيدى عـبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعـد: فقـد وصلنا كتـابك فى شأن مـا كتب لك به السـيد عـبد السـلام احرضان من جعل طابعك بعد ختم الكتـاب فيما تكتب به للباشدورات ونحوهم، وتوقفك فى ذلك لما شرحته، وصار ذلك بالبـال، فقد أشار عليك بالقانون الجارى فى ذلك، وهو الذى نفعله نحن معهم، وجرى به العـمل سابقا: فلا يتوقف الأخ فيه، ولكل وقت عمل، ولكل فاعل حجـة، والله يبارك فى عمر مولانا وينصر به أعلام الإسلام آمين، وعلى الأخوة والسـلام فى ٢ فاتح محرم الحرام عام ١٢٩٥، نعم القنصوات الصـغار والتجـار فلا بأس بجعل الطابع لهم فى المحل المعـهود أو بطرة أعلى الكتاب دون هؤلاء لأن مرتبتهم اقتضت لهم ذلك صح به.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثانى للقائد الجيلانى بن حم:

«محـبنا الأعـز الأرضى القائد الجـيلانى بن حم، أمنك الله وسـلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن باشـدور جنس الطليان الذى كان بحضرة سـيدنا أيده الله توجه لمحله على طريق عقـبة العربى وقصـر فرعون، فيأمـرك مولانا أيده الله أن تكتب لخليفتك بزرهون بالقيـام بمئونته ومئونة من معه من غيـر إسراف ولا تفريط، وأكد عليه فى القيام بالعسة عليه حتى يخرج من إيالتك ولابد وعلى المحبة والسلام وفى ٢٨ ربيع الثانى عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثالث:

«أخانا الأبر الأعز الأرضى، الطالب السيد عبد الله رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فحامله إليك وصيف معتق ساكن بالصويرة اشتكى أن بنتا سرقت له منها وهى حرة تبعا لأمها، إذ هى حرة بالأصالة، وتداولتها الأيدى إلى أن كان آخر علمه بها أنها وصلت ليد ولد مزوارة الدكالى العمرى، أحد أمناء قبيلته، وقدم بها لفاس، ثم الله أعلم بما فعل بها، إذ لا تحقيق عنده فيها، والآن فلا بُدّ ابحث عنها وهو يبحث أيضا واستنشق خبرها حتى تعثر عليها عند من هى، ثم إن سلمها له من وجدت عنده فذاك، وإلا فثقفها على يدك وأعلمنا، وعلى الأخوّة والمحبة والسلام فى ١١ شوال عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الرابع:

«أخانا الأعز الأرضى، الباشا الفقيه السيد عبد الله بن أحمد رعاك الله، بوجود سيدنا أيده الله.

وبعد: فغير خاف على إخوتك أن الشريف اللطيف الفقيه العلامة مولانا الصديق طالما يطلب مِنَّا حِينَ كُنَّا بفاس بأن يصل معك الرحم من لدن سمع بولايتك على أهل فاس، وأن يبارك لك فيها، ولم يساعد على ذلك فى تلك الساعة، ولما ورد على حضرة مولانا أيده الله طلب منه ذلك فساعده أيده الله عليها، وهاهو يرد عليك فلا بد استوص به خيرا، لكونك اليوم أنت باشا، وأما قبل كنت مخزنيا مثلنا وعلى الأخوة والسلام وفى ٢٤ شوال عام ١٢٩٢ ومنه وقد ضرب له سيدنا أيده الله آجلا. بأن لا يزيد عليه ولا ينقص.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الخامس:

«أخانا الأعز الأسعد، الفقية الباشا الأنجد، أديب الزمان، وعين الأعيان، الرئيس الذى انتخبه الله لرتب المجد والجاه، أبا محمد سيدى عبد الله، أدام سلامتك، وأبقى فى الحق صرامتك، وسلام على أخى ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا أيده الله ونصره.

وبعد: فإن القائد عبد الله الدليمى طلب من سيدنا نصره الله ومنا أن يكون من خدامك ويخدم معك ولده أيضا وتكلفه بالأمور التى يناسب تكليفه بها، وإن أردت من إخوانه نحو العشرة أو أكثر يمدك بهم لتستخدمهم معك إقرارا بإحسانك القديم معه، وكونه منحاشا لجانبنا ومن أهل محبتنا، وقال: إنما هو واحد من أصحابك، فأجاب سيدنا أيده الله أن نكتب لك بمطلبه والاعتناء به، فلا بد أخى استخدمه وولده ومن أحببته يخدم معك من إخوانه مراعاة لمحبته فى جانبنا معا، وتعلقه بأذيال كرمنا، بارك الله فيك، وأدام عزك، وحفظنا فيك وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ٢٦ شوال عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السادس:

«أخانا الأعز الفقيه العلامة الباشا الأسعد السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فعن أمر مولانا نصره الله مر الأمناء أن يصنعوا غشاء من الموبر المطرز بقصد الكتاب الشريف الموجه للدولة الفرانصوية صحبة الأمين الحاج محمد الزبدى، حسبما يشير به عليهم ولابد، وعلى المحبة والسلام فى ٢١ ذى القعدة الحرام عام ١٢٩٢.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السابع:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه الأمجد السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله والسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فعن أمر سيدنا أعزه الله نفذ لعيال المعلمين الستة الذين توجهوا للوندريز من النجار والفخار والحداد ومن معهم نصف ما قبضوه من الصلة والزرع عند سفرهم إعانة لهم، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى ١٢ من جمادى الثانية عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثامن:

«صنونا الأعز الأرضى الفقيه الأجل الباشا سيدى عبد الله بن أحمد، سلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير سيدنا أيده الله ونصره.

وبعد: فعن أمر سيدنا المنصور بالله نفذ للستة والعشرين رجلا من طلبة الهندسة من الصويرة وآسفى وتردانت زادهم، واكتر لهم مراكبهم واصلين لبلادهم ومركوبهم واصلا إلى محل كل واحد منهم ومؤنتهم ما داموا مقيمين هنالك من أمناء دار عديل ولا بد، وعلى أخوتك التامة والسلام ١٢ جمدى الثانى ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

التاسع:

«أخانا الأبر الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأجل الأحظى الباشا الأسعد، السيد الحاج عبد الله بن أحمد، أعانك الله ورعاك، وسلام عليك ورحمة الله تعالى عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بما أقلقكم مما أشاعه المرجسون لا بلغهم الله مناهم، وما حصل لكم من العنت لأجل بطء الخبر الحق عن كنه الحال حتى حملكم ذلك على توجيه وصفانكم وأصحابكم لمشافهتنا وعلم حقيقة ما لدينا، فلا شك عندنا فى اعتنائك وتشوفك لخبرنا وكيف لا، ونحن نفس واحدة، وهل عندنا أعز منك أو عندك أعز منا ! ولأى شيء تتشوف إن لم تتشوف لخبرنا، أدام الله عافيتنا وعافيتك، وشد أزرنا بك، وبارك فيك وفى ذريتك، وقد شافهنا الوصفان والأصحاب ورأوا وسمعوا لما قدمنا لك أولا وثانيا، والحمد لله الذى بنعمته وفضله تتم الصالحات، وعلى الأخوة والمحبة والسلام فى مهل رجب الفرد الحرام عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

العاشر:

«أخانا الأعز الأود، الفقيه النبيه الأمجد سيدى عبد الله بن أحمد، حفظك الله وسلام عليك ورحمة عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فإن أهل الذمة بفاس ذكروا أن الذين يحفرون أساس السور الذى بإزاء قبورهم جعلوا يحفرون التراب الذى بالقبور مختلطا بعظام موتاهم ويبنون به وتضرروا بذلك وتشكوا منه، فأنهينا لمولانا المنصور بالله شكواهم فقال أيده الله: أما القبور الخارجة عن الأساس فلا تمس أصلا، وما وجد منها بالأساس ينقل لداخل مقبرتهم ويدفن ولا يرمى به، ويعين اليهود من يحضر منهم لذلك والوقوف عليه، وإن احتيج إلى التراب للبناء يؤتى به من الفضاء ولا بد عن أمر سيدنا أيده الله، وعلى المحبة والأخوة والسلام ٨ رجب عام ١٢٩٣.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الحادى عشر فى السرور بانتصار الأتراك على الروسيا فى حربهما:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه العلامة الأحظى الباشا الأسعد سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: وصلنا كتابك وبطيه المكاتيب الواردة فى شأن ما سناه الله لعساكر المسلمين من الفتح والظفر، ووقوع الكرة على من بغى وكفر، وقد أطلنا بمضمنها العلم الشريف أعزه الله، وصار من سيادته على بال، وقد سر بذلك غاية، ودعا للمسلمين بالنصر والظفر أعلى الله منار الإسلام والمسلمين؛ ومنح لهم الفتح المؤزر المتين، وكبت أعداء الله المعتدين، آمين. وقد أحسنت فى تأكيد الإعلام، وزيادة الاهتمام، وعلى الأخوة والسلام فى ٥ شعبان عام ١٢٩٤.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثانى عشر:

«الأخ الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأمجد، السيد عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بأن الأمناء أحصوا ما بالقوس السعيد من مال المستفادات الواردة من المراسى وغيرها ودفعوا مفتاحه للسيد عبد الوهاب الشامى امتثالا للأمر الشريف، ووصلت الورقة المجملة التى فيها جميع الداخل على القوس والخارج منه التى دفع لك الأمناء، وقد روجعت وقوبلت مع الكناش الذى وجهه السيد عبد الوهاب، فوجد الفرق بينهما فى الباقى بالقوس تسعين ألف مثقال أخرج منه ما هو كسر فى سكة المال الوارد من مستفادات المراسى بعد رده لريال سوم ٣٢، وبقى تسعة وأربعون ألف مثقال زائدة فى زمام الأمناء، ولم نعرف هل وردت بعد توجيه الكناش فلم تدخل له، أم كيف الواقع؟ هذا وقد قوبل كناش القوس تفصيلا مع ما هنا فى كنانيش الحضرة الشريفة فوجد فيها فرق

كبير من مستفاد المراسى وغيرها لم يدخل بكناش القوس ولا عد فى الخارج، ولم ندر هل تأخرت بالمراسى ولم تصل أو وصلت وحازها الأمناء قبل أن تدخل للقوس أم غير ذلك؟ مع أن الواجب أن يدخل كل شىء للقوس حتى يستقر به ويقيد فى كناشة، ثم يخرج ويثبت فى الخارج.

كما أنا عثرنا على أمور مذكورة فى كنانيش دار المخزن لم نجد لها ذكرا فى كناش القوس، وَهَا زِمام فيه تفصيلها فأَطْلع عليه الأمناء وأجبنا بجوابهم، وهذا نوع من التخليط الذى ذكر فى كتاب الشريف، واشمأز منه الأمناء وانتصرت لهم، وكنا ننتظر بيانها لنجيبك به، وحين يظهر نوع آخر نعلمك به، فنبههم ليسلكوا الجادة ويضبطوا الأمر، فإن هذه التعذرات إنما تنشأ منهم، ولو صاروا على النهج الصافى الذى عينه لهم مولانا نصره الله عند سفره لم يقع تعذر ولا تخليط وعلى الأخوة والسلام فى ٢١ صفر عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الثالث عشر:

«أخانا الأعز الأرضى الفقيه النبيه الباشا الأسعد، سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد أخبر باشادور النجليز بأن هذه مدة من أربعة أشهر منذ كتب لك بالأخذ بيد التاجر الذى كلفه بشراء الزليج لوزيرهم، وإعانته على ذلك، وإخباره بالثمن الذى اشتراه به فأهملت جوابه، وتغرضت التاجر على شرائه بالثمن الذى يباع به، ولم تبادل به، وعليه فلا بد ثم لا بد خذ بيده فى شراء ما توقف عليه من ذلك، وكن تعامله بمزيد الاعتناء والمراعاة وتقف فى قضاء ما يعرض له عندك، فغير خاف عليك أنه من أنصح النواب وأحبهم فى الجناب الشريف، وأتمهم وقوفا

فى قضاء الأغراض المولوية، والسعى فى مصالح الدولة الشريفة، ولو لم يكن من ذلك ألا تعلم عسكرنا ببلاده وما يمت به من محبة الجناب العلى بالله ومحبتنا لكان كافيا فى الاعتناء بجنابه وتسويغ مطالبه، وعلى الأخوة والسلام فى ٤ ربيع الثانى عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الرابع عشر:

«الأخ الأعز الأرضى الفقيه العلامة الأمجد، سيدى عبد الله بن أحمد رعاك الله وحفظك، سلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وبطيه نسخة من الكتاب الذى كتبه لك السيد محمد بركاش فى شأن إعلامه فى كل جمعة ٤ مرات بعدد من مات وبأى ألم مات وبما أجبته به على ظهره، وعرفنا مضمن ذلك وأنهينا لمولانا أعزه الله فقال أيدة الله: قد أجبته وأحسنت الجواب، ولا يلزمنا شرعا ولا طبعا ولا قانونا أن نخبرهم بما عندنا فى ذلك، ونتكلف للرقاقيص وأجرتهم، وعلى الأخوة والسلام فى متم رمضان المعظم عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

الخامس عشر:

«أخانا الأعز الأرضى، الفقيه العلامة الأمجد، سيدى عبد الله بن أحمد رعاك الله، وسلام عليك ورحمة الله عن خير مولانا المنصور بالله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك وبطيه تقييد ما أُخرج من القوس من مشاهرات النجليز على يد الأمناء، وما أخرج بعد وقوف الشامى، وذكرت أن الذى أخرج من بيت المال مقيد فى كناشه، ولم يؤذن للأمناء فى فتحه ليتصفحوه، وقد أنهينا

ذلك لعلم مولانا نصره الله، وصار منه بالبال، فأمر أيده الله أن يفتح بيت المال ويتصفح كناشه ويوخذ منه المشاهرات المذكورة، ويضاف لها ما دفع من القوس ليكون التقييد على نسق واحد، وقد توجه لكم الأمر الشريف بفتحه وإخراج مائتى ألف مثقال منه الصائر فإن وجد كم الحال لازلتم لم تخرجوها فيتصفحه الأمناء عند إدارة إخراجها، وإن وجدهم الحال أخرجوها فيعيدوا فتحه وتصفح الكناش لأجل ذلك ويعلموا قدر الداخل لبيت المال والخارج منه والباقى، ويطلعوا به العلم الشريف ليكون فيه على بصيرة، وها كتاب مولاى إسماعيل بالمساعدة على فتحه يصلكم.

وعلى الأخوة والسلام فى ٦ شوال الأبرك عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

السادس عشر:

«أخانا الفقيه العلامة الأرضى، الباشا الأحظى، سيدى عبد الله بن أحمد، رعاك الله وسلام عليك ورحمة الله عن خير سيدنا نصره الله.

وبعد: فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود آيت ولال، وآيت عياش، وآيت سليمان، وآيت لحسن وشعيب على الأعتاب الشريفة، وولاية عبد الوهاب الذى كان خليفة عند ولد مامة عليهم، كما ورد آيت نعمان، وآيت لحسن وعمرو وتوافقوا على ولاية اليزيد وولى عليهم، وذكرت أن الفرق ٤ الأولى هم ربع بنى مطير والفرقتان الأخيرتان هى الخمس، وقد أنهينا ذلك لمولانا أيده الله وصار بباله الشريف، وقد كتب سيدنا الخليفة مولاى إسماعيل بذلك غير أنكم لم تعرجوا على ذكر ولاية آيت شغر وشن الذين كانوا مضافين إليهم، فلا بد أجروهم ذلك

المجرى، وكذلك من بقى من فرق بنى مطير حسبما تقدم لكم، وعلى الأخوة والسلام فى ١٥ حجة الحرام متم عام ١٢٩٥.

موسى بن أحمد لطف الله به».

هذا وقد كان مخدومه المذكور السلطان المولى الحسن يجله ويحترمه ويعتبر له سابقية خدمته.

وفاته: ولما قبضه الله إليه فى محرم عام ستة وتسعين ومائتين وألف، شيع السلطان جنازته بنفسه، وأقبره مع والده المقدس وسلفه الأكرمين بضريح مولاى على الشريف من باب إيلان بالحاضرة المراكشية رحمه الله.

ورثاه الأديب الكاتب السيد إدريس بن إدريس بقوله حسبما نقلته من خطه:

عش ما تشاء وأكثرن أو اقصد	ما ذى الحياة على الأنام بسرمد
لا بد من يوم ترد ودائع	هيهات ليس بممكن أن تفتدى
هذى المنايا لا تغادر صالحا	كلا ولا ترثى لحبر سيد
فتكاتها فى العالمين شهيرة	بالقهر تعبث فى العباد وتعتدى
لو كان يدفع بالعشائر مكرها	خلدت عصائب تستعز باجند
أو لو بحسن الفعل والقول السديـ	ـد بقى الوزير ولم يكن بموسد
لكنها الأعمار تطوى سرعة	كملاءة بأكف جلد أيد
والمرء تحسبه مقيما وهو فى	سفر يخلف فدفدا فى فدفد
أين البرامكة الكرام وأين من	سادوا وجادوا بالمبرة واليد
أين ابن يحيى جعفر وأبوه والـ	ـفضل ابن سهل وابن طاهر من هدى

أين الـوزير ابن الخـطيب وايـن زمـ رك بعـده وابن العـمـيـد المحتـدى

أيت ابن مـقلة وأيـن مـاهان الفـتى والفــتـح والمنصــور ممدود اليــد

أين الأوائـل والأواخــــــر كلـهـم أفنـاهـم الجـــد المحــــتم لا الـلّدد

سـاروا كـرامـا ثم نتــبع نهـجـهم تالـله مــــا أحـــد بهـــا بمخـلد

يا عـيـن جـودى بالدمـوع فــهـذه أوطانهـــا لا تبـخاى بل اسـعـدى

أومـا نعى النـاعـون نبـراس العـلا مـوسى الكريم البـر نخبـة أحـمـد

أومـا نعــوا طود العلوم وبـحـرها وجـمال وجـه الدهر والفخـر الندى

أومـا نعـوا خلى ومـالك مهـجـتى وأجل آمــالى وغـاية مــقـصــدى

تبــا لهــا من قـــاله كم غـــادرت فــينـا أسى من حـائر مـتـــبلد

مـرهت جـفون الدهر من فـقـدانه حــزنا وكـان بهـــا مكان الإثمــد

وعـرت مـحـيـاه الكـآبة بعـد مـا كـانت به الدنيـا ضـيـا كـالأسـعـد

فليـبكه الـبـاكـون طلق جـفـونهم من لم يجـد بالدمع ليس بجـيـد

وليـبكـه القـرطاس والقلم الـفـصـ ـيح وكـل دوح فى العــلا مـتــأود

مـوسى بن أحـمد مـن لما أسستـه من صـالـح من للرشـاد مـسـددى

من لـلديانة والـصـيـــانة والحـنا نة والعـفـــاف وللتـقى والمســجـد

من للضـعـيف وللكـئيب وللغـريـ ـب وللقـريب وللبـعـيد المجـتـدى

من للمــفـاخـر والمآثر والكبـائـ ـر والصــغـائـر والأمــور اللبـد

من للمـهـمـة والملمة والـصـعـا ب المدلهـــمـــة ، الزمـــان الأنكد

---

(١) المَأثُرَة: المكرُمة. الجمع مآثر.

من للسـياسـة والرياسـة والكيا — سـة والنـفـاسـة والعــلا والسـؤدد

نفسـي تعزى واصبـرى واستـسلمى — لمراد مـــولاك المـيك الأوحــــد

وإذا قــضى أمـــرا بماضى حكمــه — حق علـيك لأمــره أن تســجــدى

مــــا ثـم إلا مـــا أراد ومـن أبى — فليتـــخـذ نهـجـا سـوى أو يردد

لو كـان خــيـر فى الخلـود لماجـد — كـانت لخـيـر العـالمين مــحـمـد

ولئن مَـضَى فلـقـد بقت أخـلاقـه — تـتـلـى ووارثـه الـزكـى المــولـد

مـا مـات من ترك الخـليـفـة بعـده — مـثل النجـيب البر الأرضـى أحمـد

كـــلا ولا ضـاع امـــرؤ له علقـــة — ووسـيلة فى ذا الـسـبـيل الأحـمـد

خـدم الخـلافة ناصـحـا مـتبـصـرا — وقـضى الـزمـان بطاعـة وتهـــجـد

فليــــهنه مــــا نال من رضــــوانه — وليــهنـه مـــا يرتجـيــــه فى غــد

وليـــهن أنجـــالا له قـــد أُنـزلوا — من بـره بمحـل عــــز ممهـــــد

لقـــاه مــــولاه الكريم مـــســـرة — ومـــبـــرة فى ظـل عـــيش أرغـــد

بجـــوار خــيــــر المرسليـن وآله — مـتنعـمـا فـيـــهـا باعـلا مـقـعـد

وصــــلاة ربـى والملائكة الـعـــلا — تتـرا عـلى قـبـر الـنبى مـحـمـد

وعلى كـرام الـصـحب والآل الألى — جـــازت مـزاياهم مـناط الفـرقـــد

مــا قـال مـــحـــزون على ألأَفـــه — عش مـا تشـاء وأكـثـرن أو أقـصـد

وقد كتب السلطان المولى الحسن رحمه الله بـخطه بقلمه الخفيف على نسخة هذه المرثية ما نصه: «وهو كذلك رحمه الله وفوق ذلك وتوجه لابن الحاج يجعلها فى تاريخه لفصاحتها وبلاغتها وعذوبتها».

٣٨٣ - الموهوب بن الإدريس الشبيهى.

نزيل زاوية زرهون.

حاله: فقيه مدرس فاضل، ماجد جليل، عدل مبرز نبيل.

وفـاته: توفى ببلده زاوية زرهون تاسع عـشـر شـعبـان عـام ثلاثة وثلاثين وثلاثمائة وألف، ودفن بالظهير خارج الزاوية.

٣٨٤ - المؤذن الكاتب.

من بنى المؤذن السجلماسيين.

حاله: فقـيه نبيه، كـاتب مؤرخ نسابة، ثقة ثبت، مطلع سـحاضر لوذعى، لبيب نـقاد، ناظم ناثر، يحـسن الإنشاء والترسـيل، بديع الخط، ممتع المجـالسة، سريع الجـواب مع إصابة المرمى فيـه، عين لمخدومـه السلطان الأعظم سيـدنا الجد الأكبر مـولانا إسماعيل يوصل إليـه من أخبار الرعية مـا تظافر غيره على كـتمانه عنه، ويفرغ ذلك فى قوالب لطيفة خيالية مضحكة، لا يعقلها إلا العالمون.

كان فى أول أمره ينسخ الكتب للسلطان مولانا الرشـيد بن الشريف المترجم سابقا، وذلك سبب اتصاله به إذ أعجـبه حسن خطه، ولما أحضر بين يديه بعد أن طلبه لخدمته وقعت له به غبطة، وحصلت له لديه مكانه مكينة، لما رأى من نباهته وتيقظه ورجحان عـقله وحسن سياسته ودهائه، فصـار من أخص ندمائه، يمازحه ويضـحكه بما لم يقدر أحـد لأن ينطق به بين يديه، ويـخصـه بسره ويشـاوره فى مهـمات الأمور، ويعـمل بإرشاداته الصـائبة المحمـودة العقبـى، ولم يزل المترجم ملازما لخـدمة السلطان المولى الرشيد إلى أن لبى داعى مولاه، فـخدم بعده المولى أحمد بن مـحرز، إلى أن قتل بسوس، ثم خـدم السلطان مولانا إسماعـيل فقربه واصطفاه أنيسا وجليسا.

وكانت للمـترجم زوجـة ذات آداب ومعرفـة بالنظام البيـتى اللائق بالملوك، فكانت تهذب نساء السلطان مولانا إسماعـيل وتعلمهن ما لم يكن لهم به معرفة، فازدادت بذلك عند السلطان مكانة ورد علـيها وعلى إخوتها مـا لم يبع من أصول والدهم أحمـد بن صالح الليرينى رئيـس فاس الذى كان أوقع القـبض عليه المولى الرشيـد لما تحقق لديه عـيثه وتعـديه وظلمه بشـهادة عدول فـاس، وغرقت ذمـته وضمت أمواله لبيت مال المسلمين، وعند ذلك زوج السلطان الرشيد المترجم ببنت الليرينى المذكور، ولم يزل عيبة سر سيدنا الجـد المولى إسماعيل ومحل ثقته يخبره بخفـايا الأمور وينقـر على سير الـعمال وولاة الأمـر فى الرعيـة، ولا يخفى عن متبـوعه شاذة ولا فاذة، شأن أهل النصح والإخـلاص للإسلام والمسلمين، إلى أن نقله الله لما هو خير الأبرار.





حرف الصاد

***

٣٨٥ - صالح. قاضيها أبو محمد بن القاضى أبى العباس أحمد بن أحمد الحَكَمى - بفتح الحاء والكاف.

نسبة لبنى حكم، فخذ من زمور الشلح القبيلة البربرية الشهيرة الحالة بين حضرتنا المكناسية، ورباط الفتح ويقال له الحكماوى.

حاله: علامة فاضل، جليل أديب، كامل مدرس نفاع، خطيب مصقع، ناظم ناثر، له مساجلات شعرية، ومراسلات نثرية، مع بلديه أديب الرباط الشهير ابن عمرو الأوسى، وقد ذكره فى كثير من مقيداته وحلاه بأوصاف عالية تسفر عن شفوف قدره وعلو كعبه، تولى قضاء مكناسة وخطبة جامع قصبتها المولوية والتدريس بجامعها الأعظم، كما تولى قضاء بلده رباط الفتح، وكان يتداول قضاء مكناسة والرباط مع القاضى السيد الطيب بسير المترجم فيما مر، والفقيه القاضى سيدى الحسن بن فارس مرارا نحو الستة أشهر أو العام، لكل واحد فى الدولتين السليمانية والرحمانية.

وقفت على عدة خطابات له وتسجيلات عليه، من ذلك عقد بتاريخ ثالث شوال عام سبعة بموحدة وأربعين ومائتين وألف، وآخر فى منسلخ قعدة عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، وآخر فى منسلخ قعدة عام ثمانية وأربعين ومائتين وألف، وكان أبدا بفتح شكله ولا يطمسه، وكان من أهل العدل والصرامة فى الأحكام.

مشيخته: أخذ عن والده أبى العباس ومن فى طبقته من نقاد أعلام وقته.

شعره: من ذلك قوله لما وصل فى تدريس البردة لقول ناظمها فاق النبيئين فى خلق وفى خلق، وقد قرر ما هنالك أربعة أيام وختم بالعجز عن إدراك الحقيقة

المحمدية، كما نقل عنه ذلك بلديه رفيقه فى الطلب العلامة السيد محمد بن التهامى ابن عمرو الأوسى المذكور ومن خطه نقلت:

توارت وقالت بعد طول تطلع ... مقالة من فى بسطة قد تبخترا
إذا رمت إدراكا وكشف حقيقة ... فيغنيك عما لا ترى بعض ما ترى

وقوله:

سلام على الأحباب من شيق صب ... حنين إلى الأوطان فى البعد والقرب
جريح طريح لايكاد يبين من ... تواطئ أحداث وناى عن الحب
تصابى إلى بدر عزيز نظيره ... فراح بلا لب وقد كان ذا لب
له الله من عبد صدوق أصاره ... هواه وفرط الشوق فردا بلا صحب
يحن إذا غنى الهزار فيهتدى ... إليه ولولا الشجو ما رئى عن قرب
ويبدى عقيق الدمع ما قد أكنه ... جهارا ويأبى أن يكف عن الصب
ولو قلت مهلا عزرته هواطل ... من الجفن لو تسقى لأغنت عن الغرب
فيا عظم ما ألقى وهان لو أن لى ... سبيلا إلى حبى وحسبى منى حسبى

وقوله مخمسا:

ألا من لخود قد تجرعت بينها ... ولو أن ربات الجدور رأينها
لكبرن إجلالا وقبلن عينها ... (رمتنى وستر الله بيتى وبيتها
عشية آناء الديار رميم)
توارت وقلبى بانتسابى لبيتها[1] ... ولو أننى أهل لقلت فديتها

(١) فى المطبوع: «بيتها» وفى هامشه: «كذا» ولعل ما أثبته أولى وهو موافق للمعنى والوزن، والأبيات من بحر الطويل.

وحسبى فخرا أن أكون وقيتها (ويارب يوم لو رمتنى رميتها

ولكن عهدى بالنضال قديم)

والأصل المخمس لأبى حفص الفاسى.

وقوله:

برد شجونك يا قمرى وابك فما على امرئ ندب الأطلال معترض

وروح النفس بالتغريد فهو على ظام تجرع كأس البين مفترض

وقوله فى رثاء والده رحم الله الجميع:

عز المصاب وسله وانهض إذا ما احتاج للتأنيس والإكرام

وابك الكرام إذ فقدت دليلهم واشك النوى وتواطؤ الأيام

واندب ربوعا طالما يممتها متعطشا فكفيت شر أوام

واحبس مطايا الدمع إن عاينتها تشكو الخطوب بطرفها البسام

واجهد وجد عسى تنفس بعض ما لاقت من الأهوال والآلام

بنوى أبى العباس درة عصرنا بيت القصيد وكعبة الإعظام

آه لفقد شمائل ولت لدن أولى العباد وذاق طعم حمام

بعدا ليوم ذقت فيه بعاده متصبرا لسهام شهم رام

لهفى عليه ولهف قومى والألى صاروا برعى الود من أقوام

يا حسرتاه وهل درى دهر بأن أفنى اصطبارى وساسنى بحسام

واغربتاه وكم شكا متغرب مثلى بفرقة قرمى المقدام

من للأرامل والمؤمل والعلا من للضعاف الذنبر والأيتام

من للعلوم يبينها إن أشكلت وتمنعت من عاجز بلثام
من للوفود وبذل ميسور القرى من للمساجد بعده بإمام
من لى إذا ما جئت أمرا منكرا أولى الجميل وزاد فى الإكرام
لا زلت أنشده وأنشد بعده يارب منّ له بدار سلام
وأنله صحبة أحمد فى جنة أعدتها لعصابة الإسلام
وامنن على بتوبة تمحو بها عنى الذنوب وسيئ الإجرام
وتول كل مواصل ومجامل بزوائد الإفضال والإنعام
وارحم عديما طالما عودته منك الجميل وجاء بالآثام
واجعل إليك توجهى فيما عرا واسمح بفضلك لى بحسن ختام
بمحمد وبصحبه والمتقى حياهم رب العلا بسلام

وقوله:

يا أبتاه سقتك الغايات فكم قد عضدتها دموع أعين النادى
ولا زمت فى دياجى الخطب تذكركم وكررته فأغنتنى عن الحادى
ولم أزل ساهراً والنجم يشهد لى أنى فريداً سلكت ذلك الوادى
لهفى عليك وما يغنى أخا حرق لهف على قامع الباغين والعادى

وكانت بينه وبين رفيقه فى الطلب أبى عبد الله بن عبد الله بن عمرو الأوسى الرباطى المذكور مساجلات، من ذلك ما كتب لى به صديقنا مؤرخ سلا أبو عبد الله محمد بن على الدكالى قائلا أنه وقف عليها بخط ابن عمرو ولفظه قال الأخ صالح الحكمى رحمة الله يعنى المترجم:

أضــاءت وقد طال انتظار عــميــدها تجلــى سنــاها فــى دياجــى النــوائب

فقلت:

وجــاءت تجر الصــبح غرة وجــههــا تزاحم فـــخـــراً لاح فـــوق الذوائب

وأصدر:

ومنت ومــا امتننت ونفــسى فدا لهــا

فأعجزت:

وإن مزجت صرف الهــوى بالشوائب

فأصدر:

فأبــقت على الصب الكئيب تكــرما

فأعجزت:

بقــيــة شرب فى كــئــوس الكواعب

فأصدر:

فــتــاة ســواد العــالمــين لوجــهــهــا

وأعجزت:

كنقطة خال تحت مـاضى القوالب هـ

قال ابن على، ومرادهما يوح، وهو معنى لطيف لم أره لغيرهما، وقال ابن عمرو فى كناشــته الحجازية: لما وصل الأخ العــلامة أبو محمد ‹ســالح ابن شيخنا العلامة الأوحد النحرير أبى العباس سـيدى أحمد بن أحمد الحكمى تولاه الله بمنه فى تدريس البردة قــول ناظمهــا رحمة الله ونفع به: فــاق النبيئـين فى خلق وفى

خلق، وقرر بعض ما هنالك فى أربعة أيام وختم بالعجز عن إدراك الحقيقة المحمدية فتح الله بأن قال ما أنشدنيه لنفسه: توارت الخ البيتين السابقين.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول الأديب السيد الحسين بن أحمد ابن شقرة يهنئه بعرس ولده أبى عبد الله محمد، وذلك أواسط جمادى الثانية عام تسعة وأربعين ومائتين وألف:

أهدى إلى ذاك المقام الأكبر ... أزكى سلام فاق نشر العنبر

حيث السيادة والسماحة والتقى ... والعلم تنمى للإمام الأشهر

هو صالح الأقوال والأفعال من ... طابت خلائقه بطيب العنصر

قاضى الجماعة من سمت بمقامه ... مكناسة ذات البهاء الأبهر

أفديه من حبر تسنم للعلا ... رتبا يجر لها ثياب تبختر

شوقى إليه لم يزل متجددا ... نيرانه فى القلب ذات تسعر

ياليت شعرى هل يتاح لى اللقا ... فأفوز منه بالنصيب الأوفر

يا سيدى فاق الأنام بهمة ... من دونها نجم السها والمشترى

يهنى سليلك مع جنابك ذلك الـ ... ـعرس الذى وافى بعيش أخضر

لازلت فى مرح وسابغ أنعم ... وكلاءة بادى السنا والمفخر

وفاته: توفى بتاريخ واحد وخمسين ومائتين وألف.

٣٨٦ - صالح بن العربى بن صالح الطليقى الحلمونى البخارى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: أستاذ متقن ماهر، مجود مقرئ فاضل، متفان فى محبة المصطفى وآله، إذا سمع شمائله ﷺ وأوصافه الكريمة خلقا وخلقا وما منحه الله به من

الخصائص والفضائل والمزايا صاح وخر مغشيا عليه، محب فى الخير وأهله، معمر للمساجد، ملازم لمجالس أهل العلم، عدل مبرز، كان يتعاطى الشهادة بسماط عدول الحضرة المكناسية، منظور إليه بين أهلها بعين الإجلال والتعظيم.

وفاته: توفى بعد الثمانين والمائتين والألف.

٣٨٧ - صالح بن يوسف البخارى.

المكناسى النشأة والدار والإقبار.

حاله: فقيه أستاذ، يحفظ السبع والعشرين حفظا متقنا، وكانت له مشاركة كاملة فى الحساب والتوقيت والتعديل، وكان من جملة موقتى الحضرة السلطانية الذين يظعنون بظعنها ويقيمون بإقامتها فى الدولة الرحمانية، ثم تقاعد عن الخدمة السلطانية، وتولى رياسة بعض فرق الجيوش التى جرت العادة بإبقائها بعاصمتنا المكناسية بعد ظعن السلطان منها، فنفع الله أقواما بمعلوماته التى بثها مدة مقامه بالعاصمة المذكورة مسقط رأسه.

مشيخته: أخذ عن السيد التهامى الزرهونى بالعرائش، وعن السيد عبد الخالق الأودى، وعلى برِّيط بباء مفتوحة بعدها راء مشددة ثم ياء ثم طاء بثغر طنجة وغيرهم.

الآخذون عنه: أخذ عنه السبع والعشرين علال بن صالح الحلمونى وغيره.

وفاته: توفى بعد الثمانين ومائتين وألف بالحضرة المكناسية، ودفن بضريح سيدى عمرو بوعوادة من حومة حمام الحرة.

٣٨٨ - الصديق البخارى الأجراوى.

المكناسى النشأة والدار والإقبال.

حاله: فقيه أستاذ ماهر، يحفظ العشرين حفظا متقنا، انتفع به جم غفير من



خط يد السلطان مولاى عبد الله

حملة القرآن وحـفاظ السبع، وكان من أهل الدين والفضل والخـير والصلاح، رآه بعض العدول بعد وفاته فقال له: ما فـعل الله بك؟ فأجابه بأن من جملة ما أكرمه الله به أن شفعه فـيمن شيعه - أعنى جنازته - وقد كـانت الطرق والدكاكين وقت المرور بجنازته فـارغة إلا من المشيـعين لهـا، لتأهب الخاص والعـام من أهل البلد لذلك.

الآخذون عنه: ممن أخـذ عنه الأستاذ عـلال بن صالح الطليـقى الحلمونى، والأستاذ السيد صالح بن يوسف البخارى المترجم قبله وغيرهما.

وفاته: توفى بعـد السبعين ومـائتين وألف، ودفن بضريح أبى اليمـن عمرو بوعوادة دفين حومة حمام الحرة.

* * *

حرف العين

* * *

٣٨٩ - عبد الله أمير المؤمنين ابن أمير المؤمنين السلطان الأعظم إسماعيل ابن أمير المؤمنين الشريف بن على الحسنى العلوى الينبوعى السجلماسى.

مولده: ولد بمهد سلفه تافيلالت بقصبة الفرخ قرب الدار البيضاء من وادى يفلى، فى منتصف ذى الحجة عام واحد وعشرين ومائة وألف، أمه الحرة العاملة خناثة بنت الشيخ بكار المغفرى مارة الترجمة.

صفته: أبيض مشرب بحمرة، مليح الوجه، قصير القامه، خفيف اللحية جدا، مفلج الأسنان، بخده الأيسر شامة، طويل اليدين والأصابع، إذا تكلم تحرك شارباه الطويلان، صغير الرجلين دقيق القدمين، إذا ركب حسبته طوالا، وإذا مشى حسبته لخفة مشيته شابا صغيرا، مهاب لا يكاد أحد يبدؤه بالكلام، كذا وصفه من عاصره.

حاله: قال فى الشجرة الذكية: كان محبا لأهل البيت ذنبهم عنده مغفور، وعيبهم مستور، يتجاوز عن المسىء منهم ويجازى المحسن ويواسى الجميع بالأموال، ويعفو ويصفح فى سائر الأحوال، قال: وكان معروفا بالسماحة يعطى ولا يبالى وخصوصًا للأشراف. هـ.

---

٣٨٩ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٦/ ٢١٩٧.

وقال فى الدرر البهية: كان رحمه الله فى العلوم آية باهرة، وعلى أعدائه صاعقة قاهرة، فكم أحيا من علوم، وأباد من ظلوم، وجدد من رسوم، وجدلت سيوفه من بذى غشوم، وكم ضم من حشود، وقهر من حسود، تصدى للخلافة فى معظم أيام الفتنة، وقد زاحمه إخوته فى كل بلدة، ولم يزل يقارع الأهوال، مع معارقة الأحوال، إلى أن تمحضت له ولبنيه من بعده، وناداه منادى يمنه وسعده هـ.

وقال أبو عبد الله الضعيف: كان ذا رأى وحزم وإقدام، أيامه[1] أيام دعة ورخاء، وأمن وبهجة حسنة، مستبداً برأيه دون وزرائه، قاهراً فى سلطانه إذا أعطى أغنى، وإذا صال أقنى، ذا فضل وكرم وعلو همة، وافيا بالعهود، شجاعا يباشر الحروب بنفسه، دوخ المغرب بأسره، إلا أنه مسلط على العتاة والطغاة والظلمة، سفاكا لدمائهم، رفيقا بالضعفاء والمساكين واليتامى هـ.

وقال فى الشجرة الزكية: فلما تمكن، قتل من أهل فاس ثلاثمائة، ومن العبيد أربعمائة فى يوم واحد، وبقتلهم كانت له قوة عظيمة فى المملكة هـ.

وقال غيره شديد الغضب، ذا بطش غير متوقف فى الدماء ولا واضع فى موضع السيف[2] الندى هـ.

قلت: ومن حكم ذى القرنين الإسكندر الملك البعيد الهمة (نعم العون على إصلاح القلوب الموغرة الترغيب بالأموال وأصلح منه الترهيب وقت الحاجة إليه) وكأن المترجم بهذا كان ينظر فى سياسته ولفساد الرعية أسرف فى القتل وتجاوز الحد، فكان ما كان مما سيتلى على المطالع.

---

(١) فى هامش المطبوع: «لعله يعنى الأيام التى لم يكن له فيها منازع والتى لم يلزم فيها قصره».

(٢) فى هامش المطبوع: «سيأتى فى قتل أهل تطاوين لعاملهم خلافه».

وقال فى نشر المثانى: هو الواحد فى العز والمقام، الذى اختاره الله لتصريف أمور الأنام، كان ممن عمرت به الأرضون فأحيا أنجادها وأغوارها، وسعد به أهل العز من كل فريق، وتمهدت به السبل من كل فج عميق، وشقت هيبته المشارق والمغارب، ونال الضعفاء بعزمه ما تمنوه من المثارب، وعمر به سوق العلم بعد دروسه، وضحك به وجه الزمان لأهله بعد عبوسه، ولله در من قال فى مديحه:

كفاك افتخارا أن عزك ظاهر ... وجودك منسى به جود حاتم

وكون سجاياك التى فاح عرفها ... سجايا الملوك الشم أولى المكارم

لعمرى لقد ألقت إليك زمامها ... سروج العلا إذ كنت أحزم حازم

وأغناك رب الناس عن جمع عسكر ... برأى مصيب للعساكر هازم

ونفس علا فوق السماكين قدرها ... وعقل غنى عن هداية عالم

فأمنتنا من كل طار وطارق ... وحصنتنا من كل داه وداهم

قال أبو القاسم الزيانى فى تواريخه ما زبدته مع مزيد تنقيح وإيضاح: بويع له بالإمامة العظمى بمكناس بعد وفاة صنوه أبى العباس أحمد الذهبى سابق الترجمة، أوائل شعبان عام واحد وأربعين ومائة وألف كما هو ظاهر نصوصهم؛ باتفاق من أعيان الديوان، من عبيد وودايا، وطير الإعلام لإخوانهم جيرانهم أهل فاس وبالغوا فى حصنهم على الموافقة على ما ذكر والتسارع لبيعة المترجم، وهو يومئذ بسجلماسة، ووجهوا إليه جريدة من الخيل لإعلامه باجتماع الكلمة على بيعته، والإتيان به، ولما وصل الكتاب المشار إليه لأهل فاس تلقوه بكل ارتياح وانشراح، وجمعوا أمرهم وشركاءهم على قراءته على منبر جامع القرويين، وبإثر

قراءته أعلنوا بنصره، ولم يتوقف أحد ممن حضر القراءة ولا من غيرهم فى بيعته بشرط تعجيل حضوره كذا قال الزيانى ومن تبعه.

والذى فى الدر المنتخب المستحسن نقلا عن العلامة المؤرخ ابن إبراهيم الدكالى: أنه فى خامس شعبان المذكور قدم من مكناس لفاس جماعة من العبيد والوزراء والكتاب للمشورة والمفاوضة فيمن يتولى أمر المسلمين، من إخوان السلطان المتوفى، فاتفق رأيهم على المترجم لكن أهل مكناس أعلنوا بنصره حالا، وتأخرت بيعة أهل فاس إلى يوم الخميس تاسع الشهر، وزاد فى الدر المنتخب نقلا عن بعض الأعلام أن المترجم لما بلغه اجتماع الكلمة عليه امتنع من الإجابة لذلك، ولم يزل متماديا على امتناعه إلى أن دخل عام اثنين وأربعين فاستخار الله ونهض من تافيلالت أواخر محرم الحرام ووصل لفاس فى خامس صفر.

ثم حكى أقوالاً أخر فى تعيين وقت قدومه فاسا، منها: أنه يوم الأربعاء سابع رمضان عام واحد وأربعين ورجح هذا القول واختاره.

ومنها: أن قدومه كان فى مهل رمضان.

ومنها: أنه فى سابع عشرى شعبان وكان نزوله عند وصوله إلى فاس بالمحل المعروف إلى اليوم بظهر المهراس بظاهر فاس.

وبمجرد تخييمه به هرع الأشراف والعلماء والأعيان لاستقبال جنابه وتقديم مراسم التهانى لجلالته، فقابلهم بكل تجلة وإكبار، وأكرم وفادتهم وأوعدهم بالدخول من غده لزيارة الضريح الإدريسى فرجعوا مبتهجين، وبالثناء على شمائله لهجين، وما كان الغد حتى أخذوا زينتهم وحملوا ألويتهم وأسلحتهم وخرجوا لمخيمه طبق الوعد الذى كان بينهم وبينه، وبمجرد وصولهم ركب المترجم فرسه

وتوجه معهم فى موكبه الحفى الحافل وحاشيته الكريمة، وساروا إلى أن دخلوا على باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس الإدريسية، وكان اختيارهم للدخول على ذلك الباب تيمنا وتفاؤلا بما أضيف إليه.

ثم إن بعض سماسرة الفتن الموقدين لنيرانها من أهل فاس أولاد ابن يوسف رام اغتنام الفرصة بالإيقاع بحمدون الروسى غيلة، حيث إنه كان قتل أباهم، فشعر الروسى بذلك وتنحى عن الموكب، وقيل سبوه والسلطان يسمع واقتفى لأثره فانفلت منهم، ولحق بالمترجم، وأخبره بالواقع وهو إذ ذاك على قنطرة الرصيف فاغتاظ، ورجع على طريق جامع الحوت، وذهب على جزاء ابن عامر، وخرج على باب الحديد، وسار إلى أن دخل دار الملك من المدينة البيضاء فاس الجديد.

وقيل: إن ذلك كان والسلطان بالمحل المعروف بين المدن، وأنه سار على حومة البليدة، وخرج على باب الجيسة، وسار إلى أن بلغ فاسا الجديد، ولم يزر الضريح الإدريسى تحرزاً من توقد نيران الفتن على حين غفلة، وذهب القوم فى إعراض المترجم عن الزيارة كل مذهب.

ثم بعد أن أحاطوا علما بالسبب الموجب للتخلف طلع لدار الملك أعيان البلد من أشراف وعلماء ووجهاء ببيعتهم، وكان القاضى الأعدل أبو العلاء إدريس ابن المهدى المشاط، هو الذى تولى إنشاءها وكتبها، وقد أوردها بنصها أبو القاسم الزيانى فى البستان مؤرخة بسابع صفر عام ١١٤١، وتبعه فى جلبها صاحب الجيش، والاستقصا، والدار المنتخب المستحسن، تركت نقلها هنا اختصاراً، لكن صاحب الاستقصا أوردها بتاريخ سابع رمضان العام لا صفر وهو فى نظرى أصوب[١] وأصح، ولما قدم الوفد الفاسى للحضرة السلطانية ببيعتهم المشار لها

(١) فى هامش المطبوع: «لأن صفر عام واحد وأربعين لا زال مولاى أحمد الذهبى قائما ولم يمت حتى وصل شعبان هـ».

أبدوا أعذارا عما أضمره السفهاء، فأعرض عنهم فيما يتعلق بذلك الموضوع، ووصلهم بقنطار ونصف ذهبا، اقتسموه أمامه بينهم.

ثم أمرهم بتهييء خمسمائة رام للتوجه معه للعاصمة المكناسية طبق عوائدهم المقررة فى ذلك، مع الملوك قبله من سفله وغيرهم، فأجابوا بالسمع والطاعة، ثم نهض المترجم لمكناس وفى معيته الخمسمائة رام المذكورة.

ولما كان على مقربة من العاصمة المكناسية وجد عسكر العبد وقوادهم وقواد العرب والبرابر فى استقباله فرحين مستبشرين، فأدوا لجلالته ما يجب من مراسم التهانى والترحيب والإعظام والإجلال، ثم انضافوا لجنده وسار وألوية النصر تخفق، إلى أن حل بعاصمة والده مكناسة الزيتون فى موكبه المدهش العجيب الترتيب، وما استوى على العرش حتى وفد على شريف أعتابه الأشراف والعلماء والأعيان ببيعتهم العامة، ثم صارت وفود القبائل الشاسعة والدانية تفد على حضرته ببيعاتها، وهو يستقبل كلا بما يليق به، ولما فرغ من شأن الوفود فرق الصلات على سائر الطبقات كل وما يستحق، إلا أهل فاس فإنه حرمهم نواله.

ولما كان عيد الفطر قدم على الحضرة شرفاء فاس وعلماؤها وأعيانها بالهدايا العيدية كغيرهم من الحواضر والبوادى لحضور العيد مع الجلالة السلطانية وفق المقرر المعهود، ولما رجع من مصلى العيد فرق الصلات والجوائز على جميع تلك الوفود الوافرة والعساكر والجيوش غير أهل فاس، وصلات الوفود كلما وفدوا على الجلالة السلطانية ومن ذكر معهم كانت من مألوف العادات عند ملوك دولتنا، ولا سيما فى أيام الأعياد، واستمر العمل على ذلك ولم يتعطل إلا فى هذه الأزمنة الأخيرة، ولما كان يوم ثانى العيد أمر بإحضار أهل فاس فأحضروا بمشوره السعيد وهو على سرير ملكه، ولما مثلوا بين يديه أمرهم بالكتب لإخوانهم بتسليم البساتين (المعاقل)

والقصبات لأن ذلك ملك للسلطان ومن وظيفه، وأوعدهم إن هم امتنعوا بهدم ديارهم عليهم، فلم يكن لهم إذ ذاك بد من الامتثال والجواب بالسمع والطاعة.

ولما جن الليل ارتحلوا إلى بلادهم فاس، وقرروا لإخوانهم الأوامر السلطانية، فاتفق رأيهم على رفض ذلك وعدم الإجابة له، واجتمع فقهاؤهم وأشرافهم وأعيانهم للمفاوضة والنظر فى وجه يمكن به خلاصهم مما ذكر، وبإثر ذلك ورد عليهم من الحضرة السلطانية كتاب بتسليم ما ذكر لجانب السلطان، فحاصوا حيصة حمر الوحش وهاجوا وماجوا، ثم اتفق رأيهم على أن يعينوا وفدا يوفدونه للشفاعة لدى المترجم أولا، والتزموا بأداء جميع الوظائف التى كانوا يؤدونها لوالده وإعطاء الضمان على ذلك، فلم يرفع لهم رأسا، وردهم ناكصين على الأعقاب، ثم اتفق رأيهم ثانيا على أن يوجهوا لسدته الكريمة هدية تبرع بها تجارهم، وعينوا جماعة من أعيانهم توجهت بها فتعرض الودايا إليهم ونزعوا منهم الهدية وسلبوهم من كل ما بيديهم وأودعوهم سجن فاس الجديد، وصرحوا لهم بأن صاحب الترجمة أمرهم بحصار فاس الإدريسية.

ولما علم بذلك أهل فاس القديمة صمم العامة منهم على رفض بيعته، ونازع العلماء فى ذلك محتجين بأن بيعته فى أعناقهم فطاعته واجبة عليهم، إلا إن أمرهم بكفر براح فأعارهم الجمهور أذنا صماء وأعلنوا بخلع ربقة بيعة المترجم ورفض طاعته، ونادوا فى المدينة من أراد الخروج لبلاده فليتهيأ لثلاث، وأغلقوا أبواب البلد وذلك فى سادس الشهر المذكور.

ولما اتصل هذا النبأ بالمترجم صمم على محاربتهم، فجيش الجيوش وخرج لإرغامهم على الرضوخ للطاعة فى خامس عشر شوال المذكور، وأحدقت عساكره الجرارة بفاس، وعثت فى السبل الموصلة إليها، وقطعت أشجار جناتها، وهدمت مبانيها، وأفسدت الزروع والبحائر، وقطع عنهم الوادى، وحاربهم من كل ناحية

وباب، والمدافع والمجانيق تمطرهم بوابل كورها وأحجارها المدمرة، واستمر القتال عليهم بالليل والنهار حتى سئموا وكلوا وملوا وضاق بهم المتسع، ويئسوا من النصرة، وبارت حيلهم، وارتفعت الأسعار، وأنتنت المدينة من كثرة الأوساخ وعدم الماء، ولم يسعهم إلا الجنوح إلى السلم، فسعوا فى الصلح فاشترط المترجم عليهم تسليم المعاقل والقصبات، فكبر عليهم ذلك واستأنفوا القتال وأظهروا التجلد.

وفى الرابع والخامس من ذى القعدة التقى الجمعان ووقعت بينهما معركتان خفيفتان بباب الجيسة، وفى الثانى منه وقعت معركة ثالثة بباب الفتوح، وفى الثالث عشر وقعت معركة كذلك، وفى الخامس عشر منه ركب السلطان فى ملأ من جيشه فلقيه أهل فاس تائبين وفى عفوه راغبين ولأمانه آملين.

فأجابهم لما طلبوا بالشرط المذكور، فلم يقبلوا، وفى الواحد والعشرين وقعت معركة عظيمة بباب الجيسة من الصبح إلى الزوال ومات من أهل فاس نحو الثلاثين، منهم: مولاى عبد القادر بن عبد الرحمن الدباغ، وعبد الخالق بن خالد، وعبد الله بن علال.

وفى الثانى والعشرين وقعت مقتلة بباب الفتوح مات فيها من أهل فاس ثلاثة أنفار.

وفى خامس ذى الحجة نزلت قنبلة بالعطارين وأهلكت بوجيدة بن عيشون.

وفى عيد النحر نزلت قنبلة أخرى على قبة الضريح الإدريسى أصابت أناسا، هلك منهم رجل وجرح باقيهم، وكان ممن جرح العلامة أبو العباس أحمد بن الخياط بن إبراهيم الدكالى، وعطلت صلاة الجمعة.

ومن الغد وقعت معركة بباب الجيسة مات فيها من أهل فاس نحو العشرين، فتوسط أهل فاس للسلطان ببعض الوجهاء الذين اعتقدوا أن شفاعته لا ترد لديه، فأبى إلا إذا سلموا البساتين والقصبات، فامتنعوا وتمادوا على القتال.

وفى فاتح محرم عام اثنين وأربعين كان قتال عظيم ببابى الجيسة والمسافريين، مات فيه من أهل فاس نحو الثلاثين رجلا، واستؤنف القتال من الغد ومات فيه خلق، وارتفعت الأسعار وبلغ وسق القمح ثلاثين مثقالا، وزادت نيران الفتن توقدا، وتكاثر الهرج والمرج، وجعلت المحال السلطانية ترمى القنابل المدمرة على المدينة.

وفى ثالث صفر وقعت معركة أول النهار، ولما كان العشى اتفق أهل فاس على الهجوم على المحال السلطانية من سائر الجهات، فخرج اللمطيون من باب الجيسة للمحلة التى بوادى المالح وكان قائدها موسى الجرارى فوثبوا عليها، وفر أهلها واستولى أهل فاس على جميع ما فيها، وكان من جملة ما غنموا مدفعان.

وخرج الأندلسيون وأهل العدوة من باب المسافريين واستولوا على جميع ما كان مدخرا بالسيد أبى جيدة حيث كان الحصن المنيع لتلك المحال، وساقوا من وجدوه من الجند هنالك إلى الباب وقتلوهم شر قتلة.

ومن الغد نصبوا المدفعين اللذين غنما بالقصبة البالية وجعلوا يرمون بهما فاسا الجديد.

وفى التاسع عشر من الشهر انضم الجيش السلطانى بعضه إلى بعض، وكان المترجم حاضرا بنفسه، ووقع قتال عظيم بين الفريقين انجلى بانهزام المحال السلطانية، ولم يمت من الجيش الفاسى غير ستة.

ومن الغد فقد الزرع بالمدينة، واشتد الهول، وعظم المصاب، ووقع التنازع بين العامة والرؤساء، وضعفت قوى المقاتلة عن المقاومة، ولم يكن لهم بد من الإذعان وتسليم ما طولبوا بتسليمه للجناب السلطانى.

وبسبب ذلك تم الصلح على يد القائد محمد السلوى بالضريح الإدريسى، وذلك يوم الثلاثاء عاشر ربيع الأول عند صلاة الظهر.

ثم اجتمع رؤساء الأشراف والعلماء وذوو النجدة والوجاهة، وطلعوا فى معية القائد السلوى المذكور لدار الملك لاستئناف تقديم الطاع؛ فقبلهم المترجم وقابلهم بالعفو والإغضاء، ووصل الشرفاء والعلماء بألف دينار، وكسا الأعيان، وولى عليهم الحاج على السلوى، وانطفأت نيران تلك الفتن.

وفى الثالث عشر من ربيع النبوى عمر الجند السلطانى القصابى مع البساتين (المعاقل).

وفى العشرين منه نهض صاحب الترجمة من فاس ووجهته العاصمة المكناسية، ولما حل بها وجد القبائل استأنفت عملها الأول من ركوب الخيل واقتناء السلاح والعيث فى الطرقات، فأصدر أوامره للعبيد بتجهيز الحركة لتمهيد البلاد، وقطع جرثومة الفساد.

ثم نهض قاصدا تادلا لقمع آيت يمور الذين نزلوا بها لما أخرجهم آيت ومالوا من رأس ملوية، وأضروا بأهلها، ولما أحسوا بمقدمه فروا أمامه ودخلوا بلاد آيت يسرى، فاقتفى أثرهم وأوقع بهم شر وقعة بوادى العبيد نهبت فيها أموالهم وقتل منهم آلاف.

ولما رجع المترجم لتادلا قتل من أعيان رماة أهل فاس عشرين، وكتب لأهلهم يعتذر عن قتل من قتل منهم مبينا لهم وجه ذلك وموجبه، وأمرهم بتوجيه حركة أخرى فامتثلوا وعينوا من يتوجه للحركة وفق الأمر الصادر إليهم، وكان الذى استعرضهم حمدون الروسى برأس الماء، وبعد الاستعراض توجهوا للحضرة السلطانية.

ومن غد يوم الاستعراض قتل الروسى المذكور عبد الواحد بتير، ومحمد بن الأشهب بباب السجن وأمر بجرهما، ثم من الغد أصبح يهدم أبواب المدينة، فهدم

باب المحروق، وباب عجيسة، وباب الجديد، وكان ذلك لما تقدم من الاستعانة بغلقها على التمرد ونبذ ما لزم من الطاعة.

وفى الخامس والعشرين من ربيع الثانى بعث المترجم للعلامة أبى عبد الله محمد بن عبد السلام بنانى فلحق به بمكناس، ولما مثل بين يديه سب وجدع وقرع ووبخ لأمر سوء بلغه عنه، وعزله عما كان بيده من الوظائف بجامع الأندلس، ثم عفا عنه وأغضى.

وفى الحادى عشر من جمادى الثانية عزل على السلوى عن عمالة فاس وسجنه لما تظاهر به من السوء لأهل فاس وقتله رئيس أهل العدوتين الشيخ دحمان المنكاد، وأسند عمالة فاس للبادسى بن حمدون الروسى.

وفى العشرين من رمضان عزل أبا العباس أحمد الشدادى عن قضاء فاس، وولى مكانه أبا الحسن على بوعنان.

وفى الثانى عشر من شوال عزل البادسى عن عمالة فاس، وولى مكانه عبد النبى بن عبد الله الروسى، فأساء السيرة فعزله، وولى مكانه حمدون الروسى وأوصاه بالرفق واللين، وحذر وأنذر، ولكن ما بالذات لا يتبدل فلم يزده التحذير إلا إغراء:

إذا كان الطباع طباع سوء فلا أدب يفيد ولا أديب

وفى أوائل جمادى الأولى صدر الأمر بهدم القصبة البالية وحطب ما فيها من الأجنة، ولما علم السلطان بذلك سجن الناظر ونكل بمن فعل ذلك من الولاة محتجا بأنه لم يأمر بذلك، وإنما أمر بتخفيف بعض الأشجار التى لا غلة لها، ثم أمر ببناء ما تهدم وغرس ما قلع، وفى أواخر شعبان قتل عبد الواحد بن سودة الذى كان أمين المواريث قصاصا.

وفى محرم الحرام عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف ابتدأ فى هدم أسوار المدينة، وصرح بأنه إذا فرغ من هدم الأسوار يشرع فى هدم الدور وأمر بحمل الأنقاض لفاس الجديد.

ثم لما اتصل بالمترجم عتو الروسى وطغيانه، كتب كتابا بتوبيخه وتهديده وإيعاده قرئ على منبر القرويين، ولما تيقن أن لا ملجأ له ولا منجى مما جنت يداه فر لزاوية جبل زرهون، حيث مدفن البضعة النبوية الطرية، إدريس بن عبد الله الكامل، ولما رجع المترجم من حركته وتوجه لزيارة الضريح الإدريسى تعلق حمدون بأذياله فلم يلتفت إليه، ثم بعد ذلك أحضره بين يديه وعدد عليه ما ارتكبه من الجرائم التى لم يجد لها مدفعا، ثم أمر بتوجيهه لفاس وقتله قصاصا، فأنشد بين يديه ما أنشده بعضهم لأبى جعفر المنصور العباسى:

إنا بطاعتك الألى	كنا نكابد ما نكابد
ونرى فنعرف بالعدا	وة والبعاد إذا تباعد
هذا أوان وفاء ما	سبقت به منه المواعد

فأطرق المترجم ساعة ثم قال له وهبتك لشيبتك، وأبقيتك لصبيتك، على أن لا تقرب ساحتنا، ولا تحوم حولنا، وإلا حلت بك عقوبتنا، وولى على فاس كاتبه الطيب بن حلوة، وذلك فى يوم الاثنين تاسع عشر شعبان، وكان شديد الشكيمة على أولاد العرب والعلماء، ظلوما غشوما، لم يتول على فاس أتعس وأشأم منه، حتى سمى حجاج الوقت، يقال: إنه هو الذى أغرى المترجم على نهب زرع العرب الذى كان بخزائنهم، فأمر بحيازته، وتوجه الأشراف والعلماء للسلطان فى الشفاعة فردهم خائبين، واستمر ابن حلوة على عمله من النهب والغصب والقتل والتدليس وتشويه وجه الحقيقة إلى أواخر رمضان وقيل شعبان، فنكبه المترجم وعزله وغربه إلى مكناسة الزيتون، فلم يزل بها فى شبه عقال إلى أن لقى ربه بعد

خمسة أشهر، وولى على فاس مكانه عبد اللطيف بن عبد الخالق الروسى، ووجه به عاملا فوصل إليها فى سابع شوال.

وفى ربيع الثانى أصدر المترجم ظهيراً شريفا نصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع بداخله (عبد الله بن أمير المؤمنين إسماعيل الحسنى الله وليه ومولاه) وبزواياه اليمن والإقبال وبلوغ الآمال والسعد:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز أمره، وأطلع فى سماء المعالى شمسه المنيرة وبدره، بيد حامله الفقيه الأجل، المجود الأفضل، السيد الحاج أحمد بن عاشر العامرى يتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه وبركته أننا جددنا له بحول الله وقوته حكم ما بيده من ظهائر سيدنا الوالد قدس الله روحه فى أعلى الجنان آمين، وظهائرنا الكريمة التى تضمنت توقيره واحترامه على مر الليالى والأيام، والسنين والأعوام، فلا سبيل لمن يروم أو يحدث فى جنابه الملحوظ نقصا ولا زيادة، وأبقيناه على مرتبه الذى كان يقبضه من وقف أحباس مسجد سلا الأعظم عمره الله بدوام ذكره، وقدره خمسة وعشرون أوقية دراهم من كل شهر إعانة له على ما هو بصدده من تعليم الطلبة بالمسجد المذكور، وعلى الفقيه المذكور بالاجتهاد فيما كلف به، والواقف عليه يعمل به ولا يتعداه والسلام فى الثانى والعشرين من ربيع الثانى عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف».

وفى السابع والعشرين من شوال ١١٤٣ وقع الشروع بأمر المترجم فى هدم مدينة الرياض المارة الذكر التى كانت زينة مكناسة وبهجتها، وفيها دور العمال والكتاب والأوداية وأهل الدولة الإسماعيلية، والتى كان بها المسجد الإسماعيلى الأعظم والمدرسة والأسواق والحمامات، وكان يقصدها التجار بالبضائع، فلم تمض عليها عشرة أيام حتى صارت كدية تراب.

وكان قد أشرف على الشروع فى هدمها بنفسه وفى نظرى أن أحسن ما يعلل به هدمه إياها زيادة على ما أسلفناه، هو أن صدور الدولة وذوى الحيثيات من رؤساء الجيش ألهتهم قصورهم الفاخرة بزخاريفها عن القيام بوظائف الدولة،

واتفق ما حدث من الفتن بعد وفاة والد المترجم وأساطين دولته وساساتها، ولما آل الأمر للمترجم لم يجد من أولئك من يعيره لتنفيذ أوامره أذنا صاغية، بل قوبل جلها إن لم نقل جميعها بالرفض وإبداء العلل الواهية زيادة على كونها صارت بعد أبيه مركز المؤامرات السياسية عليه وعلى إخوته.

وأثناء هذا وسوس بعض شياطين الإنس لصاحب الترجمة فى أبى العباس أحمد بن على الريفى حتى أوغر صدر السلطان عليه، وصمم على المكر به، فطير له الإعلام بذلك بعض أصدقائه من الحاشية الملكية فخاف بطش الملك ووجه بهدية ذات بال جمع فيها تيجانا مرصعة بنفيس الأحجار وأموالا طائلة وأوفد معها ثلاثمائة نفر من أعيان إخوانه أهل الريف يبرهنون للمترجم على إخلاص مرسلهم ورضوخه للطاعة وبراءته مما ألصق به ويطلبون أمانه فأمر بقتل جميعهم، ولما اتصل ذلك بالريفى المذكور قام لإيقاد نيران الفتن على ساق حتى اضطرمت وتسعرت وتطاير شررها، وعم الفساد الحاضر والباد، وقطعت السابلة وكان ما كان مما لست أذكره.

ثم بلغ المترجم عيث آيت يمور وتمردهم واشتغالهم بالسلب والنهب، فحشد إليهم جيوش العبيد والودايا ونزل بساحتهم من غير تأهب لهم ولا استعداد للمقاومة، فأخذهم أخذًا وبيلا، وقتل أبا يعقوب الحنصالى شر قتلة، إذ وجده نازلا بين أظهرهم، قال فى نشر المثانى: ولما قتله منع الناس من دفنه حتى تمزقت أشلاؤه وتفرقت أعضاؤه، فعل ذلك به لئلا يتوهم ضعفة العقول من أصحابه أنه لم يمت لأنه كان يخالط علم الحدثان.

وفى العام نفسه قتل مائتين من لصوص حجاوة على قطع الطريق على المارة ببلادهم، ولما قتلهم خرج أهل مكناس والطالبون للفرجة فى المقتولين بباب البطيوى، فاتفق خروج المترجم فى تلك الساعة على ذلك الباب، فلما رأى القوم

قصدهم ظانا أنهم المأمور بقتلهم ففروا خوفا منه ودخلوا كهفا على مقربة من المحل يختفون فيه، فقصدهم حتى وقف على باب الكهف وأمر من كان معه بغلق باب الكهف عليهم بالأحجار فأغلقوه غلقا متقنا، ومات جميع من به ولم يوقف لهم بعد على خبر، ولم يعرف عددهم، وفى العام أيضا أمر عبيد مشرع الرمل بالتهيؤ للحركة لجبال فازاز.

وفيه ولى أبا عبد الله محمد وعلى الزمورى عمالة فاس وأمره باستصفاء أموالهم وأن لا يترك لهم قيراطا، إذ كان البعض نقلوا إليه أن المال أطغاهم وأنهم يحاولون الخروج عن طاعته وشق العصا عليه، فتوجه الزمورى المذكور إلى فاس ونزل بدار أبى على الروسى من حومة المعادى وصار ينقب على ذوى اليسار ووظف عليهم أولا غرامة قدرها خمسمائة ألف مثقال وبالغ فى التشديد فى اقتضاء ذلك منهم، وعمَّر بهم السجون، ومن تغيب يلقى القبض على أقاربه.

ولما استوفى العدد المذكور ممن ذكر صرف وجهته لأهل الحرف والملاكين والبطالين، وقام بسبب ذلك هرج ومرج، وفر الناس لشواهق الجبال والقرى والأمصار الشاسعة، وامتدت ولايته عليهم ثلاثة عشر شهرا، وكان كلما قبض شيئا وجهه للمكلف بالداخل للعاصمة المكناسية.

وقد ساق العلامة المؤرخ ابن إبراهيم الدكالى هذه الحادثة ببعض مخالفة وزيادات ونص ماله فى تقاييده: وفى هذا الوقت قدم عبد الرزاق بن على ويشى، وقبض جميع تجار أهل فاس وسجنهم ودخل ديارهم وحوانيتهم، وشرع فى قبض المال منهم، ثم دفعوا مائة وعشرين قنطارا، وكان من جملة من قبض فى المال الحاج محمد الأندلسى الرحوى، أخرجوه من حرم سيدى أحمد الشاوى، وأدخلوه السجن وضربوه حتى مات، وطوفوه على النعش وهم يقولون هذا جزاء من لم يعط مال السلطان، وكان ذلك فى صفر وجاء العفو يوم الجمعة السادس عشر منه.

وفى الحادى والعشرين منه ذهب عبد الرزاق بمال التجار الذى قبض ودفعه للسلطان، وكان معه التجار الذين دفعوه، فأمرهم بالزيادة عليه، وسجن بعضهم وقد كان عبد اللطيف الروسى من جملتهم، وقد كان عبد اللطيف هذا أمر بقتل السيد الحسن بن السيد عبد العزيز بن إبراهيم الموقت بمنار القرويين بإشارة من القاضى السيد على بو عنان، وقتل بعد صلاة العصر من يوم السبت خامس المحرم عام ١١٤٥.

ولما تلاقى عبد اللطيف المذكور مع السلطان وتكلم معه فى شأن المال الذى دفع أهل فاس غضب عليه السلطان من أجل الرماة، وأمر بضربه بالسياط، فضرب ثم ثمانمائة، ثم طعنه برمح وأمر بذبحه وجره لباب الملاح جزاء وفاقًا بما فعل بالسيد الحسن المذكور.

ثم تولى حكومة فاس الطالب محمد بن على ويشى أخو عبد الرزاق المذكور، وكان حسن الأخلاق يوقر الأشراف والعلماء وأبناء الصالحين، فكان جعل للطلبة خراجا يقبضونه من وفر القرويين، إلا أنه كان فظا غليظا على التجار لا يقبل منهم عذرا، وقبض منهم زمن ولايته أموالا عريضة، وانتفى بسببه من فاس من أهل الغرامات ما لا يحصى، وبقى حاكما بفاس من حين قتل عبد اللطيف الروسى إلى وقت نجاة المولى عبد الله بنفسه كما يأتى هـ.

وفى ١١٤٤ لما كان المترجم وجه للمولى الطيب الوزانى فى شأن الباشا عبد النبى الحيانى، وقدور السهلى، وقد كانا مستجيرين بوزان وتراخى المولى الطيب فى توجيههما إليه، بعث له قائلا: والله إن لم تأت بهما حتى أهدم عليك تلك الدشرة، وأجرك فى أزقتها، فذهب إليهما فامتنعا من الخروج فأعطاهم عهودا ومواثيق بأنه لا يتخلف عنهم ولا يسلمهم، فخرجا معه وخرج معهم جمع من الأشراف والصبيان أولادهم بالألواح.

فلما وصلوا لحضرته وأعلم بورود عبد النبى نهض وخرج إليهم راجلا، وقبض على لحية المولى الطيب وهزه منها وقال له: أخى فارقنى فما أدخلك بين عبيدى ورعيتى.. فقال له: أريد من الله ومنك أن تعتقهما، فقال له: إن أعتقتهما فلست بولد لإسماعيل بن الشريف، والأشراف والصبيان واقفون وبيدهم غطاء جدهم المولى عبد الله الشريف، وغطاء المولى التهامى.

والتفت لعبد النبى وصار يخطب عليه ويعدد مساويه، وكان من جملة ما خاطبه به: إننى ما نسيت ولا أنسى ما شافهتنى به على رءوس العبيد: والله إن قبضتك يا عبد الله بوسبيبط الصغير[1] ربيب الدغمى، حتى أرمى على رجلك كبلا (قيدا) من عشرين رطلا، وألقيك فى الدهليس إلى أن تموت فيه، وتكررها مرارا.. وتذكر اليوم الذى قبضت فيه لجام فرسى ودككته إلى ورا، إلى أن سقطت من فرسى على الأرض وقلت لى: اذهب من هنا، إنما أنت طفل صغير، فطلعت إلى ربوة وبكيت حتى كاد أن يعود الدمع دما، ومن أجلك أنفنت بيت المال كان إذا أتى إلى صاحبك بكتابك أو كلامك لم يكن لى بد من إعطائه قنطارا سخرة له اتقاء لشرك، ثم قال لمن حوله اقبضوا الظالم عدو الله فصاروا يجرونه وقد كان قابضا بيد المولى الطيب، فقطعوا يده وأخذوه، وكذلك فعلوا بصاحبه قدور السهلى، ذكره الضعيف.

وفى عام ستة وأربعين، عقد للباشا قاسم بن ريسون على جيش من العبيد منتظم من خمسة عشر ألف فارس، وللقائد عبد الملك بوشفرة الأودى على ثلاثة آلاف فارس من إخوانه الودايا، ووجه بالجميع لجبل آيت ومالوا، ولما عبرت تلك الجنود، وادام الربيع على مجاز البروج، خيمت بآدخسان، ولما رأى أولئك البرابر العتاة ما لا قبل لهم بمقاومته، فروا للجبال فاقتفى الجند أثرهم إلى أن توغلوا فى

---

(١) فى هامش المطبوع: «كان المترجم كذلك رقيق القدمين حذاءهما كأحذية الأطفال كما تقدم فى وصفه».

وعـر تلك الجبـال، ثم وجه البـرابر ذات ليلـة من سد الـثنايا التى دخلوا منهـا بالأشجار الأرز.

ولما كان الصباح هجموا عليهم من كل ناحية وقاتلوهـم قتالا شديدا فى تلك الأوعار التى لم يقـرءوا لها حسبـانا، فهزم الجيش هزيمـة شنعاء، وولوا الأدبار، فوجـدوا الثنايا قد سدت دونهم فازدادوا فـشلا ورعبـا، ولم يسعهم غيـر الترجل وتسليم الخيل والسلاح والزاد، ولما تجردوا من كل شىء وتركـوه غنيمة باردة حقن البربر دماءهـم، ولـم يقتلوا أحدا منهم.

ولما لحقوا بالمترجم لمكناس حفاة عـراة منحهم وكساهـم ووعدهم بإخلاف ما ضاع لهم، وأمرهـم بالرجوع لمشرع الرمل فرجعوا وقد بذر فى قلوبهم بغضه، شأن ما جلبت عليـه الطباع فيـمن تسبب لهـا فى لقى ما تكره، وإلا فالمتـرجـم إنما كان وجههم لحسم مادة المفسدين.

وفى عام سبعة وأربـعين: اتفق العبيد والودايا على قتله والتمثـيل به انتقاما منه لإسرافه فى قـتلهم حتى كاد أن يستولى على رءوسهم وصناديـدهم سعيا وراء كسـر شوكة استـبدادهم وطغيـانهم على الملوك وإيقادهم نيران الفتن فى الرعـية، وأخذاً بدم صنوه أبى مروان عبد الملك الذى خنقوه، وكان قصده استئصال شأفتهم لتحققه أنه لا يستقيم مـعهم ملك لأحد، قالوا بلغ عدد من قتل منهم عشرة آلاف ونيف، **«إنما جزاء الذى يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض»**.

ثم إن المترجم أنذر بما صمـم عليه العبيد من اغـتياله، فخرج من العـاصمة المكناسية يوم الأحد ثـامن وعشرى ربيع الثانى ليلا ناجيا بـنفسه، ومن الغد الذى هو يوم الاثنين بلغ لفـاس خبر خـروج السلطان، فهرب عـاملها محـمد بن على

ويشى وأتباعـه، وسار المترجم إلى أن بلغ آيت أدراسن ففـرحوا به وآووه وعززوه إلى أن بلغ لمشرع بولعوان.

وكان هنالك لجانب السلطان عدد وافر من الزرع، ففرقه فى أتباعه وضعاف الناس، إذ كان الغلاء بمراكش ونواحيها، فـفرح الناس واطمأن المترجم وودعه أهل تادلا، وانقلبوا لحللهم ومحالهم، وسـار هو إلى مراكش، ثم تارودانت، وأقام بها أياما، ثم انتـقل إلى السوس، ثم وادى نول حـيث استقـرار أخراله المغـافرة فنزل عليهم.

وكان فى مـعيتـه ولداه أبو عبد اللـه محمـد مار الترجـمة دون بلوغ، وأبو العباس أحـمد فوق البلوغ، قاله الزيانى: وقال غـيره: إنه ترك الأول من الولدين المذكوريـن مع جدته خناثة بمكناس، وهو مـا حقـقه فى الدر المنتـخب وهو الذى يشهد له التاريخ.

وكانت مدة خلافتـه هذه خمسة أعوام وثمانية أشهـر ونصف على ما شهره فى الدر المنتخب، وكانت مدة مقامه بوادى نول عند أخواله ثلاثة أعوام.

أما العبـيد فإنهم لما علموا بذلك وجـهوا لسجلماسة جـريدة من الخيل تأتى إليهم بصنو صاحب التـرجمة أبى الحسن على الأعرج ليبايعـوه، على ما سنفصله بعد فى ترجمته بحول الله.

وفى عام ثـمانية وأربـعين ومائـة وألف: كانت فـتنة عبـد الله بن محـمد الكرسـيفى مـدعى المهـدوية بالسـوس، وارتفع صـيتـه فى تلك الأصـقاع، مـلأ أرجاءها، واقتحم حصن آكدير عنوة، وفـعل بأهلها ما يخجل وجه المروءة، وخيم بالمحل المعروف بفـونت تحت أبى القناديل، ومنعهم من الماء حـتى مات جل تلك البلاد نساء ورجالا وصبيانا عطشـا، وحيل بينهم وبين المقابر العامة فصاروا يدفنون

موتاهم بالدور والمساجد، وكان الفتان المذكور يحث أهل سوس على غزو أهل آكدير ويقول: إن ثلثهم نصارى، وثلثهم يهود، وثلثهم عصاة حصب جهنم.

فأجابه لذلك خلق كثير من أهل سوس، والحال أنهم لم يروا البحر قط، ولما نزلوا بساحته أخذوا يشربون ماء البحر ويلثون به سويقهم، فهلك منهم عدد عديد، ثم عاد الثائر لتارودانت مصمما على الإيقاع بهوارة، ولما شعروا بمراده اتخذوا سائر الاحتياطات اللازمة وأجمعوا أمرهم على اغتياله، فأوعز إليه بذلك بعض المعتقدين له، فأشاع أنه يريد زيارة أبى حفص عمر وهارون برأس الوادى، فتبعته هوارة إلى أن لحقوا به بثلاثاء تماصت بزاوية السيد عياد، وأخذوا يلعبون بالبارود مع أصحابه مظهرين الفرح به والطاعة له، فلم يأمن فبهم، ونجا بنفسه فاقتفوا أثره إلى أن لحقوا به بصهريج آيت أيوب فى تنزرت، وأطلقوا عليه أفواه مكاحلهم بالرصاص ففر ودخل دار الشيخ أحمد ويدير، ومات بداره ونهب آيت يش ماله.

قاله الضعيف: وقد وقع لصاحب الدر المنتخب فى سوق هذه الحادثة تخليط واشتبه عليه أمرها واشتبك وارتبك، وبموت هذا الفتان الأفاك اطمأنت نفوس أهل تلك البلاد، وأمنت سبلهم، وكان الذى قتله هو ابن همان وماين الهواريان ويعيش الزكنى المنبهى.

ثم وفد المترجم على تارودانت واستولى عليها وعلى أحوازها، وبويع له بتلك الأصقاع، ووقعت بينه وبين هوارة معارك عظيمة انجلت بانهزامهم وفشلهم كل الفشل، ثم نهض من تارودانت وخيم ببلاد السراغنة وأوقع بهم وقعة شنيعة، وحكم السيف فى أربعمائة رجل من عوامهم، ومائة من طلبتهم، حيث إنه وجدهم هدموا مسجد القصبة وصيروه بلاقع، وكان ذلك كما قال الضعيف سنة ١١٤٨ ثمان وأربعين.

وانظر هذا التاريخ مع ما سبق أنه بقى بوادى نول ثلاثة أعوام، وكذلك يخالفه ما فى الاستقصاء من أنه لما كان شهر ذى الحجة من سنة تسع وأربعين ومائة وألف ورد الخبر بأن السلطان المولى عبد الله قد أقبل من وادى نول، ووصل إلى تادلا، فاهتز العبيد له وتحدثت فرقة منهم برده إلى الملك، وخالفهم سالم الدكالى فى جماعة من شيعته، وقالوا: لا نخلع طاعة مولاى على، إذ كان سالم هذا وأصحابه هم الذين تسببوا فى خلع المولى عبد الله، وتولية أخيه مولاى على.

ثم إن شيعة المولى عبد الله قويت وكثروا أصحاب سالم وأعلنوا ببيعته، ففر سالم فيمن معه من القواد إلى زاوية زرهون مستجيرا بها.

ولما سمع بذلك السلطان المولى على فَرَّ من مكناسة إلى آخر ما يذكر فى ترجمته، ولما فر اجتمعت كلمة العبيد على ذلك أهل فاس وسائر القبائل، ثم إن سالما الدكالى الذى بزرهون كتب إلى أهل فاس يقول لهم: إن الديوان قد اتفق على خلع المولى عبد الله، وبيعة سيدى محمد بن إسماعيل المعروف بابن عريبة، والمشورة لعلمائكم، فأجابوه بأن قالوا: نحن تبع لكم، فلما سمع أهل الديوان بما فعله سالم الدكالى وما تقوله عليهم خرجوا من المحلة إلى زرهون، وقبضوا على سالم الدكالى ومن معه من القواد وبعثوا بهم إلى السلطان المولى عبد الله بتادلا، فاستفتى فيهم القاضى أبا عنان، وكان يومئذ معه فأفتاه بقتلهم هـ.، ونحوه فى الدر المنتخب، والترجمان المعرب، وغيره من كتب الزيانى.

لكنهم صرحوا بأن القبض على الدكالى وأنصاره كان بإيعاز من المترجم، وأنه لما ألقى القبض عليهم قيدوا بالحديد ووجه بهم لصاحب الترجمة وهو يومئذ بتادلا، وهنالك وقع استفتاء من ذكر فيهم وقتلهم، واستؤنفت البيعة للمترجم،

ونهض من تادلا وسار إلى أن خيم بأبى فكران وتوجه لاستقباله، ثم أهل فاس ومكناسة أشراف وعلماء وأعيان، ولما مثلوا بين يديه وقدموا إليه بيعتهم سب وجدع وهدد وأوعد على ما صدر منهم وتكرر من شق العصا والخروج عن الطاعة، وقتل جماعة من أعيانهم، وعزل قاضى العاصمة المكناسية أبا القاسم العميرى، وولى مكانه الطالب بوعنان، وألقى القبض على عاملها مسعود بن عبود، وولى على فاس محمد بن على ويشى.

ولكنه لما توجه إليها لم يستطع الدخول إليها خوفا على نفسه من الإيقاع به، ونزل بالقصبة الجديدة إذ كان فيها عبيد المترجم وخاصته أدالة.

وفى يوم الخميس خامس عشرى صفر مد الودايا يد النهب والسلب فى الطرقات، ونهبوا ما كان بسوق الخميس من الماشية والدواب، أخذوا من البقر نحو الألفين، ومن البغال نحو سبعمائة، ومن الثياب عددا عديدا، وأغاروا على سرح أهل فاس وعاثوا فى ضواحيها والسبل الموصلة إليها، واتفق أن كان اليوم العنصرة، وفى اليوم نفسه شرع أهل فاس فى بناء أسوار المدينة التى تهدمت.

وفى يوم الأربعاء فاتح ربيع الأول قدم مسعود الروسى من مكناس لفاس والمدينة فى حصار، فزار الضريح الإدريسى وانصرف لداره بالعدوة، فسأله بعض القوم عن سبب مجيئه، فقال: إن السلطان مولاى عبد الله ولانى حكومة فاس، ولما شاع ذلك النبأ تحزبت الغوغاء والأخلاط وهجموا عليه وقتلوه أمام داره وجروه إلى توتة الصفارين، وهموا بتعليقه عليها فتعذر[1] حمله لضخامة جثته وبقى ملقى هناك إلى الغد هـ.

وفى نظرى أن ما جاء فى تاريخ الضعيف نقلا عن تاريخ ابن موسى أصح وأقعد، لأنه عاصر المترجم وحفظ ووعى وقيد على عهده ونقل كلامه الضعيف ولم يتعقبه.

---

(١) فى هامش المطبوع: «لا تعذر فى الضخامة مع التحزب المذكور».

وفى الدر المنتخب نقلا عن صاحب نشر المثانى: أن السلطان - يعنى المترجم - نادى بالوعيد الشديد لمن أتى بالميرة لفاس، وبقوا فى الحصار إلى مهل ربيع الأول، فأرسل السلطان القائد مسعود الروسى والياعلى فاس لما شاع عنهم أنهم إنما كرهوا محمد بن على المذكور، وأما غيره فهم راضون به أيا كان، ففرح عامة الناس بدخوله لخمود الفتنة، وإطفاء نارا الغلاء، فدخل الروسى دار أخيه بعدوة الأندلس من فاس، وجعل الناس يأتون للسلام عليه وكثر عليه الازدحام وهو داهش لا يدرى ما يحل به، ثم دخل عليه من جرى فى الفتن فقتلوا بعض أصحابه بين يديه، وخرج هو فاراً لدور بعض الأشراف محترما ومحتفيا.

فلما كان الليل اجتمعوا على قتله أخذا بثأر أخيهم بوده إذ كان قتله فى زمن ولايته لمولاى على، فأخرجوه من المحل الذى كان به وقتلوه، وأصبحوا على أشد ما يكون فى حصارهم، وغلا الزرع وكان به نحو ثمان موزونات للصاع النبوى، وقل الإدام، وانقطع اللحم واستمروا على حصارهم ومكث أهل فاس على نصر مولاى عبد الله والخطبة به على المنابر هـ.

وفيه أيضا نقلا عن صاحب النشر وغيره قائلا ما لفظه ومن كلامه الممزوج بكلام غيره: وفى عاشر ربيع الأول تولى عبد الخالق الزيتونى أمر فاس بإجماع أهلها، وجعل ينظر فى مصالح المسلمين من إصلاح الأسوار وغيرها، وفى السادس عشر قبض الودايا ثلاثة من أهل فاس وطوفوهم بفاس الجديد وقتلوهم، وقتل أهل فاس الهزاز، وابن حمو.

وفى يوم الجمعة الثالث والعشرين من ربيع الثانى اختلفت كلمة اللمطيين والأندلسيين فى ذكر السلطان مولاى عبد الله على المنبر فى الخطبة، فأراد الأندلسيون ذكره، وامتنع اللمطيون، وصليت الجمعة بذكره فى مسجد الأندلس والطالعة، وترك خطيب باب الجيسة ذكره، وكذلك نائب خطيب القرويين، لأن

خطيبها قاضى فاس كان بالحرم الإدريسى محترما، وأما خطيب المقام الإدريسى فإنه كنى عنه ولم يصرح، وإنما قال: وانصر اللهم من بايعناه على طاعتك من أبناء السادات الشرفا، سمى جده والد المصطفى.

وخاض الناس فى ذلك وكثر القيل والقال، واجتمع العلماء فى المقصورة فانفصلوا عن غير فائدة.

وفى السادس والعشرين اجتمعوا أيضا بمسجد اللبارين، فأما الفقيه سيدى محمد بن عبد السلام بنانى، فقال للعامة: أخرونى حتى أراجع المسألة وأراجع كتب الأئمة، وأما الفقيه السيد محمد الزيزى فقال لهم: طاعة السلطان واجبة، وإن تفاحش ظلمه فإنه متغلب ولا تقدرون على مقاومته، ومن قال لكم غير هذا فقد غشكم، وأنا لكم من الناصحين.

فهاجت العامة عليه، وهموا بقتله حتى تشفع فيه بعض الأشراف، وانفصل المجلس على ما ذكره بنانى ومن تبعه من التأجيل، ثم اشتد الغلاء فبلغ القمح عشرين مثقالا والشعير عشرة مثاقيل، وتحير الناس فى أمورهم، وأراد اللمطيون أن ينصروا سيدى محمد بن عربية وامتنع الأندلسيون.

وفى مهل جمادى الأولى تذاكر الناس فى الصلح مع مولاى عبد الله على يد السيد أبى بكر بن محمد بن الخديم الدلائى، فلم يظهر لذلك أثر بعد أن كانوا نصروه على المنابر فى الخطب.

وفى ثانى جمادى الأولى جاء القائد محمد مغوس المجاطى بقصد الصلح، ثم إنه وقع خصام بينه وبين الودايا فجرحوه، وذهب لمكناسة وتوفى بها فى سابع الشهر المذكور.

وفى السابع عشر منه تناول أهل فاس صلحا مع السلطان على يد زيان بن على ويشى رئيس المحلة النازلة فلم يكمل، لأنه اشترط عليهم شروطا لم يقبلوها.

وفى يوم الثلاثاء السادس والعشرين منه وقع خصام بين بعض البوابين بباب الجيسة مع خديم من خدام الشرفاء أهل دار القيطون فضربوه، فلما سمع بذلك أصحابه الشرفاء تحزبوا، وانضاف إليهم جماعة وجاءوا لاشبارات من ناحية سيدى اللزاز من ناحية الطالعة، فلما وصلوا للقصبة الجديدة وتلاقوا مع محمد بن على ويشى قائد مولاى عبد الله، قالوا له: نحن لا نوافق على ما فعله أهل فاس، وما خرجنا إلا لهذا الغرض، فأعرض عنهم، وحينئذ اجتمع اللمطيون والأندلسيون بعد صلاة العشاء بالقرويين وتحزبوا على عدم نصر مولاى عبد الله، وشد السلطان فى الحصار مدة من أربعة أشهر ولم يكن بين أهل فاس ومن حاصرهم قتال ولا رمى بكور ولا بمب ولا حفر مينة ولا طمع فى الاستيلاء على المدينة، لأن السلطان أوصاهم بعدم ذلك، وقال: إن ذلك لا يفيد فى فاس شيئا، وقد بالغت فى الحصار الأول الذى قبل هذا الجهد وما حصل لى منى ذلك إلا تضيع الأموال والمشقة، وإنما يذعن أهل فاس المساكين من أهلها والضعفاء الذين لا يقدرون على الدفاع عن أنفسهم شدة من الغلاء والجوع، هذا كله والسلطان بمكناسة يقتل من طغى من العبيد وتجبر هـ.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرى وقيل الثامن من جمادى الأولى عام تسعة وأربعين، اجتمع رأى أهل فاس والودايا ومن شايعهم على رفض طاعة صاحب الترجمة والبيعة لصنوه أبى عبد الله ابن عريبة مار الترجمة، وقد كان الناس سئموا الفتن وإتلاف الأنفس والأموال وضيق المعيشة وقطع السابلة وكلوا وملوا.

وفى الاستقصا أن بيعته كانت فى خامس الشهر سنة خمسين. هـ.

ومن الغد الذى هو يوم الأربعاء أعلنوا بذلك ونادوا به فى الأزقة والأسواق وكتبوا البيعة لابن عريبة المذكور، ومن توقف أو خالف فى ذلك نكلوه، وإن كان موظفا عزلوه، وكان ممن أخر عن الوظيف لعدم إسراعه بالإجابة لما ذكر أبو عبد

الله محمد البكرى الدلائى وسجن وذعـر، وأبو عيسى المهدى الفاسى، وأبو مدين أحـمد الفـاسى، وأبو العـباس أحـمـد بوعنان، الأول منهم عن إمـامة الضـريح الإدريسى وولى مكانه أبو عـبد محمـد بن على بن إبراهيم، والثانى عن الإمـامة بمدرسة الطالعة وعين للإمامة بهـا بدلا عنه الشيخ التاودى بن سودة، والثالث عن الإمامة بجـامع الأندلس وولى مكانه السيد بوعـزة بن إدريس المشاط، والرابع عن إمامة جامع باب الجيسة وعين بدلا عنه أبو عبد محمد فتحا السلاوى.

ولما اتصل ذلك بالمترجم جـمع أهله وعياله وماله وكل مـا له قيمة بالـقصر الملكى بمكنـاس وأطلق سـراح من كـان بالسـجـون، وخـرج من مكناسـة ونزل بالحاجب، وقـيل بجبال فـازاز، والتفت عليه البـرابر وصاروا يغيـرون على سرح مكناسة وسايس وما والى ذلك.

ثم بعد ذلك بخمسة أيام أتى المترجم بالـبرابر أتباعه ليلا إلى مكناسة ونهب جميع أحوازها، ووصل إلى سيدى فرج وبقى هنالك إلى أن طلعت الشمس وفتح باب الأروى فدخلهـا وهدم البيوت وحرق المسـاكن، وأخذ جميع ما كـان بها من خيل وسلاح، ورجع للحاجب فاقتفى أثره جند صنوه ابن عريبة. ولما رأى المترجم ما لا قبل له به نجا بنفسـه وترك مخيمه غنيمة، فتبعـته جنود العبيد والودايا وأهل فاس إلى ملوية وتوغل فى جبالها وخفى عنهم ولم يدروا أين ذهب، وفى منقلبهم اعتـرضهم البربر وسلـبوهم من كل شىء، واشتـبكت الفتن وارتبكت، وفى هذه الفتن كانت منية المولى الرشيد صنو المترجم، والقائد ابن النوينى.

وفى نسخة عتيقة من نشر المثانى غير مطبوع ما نصه: إن عبيد مكناسة تبعوا المترجم للفـتك به فلما نزلوا على عين اللوح أنزل الله المطر الكثـير وأرياحا وبردا شديدا حتى كادوا أن يهلكوا، فرجعوا وقد خاب قصدهم.

وفى شوال أكثر أتبـاع مولاى عبد الله من البرابر الغارة عـلى سايس وغيره من البلاد الموالية لبلاد البـربر، ففر جميع من كان يلى البـربر، فخلت جميع تلك البلاد، ثم شن البرابـر الغارات على من يمر بالطرقات، وأكثـروا النهب فى سائر البلاد التى يقدرون على الوصـول إليها، وقاموا بدعوة مولاى عـبد الله فى جميع جبالهم واتخذهم بطانة له، وفى ذلك الوقت بدأ انتـعاشهم، ولما رأى مولاى عبد الله فرار الناس من البربر نزل جبل غمره الموالى لبلاد سايس، وانقطعت الميرة على فاس الإدريسية مـن كل ناحية من غارات البربر على ما حـولها، وحبس الله المطر عنها وعن حوزها فارتفعت الأسعار.

وفى رابع عشرى رمضان أقيمت صلاة الاستسقاء ببوعجول، وخطب مولاى حمدون الشريف الطاهرى نائبا عن القاضى سيدى يعيش.

وفى الثامن والعشـرين من ذى القعدة أقيـمت صلاة الاستسقـاء أيضا بباب الفتوح، وخطب الفقيه السيد أحمد الورزيـزى، ثم أقيمت بباب الجيسة، وخطيبها سيدى حمدون الشريف الطاهرى.

وبالغد أقيمت صلاة الاستسقاء أيضـا بباب الفتوح، وخطب سيدى حمدون المذكور.

وفى الثلاثين صليت بباب الفتوح، وخطيبها الشريف المذكور.

وفى مهل ذى الحجة أقيـمت صلاة الاستسقاء أيضا، وخطيبهـا السيد أحمد الورزيزى المذكور.

وبالغد أقيمت صلاة الاستسقـاء بوادى الزيتون، وخطيبها سيدى بومدين بن سيدى أحمد الفاسى.

وبالغد أقيمت بباب الجيسة، وخطيبها السيد أحمد الورزيزى.

وفى خامس ذى الحجة أقيمت بمصلى بباب الفتوح، وخطب الورزيزى أيضا ولم ينزل المطر، وحينئذ اختل النظام وشاع الفساد وحصلت المجاعة العظيمة، ومات بالجوع من لا يحصى، وقل الإدام وانقطع اللحم.

ولم يزل الأمر فى شدة، وازدادت الفتن وفر الناس، فعند ذلك أتى القائد العباس بورمانة أكبر رؤساء جيش أبى عبد الله بن عريبة صنو المترجم وقال له: إن البربر عثوا، ولم يبق التفات للأمير، فخرج فى خيله ورجله ووقع قتال شديد بين جنود ابن عريبة والمترجم وأحزابه البربرية بسايس من الزوال إلى الاصفرار انجلى بهزيمة بورمانة وجموعه، وتركوا جميع مقوماتهم واستعداداتهم غنيمة، ولو أن الظلام حال بينهم وبين جنود المترجم لاستأصلوهم قتلا وأثخنوهم جرحا.

وقام عدة ثوار كل يدعو لنفسه ويحاول جر النار لقرصه والاستيلاء على ما بيد غيره، استولى الحوات على عبيد الرمل وبنى مالك وسفيان والطليق والخلط وما والى ذلك، واستولى الباشا أحمد الريفى على الفحص، وبلاد غمارة، وطنجة، والقصر وما حول ذلك من المعاقل وعلى بلاد الريف وجبالها وقلاعها إلى ناحية كرسيف، واستولى القائد القلعى على بنى يازغة وما والاها.

أما المترجم فقد كان تحت سلطنته الصحراء، وسوس، ومراكش، والبربر، وقد نص التاريخ على أن هذه الفتن لم تكن فى هذه السنة بالمغرب فقط بل عمت سائر أقطار العالم.

ولما طال مقام صاحب الترجمة بين أظهر البربر ينتقل من أغوارها إلى النجود، والفتن قائمة على ساق، والقحط ضارب أطنابه، سار لتافيلالت وصار يترقب ما تنجلى به تلك الغياهب.

وفى رجب عام خمسين ومائة وألف: بلغ ثمن وسق القمح مائة مثقال، قال ابن إبراهيم الدكالى فى تقاييده: بعد أن كان فى الرخاء بخمسين أوقية والشعير

يقاربه، وكذلك الذرة حتى كاد أن ينقطع الطعـام من فاس، وكان وزن الخبزة التى تباع بـالسوق بموزونة خـمس أواقى بالبقـالى، وافتضـح وجوه الناس وأعيـانهم، وخلت المدينة وسـدت حومـات متـعددة، مـثل حومـة الكدان، ودرب اللمطى، وحومـة الأقواس، والـبليدة، والطالعـة، والدوح، وسدت الأسـواق إلا القليل، وهدمت الديار وبيـعت، ومات من الناس مـا لا يعلمه إلا الله، حتـى ذكر بعض الناس ممن أثق به أنه وصل للمارستان من الموتى فى رجب وشـعبان ورمضان نحو الثمانين ألفا، فضلا عمن لم يصل إليه وكانت الدار التـى قيمتها عشرة (كذا) مائة مثقال تباع بثمانين مثقالا وسبعين ولا تبلغ المائة، وانجلى كثير من الناس عن المدينة وذهبوا إلى القصر، وتطاوين.

وممن ذهب بعياله لتطاوين العلامة سيدى مـحمد بن عبد السلام بنانى شارح الاكتفاء، واندثرت بسبب ذلك قبـائل كثيرة من أهل فاس، ولولا أن النصارى أتوا بالزرع من بلادهم لتطاوين ونواحيها وجلبه أهل فاس لهلك الكل جوعا، وقد كان والى تلك البـلاد أحمد بن عـبد الله الريفى ذا إبل عـديدة اكتراهـا منه أهل فاس لحمل ما اكـتالوه من الميرة، قيل: إنه ساعدهم عـلى الكراء ظاهرا، ومنع الحمالين من الحمل باطنا، وتمرد عليهم ستة أشهر حـتى تحقق لديه أن أكثر العائلات الكبيرة الذين لا يقدرون على التنقل لبلد آخر من قلة الزاد وكثرة أفراد العائلة ماتوا جوعا فسـر بذلك باطنا، وساعـدهم ظاهرا، ووصل الزرع لفاس، وانجلـت الأزمة التى حصت منهم كل شىء، ولما أتى ركب الحجاج من طرابلس أتى معه بالقمح الكثير وانحط السعر ورحم الله عباده.

قـال ابن إبراهيم فى تقـاييده لدى تعـرضه لهـذه الأحـداث ما لفظه: كـان اللصوص يأتون ليلا لديار الناس ينهـبونها ومن قام معهم يقتـلونه ويأخذون جميع ما وجدوه، فكانوا يأتون لرأس الجنان والمخفيـة ومصمودة والطالعة والدوح وسوق

النخالين وبـاب السلسلة، وقد جاءوا مـرة إلى سوق قيـسارية البـز وحصل للناس بسبب ذلك خوف عظيم، وهذا كله والسلطان بمكناس يعـنى ولد عريبة لم يلتفت للناس ولم يعبأ بما نزل بهم، وحيل بين الناس وبين اجتنهم بلمطة والمرج وغيرهما من أحـواز المدينة، ولـم يبق أحـد يذهب لموضـعـه بالمـرج إلا من اتخـذ يداً مع السياب.

وجاء لصوص من ناحية باب الفـتوح للفندق الذى يقرب من مدرسة الوادى وأخذ منه قافلة كانت عـزمت على السفر، فلما اجتمع أهل فـاس وخرجوا إليهم وجدوهم قد ذهبوا بما أخذوه وذلك فى وسط النهار.

وفى هذه الأيام أغار الودايا على القصارين بوادى فاس ونهبوا ما عندهم من الثياب، ثم صـار القصارون يخدمون الثـياب بوادى مصمودة، فـأخذها اللصوص أيضا، وكثـر الخوف بسبب ذلك، وصار الناس يبيـتون فى الشوارع التى هى مظنة مجىء اللصوص ليلا والأمر فى كل نفس يزيد اشتداداً.

وفى خامس عشـر شعبان ذهب السيـاب إلى مدرسة الصفارين ليـلا ونهبوا جميع ما كـان بها، لأنها كانت خلت من أهلها وغلقت أبوابها ،وافتـضحوا، وقام معهم الناس وقتلوا منهم السلاسى ببـاب المدرسة وباقى أصحابه هربوا، ومن الغد قتل بالموضع نفسه بورمضان الحيانى وتسعة من أصحابه بالموضع المذكور، وفى هذه الأيام جاءت قافلـة من الغنم ونزلت بفندق التجارة قرب القـرويين لعدم الأمن من غيره.

وفى سابع رمضان ضرب الأندلسيون المحتسـب السيد محمد بن عبد السلام المحمودى بحومة البليدة قرب دار القائد السيد عبد المجيد بوطالب، ووقعت بسبب ذلك فتنـة بين الأندلسيـين واللمطيين ثم اصطلحـوا ليلا بروضـة مولانا إدريس، ووقع اتفاقهم على تقـديم التاجلوتى على الأندلسيين، والحاج مـحمد برزوز على

اللمطيين، وأحمد الغرناطى على أهل العدوة، والسيد عبد المجيد بوطالب يكون الحاكم على الجميع ورضى الكل بذلك.

وفى ليلة الأحد الخامس من شوال جاء السياب لسوق قيسارية البز ونهبوا منها بعض الحوانيت.

وفى سادس شوال قتل سيدى محمد بن عبد الرحمن بن القاضى بجنانه المسمى باللب، قتله القطاع رحمه الله.

وفى ليلة الحادى عشر منه جاء السياب لدار الغزوانى الهزاز بشارع سويقة الذياب ونهبوها.

وفى ليلة الثانى عشر منه جاء السياب أيضا لدرب جنيارة ودخلوا على الحاج محمد برزوز بدار هنالك كان بها مع جماعة من أصحابه، فضربوه برصاصة ومات من الغد، وجرح من أصحابه مولاى أحمد بن إدريس العراقى، والشريف سيدى محمد بن المهدى بوطالب، وأحمد بن جلون، والتاودى ابن عبد الخالق بنانى، والحاج محمد عديل.

ومن الغد اجتمع أولاد برزوز وقتلوا محمد بن العربى الجزولى كبير حومة البليدة، لاتهامهم له بأنه هو الذى أدخل السياب على عمهم الحاج محمد.

وفى أواسط شعبان ذبح يحيى الشاوى ليلا وألقى بالبرادعيين.

وفى مهل ذى القعدة ذبح المحتسب سيدى محمد بن عبد السلام المحمودى قرب درب رطوانه، كان ذاهبا لداره بسيدى أحمد الشاوى ولم يدر من قتله.

ومن الغد وقعت بسبب ذلك فتنة بين الأندلسيين واللمطيين ثم اصطلحوا.

وفى التاسع والعشرين من ذى الحجة جاء السياب لدار الراعى قرب ضريح سيدى محمد بن عباد، وأخذوا منها غنما وبقرا كثيرا، وضربوا الحاج محمد بن

عبد السلام قصارة برصاصة فمات من حينه هـ بنقل صاحب الدر المنتخب المستحسن.

وفى ترجمة أبى عبد الله محمد بوطالب من نشر المثانى أنه لما نزلت بالناس مسغبة عام خمسين، احترف رؤساء الرماة ببيع الزرع من البادية يمنعون المساكين من شرائه ويشترونه بما شاءوا، ويبخسون الناس أشياءهم، وإذا باعوا يبيعونه بما شاءوا، وكان من جملتهم رجل يقال له العمارى رئيس الرميلة والكدان والصفاح من بنى عمار أحد شعوب سكان زرهون ورد على فاس جده، فكان يسرح البقر حتى يحفى، فاشترى بقراً لنفسه وكان يبيع الحليب بحانوت بالصفاح، وسكن بالكدان، ثم بعد ذلك اشترى الدار الأولى عن يمين الداخل لدرب خلوق، وكان يبيع اللبن، ثم ولده كذلك، إلى أن نزلت مسغبة عام خمسين، وترأس على أهل الكدان وجدبت البلاد ومات البقر ولم يبق حليب يباع، صار يبيع الزرع بسوق الكدان بالصفاح.

فاضطر مولاى على بن مولاى محمد بوطالب صاحب الترجمة إلى شراء ما يتقوت به، فقصد سوق الصفاح فجلس ينتظر ما يشترى، فإذا بتليس جاء من البادية فاشتراه العمارى بما شاء، ولم يقدر أحد من المساكين يشتريه بما ساومه به العمارى ولا يعطيه فيه السوم، فباعه للعمارى بما شاء بمدهم الذى أحدثوه.

ثم أتى تليس آخر من البادية فساومه للعمارى أيضا وأعطى فيه السوم فزاد عليه مولاى على الثالث وباعه له مالكه فأراد العمارى منعه من شرائه، فلم يتركه له مولاى على، فتسابا بينهما وتصارعا، فصرعه مولاى على فدخل العمارى إلى حانوته وأخذ كابوسا كان عنده مرصصا وخرجه فى مولاى على من خلفه وهو لا يشعر فخر ميتا فحمله بعض المومنين إلى داره، فقالت لهم أمه: لا ندفنه حتى نقتل قاتل ابنى، فقالوا لها: قتلناه فدفنوه من يومه فى روضة أبى غالب على.

ثم فى غـده حمل السـلاح الشرفـاء الأدارسـة وغيـرهم وساروا إلى قـتل العمارى وأهل الـرميلة والصفاح والكدان الذين تعـرضوا عليه ونصروه، فـاقتتلوا وسلم الله الشرفاء من الجرح والقتل، وقتل العمارى وعدة من أنصاره، ثم افترقوا وكفوا، وهـدنت الفتنة والمدينة، ثم سلط الله على أهل الرميلة والصـفاح والكدان السارق بوزيان العـبادى من أولاد عـباد صفـرو، ومعه جـماعة من سـراق إخوته والمزاوغة وبنى يازغة، فكان يأوى لحوز فاس ليـلا ويدخل الديار وينهبهم، فخلت بذلك الحـومات الثلاث المذكـورة ولم يبق منهم إلا القليل، ورجـعت تلك الديار بساتين وجنات.

ولـم تزل نيـران الفتن والأهوال فى تـوقد، وأمـر ابن عـربيـة فى اخـتـلال وانحلال، والدماء تراق، والأموال تؤكل بالباطل، والفوضى ضاربة أطنابها، ونفد ما فى بيـوت الأموال، وسـدت أبواب الجبايات، وتعـذرت المصالح العـامة، ولـم يوجد ما تدفع منه رواتب الجند وانقطعت عن الرؤساء وأولى العصبة مادة ما كانوا يستفيدونه من بيوت الأموال، والأمر فى كل يـوم يزداد شدة، فاتفقت كلمة العبيد مع رئيسهم الحوات والبعض من الودايا والبربر على خلع ابن عربية.

وفى صبيحة يوم الأربعاء التاسع والعـشرين وقيل الرابع والعشرين من صفر العام أخـرجوا ذلك من القـول إلى الفعل، فـأعلنوا بخلعـه، ولـم يقتصـروا على الخلع، بل ألقوا عليـه القبض وعقلوه بداره الواقـعة على ضفـة وادى يسلن جوار حمرية الـتى لازالت معروفة إلى الآن خارج الـعاصمة المكناسيـة، والهرج والمرج والخلاف فى ازدياد، فـرأى آيت عياش أن لا مخلص من ذلك إلا الرجـوع لطاعة المترجم واستئناف البيعة له، فذهبوا إليه لتافيلالت مقر سلفه فشرحوا إليه جميع ما حل بالرعية من الأحداث، وما أوصلهـا التنازع إليه من الفشل وذهاب الريح، وما آل إليه أمر صنوه ابن عريبة والمنازعين له من إخوته، وألحوا عليه فى القدوم معهم

للقيام بنصرته، فقابل مطلبهم بالرفض قائلا: لا غرض لكم إلا أن تجعلونى طريقا موصلة لإذاية المسلمين، والتوصل لأكل أموال العجزة والمستضعفين بالباطل وردهم بخفى حنين.

ثم بعد ذلك بدا للمترجم الرجوع إلى المغرب، فنهض من تافيلالت وسار إلى أن بلغ تادلا ثم آيت عتاب، فاجتمت عليه قبائل تلك الناحية وهادوه واستبشروا بطلعته، وبقى هناك يستطلع أخبار فاس ومكناس وما والاهما، ويبحث عن أحوال إخوته مع العبيد إلى أن تحقق لديه اجتماع الكلمة عليه.

واستؤنفت إليه البيعة فعلا على يد القائد بوعزة مولى الشربيل، وذلك يوم الاثنين الخامس عشر من ذى القعدة عام اثنين وخمسين على الأصح، وقيل يوم الجمعة، وهو يومئذ ببلاد السراغنة، ولما تم له الأمر وجه للمترجم فئة عظيمة من أعيان العبيد لإعلامه باستئناف البيعة له، ولما لحقوا به أنزلهم منزلة تجلة وإكرام، وأقاموا معه ببلاد السراغنة أياما، ثم أنهضهم لناحية سيدى رحال مع الباشا الزيانى ومكثوا ثمة بضعة أيام، ثم أصدر أوامره بحصار اكدير فأجابوا بالسمع والطاعة وصارت تفد عليه الوفود من سائر الأصقاع المغربية يطلبون عفوه وأمانه، فأمن الجميع وقابل بالعفو والإحسان.

وفى حادى عشر ذى الحجة منصرم العام أمر رؤساء العبيد أشراف فاس وعلماءها وأعيانها بالتوجه لتقديم الطاعة لصاحب الترجمة، فأجمعوا أمرهم من فاس أول عام ثلاثة وخمسين، ينتظم ذلك الوفد من القاضى أبى العباس أحمد بن على الشعراوى، والعلامة أبى عبد الله محمد الزيزى، وأبى حفص عمر بن إدريس الإدريسى، وصنوه المولى أحمد وابن عمهما أبى عبد الله محمد بن عبد الله المدعو الغالى، ونحو الأربعين من الرماة والأعيان فى طليعتهم شيخ ركب الحاج وهو الخياط عديل ورؤساء العبيد والودايا.

وصاروا يظعنون ويقيمون إلى أن وصلوا للحضرة السلطانية، فأنزلهم منزلة تجلة وإكرام، ثم أحضرهم لديه ووجه اللوم على ما صدر منهم على الفقهاء، فاعتذر الكل بأنهم مرغمون على ذلك ممن لهم السلطة الاستبدادية من عبيد ووادايا، فقال لهم ما قاله الصديق نبى الله لإخوته: لا تثريب عليكم فيما جنيتم، وعين عبد الله الحمرى عاملا على فاس، ورد الجميع رداً جميلا.

ثم استقدم العبيد بأجمعهم لحضرته، ولما قدموا عليه جمع جيوشا عديدة من القبائل الحوزية، ثم عقد الرياسة على الجميع للقائد الباشا الزيانى، ووصل الجميع وأوصى بالعدل والإحسان والبر والتقوى، ووجههم لحصار آكدير إلى أن يدخل أهله فيما دخلت فيه الجماعة فساروا إلى أن وصلوا لسيدى رحال إلى أن لحق آخرهم بأولهم، ثم نهضوا يطوون المراحل إلى أن خيموا على حصن آكدير، ولم يزالوا محاصرين له إلى أن فتحوه عنوة فى سابع ربيع الثانى من العام واستولوا على جميع ما كان به.

وفى عاشر ربيع المذكور، وقعت ملحمة عظيمة بين الجيوش السلطانية والقبائل الحوزية مراكش ودكالة والرحامنة وزمران ومن انضاف إليهم من الأعراب والبرابر، كان الظفر أولا للجيش السلطانى ولكنهم أضاعوا الأخذ بالحزم ونبذوا الاحتياطات اللازمة وراءهم ظهريا، واشتغلوا بالنزاع على الغنيمة، حتى أتاهم من خلفهم المولى المنتصر بنور الله شقيق المستضىء بنور الله وحال بينهم وبين الأثقال والأخبية، وحاز الكل غنيمة باردة ورجع من حيث أتى.

أما الجيش السلطانى فإن منه من لحق بصاحب الترجمة، ومنهم من بقى بآكدير حتى يصدر إليه الأمر العالى بما يكون عليه عملهم، وقد كان من بقى من عبيد مشرع الرمل بمحل استيطانه من المشرع المذكور أنهضوا منهم جيشا ثانيا رأسه الباشا بوعزة مولى الشربيل، وتوجه للحضرة السلطانية ليكون ردفا للأول، وسار

إلى أن بلغ لبلاد تامسنا وأقام هنالك حتى تلاحق المتأخر بالمتقدم، ثم نهضوا وساروا إلى أن خيموا بتساوت، وأقاموا هنالك إلى أن لحق بهم المترجم فى فاتح ربيع الثانى فى جنود جرارة، واطمأن بعضهم لبعض، ونشطوا للقتال، واستعدوا للنزال، أخذاً بثأر إخوتهم.

ثم نهض بهم المترجم إلى ناحية وادى تانسيفت، فوجد صنوه أبا النصر قد حال بجنوده الحوزية بينه وبين الماء، ولما التقى الجمعان ببوكر كور وتسعرت نيران القتال وحمى الوطيس تقدم الباشا بوعزة المذكور وقد كان على الميمنة للطعن والنزال، واقتفى أثره ابن النوينى وقد كان على الميسرة، ثم تبعهما صاحب الترجمة، وكان القلب والساقة، وكان انجلاء الملحمة بانهزام أبى النصر وأحزابه شر هزيمة، وذلك يوم الخميس فاتح جمادى الأولى من العام، ثم نزل المترجم على الماء واقتفى الباشا بوعزة أثر المنهزمين، إلى أن نزل على رأس العين، ومن الغد رجع إلى المحال السلطانية، وأقام المترجم بزاوية ابن ساسى نحو سبعة عشر يوما.

وفى يوم الأربعاء متم جمادى الأولى من العام كانت وقعة كبيرة بـ(منزات) حضرها صنو المترجم المستضىء بنور الله بنفسه، وكانت الكرة عليه، فاعتصم هو وشيعته بجبال مسفيوة، ولولا ذلك لداستهم حوافر الجنود السلطانية، ولما أيقن المترجم بفشلهم وذهاب ريحهم أقلع عنهم وتوجه إلى دكالة فحصت جنوده منها كل شىء وأقام بها نحواً من شهر.

وفى آخر جمادى الثانية أقلع عنهم ووجهته مكناسة الزيتون مقر عرش والده، وكان وصوله إليها فى منتصف رجب العام، وخيم بباب الريح خارج البلد، ولم يزل مخيما هنالك والوفود تفد عليه بالهدايا والبيعات من سائر الأقطار المغربية من عرب وبربر، وهو يقابل كلا بما يليق ويصله على قدر حيثيته ومكانته،

وكم قضى لخاصتهم والعامة من مآرب ومطالب ووالى من إحسان إلى أن رجع الكل لوطنه لاهجا مثنيا شاكرا.

قال أبو عبد الله الضعيف: إلى هنا انتهى تأليف الفقيه المؤرخ الحاج عبد الكريم بن موسى الريفى الذى سماه بزهر الأكم، قال رحمه الله: وهنا انتهى بنا هذا التأليف، وقد قيل فى بعض الكلام، من قعدت به نكاية الأيام، أقامته إغاثة الكرام، والبقاء والدوام، للملك العلام هـ.

ولم يتخلف أحد عن البيعة وتقديم الطاعة غير زعيم الريف، الباشا أحمد بن على ومن هو تحت سيطرته لتمرده وشقه عصا الطاعة.

وكان سبب عدم دخول المترجم لدار الملك ما كان صدر من أخيه المستضىء من التزوج ببعض نسائه، ولذلك ألقى القبض على قاضى البلد أبى القاسم بن سعيد العميرى، والقاضى أبى العباس أحمد بن على الشدادى، والعلامة أبى الفضل العباس بن الحسن بن رحال المعدانى، وأبى العباس أحمد بن عبد الله التملى، وأبى الحسن على الندرومى خليفة القاضى العميرى المذكور، وأغلظ لهم فى القول وقرع ووبخ على موافقتهم لأخيه المستضىء على التزوج بزوجاته، وكان ذلك فى يوم الخميس حادى عشرى رجب المذكور، وعزل الخطباء الذين كانوا يخطبون باسم أخيه المستضىء.

ثم بنى دويرة لسكناه بباب الريح، ولما تم العمل فيها سكنها بمن كان معه من الحرم، ووظف على أهل البلد وظائف أثقلت كواهلهم، ولما بلغت زروعهم أوان الحصاد أطلق أيدى الجيوش فيها، ولما ضاق بهم الخناق وبلغ بهم الجهد منتهاه عفا عنهم وأحلم وصفح فاطمأنت النفوس، وزال عنهم ما كانوا فيه من شدة

وبوس، وأنجح الله لهم الأسباب وصلح الزرع والضرع وتوالت الأمطار، وانحطت الأسعار، وتبدل عسرهم يسرا.

وفى أوائل المحرم فاتح عـام أربعة وخمسين نزل بفاس، وولى عليـها الحاج عبـد الخالق عـديل شيخ ركب الحـاج، وأمره بتـأخيـر كل خطيب خطب بصنوه المستضىء، وكان عديل المذكور ذا ثبـات ورسوخ عقل فقال له: يا مولاى هذا من وظيف القاضى، وحـسبى شد عضـده فيه، فـولى قضاء فاس أبا يعـقوب يوسف بوعنان وأمره بما أمر به عديل فعزل السيد بوعزة المشاط عن خطبة مسجد الأندلس وولى مكانه الفقيه أبا عـبد الله محمد الزيزى، وعزل أبا حفص عـمر بن عبد الله الفاسى عن خطبـة باب الجيسة وولى مكانه أبا عـبد الله محمـد السلوى، والشيخ التاودى بن سودة عن خطبة مدرسة الطالعـة وولى مكانه أبا العباس أحمد الحارثى الدلائى، وأبا الحسن على التوزانى عن خطبـة جامع القصبة البالـية بباب المحروق وولى مكانه أبا العباس الشامى.

وولى قضاء تازا الفقيه أبا محمد عبد الواحد بوعنان، وأمره بعزل من هنالك من الخطبـاء للسبب المذكـور، ولما كان فى أثناء الطريق لمحل مـأموريتـه اعتـرضه اللصوص وسلبوه من كل ما كان معه، وتوفى بعـد وصوله لتازا قبل قضاء ما أمر به.

وفى صبيحة يوم الثلاثاء تاسع عـشرى محرم أتى اللصوص لفندق النخالين من فاس ونهبوه.

وفى أواخر صفر جاءوا لسوق البز ونهبوا منه دكانين.

وفى العام سلط الله الفار على الزرع والقطانى والبحائر والفواكه الخريفية فى سائر البلاد.

وفى العام نفسه اختط المترجم دار الدبيبغ الشهيرة بضواحى فاس، وفيه بعث القائد محمد الكعيدى اليازغى كبير أهل الديوان لجباية الأموال المترتبة بذمم الحياينة وغيـرهم، فقتله الحيـاينة مع من كان معـه من الأصحاب بالموضع المعـروف بعين مديونة، وذلك فى ثانى عشرى ذى الحجة منصرم العام.

وفى اليوم نفـسه اتصل بالمترجم وهو يومئـذ بفاس خروج الباشـا أحمد بن على الريفى من طنجة ووجـهته القصر الكبيـر فى استعداد زائد، فأنهض لمقـاومته وصده عن القـصر جيشـا جراراً من عبيـد الرمل وذهب هو للعاصمة المكنـاسية، فخان القواد ومن فى قلبه مرض ولحقوا بالريفى المذكور ورجع الباقون إلى مكناس وانحل الأمر، ولما نزل القواد الخائنون ومن فى حكمـهم إلى الريفى، أكرم مثواهم ونزلهم ووصلهم واقـتـرح عليهم الكـتب لإخوانهم الذين بمـشرع الرمل بالقـدوم عليهم لديه، ونكث بيعة صاحب الترجمة، ووعدهم على ذلك بمال جزيل.

واتفق أن كان ذلك غب زمن المسغبـة، فأسعفوا رغبتـه، ووجهوا لإخوانهم يستقدمونـهم، فوجدوهم ارتحلوا لمكناسة لما لحقهم من عيث جيـرانهم سفيان وبنى مالك وبنى حسن والبربر، ولما حلوا بمكناسة تطاولوا عـلى أهلها وضيقوا بهم أشد التضيـيق، واستباحوا الأمـوال والأعراض، ونزعوا عن وجوههم جلبـاب الحياء، حتى انجلى عن البلاد كـثير من أهلها وتفرقـوا فى البلاد، ولـم يقتصر العـبيد على أذى أهل المدينة بل مـدوا يد الطغيان والظـلم والتعدى فى مـا جاورها وعـثوا فى السابلة، ولما اشـتعلت نيران الفتن وعجـز المترجم عن رتق ما انفتق، جـمع عياله وماله ووجه بذلك لفاس، وكان وصوله إليها ضحى يوم الخميس الموفى ثلاثين من ربيع الأول على الأصح، واجـتـمع رأى أهل النقـض والإبرام على خلع المتـرجم لعجزه عن الـدفاع، والمبايعة لصنوه زين العـابدين سابق الترجمـة، وقد كان عند الباشا أحمد الريفى.

ولما اتصل هذا النبأ بالريفى المذكور وكان من أشد الناس عداوة لصاحب الترجمة، بادر للإعلان بنصر زين العابدين وتبعه على ذلك من كان معه من العبيد، وطيروا الكتب لإخوانهم الذين بمكناس بتعجيل رفض بيعة المترجم من أعناقهم، والبيعة لصنوه المذكور.

ولما وصلت إليهم تلك الرسائل ارتأوا أنه لا يتم لهم أمر إلا بموافقة الودايا وأهل فاس معهم على ذلك، فكتبوا لهم بشرح ما أصاب الناس من الضيق والحرج بتراكم الأهوال والفتن، ورغبوا منهم الدخول معهم فيما راموه وأبرموه، فأجابوهم برفض ذلك المطلب وإلغائه محتجين بأن بيعة المترجم فى أعناقهم لا يبيح لهم الشرع خلع ربقتها.

وفى ثانى ربيع الثانى خيم المترجم بدار الدبيبغ الشهيرة خارج فاس، حيث المدينة الجديدة اليوم، فاستقبله الودايا وأهل فاس وشرح لهم ما تحقق لديه مما أضمره العبيد له فأجابوه بأنه لا سبيل لرفض بيعته، وأن طاعته لازمة لهم.

ثم انتصر حزب العبيد وأعلنوا بخلع صاحب الترجمة والبيعة لصنوه زين العابدين، وذلك يوم الأربعاء تاسع عشرى ربيع، فكانت دولة المترجم فى هذه المرة من اليوم الذى بويع فيه وهو الخامس عشر من ذى القعدة عام اثنين وخمسين إلى اليوم الذى خلع فيه وهو الأربعاء تاسع عشرى ربيع من عام أربع وخمسين، عاما واحدا وأربعة عشر يوما وهى الدولة الثالثة له.

وفى ثالث عشر رمضان عام أربعة وخمسين ومائة وألف، أعلن العبيد بخلع زين العابدين مار الترجمة، واستئناف البيعة لصنوه المترجم، وهو يومئذ بالقبائل البربرية، وبويع له بالعاصمة المكناسية بمحضر الشرفاء والعبيد والأعيان، وتمت له

البيعة العامة حيث إن البربر والودايا وأهل فاس والعرب كانوا لازالوا متمسكين ببيعته ببواطنهم، وإن اضطرهم العبيد على التظاهر بالطاعة لزين العابدين.

ولما اتصل هذا النبأ بالمترجم قدم لمكناس، ووفد عليه أربعمائة من العبيد يطلبون عفوه وأمانه فأمنهم وقابل جناياتهم بالصفح، واستقر بمكناس أياما، ثم بدا له النهوض لفاس، ولما نزل بداره المعروفة خارج المدينة بدار الدبيبغ خرج لاستقباله الأشراف والوجهاء وذوو المناصب العالية فرحين مستبشرين، وتسابقت الفرسان على الصافنات الجياد أمامه إظهاراً لما خامرهم من السرور، وسدت الأسواق.

ثم صارت الوفود تفد على جلالته لتقديم الطاعة وإظهار الخضوع، فأوسعهم برا وحلما، ونقل من دار أبيه لداره المذكورة كل ما له قيمة من ذخائر وأثاث، فكبر ذلك على العبيد، ولم يرضوه وطلبوا منه الرجوع عن ذلك، وأن لا يتمادى على إكمال بناء تلك الدار لتيقنهم أنه إن تم بناؤها وسكن بها اعصوصب عليهم، وخرج من ربقة استبدادهم، فلم يلتفت إليهم، فهددو، بالخروج عليه، فلم يرفع لهم رأسا.

ولما علم بذلك الباشا أحمد الريفى اتخذه فرصة، وكتب لعبيد مكناس قائلا: إن الأمر صار لغيركم ولم يبق لكم أمان على أنفسكم، وإن المترجم لم يبق تحت يده مال، والملك لا يقوم إلا بالمال، فقوموا على ساق فى خلعه وتبديد جموعه وأحزابه، ولكم من المال ما تحتاجون إليه، وها صنوه المستضىء بمراكش وقد بايعه أهلها فاتبعوهم، وأعلنوا بنصره، فأجمعوا أمرهم على ذلك وفعلوا، فوجهوا للمستضىء يستقدمونه.

وفى ذى القعدة بلغ المترجم ما صمم عليه العبيد مما أوعز لهم به الريفى، فاشتغل بتأليف القبائل المتمسكة بطاعته وحالفهم على المدافعة عنه ومحاربة أضداده والموت دونه، وإثر ذلك ورد على فاس من مراكش الحاج أحمد السوسى داعية المستضىء ينشر دعوته ويرجف الناس ويعظم شوكته، فأصدر صاحب الترجمة أمره بقتله قصاصاً، فقتل واستصفيت أمواله، واستؤصل ما كان بداره.

وفى أول المحرم عام خمسة وخمسين دخل المستضىء مكناسة فى عساكره العبيد، وبأثر ذلك ورد كتاب الريفى المذكور على أهل فاس يدعوهم لبيعة المستضىء، فأجابوه بالرفض وصمموا على نصرة المترجم ومقاومة كل من ناوأه والموت دونه، وتعاهدوا بإصلاح المعاقل والصقائل، وجعلوا لباب محروق أحد أبواب المدينة أبوابا من ساج مغشاة بالحديد.

وفى يوم الثلاثاء رابع عشرى ربيع الأول خيم المستضىء بجند العبيد بظهر الزاوية، وفر المترجم للقبائل للانتصار بهم، ونزل على آيت يدراسن، ولما كان الغد الذى هو يوم الأربعاء وقع قتال شديد بين المستضىء وأهل فاس ومن انضم إليهم من الحياينة وشراقة وأولاد جامع، مات فى المعركة من الوديا نحو اثنى عشر رجلا، ومن أهل فاس نحو الستة، ومن العبيد نحو الستين.

وفى يوم الجمعة رابع ربيع الثانى رجع السلطان عبد الله صاحب الترجمة فى جيوش جرارة ذات قوة وبأس شديد من البرابر بنى مطير وجروان وآيت يوسى وأيت أدراسن وزمور وآيت ومالو وغيرهم، وجلب بهم على أحزاب صنوه المستضىء، ولما التقى الجمعان علم المستضىء أنه لا قبل له بمقاومة تلك الجنود البربرية المجندة، فنجا هو وأتباعه بأنفسهم بعد عشاء يوم السبت خامس ربيع الثانى، وعصم الله بمحض فضله دماء المسلمين.

وفى العـام عم الطاعون بالمغـرب وخصـوصا بفـاس ومكناس ونواحـيهـما وانحبست الأمطار، وارتفعت الأسعار، وفـشا الجوع فى القرى والأمصار، وتفرق أهل فاس فى البلاد كـالقصر ووزان والعرائش وتطاوين وطنجة. قـال أبو عبد الله الضعيف: حكى لى من أثق به من أهل القصر أن صبيان أهل فاس كانوا يتكففون بأبواب الدور والأزقة.

وفى جمادى الأخيرة وقعت فتنة بين الحاج عبد الخالق عديل، وأبى عبد الله محمد الغالى الشريف الإدريسى، فرفع عـديل الشكاية بالشريف لصاحب الترجمة فأصدر الأمـر بإلقاء القبض عليه، فـفر واستجار بضـريح جده أبى العلاء إدريس الأزهر بن إدريس الأكبر، فـضيق عليه إلى أن خرج وضـرب ووبخ وسجن وقتل أنصاره لسعيهم فى الأرض الفساد.

وفى يوم الخمـيس سابع عـشرى رجب سرح المـترجم أبا عبـد الله محـمد الغالى الشريف الإدريسى، ولما علم بذلك أهل فاس تحزبوا وخرجوا لباب محروق بقصـد قتل الشـريف المذكور إن رام النزول لفـاس القرويين، فأوعـز بعض الناس بذلك للإدريسى المذكور فسكن فاسا الجديد.

وفى العام وجه المترجم مع ركب الحاج ثلاثة وعشرين مـصحفا كلها محلاة بالذهب مرصـعة بنفيس الدر والياقـوت، منها المصحف الكبـير العقبـانى المنسوب لعقبة بن نافع الفهرى الذى كان الملوك يتوارثونه من عهد بنى أمية بالأندلس، ونقل إلى المغرب على يـد عبد المؤمن الموحـدى، ثم انتقل إلى بنى مـرين، ثم وقع بيد الأشراف السـعديين، ولم يزل يتـداول إلى أن وقع بيد المتـرجم ووجه معـه بألفى حصاة من الياقوت المختلف الألوان العزيز الوجود وسـبعمائة حصاة هدية للحجرة النبوية.

وفى العام تـوالت الأمطار حتى هدم قـوس من أقواس قنطرة وادى سـبو، واستهلكت السيول كثيراً من الماشية وأقلعت الأشجار.

وفى السنة ثار العبيد على قـبيلة سفيان وبنى مالك وأوقعـوا بهم شر وقعة، واستحوذوا على كل ما أمكنهم الاستحواذ عليه من مال ومتمول ورجعوا لمحالهم، وبعد أيام قلائل نهضـوا لناحية الفحص لمحاربة الباشا المذكور مـخيما بجنوده، ولما التقى الجمعان انهزم العبيد بعـد أن تركوا إخوانهم صرعى طعمة للعقبان والذئاب، ورجع الريفى لمقره بطنجة.

وفى أوائل المحرم عام ستة وخمسين ومائة وألف، نهض الباشا أحمد الريفى بخمسين ألف مقاتل أو يزيدون لمحاربة المترجم، ونزل على وزان بقصبة ازجن من بلاد مصمودة، وكان الإبان إبان مطر، فحبس به هنالك نحو الشهر، وشرفاء وزان قائمون بكل ما يلزمه من مئونة وعلف دواب وسائر اللوازم.

وفى عشية يوم الثلاثاء ثانى عشرى محرم المذكور نزل الباشا المذكور بجموعه المتكاثفـة بالعسـال من مزارع فاس مـن ناحية قـنطرة سبو، فـناوشه القتـال بعض القبائل، ثم ورد عليه جند مـن العبيد معززين له، وانضم إليه من القـبائل الجبلية نحو الخمسة عشر ألف رجل، ثم لحق به متبوعه المستضىء وأتباعه من عبيد الرمل وتازا ومكناس وبنى حسن، وكـان الحياينة وشراقـة وأولاد جامع جاءوا لتحـصين فاس، ونصرة صـاحب الترجمة لما علمـوا بمقدم الريفى ومتبـوعه، ونزلوا بحللهم باجنتها وأحـدقوا بها من كل جهاتهـا، وتوجه المترجم فى عشـرة من أتباعه لآيت أدراسن يستـصرخهم ويسـتنصر بهم ويعرفـهم بمقاصد الريفى، فـأجابوه لما أراد، ووجهوا لحلفـائهم من آيت ومالوا وبنى حكم وزمور وكروان يسـتنهضونهم ورجع المترجم من حينه لداره دار الدبيبغ.

ثم لحقت القبائل البربرية المذكورة بمحال الريفى والمستضىء، وذلك يوم الخميس ثانى عشرى صفر الخير من العام، ولما أقبلوا عليهم صاحوا وحملوا عليهم وحكموا فيهم سيوفهم وهزموهم شر هزيمة لم يسمع بمثلها، حتى إن عدداً عديداً منهم رموا بنفوسهم فى الوادى فغرقوا، واستولت جنود المترجم على جميع ما كان بمخيمهم من مال وعدة وكراع، وقد كان الأمير أبو عبد الله محمد نجل المترجم حاضراً بهذه المعركة، وكان عدد من قتل من جند المستضىء والريفى ثمانمائة، ورجع الريفى لمقره طنجة وقام على ساق فى تجديد الاستعداد رجاء الأخذ بالثأر، وأقسم ألا يأكل لحما ولا يشرب لبنا إلا إذا احتل فاسا وجاس خلال خيم أولئك البرابر.

ولما كان أول جمادى الثانية من العام نهض من طنجة ووجهته فاس، ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة طير الإعلام لأنصاره من القبائل البربرية وغيرهم، ثم نهض من فاس فى مهل جمادى الأخيرة وخيم بوادى سبو، وهنالك استعرض جنوده وعساكره ورتبها أحسن ترتيب، فجعل رماة أهل فاس مع خاصته وعبيدة، ورماة العبيد مع بوعزة صاحب الشربيل، والودايا وزرارة وأهل سوس مع ولده أبى عبد الله الأمير محمد، وآيت يدراسن وجروان فى رماة حاجبه القائد عبد الله اليمورى، وشراقة وأولاد جامع وأولاد عيسى فى رماة قائدهم أحمد بن موسى الشركى.

وسار على هذه الحال إلى أن قرب من مخيم المحال الريفية، ولما علم الريفى أن المترجم بات على مقربة من مخيمه ارتحل بجنده وسار إلى أن أقبل على وادى لوكس، ورأى جيوش المترجم بدار العباس على ضفة الوادى المذكور مقبلة فاستقلها ونزل وأمر أتباعه بالنزول، ولما رأى المترجم اشتغال محال الريفى بالنزول

نادى فى عساكره لا نزول إلا بغنيمة أو هزيمة، فأجابوه بالسمع والطاعة، وانقضوا على المحال الريفية انقضاض البزاة فولوا الأدبار منهزمين، وتركوا جثتهم وأشلاءهم مبعثرة بالهضاب والسهول من بينهم جثة الزعيم الريفى فقطع رأسه وأتى به للمترجم، وذلك صبيحة يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الثانية من العام، ووجه برأسه لفاس فطيف به بالأسواق، ثم علق بباب محروق، ولم يزل معلقا هنالك إلى أن قدم على المترجم أولاد أبى زيد عبد الرحمن الثعالبى من الجزائر متشفعين للمترجم فى إنزاله، فشفعهم وأصدر أوامره المطاعة بإنزاله، ووجه القاضى إذ ذاك عدلين لمشاهدة إنزاله وتسليمه للمتشفعين فيه، فذهبا - أى العدلان - وهما العلامة خطيب المدرسة العنانية من طالعة فاس أبو عبد الله الحارثى الدلائى والعلامة المفتى الشيخ أويس، وكتبت بذلك وثيقة من إنشاء أبى عبد الله محمد بن علال وإليك نصها:

الحمد لله الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات، العفو الذى يحب العفو حتى لا يهتك الستر ولا يؤاخذ بالجريمات، الذى من كمال عفوه ورحمته ومنته أن وعد بالجنة التى أعدت للمتقين، للكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أحلم رسول أرسله، المأمور بإعطاء من حرمه، وإيصال من قطعه والعفو عمن ظلمه، بقوله فى الكتاب المبين ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] وعلى أصحابه وأنصاره وأحزابه وآله البالغين الغاية فى اتباعه، واقتفاء اتباع أتباعه..

وبعد: فعن الأمر المطاع، الذى يجب له الانقياد والاتباع، والإذن الشريف العلوى، السلطانى المولوى، أمر مولانا أمير المؤمنين، المحفوف من الله تعالى بالنصر والتمكين، فخر الملوك والأشراف، وظل الله على الأقوياء والضعاف، خليفة الله فى أرضه، وأمين الله على جنده بطوله وعرضه، المعتمد فى أموره على

مولاه الذى ولاه، أبو محـمد مولانا عبد الله، أيد اللـه أوامره، وظفر بمنه جنوده وعساكره، عاين شهيداه ظهيره الأسمى، وطابعه الشريف الأنمى، بيد حملته السيد فلان، والسيد فلان، بقبول شفاعتهما فى رأس أحمد الريفى المخالف أمر السلطان وصحبته كتاب لخليفته الأسعد، وركن إيالته الأرشد، خديم المقام المولوى، وشيخ الركب النبوى، القائم بأمر مولانا المـنصور، المضاعف له فى الثواب والأجور، فى سعيه الصالح، ومتجره الرابح، التاجـر الجليل، الحاج عبد الخالق عديل، المتضمن عفو مولانا نصره الله وأيد أمره وخلد فى صـفحات الدهر مآثره الشريفة، وأوامره عن رأس خديم إيالته الشريفـة، وعتباته المنيفة، الباشا أحـمد بن على بن عبد الله الريفى، من إنزاله من شـرفات باب الشريـعة من فاس، أمنهـا الله من كل باس، ودفعه لحملة الظهير الشريف، العالى القدر المنيف.

ففعل العامل المذكور ما أمر به امتثـالا للأمر الشريف السعيد، المحفوف من الله تعالى بالنصر والتأييد، والعز المديد، ودفع لمن ذكر بمحضر شهيديه ومعاينتهما لما سطر، فمن عاين ذلك كما قرر، وشهـد على من ذكر كما حرر، وهم عارفون قدره وعـرفهم فى يوم السبت السـابع عشر من شـوال عام ستـة وخمسـين ومائة وألف، والله تعالى يحسن عاقبة الجميع فى يوم البعث والنشور هـ.

هذا ولما مات الريفى ومـزقت أشلاء أحزابه كل ممزق استـولى المترجم على البقية البـاقية من معسكره، ثم قدم عليه أهل تلك الجـبال والخلط وطليق وغيرهم لتقـديم الطاعة وطلب العفو والأمـان، فعفا عـفو قادر، وبعد ذلك توجـه لطنجة وألقى القبض على خاصة الـريفى وعماله، واستصفى أموالهم، ووجـه القائد عبد الخالق عديل وجماعة من أهل فاس لحيازة ما بدار أحمد الريفى المذكور، وأمر أهل الريف بالإتيان بما له عندهم من ماشية وغيرها، ولما جمع ذلك وأحصى فرقه فيمن كان معه من البرابر، وكان نحـو الأربعة آلاف وأقام المترجم بجنوده بطنجة أربعين يوما.

أما المستضىء فإنه لما علم بموت عضده الأيمن وساعده المساعد أحمد الريفى، أغرى من معه من العبيد وبنى حسن على الأخذ بثأر إخوانهم واستئناف قتال صنوه المترجم، وقطع خط الرجعة بينه وبين فاس، فأجابوه لذلك.

وأطلق عيونه لترقب حركات المترجم وسكناته وإعلامه بظعنه ومقامه، فكانت تأتيه بتفاصيل ذلك، ولما بلغه أن صاحب الترجمة خيم بدار العباس التى كانت بها تلك المعركة التى قضت على جموعه بالدمار والخذلان، ركب فى أتباعه من العبيد وبنى حسن، وصبح المترجم على حين غفلة، ولما التقى الجمعان ولى المستضىء وجنوده الأدبار. وانكسروا أى انكسار، مات من خصوص بنى حسن ما يزيد على الألف، وسلب لهم من عتاق الخيل والسلاح ما يزبد على الخمسة آلاف، ومات من العبيد نحو الخمسين.

وبعد الهزيمة فر القائد حسن فنيش هاربا، وهو أخو الباشا عبد الحق فنيش عامل سلا، فلقى فى ذهابه أحد قواد عبيد الرمل كان مصاحبا له وقد مات له فرسه فى المعركة، فطلب من القائد الحسن أن يردفه فأردفه لسابقية الصحبة، ثم غدر العبد به وأكبه على رأسه وشد وثاقه وأقسم له يمينا بالله إن لم يسر أمامه حتى يقتله، فسار به إلى أن أوصله لصاحب الترجمة ولما مثل بين يدى المترجم، قال له: أنت يا فنيش من علوج أبى إسماعيل ووالدك كذلك، فلم تركت خدمتى وأخذتك الغيرة على الحمار ابن الحمار؟ فقال له فنيش: أعتقنى وأنا أعطيك عشرين قنطاراً فقلع المترجم عشبة من الأرض، وقال له: هذه العشبة عندى أفضل من مالك، وأنشد متمثلا بقول القائل:

إن الأسود أسود الغيل همتها　　　يوم الكريهة فى المسلوب لا السلب

وضربه بمزراقه فقتله، وذلك بوادى الدزاز من وزان.

ثم نهض المترجم وسار إلى أن حل بفاس مؤيداً منصوراً، فكسا وفرق الجوائز، وعمم الصلات بدار الدبيبغ إلى ربيع الثانى من عام سبعة وخمسين، فقدم عليه رءوس العبيد وقوادهم ببيعتهم له وإعلامهم بخلع المستضىء، خاضعين معتذرين طالبين عفوه وصفحه عما اقترفوه.

فعفا وصفح على عادته ووصلهم، وأمرهم بالتهيُّؤ لقتال بغاة بنى حسن ومن فى حلفهم من شيعة المستضىء كدكالة أخواله وأهل مراكش المتمسكين بطاعته سعيا وراء جمع الكلمة وإطفاء نيران الفتن التى حصت كل شىء، فأجابوه بالامتثال والسمع، وأمرهم باللحوق به لدار ملك أبيه مكناسة الزيتون، وأصدر أوامره للحياينة وشراقة وأولاد جامع وأهل فاس والغرب بالإتيان إليه بحركتهم لأجل ما ذكر.

ثم نهض لمكناس وبها اجتمعت عليه تلك القبائل، ووفدت إليه الوفود ببيعاتها وبعد تجديد البيعة العامة له وهى البيعة الخامسة، كتب الكتائب وجند الجنود، ورتب الجيوش، ونظم المقاتلة، ونهض قاصداً بنى حسن على طريق الفج ليحول بينهم وبين الشعاب التى يتحصنون بها.

قيل: كان نهوضه فى ذى القعدة الحرام من العام، وسار إلى أن وافاهم ببسيط زبيدة، ففروا أمامه للغابة، وخلفوا حللهم وأموالهم غنيمة باردة، وما كان مساء اليوم حتى جاءوا تائبين منيبين، فعفا عنهم ورد عليهم مالهم وارتحل عنهم.

وسار إلى أن نزل بداره من القصبة الكائنة بأبى لعوان بين الشاوية ودكالة، وخيمت عساكره أمامه ببسيط دكالة، وقد كان أهلها فروا مع المستضىء للحوز، فأقام المترجم بدكالة سنة كاملة بعساكره، أتى فيها على ما لتلك القبيلة من زرع وضرع، وقطعت أشجارها وهدت قراها ومداشرها وصيرها بلاقع كأن لم تغن بالأمس.

ثم انتقل لبلاد السراغنة، وما استقر به الثوى بتلك البلاد حتى وفد عليه أهلها طائعين وفى عفوه راغبين، وانضموا لجيوشه، ثم وثب البعض من السراغنة على ستة من صعاليك العبيد وقتلوهم لارتكاب عار وذعر.

ولما اتصل الخبر بصاحب الترجمة أسرع للانتقام من غير فحص عن السبب، فقتل منهم عددا كبيرا، ونهض من بلادهم مغاضبا، ثم وفد عليه دمنات وما والاها من سهل وجبل طائعين مذعنين، ثم انتقل لبلاد زمران وأعلام النصر خافقة، ولما حل بها قدم عليه الرحامنة وأهل سوس والدير وقدموا لجلالته الطاعة وانضموا بمحالهم لمحلته.

ثم تقدمت تلك الجنود الجرارة لبلاد مسفيوة، حيث كان المستضىء وأحزابه، وشبت نيران القتال بين جيوش المترجم وأهل مسفيوة ومن انضم إليهم إلى أن فشلوا، وفلت جموعهم وضعفت البقية الباقية عن المقاومة، فأتوا للمترجم بنسائهم وصبيانهم حاملين الألواح والمصاحف يستجيرون، ولما مثلوا بين يديه طلبوا من جلالته المقابلة بما جبل عليه من الحلم والإغضاء، فأمرهم بالإتيان بالمستضىء، فأخبروه بأنه قد فرّ لمراكش، فعفا وسامح، ثم ورد عليه أهل دكالة بنسائهم وصبيانهم كمن قبلهم، فقابلهم بالصفح وأمرهم بالرجوع لبلادهم، وألقى عصاه واستقر به الثوى إلى أن وفد عليه أهل الدير ببيعتهم وهداياهم، وطلب الرحامنة وأهل سوس من جلالته المسير معهم لمراكش فأسعف رغبتهم.

أما المستضىء فإنه لما فر من مسفيوة لمراكش صده عنها أهلها، ولم يزل يتردد بين القبائل ولا يقابل بغير الطرد إلى أن بلغ الفحص وأقام بحوز طنجة كما مر.

وبينما يقدم رجلا ويؤخر أخرى فى التوجه لمراكش، إذ ورد عليه أعيانها وشرفاؤها ببيعتهم، وقدموا لحضرته طاعتهم وأبدوا أعذارا عما تورطوا فيه من شق عصا الطاعة، وطلبوا من جلالته القدوم لبلادهم، وقد كان جل تلك الجيوش سئم

الحرب وكل ومل من الغربة وفـراق أوطانهم نحو العامين، فصـاروا يتسللون حتى لم يبق بالمحال إلا نحو النصف من الجيش ورؤساء القبائل، فرأى المترجم أن الرأى هو أن يرجع لعاصمـة ملكه ودافع الراغبين فى التوجـه لمراكش بالتى هى أحسن، وعين ولده الأميـر أبا عبد الله خليفة بهـا، ووجه به إليها فى معـية وفدهم وذلك عام ثمان وخمسين ومائة وألف.

ثم ولى وجهـه نحو العاصمـة، وكان مروره على تادلا وأقام بهـا أياما، ثم سار إلى أن بلغ لرباط الفتـح، واستخلف به ولده أبا العباس أحـمد، ثم سار إلى أن خيم بقـصبة وادى أبى فكران وذلك فى خامس عـشرى ربيع الثانى عام تـسعة وخمـسين ومـائة وألف على ما فى التـرجمـان المعرب وغيـره، والذى فى تاريخ الضعيف أن المترجم دخل مكناسة الزيتون أوائل ربيع الأول والله أعلم.

وفى مهل جمادى الأولى خرج من الحضرة الفـاسية وجهاء البلد من العلماء وذوى المناصب لتهنـئته بسـلامة القدوم وتقـديم ما يجب لجلالتـه، فسر بمقـدمهم وقابلهم بكـل تجلة وإكبار، ووصلهم وأكـرم وفادتهم، ثم ودعـهم وأمرهم بالأوبة لوطنهم، ووجه معهم الرماة الذين كانوا معه.

ووفد على حضرته أيضا قائد طنجة ووجـهاؤها وأولاد الباشا أحمد المذكور ونساؤه بهدية سنية وتحف نفيسة، وكـان عدد الوافدين يتجاوز المائة، ولما مثلوا بين يديه قال لهم: إنه قد بلغنى أنكـم استخرجتم مالا كـثيرا كان أخفاه البـاشا أحمد عند خروجـه ثانى مرة لمبارزتى واقـتسمـتموه فـيما بينكم، وأمـرهم بشرح الواقع فأجابه سبـعة منهم بالإقرار، والباقى بصريح الإنكار، فأمـر بزج الجميع بالسجن، وبعد ثلاث سرح السبعة المقرين، وهم: الـعاقل، وأولاد الباشا، وبنو عمهم وأمر بقتل المنكرين فقتلوا جميعا، وفى ذلك اليوم نفسه قتل من بنى حسن وغيرهم نحو ثلاثمائة نسمة.

ثم وجـه نفرا من حـاشيـته لطنجـة للإتيان بمال الريفى المذكـور، فقـام فى وجوههم أهل طنجة وصـدوهم وشتموهم أقبح شـتم، بل هموا بالإيقاع بهم لولا أنهم نجوا بأنفسهم، ولما رجعوا للمترجم وأخـبروه الخبر ثار غضبه، وأمر بقتل من كان أبقى عليه من أهل طنجة المذكورين.

وبعد ما نفذ الأمر فيهم أخبـر صاحب الترجمة أن المال الذى كان قد أخرج من طنجة وأمنه عند عديل بفاس صرف منه فى مصـالح نفسه عددًا لا يستهان به، فأصدر أوامره بالإتيان بذلك المال، ولما أحضر أمر بوزنه فأخبر من باشر الوزن بأنه يخص من العـدد المؤمن اثنان وثلاثون ألف قنطار عدة قـديمة، فألـزم عديل بأداء العدة فـعجـز، وضمنه بعض الرؤسـاء ووقع عليـه الإشهاد بالأداء حـلولا، وأمر بإعطاء عـشرة آلاف مـثقـال صلة للودايا، سكان فـاس الجديد، فكان من أقـوى موجبات وغر صدر أهل فاس على صـاحب الترجمة، حيث خص الودايا بالعطية دونهم، والحـال أنهم - أى الودايا - أول من شق العـصا عليـه، وهم - أى أهل فاس - أول من تمسك بطاعته وآخر من قاتل دونه.

ومما زاد الطين بلة وطنبور الفتن نغـمة أمره للمسخرين من جـيشه بأكل زرع ما حرثه آيت يدراسن أنصاره بأحواز العاصمة المكـناسية انتقاما منهم لتأخرهم عن الإتيان لحـضرته للتهنئـة بسلامة القدوم، وبعـد ذلك كتب الرئيس القبـيل المذكور محمد وعزيز يلومه عن التأخر، وقد كـانت بينه وبينه صداقة ومصافاة تامة، حتى كان صـاحب الترجمة لا يـخاطبه إلا بياأبت، وكل مـا يرومه يمضـيه بدون أدنى توقف.

ولما وصل الكتـاب السلطانى لـوعزيز جـمع إخـوانه وأمـرهم بجـمع هدية والإتيان إليـه بها ليتوجـه بها مع وجوههم للحـضرة السلطانية، فأظهـروا الامتناع وتعللوا بالخـوف على أنفسهم إن هم ذهـبوا لعدم توقـفه فى سـفك دماء الواردين

عليه، فتكفل لهم بأنهم لا يرون منه إلا ما يسرهم، وأنهم ليسوا كغيرهم بناء على ما يعتقده من كامل الصداقة، وأنه يستحيل لديه أن تخفر له ذمة عند الأمير المترجم، فأجابوه لما اقترح، وعينوا مائة من صدورهم للتوجه مع رئيسهم المذكور، وساروا بهديتهم إلى أن وصلوا لمخيم السلطان بقصبة أبى فكران، واستقبلوا حاجبه عبد الوهاب اليمورى.

فأخبر السلطان بمقدمهم فأمر بإدخالهم لبساطه مجردين من السلاح، ولما مثلوا بين يديه أحدق بهم لفيفا من الحرس ثم قال لمحمد وعزيز هؤلاء حادوا عن الطريق المثلى، وعاثوا فى الطرقات وروعوا المسلمين بالسلب والنهب، وأخذوا أموال التجار غصبا ولم يتركوا ضعيفا ولا يتيما ولا مسكينا إلا وآذوه فى ماله وبدنه، فإذن مالهم ودمهم حلال.

وأمر الحرس بإلقاء القبض على جميعهم غير وعزيز فانقض الحرس عليهم وأوثقوهم بالحبال وساروا بهم إلى بطون السجون، فقال له وعزيز: أغدراً بعد عهد! فقد جاءوا فى أمان.

فأجابه المترجم بقوله: هؤلاء حاربوا الله ورسوله، وسعوا فى الأرض الفساد، وقد خير الله فيهم الإمام، فقم أنت فى حفظ الله لأنك بمنزلة والدى لا تخاف دركا ولا تخشى، فقال له: لا أقوم إلا مع إخوانى، فإن ماتوا مت، وإن عاشوا عشت، وكيف يسمع عنى أنى قدمتهم للذبح ورجعت ! فأى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى؟ لابد أن يقتلنى إخوانهم وأخلف بعدى سبة لا تنفى مدى الأبد، وقد تنبئوا بهذا لما أمرتهم بالقدوم معى لحضرتك، فقالوا: إن ذهبنا إليه سلك بنا مسلك من قبلنا من الوافدين عليه، فنفيت لهم ذلك، وأعطيتهم العهود والمواثيق على أنهم لا يقابلون من جلالتك إلا بالجميل ووافر الإحسان.

فأطرق مليا ثم رفع رأسه وقال لحاجبه المذكور: يا عبد الوهاب لا خير فى رجل يقول لرجل: يا أبت، ثم لا يشفعه فى قبيلته، وأمر بتسريحهم فسرحوا، ولما خرجوا ركبوا خيولهم وتوجهوا لحللهم مع رئيسهم وعزيز.

ولما اجتمعوا بإخوانهم قالوا لهم: لقد أحيانا الله حياة جديدة بعد أن متنا فلا بُدَّ لنا من الأخذ بثأرنا مادام فينا عرق ينبض، وأجمعوا أمرهم على الخروج على المترجم والهجوم عليه بعد ثلاث، ومن تخلف منا عاديناه، وبأنواع الأذى والإهانة سمناه، فلم يشعر المترجم إلا وخيولهم مطلة عليه من ناحية الحاجب، فتيقن أن ذلك أمر دبر بليل، ولم يسعه غير حمل عياله وجواريه وإحاطتهم بالخيل والرماة، ثم ركب هو فى من بقى معه من الجند وانحدر خلفهم مع بطن الوادى وتفرق العبيد يمين الوادى ويساره، وتركوا كل ما كان بالمحلة من أمتعة وأخبية وعدة ومقومات غنيمة باردة، وشب القتال بين البربر والمحال السلطانية وحمى الوطيس ودام ذلك إلى أن دخل المترجم على باب القزدير أحد أبواب العاصمة المكناسية، فرجع البربر وقد مات منهم خمسمائة مقاتل، ومن العبيد ثلاثمائة وذلك يوم الخميس سابع شعبان العام.

ثم اتفقت كلمة العرب على الخروج على المترجم، ووافقهم على ذلك شيخ العرب محمد الحبيب المالكى الحمادى، وقد كان صاحب الترجمة ولاه على إخوانه سفيان وبنى مالك والخلط وطليق وغيرهم من عرب تلك الناحية، ثم بعثوا إلى أهل فاس يحثونهم على متابعتهم فى رفض بيعة المترجم فأجابوهم لذلك، ثم اجتمع رأى العبيد على الانضمام لهؤلاء وكتبوا لإخوانهم يغرونهم على الانخراط فى سلكهم والموافقة معهم على ما أبرموا، وحققوا لهم غدر المترجم ووثوبه عليهم إن لم يربثوا بأنفسهم ويغتنموا الفرصة قبل الظفر بهم، ولما اتصل كتاب العبيد

بإخوانهم وتمعنوه تواعدوا على الرحيل لمكناسة بعد ثلاث إجابة لإخوانهم، وفرارا مما لحقهم من إهانة بنى حسن وإضرارهم بهم غاية الإضرار.

فأخبر السلطان بذلك بعض عيونه، وعندما تيقن صدق الخبر طير الإعلام لأخواله الوداية الذين بفاس يحضهم على القدوم عليه من يومهم قبل بلوغ السيل الزبى، واتساع الخرق على المرتق، واشتغل بجمع ماله وأثاثه وحمل ما عز عليه وأسراج خيله مظهرا أنه يريد الرجوع لقصبة أبى فكران حيث كان مخيمه، ولما كان وقت العشاء ورد عليه من خيل أخواله الوداية أربعمائة، فخرج من باب القزدير بجميع ماله وعياله ولم يترك بدار الملك غير النزر مما لا يؤبه به، وسار فى معيتهم إلى أن بلغ دار ادبيبغ.

وفى ثالث عشر شعبان اجتمع البربر مع بنى مالك بفاس لقتال الوداية، فتحصنوا بالمدينة البيضاء فاس الجديد، ثم عاث البرابر فى الطرقات ونهبوا دار ادبيبغ، وقلعوا أبوابها وحرقوا الأخصاص التى كانت محدقة بها، وجعلوا يغيرون على سرح الوداية ويناوشونهم القتال، ومات من الفريقين عدد عديد، وشبت نيران الفتن وقطع الوداية الماء على فاس القرويين.

وفى يوم الجمعة الخامس عشر من شعبان المذكور وقع التوافق على أن لا يذكر اسم المترجم فى الخطب، واشتبكت الفتن وارتبكت وكثر الهرج والمرج، وامتد ذلك نحواً من سبعة وعشرين شهرا.

وفى أوائل رمضان أخلى العبيد مشرع الرمل، وبقيت بيوتهم خاوية بما ظلموا، ولما لحقوا بإخوانهم لمكناسة، نزلوا بالقصبة والمدينة والأروى وقصبتى بريمة وهدراش، وبعضهم اتخذ الأخصاص والعرائش بضواحى المدينة والرحاب المتسعة وثووا هنالك فى البلاد، وخرب بنو حسن ما خلف العبيد بمشرع الرمل من الدور والقصور التى كانوا يتنافسون فى تشييدها.

ولما وافى عيد الفطر وجه العبيد الذين بمكناسة جماعة من قوادهم فى معية قاضى البلد أبى القاسم العميرى ووجوه الأشراف لحضور العيد مع المترجم والاعتذار عما صدر منهم، وطلب رجوع جنابه إلى عاصمة الملك مكناس.

ولما وصلوا لحضرته ومثلوا بين يديه قابلهم بالعفو والإغضاء، ووصلهم وكساهم ووعدهم بتوجهه للعاصمة المذكورة، فانقلبوا إلى مقارهم فرحين مبتهجين، ولما كانوا فى أثناء طريقهم لمكناس اعترضهم البرابر بوادى الجديدة وسلبوهم حتى مما يستر عوراتهم، ولم يفلتوا منهم غير القاضى المذكور أبقوا عليه ثيابه وبغلته.

ثم صارت البرابر تغير على الذين نزلوا بضواحى مكناس وتنهب أموالهم وأولادهم حتى ضاق بهم المتسع، وتفرقوا فى البلاد، ولم يبق منهم إلا القواد وشرذمة من أهل الحرف والصنائع، ومات منهم بالزلزال الذى وقع بمكناس خمسة آلاف.

وفى فاتح جمادى الأولى عام ستين قدم قبائل البربر وقبائل العرب لإعانة أهل فاس على محاربة المترجم فنزل القائد الحبيب بإيالته الغرب والخلط، وطليق بدار الأضياف، ونزل محمد واعزيز بأتباعه البرابر بجبل أطغات، وانحجر الودايا بفاس الجديد، والعبيد بقصبة شراقة، وأحاطوا بالمترجم بداره دار الدبيبغ إحاطة السوار بالمعصم.

ولما كان الغد ركب العبيد والعرب وقصدوا دار الدبيبغ والبربر على آثارهم، فلما بلغوا حريم الدار المذكورة اتصل بهم أن البربر غدروا ونهبوا محلتهم فارتاعوا ورجعوا القهقرى منهزمين لا يلوى بعضهم على بعض، وتفرقت تلك الجموع الباغية، وكفى الله المؤمنين القتال، قيل: إن المترجم أغرى واعزيز بمال وجهه إليه ليلا على تفريق تلك الأحزاب ففعل، وسقط فى يد أهل فاس وبقوا يتجرعون الغصص فى ضيق وعناء يستغيثون فلا يغاثون.

وفى انقلاب عرب الغرب من انكسارهم هذا لبلادهم مروا بحلة بنى حسن فانتهبوها، فقدم بنو حسن على السلطان شاكين إليه بما فعله بهم عرب الغرب فحركوا منه ما كان كامنًا بصدره عليهم، وجيش إليهم جيشا كثيفا من العبيد والودايا للإيقاع بهم أخذا لثأر بنى حسن منهم، ولما شعروا بنهوض الجيوش التى لا قبل لهم بها للاقتصاص منهم انجلوا عن البلاد وتوجهوا للعرائش وتحصنوا بأسوارها، فاقتفت أثرهم تلك الجيوش وأحدقت بهم وشددت الحصار عليهم ثلاثة أشهر، هلك فيها لهم الزرع والضرع ثم رق لهم المترجم ووجه لهم شرذمة من الودايا بأمانه ومصحفه وسبحته، وأفرج الجيش عنهم، وقدموا مع الودايا على المترجم بهداياهم تائبين، ولفضله شاكرين، فولى عليهم كبيرهم الحبيب المالكى، وأضاف إليه قبائل الجبل كلها.

وفى شوال عام واحد وستين ومائة وألف، استأنف أهل فاس الرضوخ لطاعة المترجم وتجديد البيعة له، وذلك بواسطة بعض بنى عمه من أهل سجلماسة، والعلامة أبى الإجلال عبد الكبير السرغينى، فأنهضوا وفدا من الأشراف والعلماء وذوى الجاه والوجاهة فى طليعتهم الفقيه المذكور ومعهم هدية قيمة للعاصمة المكناسية إظهاراً للخضوع، وطلبا فى العفو والصفح، ولما مثلوا بين يدى المترجم سب وجدع ثم سامح وأحلم وردهم لبلدهم ردًا جميلاً، ثم انعقد الصلح بين أهل فاس والودايا، وفتحت أبواب المدينة بعد الحصار سنتين وثلاثة أشهر، وكان ذلك فى ذى القعدة من السنة.

وفى هذه الأعوام انتشر الوباء الجارف فى هذه السنين سائر البلاد المغربية وتفاحش الغلاء.

وفى ثامن عشر جمادى الأولى، وقيل الثانية من العام، نهض المترجم من فاس لمكناسة، لكسر شوكة متمردة البربر وخيم بقصبة أبى فكران ينتظر ورود

القبائل التى كانت تظهر له الطاعة، إذ قد كان استنهضهم لذلك، ولما طال انتظاره وتبين تقاعسهم عن اللحوق به، رجع للعاصمة المكناسية بمن كان معه مصابا بألم إحدى عينيه.

ولما سمع البربر برجوعه لمكناس طمعوا فيه، وأجمعوا على غزوه، وزاد طنبورهم نغمة وطينهم بلة، ما وقع من الصلح بين الودايا وأهل فاس وذلك يوم الاثنين الثالث عشر من شوال، وخضوع الكل لصاحب الترجمة، فلم يألوا جهدا فى تفريق الكلمة واستشاروا فى التدابير الموصلة لهم لذلك زعيمهم واعزيز لما يعلمون فى قلبه من المرض، فأشار عليهم بأنه لا يتم لهم معه أمر ماداموا لم يقطعوا خط الرجعة بسايس، ويحال بينه - أى المترجم - وبين الموالين له من الودايا والعبيد وأهل فاس، فاستصوبوا رأيه ونزلوا بحللهم فى تلك البسائط، وأطلقوا يد السلب والنهب، وأغاروا على سرح الودايا وأفسدوا زروعهم وبحائرهم، وجعلوا يختطفون أطفال العبيد النازلين بضواحى مكناس ويغيرون على سرحهم كلما أمكنتهم فرصة.

وفى أول رجب من السنة ورد الخبر بإلقاء أهل الريف القبض على المستضىء مار الترجمة، واستيلائهم على كل ما كان له من مال ومتمول لإلقائه القبض على القائد عبد الكريم بن على الريفى صنو أحمد المذكور، وسمله عينه.

وفى شعبان أوقد الودايا النار بأجواف باب محروق ليلا، فشعر بذلك الحرس وطردوهم عن الباب، ومن الغد ركبوا له أبوابا جددا.

وفى ثالث عشرى شوال أوفد أهل فاس على المترجم بمكناس القائد الحسن ابن صالح الليرنى، والقائد قاسم بن الأشهب، والقائد الحاج محمد الصفار، وقاضى البلد وغيرهم من الأشراف والعلماء، وكان ذهابهم على طريق زرهون خوفا من عيث عتاة البرابر، ولما وصلوا لحضرته ومثلوا بين يديه شرحوا أعذارهم

فى التظاهر بالقيام عليه، وأقاموا الحجج والبراهين على أن ذلك لم يكن عن اختيار منهم، فقبل المعذرة شأن الكرام، وقال: لا تثريب عليكم، وإنى عاهدت الله أن لا أفعل بأهل تلك المدينة - يعنى فاسا - إلا الخير وكتب بهذا كتابا لأهل فاس.

وفى متم الشهر آب الوفد الفاسى لوطنه فرحا مسرورا، وقرئ الكتاب السلطانى المشار له على منبر القرويين، وبه وقع الإعلان باستئناف بيعته، وانبرم الصلح بينهم وبين الودايا، وتبادلوا الطعام بالمدينة البيضاء وفاس القديمة، وزينت المدينة إظهاراً للارتياح، وإشهارا لما أقاموه من حفلات الأفراح.

وفى ثالث عشرى قعدة قدم ركب الحجيج الذى كان محصورا بتازا لانقطاع السابلة وتوقد نيران الفتن بها.

وفى يوم السبت تاسع ذى الحجة خرج من فاس وفد من أعيانها لتهنئة جلالة المترجم بغرة عيد الأضحى والمشاركة فى أفراحه ومشاهدة فاخر حفلاته، من جملة أعيان ذلك الوفد: القائد قاسم بن الأشهب، والقائد ابن صالح الليرينى، والحاج محمد الصفار، والقاضى أبو محمد عبد القادر بوخريص، وناظر الأحباس التاودى بن أحمد المشاط، فقابلهم بغاية الإجلال وغمرهم بنعمه الضافية، وردهم بعد يومين ردا جميلا.

ثم إن البربر لما علموا بانبرام الصلح بين أهل فاس والمترجم والواديا والعبيد سقط فى أيديهم، ورأوا أنهم قد ضلوا وصاروا يضربون أخماسا فى أسداس، ويبذلون جهدهم وطاقتهم فى اتخاذ الحيل فى تفريق الكلمة، ولا سيما لما ثبت لديهم أن العبيد صمموا على الحركة لغزوهم، وأخذوا يغرون القبائل على نصرتهم على ذلك ومعاضدتهم، فلم ير البربر حيلة أنفع لهم من المسارعة لشن الغارات والتضييق على العبيد من كل جهة وقطع الميرة عنهم، ومديد السلب والنهب فى

السبل عموما والعبيد خصوصا، حتى ضاق بهم المتسع فلم ينفعهم إلا الجنوح للسلم ومصالحة البربر، وبعد اتخاذ الوسائط لذلك صرح لهم البربر بأن السلطان هو الآمر لهم بذلك، فلم يرتب العبيد فى صدق مقال البربر لما سلف من المترجم مع واعزيز عند تخلفهم عنه حين أمرهم بغزو البربر، وصاروا يدبرون فى كيفية يتوصلون بها لإلقاء القبض على صاحب الترجمة والفتك به، فأوعز إليه بذلك بعض عيونه، فنجا بنفسه لدار الدبيبغ وذلك فى صفر سنة اثنتين وستين.

ثم اتصل الخبر بنجله خليفته بمراكش أبى عبد الله محمد مار الترجمة فكتب للعبيد يعلمهم بصيرورته على بال، مما أضمروا لوالده، ويعدد عليهم إحسانه إليهم ويوعدهم إن لم يرجعوا عما سولت لهم أنفسهم الأمارة، فأجابوه بتنفيذ ذلك الخبر، وأنه لم يكن خطر لهم قط ببال، ورجعوا إلى أنفسهم، وقالوا: إن هذا الخليفة - يعنون محمد بن عبد الله - ذو قوة وبأس شديد، وهو أمامنا، ووالده وراءنا، والبرابر محدقة بنا، فكيف الخلاص؟ فاتفق رأيهم على أن يعيدوا البيعة لصنو المترجم أبى عبد الله ابن عريبة المترجم سابقا فأبى وامتنع، ثم بعثوا لصنوه أبى الحسن على آتى الترجمة وكان يومئذ بسجلماسة مهد ملك سلفه فقابل طلبهم بالرفض، ولما كانت نتيجة سعيهم فيما راموه الخيبة عقدوا صلحا مع البرابر على المبايعة لنجل المترجم أبى عبد الله المذكور، وأقاموا لهم حججا على أنه لا يصلح للملك وتدبير أمور الرعية غيره فأجابوهم لذلك.

وفى أوائل ربيع الأول أعلن العبيد والبرابر بنصر أبى عبد الله المذكور بمكناس وزرهون وخطبوا به على المنابر، وأشاعوا ذلك فى البوادى والحواضر، ثم جهزوا فئة من أعيانهم وأوفدوها إليه لمراكش لإعلامه بجمع الكلمة على المبايعة له وطلب تعجيل قدومه عليهم، ولما بلغوا إليه وأبلغوه ما جاءوا لأجله قبح فعلهم وعنفهم ثم وصلهم، وقال لهم: ارجعوا عن غيكم فإن بيعة والدى فى عنقى وأعناقكم لا يحل خلعها بحال، وألزمهم الرجوع للطاعة والتزم لهم بأن لا

يلحقهم أدنى سوء من والده، وأنه يسعى فى إصلاح ذات البين بينهم وبينه، فرجعوا آيسين من بلوغ مقصدهم، ولم يرجعوا عن غيهم بل تمادوا على الدعاية لسيدى محمد والخطبة به، والمترجم مستعير لذلك كله آذانا صما وعيونا عميا، وولده الخليفة المذكور يرجف فؤاده من ذلك خوفا من أن يظن به والده أنه راض بفعل أولئك الأوغاد الجفاة، وصار يتابع الهدايا ذات البال لوالده استجلابا لمرضاته، وإظهارا لطاعته، ولما تيقن صاحب الترجمة كراهية نجله المذكور لسوء فعل العبيد ورفضه لمطلبهم، رام استجلاب القلوب الشاردة عنه، فصار يفكر فى ما يوصله لذلك.

ولما كان يوم الخميس تاسع عشرى شعبان العام أمر بإعلان النداء بسوق الخميس وغيره من أسواق فاس، بأن كل من أتى إليه من العبيد لدار ادبيبغ يعطى خمسمائة مثقال، ومن تخلف فلا يلوم إلا نفسه، فتساقطوا على أعتابه زرافات ووحدانا ووفاهم بما وعد به، وأمرهم بالكتب لإخوانهم الذين بمكناس وغيرها من البلاد بالإتيان لحضرته، وأن كل من أتى يقبض القدر المذكور تأليفا لهم وكفا لأذاهم، فلم يزدهم ذلك إلا نفورا وتمردا وطغيانا، شأن النفوس الخبيثة، ولم يقتصروا فى ذلك على أنفسهم، بل أغروا البرابر النازلين بسايس على قتل كل من وجدوه من إخوانهم ذاهبا لفاس، لأنه يعد ناكثا للعهد الذى تعاهدوا عليه، وخارقا لإجماع جموعهم الفاسدة.

فأجمع البرابر أمرهم وشركاءهم ودرسوا الحالة هم عليها وحالة العبيد معهم قديما وحديثا، وما جنوه من ثمار ما زرعوه من الفتن، فتمحض لديهم أن العبيد إنما يسعون وراء ما رأوه مصلحة شخصية لهم، ولو أدى الحال إلى تضحية من سواهم، وأن آكد مصالحهم هلاك البربر.

واتفق رأيهم على الرجوع لطاعة المترجم وعضدهم فى رأيهم الأسد رئيسهم محمد واعزيز، ثم كتبوا للمترجم يطلبون عفوه وأمانه فأجابهم بقبول إنابتهم وعدم

مؤاخـذتهم طبق ما عرف فى غـالب أحواله، وبأثر ذلك وفـد محمـد واعزيز مع إخوته، فأكـرم وفادتهم ووصلهم بعشـرة آلاف مثقال، فـسروا وابتهجـوا ورجعوا لمحالهم شاكرين.

وفى آخر رمضان رجعوا لحضور الحفلات العيدية ومشاهدة الطلعة الإمامية، فوصلهم بمثل ما ذكر كما وصل الودايا، وأعطى لأهل فـاس خيلا مسومة وجواهر نفيسـة وأوانى من الزجاج، وكساهم بفـاخر الثياب، قـال فى الدر المنتخب: تزيد قيمـة ما ذكر على عـشرة آلاف مثقـال بتقويم ذوى العرفـان، ولم يحرم من نواله المدرار غير العبيد الذين جبلوا على كفران النعم.

وفى هذه السنة جمع رأس عـتاة العبيـد، وشيطانهم المريد، المسمى زعـبول إخوانه الذين بمكناس ونواحيه ونهض بهم لسفيان وبنى مالك، ولما رأى المذكورون ما لا قبل لهم به، فروا إلى العرائش، فاحتوى الزعيم وإخوته على ما خلفه سفيان وبنو مالك من مـاشية وغـيرها، وفى منقلبهم دخـلوا القصر على حـين غفلة من أهله، وارتكبـوا كل شنيع على عادة الأوغـاد السفل، وكـان الوقت وقت اشـتداد البرد وتهاطل الأمطار فعظم الخطب واشتد المصاب.

وفى السنة أيضا قـتل المولى الحسن صنو المترجم أولاد أخـيه المولى يوسف، وتسبـب فى خراب دار ابن أخيـه مولاى الشـريف بن زين العابديـن إرضاء لأهل تافيلالت أعدائهم، فدخلوا الدار عنوة وقتلوا أهلها صبرا ظلما وعدوانا.

وفيـها أيضا هجمـت شرذمة من دخيـسة وذوى منيع وعرب الصـباح وآيت عطا، على تافلالت، فنهبـوا الأموال وسبوا النساء والأطفال، وقـتلوا عدداً عديدا من أهلها، وسلبوا تجار أهل فاس القاطنين هنالك من أموالهم، وذلك من نتائج ما فعله الحـسن المذكور بأبنـاء أخيه، ولم يزل الحـسن ثائرا بتلك البـلاد إلى أن صار الأمر للأمير أبى عبد الله محمد بن عبد الله ونقله لمكناسة وذلك آخر العهد به.

وفى أوائل جمادى الأولى عام ١١٦٣ ضحى يوم الاثنين قدم من الحضرة المراكشية الخليفة السلطانى أبو عبد الله محمد إلى مكناس، وخيم بأبى زكرياء الصبان، ومن الغد دخل البلد، وزار ضريح جده المولى إسماعيل، وقد وجد العبيد لازالوا على انحرافهم عن والده، متمادين على الخطبة به، فتبرأ من سوء فعلهم وقرعهم أشد التقريع، وأمر بإحضار العلماء والأعيان لديه وقال لهم: هؤلاء العبيد بايعونى وبغوا على والدى السلطان، وإنى أشهدكم أننى أبرأ إلى الله مما أجرموه، فهل ترون لهم مندوحة فيما ارتكبوه، فأجابوه جميعا بأن الخروج على السلطان لا يحل، وأن دم مرتكبه حل.

ولما سمع العبيد جواب العلماء ورأوا قوة الخليفة وخافوا شدة بطشه لم يسعهم إلا الرجوع لطاعة المترجم وأنفهم صاغر، وأعلنوا بنصره فى الأسواق والأزقة، ولاذوا بالخليفة فى الشفاعة لهم لدى والده الإمام والاعتذار له عما اقترفوه، والوساطة لهم فى أن لا يحرمهم من نواله، فأجابهم لذلك، وتكفل لهم به.

ثم كتب لوالده بشرح الواقع وطلب الإذن له فى القدوم بهم لحضرته، وأعلمه بأنه أمنهم بأمانه فيرجو ألا يخفر له فيهم ذمة فلم يرد له والده جوابا عن الكتاب، فأعاد الكتابة ثانية فأذن له فى القدوم بهم لحضرته، وواعده بأنهم لا يرون إلا ما يسرهم ويرضيه هو فيهم.

وفى يوم الأربعاء الثانى والعشرين من جمادى الأولى هذه قدم الفقيه السيد على بن زيد من عند الفقيه السيد على وهو الباشا بتونس على السلطان المترجم بهدية سنية، يطلب منه عددا من الخيل سماه، ففرح به وأعطاه ستة من إناث الخيل قيمتها ثمانمائة مثقال، وأعطاه خنجرا مرصعا بالياقوت مختلف الألوان لا تعلم قيمته.

وفى يوم الأحد الحادى عشر من جمادى الثانية وصل الخليفة سيدى محمد المذكور بمن فى معيته من العبيد والجند الذى أتى به من مراكش، وكان نحو أربعة آلاف جندى لحضرة والده بدار دبيبغ، ووجد والده فى موكبه وأهل فاس والودايا فى استقباله، ولما مثل بين يدى والده ترجل وأدى التحية اللائقة بعلى مقامه، وقدم إليه هدية ثمينة، وقدم العبيد، وطلب لهم عفوه وأمانه، فعفا وأمن، وكان ذلك اليوم من أيام الأفراح المشهودة، وأقام الخليفة مع والده ثلاثة أيام يذاكره فى أمور ولايته، وأحوال رعيته.

ولما كان صباح يوم الأربعاء ودع والده وطلب رضاه وصالح دعائه، ونهض من دار دبيبغ وخيم برأس الماء بجنوده الجرارة، ومن الغد نهض وخيم بوادى النجا، وفى يوم الجمعة السادس عشر من الشهر دخل الحضرة المكناسية.

هكذا فى الدر المنتخب، وفى الترجمان وغيره أن والده ودعه من حينه وأمره بالانصراف لمكناس خوفا من اغتيال البربر، فامتثل ولم يبت إلا بوادى النجا، ثم سار لمحل مأموريته، وكان وصله إليه فى ثامن عشرى شوال، وتلقاه أهل الهدايا بالرايات والطبول، وأظهروا بقدومه غاية الارتياح، وقدموا لحضرته هدايا ذات بال.

وفى العام فشا الوباء وانتشر، ودفن بفاس فى يوم واحد ما يزيد على أربعمائة نسمة، واشتد الأمر وحبس المطر، حتى كررت صلاة الاستسقاء ست عشرة مرة.

قال ابن إبراهيم: فى يوم الجمعة الرابع عشر من صفر خرج الناس للاستسقاء بباب الفتوح فصلوها، وإمامهم خطيب القرويين أبو مدين الفاسى.

وفى يوم الأحد أعيدت الصلاة بالمحل والإمام الخطيب المذكور.

وفى يوم الثلاثاء بعده صليت صلاة الاستسقاء، والإمام خطيب المقام الإدريسى الفقيه، الناسك الشيخ الكبير ابن الغزوانى السرغينى.

وفى يوم الخميس بعده خرج الناس لصلاة الاستسقاء، وإمامهم العدل سيدى أحمد الطاهرى الجوطى الحسنى.

وفى يوم السبت الموالى أعيدت الصلاة خارج باب الفتوح أيضا، والإمام خطيب القرويين كذلك.

وفى يوم الاثنين ثانى ربيع الأول أعيدت الصلاة خارج باب الجيسة بإمامة الخطيب المذكور.

وأعيدت أيضا فى يوم الخميس بعده بإزاء روضة ابن عباد، والإمام من ذكر.

وفى يوم الثلاثاء الموالى له أقيمت داخل باب الفتوح قرب باب الحمراء بإمامة الخطيب المذكور.

وفى يوم الأحد خامس عشر ربيع المذكور أعيدت الصلاة بالمحل المذكور وإمامها من ذكر.

وبإمامته أيضا أعيدت من الغد بالمحل نفسه.

وفى يوم الخميس أعيدت طبق ما ذكر.

وكذلك أعيدت من غده.

وفى يوم السبت ثامن عشرى الشهر استدعى المترجم لدار دبيبغ وأعطاهم مائة بندقة وست عشرة بندقة وثمانية مثاقيل لكل فرد.

وفى يوم الاثنين متم ربيع أعاد الإمام المذكور صلاة الاستسقاء خارج باب الفتوح قرب ضريح الشيخ دراس بن إسماعيل.

وفى يوم الأربعاء ثانى ربيع الثانى أعاد الإمـام المذكور الصلاة بالمحل نفسه.

وفى يوم الأحد المتـصل الولاء أعاد الإمـام المذكور الصلاة بالمحـل المعروف بمطرح الأجلة خارج باب الفتوح.

وفى يوم الأحد أعيدت الصلاة بعـد، ولـم ينزل المطر إلا فى شهر إبريل آخر العام، ونزلت معه أحجار بلغ وزن بعضها نصف كيلو، ودام ذلك نحو الساعتين، وتكاثرت السـيول وفـاضت الأودية وتهدمـت الدور وقلعت الأشجـار، وتعطلت السبل، وارتفـعت الأسعار، وبلغ القـمح خمس موزونات للصـاع النبوى، وأكل الناس الجيف والنبات.

وفى محرم فاتح عام أربعة وستين، وجه صاحب مراكش لوالده هدية ثمينة مع بعض الخاصـة من أصحابه فتلقـاها بيمنى القبول، ودعـا له بالرضا والخلف، ووجه له مع الهدية كتابا يستلفت فيه أنظاره للعـبيد الذين تشفع فيهم إليه، ويذكره إهمال شفاعته، حيث إنه كان وصل البـرابر الذين وفدوا على حضرته لحضور عيد الفطر مع جلالتـه بصلة قدرها عشرون ألف مثـقال، ورد قواد العبـيد الذين كانوا معهم صفر اليد، فوصل الودايا بصلة تقـدر بعشرة آلاف ريال، والعبيد الذين معه ثلاثة آلاف، وأعطى لمن تشفع فيـهم ولده المذكور عشرين ألف ريال رعيا لـشفاعة ولده، فطابت نفوس العبيد بذلك.

وفى سادســه أعطى أهل فاس مـائة وسق بين قمح وشعـير كـانت أمانة له عندهم، وأمرهم بتوزيعها على الرماة بعد أن عين منها مائة مثقال تعطى لأبى عبد الله محـمد الغالى بن عبـد الله الشريف الإدريسى، وثلاثين مثقـالا للقاضى أبى محمد عبد القادر بوخريص.

وفى أوائل ربيع الأول السنة قـدم بشدور النصـارى على المترجم ومـعه من المال والثياب والملف وغيرها مما يناسب ذلك نحو من خمسين قنطارا، بعضها فداء بعض إخوانه، وبعضها هدية للسلطان، قاله ابن إبراهيم.

وفى أواخر شعبان توفى ولد المترجم المولى أحمد بفاس، وحضر جنازته جميع كتاب أبيه ووزرائه وغيرهم من العامة.

وفى عام خمسة وستين اتصل بالمترجم خبر قتل أهل تطاوين لعاملهم الحاج محمد تميم، وبعد ذلك قدموا على أعتابه معتذرين ولعفوه مؤملين، فعفا عنهم ولم يعنفهم، بل قال لهم: أنتم وليتموه وأنتم قتلتموه فاختاروا لأنفسكم من يتولى عليكم، فوقع اختيارهم على أبى عبد الله محمد بن عمر الوقاش، وفى نظرى أن هذا من الفشل وضعف العزيمة المؤديان لا محالة إلى الفساد وقديما قيل:

ويقبح وصف الحلم فى سمة الفتى إذا اتسعت فى الحلم طرق المظالم

وقيل:

ووضع الندى فى موضع السيف بالعدا مضر كموضع السيف فى موضع الندى

والله يقول: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ... ﴿١٧٩﴾﴾ [البقرة: ١٧٩].

وفى أوائل ربيع الأولى من العام ورد على الحضرة السلطانية سفير دولة الإصبان بهدية مائة ألف ريال دورو، وتحف ثمينة، وعدد من الملف والحرير والكتان، طالبا فداء أسرائهم الذين بالدولة المغربية، فقبل الهدية وعلق له فكاك الأسارى على فكاك أسارى المسلمين الذين عندهم من غير مال، فكان الأمر كما أراد، ووصل ذكور العبيد وإناثهم بريالين لكل نسمة، وكانوا ألفا ومائتين.

وفى منتصف هذا الشهر بعث البربر إلى الودايا الإعلام بنقض ما كان منبرما من العهد بينهما، وفى غده اختطف البربر ماشية أهل فاس، وكان ما نهب لهم من خصوص البقر ينيف على المائة وتناوشوا القتال.

وفى أوائل جمادى الأولى من العام وفد على الحضرة السلطانية ولد الباشا أحمد بن على الريفى، وشكا إليه بما مسه من الفاقة والاضطرار فرق له وولاه عمالة طنجة وما والاها، ووعده بأنه سيضيف إليه عمالة تطاوين وأعمالها.

وفى يوم السبت خامس جمادى الثانية أنعم على العبيد بخمسة آلاف ريال، وعلى الودايا بمثلها.

وفى يوم الأربعاء ثالث عشرى الشهر أنعم على أهل فاس بمائتى قفطان وخمسين قفطانا فلبسوها أمامه، ووصلهم بعشرة آلاف ريال.

وفى الشهر نفسه ورجب الذى بعده وشعبان انتشر الوباء فى الأرض المغربية، ولم يزل أمره فى تفاقم إلى منتصف شعبان.

وفى أواخر رمضان وفد العبيد على الحضرة السلطانية بقصد حضور العيد مع عليّ جنابه فوصلهم بعشرة آلاف ريال، وقتلوا أبا عبد الله محمد السلوى، والقائد الحسن زعبول استجلابا لرضا المترجم، إذ كانا من أكبر أعدائه وألد خصومه.

وفى منتصف شوال وفد على صاحب الترجمة صنوه أبو الحسن على آتى الترجمة، فأكرم وفادته وأعطاه مالا جزيلا وذخائر مهمة، وخيره بين أن يستوطن مكناس أو تافلالت، فاختار مكناس فأقره على استيطانها، ثم تشكى منه العبيد فوجهه لتافلالت.

وفى السنة ورد بعض النصارى على الخليفة السلطانى بمراكش يطلب تأمينه والترخيص له فى وسق الصوف وغيرها مما يتوقف على وسقه وشراء المرتب على السفن التى تأتى لمرسى آكدير بقصد الاتجار وحمل البضائع، فأجابه إلى ذلك، وأعلم والده بما راج بينهما فأمضاه، فإذا بالنصرانى أتى لآكدير بسفن كثيرة ممتلئة

بمقومات البناء من جير وآجر وغـير ذلك وعدد من العملة بنائين ونجارين وحدادين وغيرهم، يريد بناء قصبة تحول بين مرابطى آكدير والماء الذى يستقون منه، فتفطنوا لذلك، وطيروا الإعلام للخليـفة المذكور، فأمر بإلقـاء القبض على النصرانى ومن معه، فقبض النصرانى وبعض ممن أتى بهم وفر الباقون فى مراكبهم.

وفى العام نفسه تفاحش أمر صالح المجـاطى وتظاهر بأمور سحرية استهوى بها سخفة العقول من الأوباش وكثير ما هم، وطار صيته بذلك فى القطر السوسى وغيـره، وطمحـت إليه الأنظار، وصـارت الدولة منه فى خطر، فحـذره الخليـفة بمراكش وأنذره، ووعظه وذكـره، فلم يزده ذلك إلا عتـوا وطغيـانا، ولما اشـتدت شوكته رأى الخليـفة أن شوكته لا تنكسر قوة، وإنما يؤخـذ باللين والسياسة إذْ رُبَّ حيلة، أنفع من قبيلة، فصار يتظاهر له بالتودد وصفـاء المحبة ويهاديه ويستشيره فى الأمور ويستـرشده ويتغافل عـما يضمره ويتـجاهل، ويحمل سائر مـا يصدر على أحسن المحامل، ويشيع ذلك فى الحواضر والبوادى، حتى استفاض ذلك عند الثائر وحمله على الحقيقة ومن يرد الله أن يضله فما له من هاد.

ثم إن الخليـفة نهض من مـراكش لآكدير قـاصدا الإيقـاع بالثائر المـذكور، ويورى بأنه يريد غـزو قبيلة مـجاورة للثائر المذكـور حادت عن الصـراط السوى، وذلك بعد أن استـشار صالحا المذكور فى تأديبهـا، فأذن له فى ذلك وأعطاه تعاليم يتمشـى عليها، ولما كان الخليـفة على مقربة من آكـدير اختار عشرة مـن الفرسان الصناديد ووجههم أمامـه يتجسسون خبر صالح المذكور ويعـرفونه بأمره، فاتفق أن وجدوا السوق عامرة خارج آكدير والرجل راكبًا بغلته يتطوف بالسوق ويرتب شئونه فحـملوا عليه بخيـولهم وألقوا القبض عليـه وأوثقوه وساروا به إلى الخليـفة، ولما رجعوا إليه بالرجل أسيرا أسرع لداره فدخلها واستولى على جميع ما وجده بها من مال وذخـائر وعدة وسـلاح وذلك شىء كثيـر، وأدخل صالحا الـسجن، ولما طال

سجنه وجه لأولاده يأمرهم أن يوجهوا له موسى وسط خبزة كيلا يتفطن السجان لها فيحجزها عنه، ولما بلغته ذبح نفسه بها، وقد كان فيما سلف صد السلطان والد الخليفة عن دخول آكدير ورماه بالأنفاض، وبعد أوبة الخليفة من هذه الحركة لمراكش أخذ في إكمال داره بالبديع وغرس جنان رضوان وجنان العافية وغيرهما.

وفي عام ستة وستين استقر المترجم بداره دار الدبيبغ، وضعفت قواه عن الحركة، وظهر بالمغرب ثوار: فبالغرب عبد الله السفياني، وببني مالك الحبيب المالكي الحمادي، وفي أوائل ربيع الأول استقل أهل فاس بأنفسهم وأخذوا يشترون الخيل وجعلوا يركبونها كل بكرة وعشي، واتفقوا على عقاب من لم يشتر الفرس، واستقل كذلك أهل رباط الفتح بأنفسهم وصاروا يولون عليهم ويعزلون ويقتلون ويسجنون، وثار الودايا وطغوا وسعوا في الأرض الفساد، وأصاب الضعفاء والعجزة من البؤس ما كاد أن يقضي عليهم.

وفي هذه السنة ثار البعض من عتاة الرحامنة وراموا نهب مراكش فلم يوافقهم على ذلك أهل الرأي منهم، وخوفوهم عقوبة السلطان، وشدة بطشه، ثم تحين السفهاء منهم فرصة ودخلوا على النساء الحمامات وثارت بسبب ذلك فتنة عظيمة بينهم وبين أهل البلد، وتلفت نفوس، ولما اتصل الخبر بالخليفة السلطاني بارح مراكش للتأهب لكسر شوكة المتمردين خوفا من اتساع الخرق، ونزل بزاوية الشرادي فاهتبل به زعيمها ووجه للرحامنة اللوم والتعنيف والعتاب الأليم، على فعلهم الذميم، وكان لهم فيه اعتقاد قوي ونية صالحة يخشون غضبه ويسعون في مرضاته خوفا من أن يدعو عليهم بما فيه هلاكهم، ولا يشكون في سرعة استجابة دعائه ولا ريب أن ذلك كان من حسن حظ أهل مراكش وسعادة خليفتهم.

فارتاع الرحامنة وبادروا للخضوع والتوبة والإنابة، ثم استعطف الخليفة فى الرجوع لمحل مأموريته وأوصاه بالرحامنة خيراً لأن التوبة تجب ما قبلها، إنما التوبة للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم، فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه، ومن يومئذ رضخ الرحامنة للطاعة وقابلوا الأوامر السلطانية بالسمع والطاعة وقاموا بذلك أتم قيام.

ولما اتصل بالقبائل الحوزية ما أوجب مبارحة الخليفة لمراكش، أرسلوا إليه رسلهم قائلين: إننا قد ساءنا ما صدر بذلك البلد الطيب من أولئك الأوباش، وإننا تحت أوامركم فيما ترون فى زجرهم وتأديبهم جزاء عما أجرموا، وردعا لأمثالهم، فمُرْ تُطَعْ فالمال والرقاب، ملك لسمو ذلك الجناب، فشكر حسن عواطفهم وإحساساتهم الجميلة، وعرفهم بتوبتهم النصوح، وحمد الله وأثنى عليه ما خوله من ميل قلوب الرعية إليه، واستيلائه عليها من غير سيف ودم مهراق.

وفى السنة أيضا انعقدت الشروط بين المترجم وبين جنس الاصطادوس، وفيها أغار نصارى الجديدة على آزمور، واقتحموا ضريح الشيخ أبى شعيب ليلا وقتلوا به نحو الخمسين من أهل آزمور.

وفى عام سبعة وستين ثار أبو عبد الله محمد وعلى بوثقالا الشريف الكثيرى، وكان ذا حيل ودهاء يتظاهر بالصلاح شأن من يريد الوثوب على الملك، ويقيم الأدلة على أنه صاحب الوقت، من ذلك أنه صنع طبولا من نحاس ببلاد تعرنت، ومن دهائه أنه لم يطلع عليه فى صنعها أحد ممن يريد استهوائهم وجعلهم فى قبضته كالصولجان، ودفن تلك الطبول بالمحل المعروف بماسة من غير أن يعلم بذلك غير خالقه، واختار للدفن موضعا لا يخطر ببال أحد وقوع الحفر به، وقد كان أهل ذلك القبيل يعتقدون أن طبول ذى القرنين مدفونة بتلك الناحية فى

موضع غـير معين لا يطـلع عليها إلا صاحب الـوقت المجدد للدين، وتواتر ذلك الخبر الواهى لديهم وتناقـله كذلك جيل بعد جيل وقـيدوه فى دفاترهم، ولم يكن لأحد منهـم فى صحة ذلك أدنى شك ولا ريب، ومـا ذلك عند سخـفاء العـقول سفهاء الأحلام بمستحيل بل ولا بعيد.

وصار هذا الثائر يتحين الفـرص لاقتناص الملك والوثوب عليه بالتظاهر بنشر دعاية دينية، إلى أن كانت هيعة الرحـامنة المذكورة فاغتنم تلك الفرصة ولم يبق له أدنى شك فى أن الحين حان، فأعلن النداء فى القبائل السوسية بأنه صاحب الوقت والمجدد الأكبر، وأن عـلامة صحة دعواه إخراجه طبـول ذى القرنين التى هى أكبر علامة عند صغيرهم وكبيرهم على صدق مقاله، فنسل المغفلون إليه من كل حدب وكثير ما هم، واحتف حوله ملأ من الأخلاط عظيم.

ولما رأى كثـرة جموعه وإقـبالهم عليه ذهب بهم إلى الموضع الذى دفن فـيه الطبول وحفرها وأخرج الطبول منها، وهم ينظرون فآمنوا به وصدقوا، ورأوا أنهم قد ظفروا بالضـالة المنشودة، والمسلمون ميالون للدين بالطبع، ولا سـيما من ليس لديه علم يميـز به اللجين من اللجين، والغث من الـسمين، فاعـتروا به وتمسكوا بدعوته، وانـتشر خـبره فى الآفـاق، وادعى أنه لا يحتـاج إلى بارود ولا سلاح، وقويت عصبيته حتى لم يستطع من تبين أمره ولم تجر عليه حيلة من علماء وعقلاء القطر السوسى وغـيرهم أن يفوه ضده بـبنت شفة، وكثـر القيل والقال فيـما وراء سوس من القبائل.

ولما شاع أمـره وذاع ولم ينفع الخليـفة السلطانى بمراكش تغـافل، أرسل من طرفه بعض خـاصته الذين حنكتهم التـجارب يختلطون بأتبـاعه ويتبعون حـركاته وسكناته ويأتون إليه بأخبـاره، فساروا إليه ولازموه مـلازمة الظل، واتصلوا ببعض العقـلاء المميزين الملازمـين له، واتخذوهم أصدقـاء إلى أن صاروا يفضـون إليهم

بأسرارهم الخاصة، ودرسوا جميعا حقيقة الرجل المدعى حتى تمحض لديهم أنه أفاك خداع، ماكر يحاول التوصل للملك، ولما قرر أمره للخليفة أصدر أمره لهوارة وهشتوكة أصهاره بقتله وإراحة الأمة من شيطنته ومكره، فنهضوا إليه وقتلوه فى خلق عظيم من أتباعه وأنصاره، ولم يكن لديهم بارود ولا سلاح يدافعون به عن أنفسهم اغترارا بقوله، وحزوا رأسه ووجهوا به للخليفة بمراكش، وأراح الله من فتنته البلاد والعباد.

وفى أوائل رمضان هجمت على المغرب أسراب جند الجراد المنتشر وأهلك الأشجار، ولم يترك منها سوى الأعواد مجردة من الورق والقشر، أما الزرع فقد وجده تم نضجه فلم يحصل فيه أدنى ضرر.

وفيه أخرج أهل فارس من كان بها من العبيد لاتهامهم بإفساد ذات البين بينهم وبين الودايا، ونقل الأخبار إليهم على غير وجهها، فلم يسع العبيد لضعف قوتهم غير مغادرة فاس القديمة، ونزل البعض منهم بالمدينة البيضاء، والبعض الآخر بقصبة شراكة.

وفيها كان الزلزال العظيم الذى هد جل بناءات مكناس وزرهون، ومات به بالردم خلائق، وتسمى هذه السنة سنة الثلجية لما تراكم فيها من الثلوج التى لم يتقدم لأحد عهد بمثلها، قال أبو عبد الله الضعيف: فى ليلة السبت التاسع من ربيع الثانى نزل عندنا بالرباط بالليل ثلج عظيم ما رأيناه أبداً ولا ذكر لنا أحد من الناس المسنين أنه عقله، ووافق ذلك ليلة الثانى والعشرين من يناير عام أربعة وخمسين وسبعمائة وألف للمسيح.

وفى يوم الاثنين سادس ربيع الأول موافق عشرى دجنبر نزل ثلج كثير بفاس دام يوما وليلة، زاد فى الدر المنتخب: وملأ السطوح أكثر من ذراع ورموه بالأزقة، وبقى بها مدة أيام وليال، ثم نزل مرة أخرى فى أول يناير الموالى.

وفى عام ثمانية وستين انكسرت سفينة حاملة للحجاج فى منقلبها من الديار الحجازية، فيهـا من المغاربة سكان فاس وغيرها أربعمائة نسمـة من جملتهم القائد أحمد الولتيـتى الرباطى، وشريفان من أعيان العراقـيين سكان فاس، ولم ينج من ركابها غير قليل، وكان ورود هذا الخبر المؤلم لفاس فى شعبان.

وفى العام نفـسه توفى زعيم آيت يدراسن، وركنهم المشـيد محمـد وعزيز، وأضرمت نيران الفتن بين قبيله وبين جروان، وكانت الكرة على جروان، حتى إنه لم يسعهم إلا الالتـجاء إلى المترجم وهو يومئـذ ملازم قعر بيتـه بدار الدبيبغ، ولما ضاق بهم المتـسع وعدموا المرعى أخذوا فى بـيع ماشيتـهم بأبخس الأثمان، ثم إن المترجم لما رأى مـا حل بهم رق لهم وآخى بينهم وبين أخواله الودايا، وعـقد لهم حلفا معهـم فقاموا بنصرتهم والدفاع عنهم والأخـذ بثأرهم من آيت يدراسن حتى صيـروا بلادهم حصيدا كـأن لم تغن بالأمس، وقتلوا منهم نحـو الخمسمـائة وألجأ جلهم إلى بلاد شراكة.

ومن آثار احتجاب المترجم ونبذه أمر الرعية وراءه ظهريا وعدم التفاته لكل ما يأتى إليه من أخـبار الدولة، اضطراب جل بلاد المغرب وفســاد انتظام وأكل القوى الضعيف وكثرة الثوار، ولما رأى خليفته بمراكش الرتوق لا تزيد إلا انفتاقا، والسيل قد بلـغ الزُّبى، وأن والده لا يجيـبه عمـا يصدر إليـه من المكاتب بشرح الـوقائع والأحوال، فـضلا عن أن يبتـدئه بكتاب، جَمَـعَ أهلَ الحل والعقد وفـاوضهم فى الدواء الناجع فى جبر ما انصدع، فأشاروا عليـه بالمسارعة بالنهوض بنفسه لإخماد ما اتقـد من نيران الفتن قـبل أن يعم البلاء، ويلتهب اللـفح الأبرياء، ولات حين مناص، فجـند الجنود، وقوم البنود، وفـرق الأموال، واتخذ سـائر الاحتـياطات اللازمة فيما يأتى وما يذر، ولما كان شوال العام نهض لرباط الفتح.

ولما بلغ ضواحيه سدوا الأبواب فى وجهه، وركبوا الأنفاض وتحالفوا مع رئيس أهل سَلاَ، عبد الحق فنيش على المقاومة والمخالفة والعصيان، ولما رأى ذلك أعرض عنهم وخيم بالدار الحمراء قرب سَلاَ، فتسارع أهلها لفتح الأبواب وخرجوا إليه مع رئيسهم المذكور والصبيان حاملون ألواحهم على رءوسهم متشفعين، وفى العفو والأمان راغبين، قال أبو عبد الله الضعيف: والسيف فى فم عبد الحق المذكور وأولاده الصغار أمامه ويده وراءه، فعفا عنهم، زاد ابن الحاج وأكرمهم وأعطى الصلة لصبيانهم.

ولما رأى ذلك أهل الرباط حلوا أبوب المدينة وخرجوا إليه مع الفقيه أبى العباس أحمد بن عبد الله الغربى، والشريف أبى إسحاق إبراهيم حفيد أبى محمد التهامى الشريف الوزانى، فألقى عليهم القبض وقيدهم بالحديد وأمرهم بإحضار مستفاد المرسى، فأجابوه بأنهم أنفقوه فى بناء سور الثغر، ثم عفا عنهم، ونقل البعض من أعيانهم بأهليهم لمراكش كأبى العباس مرينو الأندلسى، والشيخ أبى عبد الله محمد التونسى الأندلسى، والتهامى مرينو، وولى عليهم القائد العربى المسبتيرى، إذ كان يعلمه بكل شاذة وفاذة، عن أخبار أهل الرباط قبل التعرف به، ويجعل فى إمضاء كتبه خديمك كدية، ولما حل بالرباط وقدم عليه أهلها قال: أين فيكم كدية؟ فخرج إليه فعرفه وولاه.

وكان الخليفة الأمير لما سدت فى وجهه أبواب الرباط، وجه إليهم صاحبيه الحاج سعيد التامرى الكديرى السرار، والفقيه أبى عبد الله محمد بن زاكور ليؤمنوهم وليأتوا إليه بهم فى خفارتهما، فلم يسعهما غير الامتثال وإن تيقنا أن مرسلهم ممتلئ صدره غيظا على أهل الرباط بما صدر منهم وازداد حنقا حيث سدوا الأبواب فى وجهه، وأنه إذا ظفر بهم لا يفلتهم. فقال الحاج سعيد: اللهم إن هذا الرجل لا يريد بأهل الرباط خيراً، اللهم لا تلاقينى بهم ولا معه، وكان رجلا

صالحا فاستجاب الله دعاءه، وانقلب القارب الذى ركبا فيه وغرقا رحمهما الله تعالى.

وقد وجد الخليفة أهل سَلاَ، يصنعون سفينة لأنفسهم رئيسها أبو عبد الله محمد عواد السلوى، فأخذها وسفينة أخرى رئيسها أبو عبد الله محمد عواد يدعى قنديل السلوى فأخذها أيضا كما أخذ السفينة التى كانت شركة بين أهل العدوتين سَلاَ والرباط، المصنوعة من خشب جامع حسان المسماة لديهم بالكركجيا. قال الضعيف: وهى أول سفينة طلعت قبل هذه السفن، كانوا يتسببون فيها، وكذلك أخذ سفينة كان صنعها عامله على الرباط العربى المذكور، والذى فى تاريخ ابن الحاج أنه لم يأخذ غير السفينة المشتركة وأبقى الغير لأربابه، وما فى الضعيف أصح فى نظرى.

هذا ولما صفا للخليفة أمر العدوتين سكن الرعب قلوب من سواهم، فرتب العمال على القبائل، ووجه لمدينة شفشاون القائد العياشى عامل رودانة سابقا، ولكنه لما وصل إليهم صدوه وأغلقوا الأبواب فى وجهه وحاصروه، وولى الباشا مسروراً على القصر، وأصدر الأمر للقائد عبد الله السفيانى بترحيل عمه المولى المستضىء مار الترجمة من أصيلا، ثم رجع لمراكش منصرم العام.

وفى هذه السنة كتب والى طرابلس الغرب العثمانى رسالة للمترجم فى شأن السكة المغشوشة والحياك المدخولة التى كان يحملها الحجاج المغاربة معهم بقصد التجارة فيها فى طريقهم للحجاز، وكانت السكة قد فسدت منذ استقل القائد قاسم ابن الأشهب بالتصرف فى دار الضرب بفاس، فإنه نحس دينار الذهب والموزونات وبالغ فى تنحيس الموزونات غاية مقصده، فكان فى الموزونات عشر فلوس من نحاس وأربعة عشرة فلسا من فضة من غير علم السلطان.

كما أن حالة مناسج الطرازين قد صارت سيئة لما تولى الحسبة الفقيه السيد الطيب الريحانى، وكان المحتسب فى فاس هو الذى يلى البحث فى مناسج الطرازين والحرارين ويمنع من يحدث دخولا أو فراغا فى المنسج أو نقصا فى الحائك، فلما ولى الريحانى غفل عن البحث فى ذلك، فأحدث الحرارون الفراغ فى المناسج وجعلوا مكان الكثيرة النشا من الدقيق.

وأحدث الطرازون الدخول فى المناسج، وجعلوا يصنعون الذراعين الذين يليان الطرفين معقودين ومن أنفاس القيام حلاوة وبياضا ورطوبة ويزدون حال النسج على الطرفين لتمكن الصحة فيها، ويجعلون وسط الثوب فارغا والسدا خشينا أحرش أسود، فإذا نسج الحايك تجد طرفه فى غاية الحسن حلاوة وصحة ورطوبة وبياضا ووسطه مثل الشبكة.

وكان الحجاج يشترون تلك الثياب ويبيعونها فى طرقهم إلى طرابلس وفى أعمالها، ويحملون الدراهم والدنانير ويشترون بها ما يتقوتون به فى الطريق، فظهر النحاس فى طرابلس فى الدنانير والدراهم العام بعد العام، وصارت الثياب تتقطع من وسطها فشكا عامة الناس ما نزل بهم إلى التركى والى طرابلس وأعمالها فأراد القبض على الحجاج، فكلمه فى ذلك بعض فقهاء طرابلس وقال له: الحجاج لم يصنعوا الثياب بأيديهم، وإنما اشتروها ممن صنعها والدراهم والدنانير المتنحسة ليس هم الذين ضربوها، وإنما قبضوها فى أمتعتهم، فأعلم سلطانهم بذلك، فترك الحجاج وكتب رسالة تضمنت خبر ذلك إلى صاحب الترجمة.

ولما دفع له شيخ الركب الرسالة التى وجه له بها صاحب طرابلس وأعمالها بما وقع للحجاج بطرابلس، قرأ الرسالة وبعث بها إلى أهل مدينة فاس، فاجتمع أهل فاس وقرءوها وقص عليهم الخبر الحجاج، فقال لهم بعض من له الرأى من

الفقهاء: هذا منكر متفق على تحريمه يجب تغييره، وقد ذم الله أمة كانوا لا يتناهون عن المنكر فقال: ﴿كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ... ﴿٧٩﴾﴾ [المائدة: ٧٩].

فاتفق رأى أهل الدين والخير على تغيير ذلك وعينوا من يقوم به، فأمروا الأندلسيين أن يقطعوا مناسج النيارين المدخولة، لأن سوق النيارين فى جهة الأندلس ويقطعون ما يجدونه فى الطرازات من أسداء مدخولا، لأن أكثر الطرازات فى جهة الأندلس، وأمروا اللمطيين بأن يبحثوا فى الحوانيت التى تباع فيها الحياك فما وجدوه مدخولا مزقوه، وأن يقبضوا على القائد قاسم بن الأشهب الذى أفسد السكة ويأتوا به ليجرى عليه حكم الشرع.

فامتنعت طائفة من اللمطيين من القبض عليه، وتبع أهل فاس فى ذلك طائفة منهم، وهم الأندلسيون الساكنون بجهة اللمطيين المحسوبون فى عددهم، فقال لهم أعيان أهل فاس: دونكم فلا يهمنكم شأن هؤلاء فى رجل واحد لا قبيلة له ولا مال ولا أصول بفاس، يبدل ويغير فى سكة السلطان من غير إذنه، فلا ترجعوا عن زجره.

أما الأندلسيون فساروا إلى النيارين وقطعوا ما وجدوه بحوانيتهم مدخولا وغير مدخول، وساروا إلى الطرازات فوجدوا أكثرهم قد حملوا سدواتهم من الطرازات، فقطعوا ما وجدوه فى الطرازات مدخولا.

وأما اللمطيون فأقاموا بذلك الحاج أبا جيدة بن سليمان الأندلسى، والحاج عبد الواحد عاشر من عقب سيدى عبد الواحد صاحب المرشد المعين الأنصارى الأندلسى، لأنهما ممن كان قبض عليهم التركى صاحب طرابلس، فلما كلم فى ذلك خلى سبيلهم ومعهم من تبعهم على تغيير ذلك المنكر، فساروا إلى سوق الجوطية الذى يباع فيه الحياك فوجدوا الحوانيت فارغة حملها التجار لدورهم.

فساروا إلى دار قاسم بن الأشهب ليقبضوا عليه ويأتوا به لتجرى عليه أحكام الشرع فلم يجدوه خارج الدار، فوثبوا عليه فى الدار واقتحموها عليه، فملا دخلوا الدار عليه، وأرادوا البحث فيها، فإذا بطائفة أخرى الذين من تعصبوا عليه قد أقبلت ورموا من بالدار بالحجر، فخرج جميع من كان بالدار، وربما نهب بعضهم من حوائج الدار شيئا، ثم اشتد القتال خارج الدار فى الشارع بالحجارة حتى افترقوا، واختفى قاسم بن الأشهب أياما إلى أن هدن الهرج وخرج، قاله ابن الحاج.

ثم كلف صاحب الترجمة كاتبه الأسمى أبا الحسن عليا اليحمدى بجواب والى طرابلس، فكتب فى ذلك رسالة من بديع صنعه، قال فى الدر المنتخب: إنها اشتملت على أسلوب من البلاغة فى المنثور تسحر الألباب، يعجز عن إدراك ذلك أهل العصر ولولا الإطالة لأوردتها الخ.

وفى عام تسعة وستين وقعت زلزلة أعظم من التى كانت فى العام قبله، اهتزت بها الأرض وربت وبقيت تضطرب برهة من الزمان، وسمع لها دوى هائل وتغيرت العيون، ووقف الماء فى الأودية عن الجرى، وسقطت الدور وتصدعت الجرات العظيمة، وفر الناس من البيوت والأبنية، واتخذوا الأخبية بالضواحى.

ثم وقعت زلزلة أخرى بعد هذه بنحو ستة وعشرين يوما أفظع من هذه بعد صلاة العشاء، انهدت فيها غالب دور مكناسة الزيتون، وكثير من مساجدها ومنار جامعها الأعظم إلى الأساس، ومسجد القصبة السلطانية، ومات تحت الردم خلق أحصى منه عشرة آلاف، وعلم من لم يشمله الإحصاء عند الله.

قال الضعيف نقلا عن تاريخ الحاج المسناوى الرباطى: وفى يوم السبت السادس والعشرين من محرم فاتح العام موافق واحد وعشرين من أكتوبر سنة ألف

وخمسمائة وخمسة وخمسين وقعت زلزلة عظيمة ودامت نحو أربعة أدراج، وذلك قبل الزوال بثلاثين درجا.

وفى العام قـدم على المترجم كـافة قواد عـبيد مكناس، ولما مـثلوا بين يديه طلبوا من جلالتـه النهوض معهم لعـاصمة ملك والده ليكون توجهـه معهم برهانا على صفـاء باطنه عنهم، فأجـابهم: كيف أسيـر معكم وفيكم فـلان وفلان أناس سمـاهم لهم؟ فرجعوا لمحلتـهم، ولما جن الليل وثبوا على الأشخـاص الذين عين لهم المتـرجم وقـتلوهم، ومن الغـد أتوه برءوسـهم، منهم: القـائد سليـمـان بن العسرى، فقال لهم الآن طاب العـيش ووضعت الفتن أوزارها، وواعدهم بالقدوم عليهم ووصلهم بأربعين ألف مثقال، وأمرهم بالرجوع لمكناس ورجعوا مسرورين، وقد كـان قال للعبيـد قبل ذلك: والله لا زلت أصيح عليكم فـوق كل ثنية وعلى رأس كل ربوة وهضبـة كالذيب وأنتم كالغـنم لا شغل لى سواكم أنا عـبد الله بن إسماعيل إن لم تعرفونى.

وفى العام قدم أبو عـبد الله الوقاش عامل تطاون على المتـرجم بهدية تقدر بألف ريال وأثاث ونصارى أسرتهم مراكبه، فأكرم وفادته وأعطاه جاريتين ورده ردًا جميلاً.

وفيـه حرق الفحص الـقائد عبـد الله السفيـانى، قيل بإشـارة من صاحب مراكش، أعنـى الخليفة السـلطانى أبا عبد الـله، وذلك عندى لا يصح لاستـبداد السفيانى المذكـور عن صاحب الترجمة، فضـلا عن خليفته واستقـلاله الاستقلال التام بناحيتـه، حتى إنه كاد أن يدعو لنفسه لما أُوتيه من اشـتداد الشوكة، ولـم يكن له من ينازعه فى تلك الناحية غير الحـبيب المالكى، وقد كان المترجم لما ترك الدفاع والمقاومة ولزم قعر بيته، تارة يقول: إذا رفعت إليه مظلمة وقعت فى السابلة إنما أنا ثالث الأمراء، فإن غـرم الأميران عبد الله السفـيانى والحبيب المالكى أغرم معـهما

ثلثى، وتارة يقول، لمن يأتيه من البقية الباقـية متمسكة بطاعة السلطان: اذهبوا إلى سيدى وسيدكم، يعنى ولده خليفة مراكش.

وفـيه نهض الخليـفـة صاحب مـراكش للشـاوية لما ظهر فـيـهم من العتـو والاستبداد والعيث فى الطرقـات، فحص منهم كل شىء، وأتى بالقتل على أركان الفساد منهم، ونظم الباقين فى قضب السلاسل ووجه بهم يرتاعون فى قيود الهوان ليعـتبـر بهم غيرهم ممـن هو على شاكلتـهم، وسار هو إلى أن خيم بربـاط الفتح فاسـتقبله أهـلها بالترحـاب وإظهار الفرح والسـرور، وقدمـوا إليه هدايا ذات بال وأطعمة فاخـرة، أما عبد الحق فنيش فإنه أعـرض عنه ونأى بجانبه، وأغلق أبواب المدينة دونه، ولما كان الغد نهض وسـار ووجهته القصر من غيـر أن يلتفت لما قابله به عامل سَلاَ، ولا أن يحرك معه ساكنا فى ذلك، إذ كان الأهم لديه أمامه.

وفى عاشر صفر عام ١١٧٠ أغار البـربر على سرح فاس، ونهبوا عددا من بقرهم، كما نهبوا أزواج الحرث.

وفى ضحوة يوم الاثنين رابع ربيع الثانى وقع تخـاصم وتشاجر بين القاضى أبى محمـد عبد القادر بوخريص وبين بعـض الأندلسيين حتى همَّ قائدهم مـحمد الصفار بقـتله، ولولا أنه استجار باللمطيين لقتل، وقـام هرج ومرج سدت لأجله القرويين، وعطلت صلاة العصر بها.

وفى يوم الثلاثاء سادس عشرى الشهـر المذكور اتفقت كلمة العامة على هدم سقف البلاط الوسط مـن القرويين الواقع يسار الثريا الكبـرى هنالك واجتمع رأى اللمطيـين والأندلسيـين وأهل العـدوة على حجـز حبس المسـاكين الذى يقـبضـه الأشراف وغيرهـم عمن يستحق وعمن لا يستـحق، وبإثر ذلك نجزت فكرة الهدم فعلا.

وفى يوم الجمعة السادس من جمادى الأولى بعث المترجم لأهل فاس بستة مدافع صغار، فاعترضهم الودايا وأخذوهم، فاجتمع رأى أهل فاس على سد باب محروق فسدوه من الغد الذى هو يوم السبت، وأعلنوا النداء بأنهم مسالمون جميع من يوالى المترجم من سائر القبائل، ومحاربون لكل من يعاديه.

وفى يوم الثلاثاء المتصل استقبلهم المترجم واستسمحهم فيما كان صدر منه لهم وأثنى عليهم.

وفى منتصف رمضان نهض الخليفة صاحب مراكش من محل مأموريته، يريد النظر فى أمر الثغور، وحسم مادة فتن الوقاش عامل تطاوين، الذى رام الوثوب على الملك وقطع دابر الفتان أبى الصخور الأفاك الذى كان يستغوى قبائل الأخماس بما يدعيه لنفسه من الصلاح، ويوهمهم بأنه صاحب الوقت ويحثهم على قتال صاحب مراكش، ومحاصرة سبتة وتأديب أهل شفشاون المحاصرين للقائد العياشى المشار إليه آنفا.

ولما وصل بلاد الشاوية قاموا فى وجهه وقاتلوه إلى أن انهزم لدكالة، ثم استعد لقتالهم ورجع إليهم بجنود ذات قوة وبأس شديد، وتولى مقاتلتهم بنفسه حتى أباد رءوسهم وبدد جموعهم الفاسدة وأذعنوا وهم صاغرون، وسار إلى مدينة سَلاَ، وأمر بقطع الأعواد من غابة المعمورة وإنشاء السفن، وأصدر أوامره للباشا الزيانى بالوفود عليه بإخوانه العبيد للقصر، وسار إلى أن وصل القصر.

ولما خيم به وفد عليه المولى الطيب الشريف الوزانى، ثم وفد عليه الباشا الزيانى فى جند العبيد، ولما مثل بين يديه قال له: أنت سلطان العبيد وأنا سلطان الأحرار، وقد كانت بندقة الخليفة بيده فأطلق فى الباشا رصاصة صادفته بين عينيه فخر ميتا من حينه، وذلك بوادى امكرول تحت بلد بنى كرفط، وأعطى فرسه وسلاحه لابن زاكور التطوانى، ثم قتل يوسف السلاح، وذلك لتأخيرهما العبيد

عن القدوم عليه لمراكش، فعند ذلك دخل العبيد رعب فاستجاروا بالمولى الطيب المذكور ووجه لوالده صاحب الترجمة بنحو ألفى مثقال، وولى على العبيد سعيد ابن العياشى.

ثم نهض لجبال الأخماس حيث مقام أبى الصخور، فألقى عليه القبض ثم بدا له فقتله وأراح الرعية من فتنته، وكان قتله إياه بسبت رهونة من لكس، ثم صعد لقنة جبل سكنا، ثم سار لشفشاون وقطع أشجارها عقوبة لأهلها على ما ارتكبوه مع العامل المولى عليهم، ثم بعث العياشى المذكور عاملا على القصر مع ولده سعيد.

ثم نهض وسار نحو سبتة، ثم ارتحل ونزل بتطاوين فخرج لاستقباله أعيان البلد مع عاملهم الوقاش للتهنئة بسلامة القدوم وقدموا إليه هديتهم طبق المألوف، فطالبهم بمستفاد المرسى الذى ترتب فى ذممهم فأجابوه بأنهم كانوا اشتروها من والده بثلاثين قنطارا مسانهة، فنزعها من أيديهم وقال لهم: أنا أولى بشرائها من والدى، ونؤدى له مائة قنطار كل سنة.

وألقى القبض على الوقاش ووجه به لمراكش سجينا، بعد أن هدده بالقتل لسيره فى عمالته على غير الطريقة المثلى، وولى مكانه عبد الله بن زاكور المذكور، وقيل: عفا عنه فسرحه وأقره، ثم سار إلى طنجة ومنها للعرائش.

ثم كتب لوالده يعلمه بما جرى، وأنه حاز المرسى، فأجابه قائلا: هل أنا محجور لك؟ تلك المرسى أتقوت منها، واغتاظ غيظا شديدا حتى قال: اللهم سلط عليه من ذريته من ينزع له ما بيده.

وفى يوم الثلاثاء ثالث شوال ذهب أهل فاس إلى صاحب الترجمة ليقدموا إليه مراسم التهنئة بغرة عيد الفطر وفق المألوف، فسر بمقدمهم وأعطاهم أربعة آلاف مثقال صلة.

وفى آخر شوال رجع صاحب مراكش لمقره محل مأموريته، وذلك بعد تنظيم أمور الدولة وإصلاح ما كان اختل من الشئون.

وفى العام وقعت حرب شعواء بين آيت يدراسن وجروان أعان فيها الودايا جروانا حتى انتصروا على آيت يدراسن بوطا النخيلة من سايس.

وفى يوم الاثنين موفى واحد وعشرين من ذى القعدة قدم حجاج بيت الله الحرام وفى معيتهم رسول أمير مكة بكسوة البيت العتيق، فسر المترجم بها وابتهج، ووجه بها للضريح الإدريسى، وأكرم الرسول بألف مثقال.

وفى صفر كانت منيته على ما سنذكره فى محله.

هذا ملخص ما ذكره فى ترجمة هذا الأمير الزيانى فى كتبه، والضعيف فى تاريخه، وابن إبراهيم فى تقاييده، وصاحب نشر المثانى، وابن الخياط القادرى، وابن الحاج فى دره، وصاحبا الاستقصا والجيش العرمرم، مع مزيد تحرير وضبط وإتقان، إذ تضاربت كثيرا أنقالهم واضطربت أقوالهم وتناقض كلام الكثير منهم.

هذا ولا ريب أن سنة الله فى الدول منذ نشأة العالم جرت بتطورها أطواراً طور الشباب فطور الكهولة فطور الشيخوخة فطور الهرم فالموت.

وقد قسم ابن خلدون عمر الدولة أطوارا:

١ - طور الظفر بالبغية والاستيلاء على الملك وانتزاعه من الدولة السابقة.

٢ - استبداد صاحب الدولة الظافرة على قومه وأهل عصبيته والاستيثار بالملك دونهم.

٣ - طور الفراغ والدعة.

٤ - المسالمة والاقتناع بما حصل.

٥- الإسراف والتبذير وهو آخر الأطوار وينتهى بالانقراض.

وقد أفاد محررو المباحث السياسية تطرق الضعف إلى الدولة الاستبدادية وهو كثير ينحصر فيما يلى:

١- التنافر بين الملك وأهله، والسبب فى ذلك أن الملك إذا أتاح له الحظ التربع فى دست السلطنة أخذته أبهة الملك فيقوم فى اعتقاده أن خلال الكمال، وصفات الجلال، انحصرت فيه، فإذا توهم ذلك فى نفسه شق عليه أن يسمع مخالفة من رجال دولته، لا سيما أهله الذين يجوز للواحد منهم أن يخلفه فى الرياسة، فيزداد مع الزمان حذرا من أهله، وتختلف طرق تصرفه معهم أو معاملته إياهم باختلاف مزاجه ودرجة تعقله وسائر أحواله، لكنه فى كل حال يخاف على منصبه منهم.

٢- الركون إلى الحضارة. يصح هذا على الدولة ذات القوة والمنعة، فلا تلبث أن تتحضر حتى تضعف قوتها، ويذهب ما كان لها من شدة البأس، ويصير أهلها إلى الرخاء والتمتع بالملذات، وهذا الرخاء إنما يصيب الملك ووزراءه ورجال دولته، لأن الأموال فى الحكم الاستبدادى تصير إلى هؤلاء، وقد تكون الرعية فى أشد الضنك، إلا من التف حول رجال الدولة وارتزق بالتزلف إليهم ومصانعتهم، والقيام بما يحتاجون إليه من أسباب الملاذ.

٣- اصطناع الجند، الترف والرخاء، يؤثران فى رجال الدولة، فتذهب منهم شدة البأس، فيركنون إلى الملاهى والملذات ويقعدون عن الحرب، وبعد أن تكون قيادة الجند فى أيديهم، يعهدون بها إلى بعض صنعائهم من أمراء الجيش، وهم يستولون على أعطيتهم من الملك، فلا غنى لهم عن طاعته والأخذ بناصره، فيزداد بذلك الملك ركونا إلى الرخاء، ويزداد ضعفا ويزداد قواده وصنائعه من الجيش نفوذا فى الدولة ودالة على الملك، فيطمعون فى المناصب الرفيعة، فتصير إليهم الإمارة أو الوزارة أو قيادة الجيش فى الحرب، ويصير الحل والعقد فى أيدهم،

يولون الملوك ويعزلونهم أو يقتلـونهم أو يحجرون عليهم، كما فـعل الترك بالخلفاء العباسيين، والانكشارية بالسلاطين العثمانيين، وجيش العبيد بالسلاطين العلويين.

ويظهر الهـرم على الدولة إذا تكاثر المصطنعون، واشـتغل السلطان ووزراؤه بأنفسـهم عن الدولة وفسدت أمـورها، ويزيدها فسادا اضـطرار الملك ورجاله إلى النفقات الباهظة على أنفسهم فى سـبيل الملذات، وبناء القصور، واقتناء الجوارى، والاستكثار من أسباب الترف بأى وسيلة كانت.

ويكثرون الضرائب فـتنتشر المظالم، فتـغضب الرعية وينقمـون، ويتشاورون فيما بينهم عن فساد الدولة، ويتمنون الخـلاص منها، ويترقبون فرصة للخروج من سلطانها.

أما الملك فلا يهمه يومئذ غير حفظ نفسه واستبقاء نفوذه، فينفق الأموال فى التجـسس واصطناع الجند لحمـايته، وكـثيرا مـا تنشب الفتن بين رجـال النفوذ أو بينهم، وبيـن الملك ويتنازع الخـاصـة - وهم طلاب المناصب - فى التـقـرب من السلطان التماسـا للكسب لانحصار المال هناك، ويشتـد النزاع على أسباب الرزق، فتكثر الأحـزاب ويصبح الأمر فوضى، فـيعجز الملك عن تدبيـره، وهو عاجز عن ذلك بطبيعة الحال لأنه شب محجورا عليه بين النساء والأطفال، على أن الدولة قد توفق فى كهولتها أو شـيخوختها إلى ملك مقتدر يريد بـها خيرا، لكن لا يستطيع ذلك لتمكن الفساد فـيها، وتعويل رجالها على الارتزاق من ذلك الفسـاد، فيعود سعيـه وبالاً عليه، كما أصاب عـمر بن عبد العزيز فى الدوْلة الأمـوية، والمهتدى بالله فى الدولة العباسية، والسلطان سليم فى الدولة العثمانية...

فإذا اعتبـرنا الدولة جسما حيا، كانت هذه الـظواهر أمراضا فى ذلك الجسم تدل أعراضها عليها، فتكون العلة فى الرأس أو الصدر أو الأطراف، فإن كانت فى الرأس فهى فى الملك من ضـعف رأى أو فساد خلق، وإذا كانت فى الصـدر ففى

رجال الدولة من طمع وانقسام، وإذا كانت فى الأطراف فمن ضعف العمال والولاة أو من جائحة أُصيبت بها المملكة.

ومعالجة هذه الأمراض أيسر فى الحكم الدستورى مما فى الاستبدادى، لأن الملوك المستبدين إنما يطلبون النفع الشخصى، فإذا كانت علة الفساد من ضعف أخلاقهم، فإن ذلك الضعف يغريهم على التمسك بالسيادة ولو آل أمرها إلى خراب المملكة.

أما إذا كان الرأس سليما فيهون عليه معالجة سائر أسباب الضعف، فالدولة الاستبدادية يتوقف موتها وحياتها بالأكثر على الملك خلافا للدولة الدستورية.

والفرق بين الحكم الاستبدادى والحكم الدستورى، أن الأول هو الشريعة التى يحكم بها الملك رعاياه، والثانى عبارة عن القوانين التى تقيد الرعايا بها أحكامه وأحكام رجال دولته، وبعبارة أخرى: إن الحكومة أو الدولة قد تكون مؤلفة من رجل أو عدة رجال، وبها ثلاثة أعمال: سن القوانين، والفصل فى الخصومة، وما هى نسبة أعضائها بعضهم إلى بعض، ويبين الكيفية التى ينبغى أن تجرى بها الأحكام، فهو قيود للقوة المتسلطة، والإنكليز هم أول من أنشأ مجلس النواب وأعطاه هذه السلطة، ولذلك يقولون فى أمثال الإفرنج «إن الإنجليز أم المجالس النيابية» والدستور لا يختص بالحكم الملكى ولكنه يتناول الجمهوريات، بل الجمهوريات أولى أن تقيد بإدارة الشعب، وكل أمة فيها مجالس تنوب بأصواتها عن الشعب كانت حكومة دستورية.

ويسوءنى للغاية تغلب الاستبداد على طبيعة ملوك الإسلام، مع علمهم بفائدة التقييد بقوانين الشريعة المتعلقة بالأمور الدينية والدنيوية، التى من أصولها المحفوظة إخراج العبد عن داعية هواه، وحماية حقوق العباد سواء كانوا من أهل الإسلام أو غيرهم، واعتبار المصالح المناسبة للوقت والحال، وتقديم درء المفاسد على جلب المصالح.

ومن أهم أصولـها وجوب الشـورى، ومن الأصول المجـمع عليهـا وجوب تغيير المنكر على كل مسلم بالغ عالم بالمنكرات، ولولا تغيير المنكر ما استقام للبشر ملك- لأن الوازع ضرورى لبقاء النوع الإنسانى ولو ترك ذلك الوازع يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد لم تظهر ثمرة وجوب نصبـه على الأمة لبقاء الإهمال بحاله - فلا بد للوازع المذكور من وازع له يقف عنده إما شرع سمـاوى أو قانون معقول، وكل منهما لا يدافع عن حـقوقه إن انتهكت - فلذلك وجب على علماء الأمـة وأعيان رجالها تغـيير المنكرات، فالمغيرون للمنكر فى الأمـة الإسلامية تتقيـهم الملوك كما تتقى ملوك أوربا المجالس وآراء العامة الناشئـة عنها وعن حرية المطابع - ومقصود الفريقين واحد، وهو الاحتساب على الدولة لتكون سيرتها مستقيمة.

قال ابن خلدون فى فصل الإمـامة من مقدمته: إن الملك لما كـان عبارة عن المجتمع الضرورى للبشر ومقتضاه التغلب والقهر اللذان هما من آثار القوة الغضبية المركبـة فى الإنسان، كانت أحكام صاحـبه فى الغالب على مـا ليس فى طوقهم، فتعسر طاعته بذلك، وتجىء العصبـية المفضية إلى الهرج والقتل، فوجب أن يرجع فى ذلك إلى قوانين سيـاسية مفروضة يسلـمها الكافة وينقادون إلى أحكامهـا كما كان ذلك للفرس وغـيرهم من الأمم، وإذا خلت الدولة من مثل هذه السـياسة لم يستـقم أمرها ولا يتم استيـلاؤها، فإذا كانت هذه القـوانين مفروضة من العـقلاء وأكابر الدولة وبصائرها كانت سياسة عقلية، وإذا كان فرضها من الله تعالى بشرع يقررها كانت سـياسة دينية نافـعة فى الدنيا والآخرة -. . . أجل نفـعها لا يتم إلا ببقـائها محـترمة بـصونها، والذب عن حـوزتها بمثل الأمر بالمـعروف والنهى عن المنكر:

فمن ثـم وجب أن نجزم أن مشـاركة أهل الحل والعـقد للملوك فى كـليات السيـاسة مع جعل المسـئولية فى إدارة المملكة على الوزراء المبـاشرين لها بمقـتضى قوانين مضبوطة مراعى فيها حال المملكة، أجلب لخيرها وأحفظ له.

قال ستورد الإنجليزى فى تاريخه: «إن رفعة شأن الأمة الإنكليزية بلغت الغاية فى مدة الملك جورج الثالث الذى كان مجنونا وما ذلك إلا بمشاركة أهل الحل والعقد ومسئولية الوزراء لهم».... فتبين أن المملكة التى لا يكون لها قوانين ضابطة محفوظة برعاية أهل الحل والعقد خيرها وشرها، منحصر فى ذات الملك وبحسب اقتداره واستقامته يكون مبلغ نجاحها.

قال المؤرخ الشهير تيراس الفرنسى عند ذكره عواقب الاستبداد وأن العمل بالرأى الواحد مذموم ولو بلغ صاحبه ما بلغ من الكمالات والمعارف - بعد ما ترجم لنابليون الأول بأوصافه الخاصة وألحقه فى السياسة بأفراد الرجال الذين جَادَ بهم الدهرُ فى القرون الماضية - إلى أن قال مخاطبا للفرنسيين: تعالوا نمعن النظر فى أحوال هذا الملك التى هى فى الحقيقة أفعالنا، فيستفيد منها من كان جنديا كيف ينبغى أن تقاد الجيوش، ومن كان من رجال الدولة معرفة كيف ينبغى أن تكون إدارة المملكة وكيف ينبغى أن يرتفع شأنها بدون خروج عن دائرة التواضع والرفق، إذ المعاملة متى لم تكن مصحوبة برفق وقناعة لا تتحمل، وربما يفضى ذلك إلى أسباب الاضمحلال كما أفضت إليها سيرة المذكور الذى هو أقل البشر قناعة، فبالجملة نعتبر بغلطته فنتجنبها ثم نستفيد معاشر أبناء الوطن تربية أخيرة لا يسع نسيانها، وهى أنه لا يسوغ أبدا أن يسلم أمر المملكة لإنسان واحد، بحيث تكون سعادتها وشقاوتها بيده، ولو كان أكمل الناس وأرجحهم عقلا وأوسعهم علما..

إن الذى له القدرة بحيث يستطيع أن يفعل كل ما يريد معه داء لا دواء له، وهو الشهوة الداعية لفعل كل مستطاع ولو كان قبيحا، وإذا تقرر هذا فعلى أبناء الوطن أن يتأملوا فى سيرة المذكور ويستخرج منها كل فريق ما يناسب خطته -

والأهم أمر واحد وهو أن لا يطلق أمر الوطن لإنسان واحد كائنا من كان وعلى أى حالة كان.

وقد ختمت هذا التاريخ المطول المستوعب لأحوال نصرنا وانهزامنا بهذه النصيحة بل الصيحة الصادرة عن صميم فؤادى غير مشوبة برياء راجيا بلوغها إلى قلب كل فرنسى ليتيقن جميعهم أنه لا يليق بهم بذل حرمتهم إلى أحد - كما لا ينبغى لهم الإفراط فيها حتى لا تنتهك حرمتها هـ.

وفى حكمة أرسطو أن من الغلط الفادح أن تعود الشريعة بشخص يتصرف بمقتضى إرادته.

هذا ومن تأمل هذه الترجمة ودرسها كما يجب تبين له جليا كيف كانت الرعية تعامل المترجم وهو من خيرة ملوك هذه الدولة التى لا يزال شأنها ممتدا ونفوذها مستمرا وظلها وريفا، ولست متنكبا ولا مغضيا إذا قلت - ملكا من خيرة ملوك هذه الدولة - فقد مر بك كيف انزوى وتورع عن الانتصاب لهذا الأمر مدة يبالغ فى الإلحاح عليه فيه ويخاطب بكل رغبة من أجله، ثم مرّ بك كيف كان يعطى العطاء الوافر، وكيف يحسن وفادة القادم المطيع، ويحتفى بالنزيل المخلص، وكيف كان يفزع لكل من يتوسم فيه مقدرة للعمل وأصالة فى الرأى وقوة فى الحق، فيوليه الأمر ويسند إليه النظر ويشركه السلطان.

فهل كان فاعلا ذلك ومبالغا فى الغضب إذ ينتقم من أجل إخلال بالأمور أو سير للشئون على طريقة غير منتظمة أو غير عادلة، إلا خدمة لمبدأ العدالة المنشود، ورغبة فى استتباب الأمن المرغوب، وحبا لنشر ألوية السكينة فى كل مكان، وتعميم المساواة والحق بين جميع أفراد الإنسان.

فهل كان وهو كما مر بك يأمر بعزل أبناء الروسى واحداً فآخر مثلا أو آمراً بولاية أفراد من غيرهم وآخرين من عشيرتهم إلا قاصداً أن يجد فى هذا ما ساء

الظن به فى ذاك، وهل كان يتغير ويستبد ويعمل بصرامة وشدة ما فوقها من شدة ما لم تكن دسيسة تؤثر أو مكيدة تدبر أو مؤامرة تنقل. . . إلا أن إمكن أن تفرض له من غاية غير معروفة أو قصد غير مطرد وهذا ألا أراه كما لا يراه الجمهور العاقل من غيرى.

لنرجع إلى التاريخ نفسه. فهل له أن يرشدنا إلى وقت سادت فيه السكينة وعم فيه الأمن أو وقف فيه فقط دولاب الحركات والثورات وإيقاد نيران الفتن من زعمائها وأحزابها، ثم نسائله هل كان من صاحب الترجمة أن يعمد إلى شىء من استبداد برأى أو سوء صنيع برعية؟ وهل كان إن انتهك حرمة أو أساء صنيعا أو تعمد قتلا وأسرف فيه ما لم يكن قد ضاق صدره واشتعلت أطراف الفتن والمؤامرات من كل ناحية؟

بل هذا ملك البلاد وهو على رأس السلطنة يضطر لتحمل إهانات شنيعة من زعانيف صعاليك بعد تجرع أنواع المضض من سوء السيرة وأنباء الفتن وحوادث الاضطرابات وآفات التفرق، ثم تزوج عليه نساؤه بدون موجب، ويؤخذ منه حريمه غصبا، ثم يوقف موقف السوقة مؤاخذا معاتبا من أنذال لا خلاق لهم كنت لا تجد بينهم لو اطلعت عليهم من لا تفرق بين دماغه وبين أرض البادية الخلاء البلقع محلا وجدبا، ثم ندعوه أمام التاريخ لحسابه على ما فرط، ولمؤاخذته على ما جنت يداه.

ومع ذلك فلست أنكر أن كانت للرجل مندوحة فى كثير من الأحيان وفى نظائر وأشباه من المناسبات والظروف عن تحمل مسئولية كثير من الوقائع والأخطار، وتجنب غير قليل من الحروب والمشاغبات، فقد كان يمكن أن يفض الكثير منها بحسن السياسة المستعمل فى غيرها، وجميل التدبير المتخذ فى نظائرها، وبذلك كانت تصان دماء وتحفظ حقوق وتقف اضطرابات عند حد.

ثم كان ذا نظر ثاقب فى الأمور، ومـعرفة واسعة بأحـوال شعب يتقلب فى مجالات ممتدة من الاضطراب وفقدان الثقافة وجمع الكلمة أن يعالف فى الأغلب الأكثر من وقـائع الدولة وشئون الأمة، ولكن الوقت القليل كان لا ينقـضى أحيانا إلا والأمر قـد تجدد، والشر قـد عاد وبوادر الفتنة قـد أمست تجهـر بأعلى صوت مولية وجههـا نحو مقر لم تغادره إلا من أمد قريب، فمـا ظنك بمن يئول إليه أمر هذه المسئـولية كُـلاًّ، ومن يخاطب عن هذه الوقـائع طُرّاً، فهل كـان يجد له من غالبها مخرجا إلا ضربا بشدة، وقمعا بجميع ما أوتيه من صرامة ممكنة؟

لعل مراجـع التاريخ المغربـى والمتصفح بدقـة وإمعـان لا شأن للقـصور أو الغرض فـيه، يرى من ضـرورة هذه الأحوال وقضـاء الظروف بها مـا يخفف من غلواء النقد ويبيض صحيفة من حسن القصد فى تاريخ ملكنا المترجم، مهما أملت علينا ترجمته من وقائع كلها محزن، وحوادث كلها أليم.

ثم هنالك ما لا يـسع التاريخ إهماله أو غض النظر عـنه من بحث لأحوال حاشية السلطان ونظر لبـطانة الملك، فهل كانت هذه البطانة أو الوزارة التى لا غنى عن صلاحهـا وإصلاحها موفيـة بالغرض من وجودها فى جوار صاحب التـرجمة وإعانته على خدمة أغراض الدولة ومهام الأمة؟

كلاّ وألف مرة كلا فقد مر بك متكررا معادا ما كان يحاول من انتقاء المساعد والمعين ومبالغـة فى اجتناب من لا خير ولا صلاح للرعية فـيه وفى ولايته، ثم ما كان يلاقى منهم مـن جفاء فى الطبع ولؤم فى العـشرة وكفـران للنعمة، وجـحد للواجب وتصرف شائن خائن، كله أغـراض ومطامع ذاتية لا شأن للشرف والذمة وصدق الخدمة فيها.

ومتى بربك تصلح حال أمة أو تصلح أحوال ملك وحاشيته وأعوانه ومعينوه على تدبير الأمور كلهم عابث متـمرد أو حقود مستبد أو متـصرف لنفسه وغاياته،

يحسب الناس منهم صنيعا شريفا أو يرقبون عملا مفيدا، وما هو فى ذلك من المعدودين.

فكم كان يكون صلاح الرعية والملك لو استقام المشاور وأخلص الوزير، وكرم عنصر المساعد والمعين، فما إن يولى الولاية كما تقدم فى كل موضع أو يمنح الأمر أو يشرك الحكم إلا والعبث مستحكم والاستبداد منتشر، وحبل الأغراض والمطامع ممتد مجالا بعيدا.

ثم ليت شعرى وهذه حال أمة تصادف من متبوعها ما صادفت من صرامة وشدة وطأة وقمع بمختلف وسائل القوة، ثم لا يزيدها الورد إلا عطشا، ولم يكن العلاج لها إلا مثيرا ومحرضا، فهلا كان من الضرورى أن تعامل كما عاملت وتقابل بالنظير مما فعلت؟

وهل يبقى حال شعب هكذا وريك من وقت للنظر فى أحوال صلاح أو تمهيد إصلاح فأحرى نظر أحوال خارجية أو أمور تقضى بها ضرورات المدنية، وهذه السبل متقطعة والمواصلات منعدمة، والدماء تسيل، والفتن تتوالى من كل حدب وحبل، إلا من ينصدع من بين أمس الدابر والغد المنتظر.

فلعل التاريخ كان يصارحنا بما يقلل من عظيم مسئوابة هذه النكبات والخطوب أن لو كنا لجريانها فى وقتها من الحاضرين أو لدراستها بأسبابها ووقائعها المحلية من المستوعبين، وهكذا التاريخ لا يسوغ أن نكتبه أو ننقله، فأحرى أن ننقده ما لم نكن لحوادثه ودقائقه قَلَّت أو جلّت من المتعللين، ولأحكامه وشواهده المأثورة من الجالبين.

وما القصد من ذلك إلا خدمة علم التاريخ وإحكام وضع مبانيه على ما تأسس من قواعد محكمة، وأصول مرتبة، وإلا ففيم التاريخ وقد حاد كاتبه عن

الحق وجانب الصواب أو أغـضى عن تحقيق الحقـائق وإعلان الواقع، وإن كان يهم أقرب الناس إليه وأكثرهم اتصالا به، والتصاقا بسببه.

وما أشـد ما يذكرنى هـذا بصنيع ذلك الفريق الجاهـل المتورط الذى ظن أن التاريـخ وقائع تسـرد لإرضاء زيد أو عمـرو، وحكايات تنقل لمجـرد سواد عـيون (بصـرى) معـجب أو كوفى فـخور كـلا، فالـتاريخ الحكم العـدل على الأشيـاء والأعمـال، ومصادر الرجل إن خـيرا كانت لهم صـحفا بـيضاء تبـيض وجوههم ووجوه عـترتهم يجب أن يقتـفى أثرهم فيهـا، وإلا فخزيا وسـبة تكون لهم ولمن بعدهم ممن قلدهم فيها مثلا فى سوء الصنيع وشر الأحدوثة إلى الأبد.

ولقد كـان جزاء عـدلا أن يلقى المتعنت على الـتاريخ خسـة، وينال حطة، ويصادف ضـعة، وإلا فالحـقيقـة لا تحارب، وقول الواقـع لا ينجى من وخزه إلا التنكب عن طريق الضلال، والإنابة إلى المثوبة وحسن الحال.

هذا وقد كانت مدة مقام المترجم بدار دبيبغ عشرة أعوام، وقيل سبعة، وقيل أربعة، قالوا: وقـد قتل مدة سلطنته صبـرا ما يزيد على سبعين ألف نسـمة، قتل منها فى يوم واحد خمسمائة وخمسين، قالوا: وقد كان يعطى عطاء من لا يخشى الفقر من النقود الذهبـية والفضية والكراع والضياع والأثاث والثيـاب الفاخرة وغير ذلك مما أشرنا لبعضه.

مشيـخته: منهم أبو محـمد عبد الله المنجـرة، عن والده أبى العلاء إدريس بأسانيده المتصلة فى فهرسته.

الآخذون عنه: منهم ولده أبو عبد الله محمد المتبوئ عرش الملك من بعده، أخذ عنه دلائل الخيرات.

خلفاؤه: بمراكش أبو عبد الله محمد، وبرباط الفتح أبو العباس أحمد ولداه.

حجابه: منهم عبد الوهاب اليمورى.

أطباؤه: منهم أبو اليمن عبد الوهاب أدراق.

عماله: منهم الباشا بوسلهام، وحمدون الروسى، وولده البادسى، وابن المجاطية، وبوعزة مولى الشربيل، ومحمد بن عمر الوقاش على تطاوين، وبوسلهام الغرباوى الحمادى على بنى مالك، ومحمد الحبيب المالكى الحمادى كان على سفيان وبنى مالك والخلط وطليق، وسليمان بن الرغاى، وأحمد بن على الريفى، وأبو عبد الله محمد بن على بن كنتى الزمورى، ومحمد واعزيز على البرابر وكان بينه وبين السلطان محبة ووداد كبير، حتى إن السلطان كان يناديه بيا أبت، وعبد الخالق عديل بفاس المتوفى ليلة الأربعاء ثالث عشرى ذى القعدة عام ١١٥٨، وعبد القادر عديل، وعلى بو طيب، وعبد الله بن محمد المعروبى السفياني على سفيان، والحسن بن صالح الليرينى على فاس الأندلس.

ولما مات فى أوائل محرم عام ١١٦٢ ولى مكانه ابن عمه مسعود الليرينى، وقاسم ابن الأشهب، ومحمد الصفار، وأبو العباس أحمد الكعيدى، والباشا قاسم ابن وينون، وعبد المالك بن أبى شقرة، وأبو عبد الله محمد السلوى، وعبد النبى ابن عبد الله الروسى، فكاتبه الطيب بن حلوة فعبد اللطيف بن عبد الخالق الروسى، ومحمد بن على ويشى وعبد الله الحمرى.



ظهير السلطان مولاى عبد الله بتولية المسطاسى ناظرا عاما

قضاته: منهم أبو عيسى المهدى مرينو بالرباط، وأبو محمد عبد القادر بن العربى الكاملى بوخريص، وأبو يعقوب يوسف بن أبى عنان، وأبو القاسم العميرى، وعلى بوعنان، وأحمد الشدادى بفاس، والطالب بوعنان، والعميرى، ومحمد بن عبد السلام البيجرى، وعبد الوهاب بن الشيخ بمكناس، وعبد الواحد بوعنان بتازا وفاس.

محتسبوه: منهم بوعزة الزيزى بفاس، ثم محمد الريحانى، ثم عبد النبى المشرف، والطيب الريحانى، ومحمد بن زيان، وعبد العزيز الخلطى، ومحمد بن عبد السلام المحمودى.

نظاره: منهم التاودى المشاط بفاس، ولما توجه للحج أضيفت النظارة للمحتسب الطيب الريحانى، ومنهم السيد بلقاسم المسطاسى أسند إليه النظر فى أمور أحباس جميع المدن والبلدان والقرى والمداشر حسبما بهذا الظهير الصادر له فى ذلك، ونصه بعد الحمدلة والصلاة والطابع الشريف:

«كتابنا هذا أسماه الله وأعز نصره، وخلد فى دفاتر المجد أمره وذكره، بيد خديمنا وحبيب أبوابنا الأرضى، الخير الأقرب، السيد بلقاسم المسطاسى ويتعرف منه بحول الله وقوته، وشامل يمنه العميم ونصرته، أننا جددنا له به ما كان عليه من النظارة فى أمور الأحباس فى جميع الأقطار والمدن والبلدان والقرى والمداشر، وبسطنا له اليد الطولى على جميعهم بحيث لا يقصر عن البحث والتفتيش فى الأدنى والأقصى، فإن جل مهماتنا هذا الأمر الأكيد، وجعلناه العوض منا فى ذلك، فمن نازعه أو خالفه أو ناوشه فإثمه على رقبته، وإنى بفضل الله تعالى وقوته أقمته هذا المقام، على مر الليالى والأيام، فعليه بتقوى الله ومراقبته، فى

سره وعلانيته، وعليه بمحاسبة النظار وأهل التصرف فى هذا الأمر حتى يترك من أراد ويولى من أراد ومنا إليه فى التقصير، وعلى الله المعول وهو حسبنا ونعم المولى ونعم النصير، وفى منتصف جمادى الثانية عام ثلاثة وأربعين ومائة وألف».

آثاره: لم يحفظ عنه من الآثار العلمية فيما أعلم شىء غير ما نسبه إليه نسابة أهل عصره العلامة الثبت المحرر النقاد أبو عبد الله محمد الزكى الشريف العلوى السجلماسى، قال فى مؤلفه فى الأنساب الموسوم بالشجرة الزكية ما لفظه: صرف همته - يعنى المترجم - فى صناعة الملحون كان طوع يديه.

ومن آثاره التى لا زالت قائمة العين بفاس دار ادبيبغ الشهيرة التى كان أسسها واستوطن بها إلى أن وافته منيته، وكان الشروع فى بنائها أوائل محرم عام ١١٥٤، ومن بناءاته دويرة باب الريح خارج مكناسة، ومنها تنميق باب منصور العلج، وباب مسجده المعروف بجامع الأنوار.

ما خلفه من الأولاد: لم يعقب غير ولدين وبنت، أما الوالدان فهما: أبو عبد الله محمد خليفته بمراكش، وأبو العباس أحمد خليفته بالرباط المتوفى بفاس فى شعبان عام ١١٦٤، وأما البنت فهى السيدة فاطمة ربة الدار.

وفاته: توفى بمرض السل بدار الدبيبغ ليلة الخميس سابع عشرى صفر عام واحد وسبعين ومائة وألف، وتولى غسله قاضيه أبو محمد عبد القادر بوخريص. قال ابن الخياط القادرى، ودخلنا إلى داخل الدار وقرأنا عليه وأخرجناه إلى خارجها، وصلينا عليه بعد صلاة العصر فى البراح الذى بخارجها، وإمام الصلاة عليه خطيب جامع الأندلس، وإمامها سيدى محمد بن أحمد ابن الإمام سيدى محمد ابن شيخ الشيوخ سيدى عبد القادر الفاسى.

بعض ما قيل فيه من المديح: من ذلك قول بعض شعـراء دولته حسبما جاء في كناشة الوزيـر اليحمـدى التى كان صاحب التـرجمة هو الـسبب فى إحيـائها بالنسخ وإبرازها إلى الوجود فهى حسنة من حسناته:

لقـد فخـر الزمـان وكـان قدمـا ... فـخـــورا بالملوك من الفـــحـول

فـقلت له وقد أبصـرت شـمسـا ... تضـىء علـى الأباطـح والتـلول

بدت بسـعـودها فى خـيـر برج ... تدوم ولا تـعـــقب بـالأفـــول

لهـــا مـولاى عـــبـــد الله نور ... سليـل المصطفى وابن الـبـتـــول

به فـافـخـر وفى مـغناه فـانظم ... فـــلا فـخـــر كـــأبناء الرســـول

وقوله:

يمينا بمن حض الملوك على الخير ... وألبـــسهم ثوب المكارم والفـخـر

كمـولاى عبد الله خـير خليـفة ... تحلى بتـاج الملك والعـز والنصـر

له همـة تعلو على هامـة العـلا ... وتسمـو به فوق السماكـين والنسر

فـلا زال منصـورا عـزيزا مـؤيدا ... ودامت لـنا أيامـــه لمدى الـدهر

وأهدى لمـولانا أجل تحـــيـــة ... يفوق شذاها نسمة العنبر الشحرى

وقوله:

كتـاب كريم جاء من خيـر مالك ... فـصـغت به تاجـا لرأس المثـالك

وقمت بأمر الضيف إذ هو واجب ... على كل ذى عقل وجوب المناسك

وقوله:

وجـددت ديوان الكرام مـــحليـا ظبـاه بـإبريز مـذاب الســبـائك
ولو كـان فى إنسـان عـينى زينة لحللتـــه منهـــا لأرضى مـــالكى
فـيـــارب زده رفـعـة وجــلالة ليسلك فى عليـاه خيـر المســالك
وأبق لنـا والمسلمــــين وجــوده ودافع به عنـا جـمـيع المهـــالك
وصل على المولى النبى مـحمـد إمام الهدى المرفـوع فوق المسامك

وقول بعضهم:

عليك ســـلام يا ضـــيـاء العـــوالم ويا بهـجـــة الأشـراف من آل هاشم
ويا من سمـا عضبـا على كل جاهل وأصـــبح مـســـرورا به كل عـــالم
وأصـبح ظل الـله فى الأرض ناظرا إلى كـل مـــــسكـين بمـقلـة راحم
ويا من كـســــاه الله منه مـــهـــابة تذل لهـــا رغـمـا أنوف الأعـــاجم
ويا من لـه حـــزم وعــــزم وسطوة تفـــتت إرهابا قـلوب الضــــراغم
كـفـاك افـتـــخـارا أن عـزك ظاهر وجـــودك منسـى به جـــود حـــاتم
وكـون سجـاياك التى فـاح عـرفهـا ســـجـــايا الملوك الشم أهـل المكارم
لعـمـرى لقد ألقـت إليك زمامـهـا ضـروب العلا إذ كـنت أحزم حـازم
فـقـمـت على الملك المشـيـد ركنه تذود لـديه بـالقـنا والـصـــــوارم
وأغناك رب الناس عن جـمع عسكر برأى مـــصـيب للعـــســاكـــر هازم

ونفس علت فوق السماكين همة وعقل غنى عن هداية عالم

فجئت وسيل الغرب قد بلغ الزُّبى وأسواقه معمورة بالجرائم

ونار الشرور فى الفجاج تأججت فطاب لأهل البغى هتك المحارم

فدوختـه من بعد ما استنسرت به بغاة وقد طالت رعاة البهائم

فأمنتنا من كل طار وطارق وحصنتنا من كل داه وداهم

علائقه السياسية: وقفت لـه فى هذا الباب على معاهدة هذا نصـها بلفظها وحروفها:

بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على من لا نبى بعده ثم إمضاؤه (عبد الله كان الله له):

«هذه نسخة شروط الصلح والسبب بين سيدنا نصره الله السلطان الأنجد، الشريف الأسعد، سيدنا ومولانا عبد الله بن مولانا إسماعيل قدس الله روحه فى الجنة آمين سلطان مراكش وفاس ومكناسة والغرب، الإصطادوص المعظمين فى بلادهم وهم سبعة من قبائل الفلامنك مفاصلين بأمر سيدنا وتفويضه نصره الله والبشادرات فرنصصك ودون اليوزبوطلير بأمر وتفويض الاصطادوص المتاويين المذكورين مع وكيل سيدنا ومولانا نصره الله، وهو خديمه القائد محمد لوكاس، ووكيل الاصطادوص المذكورين افرنصصك بوطلير وأخيه لويز هـ.

الشرط الأول:

انبرم الصلح وتصحيح العهد بين سيدنا ومولانا عبد الله نصره الله وبين الاصطادوص المتأويين من يوم عهد الصلح يكون فيه الأمان التام، يأمن الخائف فيه الجهتين، وكلما وقع من الزمان الفايت من الكرة وغيرها فهو منسى، وهذا الصلح

دائما إن شاء الله من الجانبين ورعيتهم ومن اليوم لأمام تكون المحبة وعهد دائم بين الجانبين هـ.

الشرط الثانى:

جميع سفن الفلامنك وسفن رعيتهم المعروفين للديوان المذكور سواء كانوا نصارى أو أهل ذمة من الذين تحت أيديهم إن دخلوا مرسة من مراسى طاعة سيدنا ومولانا نصره الله بقصد الترصية خيفة من البحر أو بقصد التجارة لا يتعدى عليهم أحد، ولا يعطون سوى عشر سيدنا ومولانا نصره الله من غير أن يخرق عليهم أحد عادة جديدة، والسلعة التى تبور لهم فى البلاد بعد أن كانوا أدوا عشرها إن أرادوا يحملونها ويتراجعون بها حيث شاءوا، بل حيث يظهر لهم براً وبحراً، من غير لازم آخر يلزمهم، بوجود سيدنا نصره الله وكمال إحسانه، وكذلك إن ورد مركب من مراكبهم لبلاد من بلدان طاعة سيدنا ومولانا أدامه الله، وكانت عنده سلعة وأراد أن ينزل منها طرفًا فى تلك البلاد والباقى يسافر به لغيرها، نطلب من سيدنا أيده الله ألا يعترض أحد لذلك المركب، ولا يكرهه على نزول تلك السلعة فى البلاد التى يرضى بها، ولا يعطى إلا عشر السلعة التى نزل فى البلاد من غير معارض له فى ذلك بوجود سيدنا ومولانا نصره الله، وكل ما كان محسوبا من آلة الحرب كالبارود والعدة واللوح للسفون وما أشبه ذلك، إن جاء به مركب من مراكبهم بمرسة من مراسى سيدنا نصره الله بقصد السبب فلا يلزمهم عليه عشور بوجود مولانا وسيدنا نصره الله هـ.

الشرط الثالث:

أن جميع سفن الفلامنك التى يهيج عليهم البحر أو يفرود، من عدوهم، إن دخلوا مرسة من مراسى سيدنا ومولانا نصره الله لا يلزمهم بارود ولا مخطاف ولا غيره مما هو معلوم من لازم المراسى ووظائفها، بفضل سيدنا نصره الله، وكذلك

مراكب طاعة سيدنا إن وردت على مرسى من مراسى الفلامنك فى هذه الحالة المذكورة لا يلزمهم شىء إن شاء الله هـ.

الشرط الرابع:

أن جميع سفن الفلامنك تسافر فى البحر من غير أن يتعدى أحد عليهم فى مراكبهم فى مال ولا سلعة ولا رائس ولا بحرى ولا راكب إن كان معهم من غير الفلامنك، إذا كان تحت سنجق الفلمنك سواء كانت السلعة له أو لغيره بفضل سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الخامس:

أن جميع مراكب سيدنا القرصانية وغيرها إن تلاقوا فى البحر مع سفاين البزركان وأراد أحدهما أن ينظر بصبرط يبعث إليها رجلين من غير القدافين ينظرون ذلك، ويرجع كل أحد منهم لمركبه من غير تعدى ولا تعارض، ولا يطلع أحد منهم للسفينة إلا من يجيب رائسها، وكيف يورى له كيف هو مبين هذا الشرط يسرحه، وإن سفر مركب من مراكب سيدنا نصره الله القرصانية وغيرها يكون عنده بخط قونصوا الفلمنك المقيم بطاعة سيدنا نصره الله، فإن كان القونصوا غائبا فتجار الفلمنك، وإن لم يحضروا تجار الفلمنك فمن تجار النصارى المقمين بطاعة سيدنا نصره الله، وإن كان عنده ذلك يوريه الرائس، ولا يتعدى عليه أحد ويسرحه فى الحين والساعة هـ.

الشرط السادس:

لا يتعدى رائس ولا بحرى من أهل طاعة سيدنا نصره الله على سفن الفلمنك، ولا ينزلون منها راكبا من أى جنس كان تحت سنجق الفلمنك ولا يترامى عليه أحد هـ.

الشرط السابع:

ألا يتعدى أحد على سفاين الفلمنك التى تحرث قرصانا أو زركانا فى طاعة سيدنا نصره الله، ولا يأخذ لهم شيئا من السلعة ولا قلوع ولا غير ذلك من سائر حوايج المراكب المعلومة ولا ركابه ولا رائسه بوجود سيدنا نصره الله، ويكونون متع رءوسهم من غير أسر وأهل طاعة سيدنا نصره الله، يأخذون بأيديهم ويعينوهم إن وقع شيء من ذلك ربما تفسد السلعة أو يموت أحد من أهل ذلك المركب، فلا يضيع شيء من متاعه بوجود سيدنا نصره الله، ويدفع ذلك للرائس أو لمن له الأمر يأخذ السلعة ويعطى الأجرة لمن يعينهم، وأهل المركب يتوجهون حيث شاءوا ولا يتعرض لهم أحد هـ.

الشرط الثامن والتاسع:

ألا يأتى أحد من أهل طاعة سيدنا نصره الله ولا من طاعة الفلامنك إلى طاعة أخرى ويعمل سنجاقا غير سنجاقه، ويقرضون على من له صلحا معهم من طاعة سيدنا وطاعة الفلامنك، وكذلك أيضا بشرط الذى هو لعمالة أخرى غير الذى هو صلحا معها، وجميع سفن سيدنا نصره الله القرصانية لا تأتى لطاعة الفلمنك ولا تقرص عليها ولا على نواحيها هـ.

الشرط العاشر:

أن جميع من كان عدوا لطاعة سيدنا ويأخذ غنيمة لا يدخل بها طاعة الفلامنك يبيعها ولا غير ذلك، وكذلك من كان عدوا للفلامنك لا يدخل طاعة سيدنا نصره الله يبيع الغنيمة التى يغنمها للفلامنك، وكذلك إن كان بمرسى من طاعة سيدنا مركب من أعداء الفلامنك وكان مركب من مراكب الفلامنك بتلك المرسة السعيدة لا يتعدى عليه أحد، ولا يقربه بسوء، وإن كان مركب من مراكب

الفلامنك على سفر من تلك المرسى فلا يترك مركب العدو يسافر إلا بعد سفر الفلامنك بأربعين ساعة هـ.

الشرط الحادى عشر:

إذا أخذ الفلامنك سفينة من أعدائه وأعداء سيدنا نصره الله ودخل بها إلى مرسة من طاعته وأراد بيعها فلا يتعرض له أحد ولا ينازعه، وكلما ينزلوا من السلعة بخاطرهم فى البر يعطوا ما يلزمها من العشر من غير زيادة، وإن توقفوا على ما يقضونه من الفرشك بسعر السوق لما يأكلونه فلا يلزمهم عليه خارج بوجود سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الثانى عشر:

إن ورد مركب من قرصان الفلامنك على مراسى طاعة سيدنا نصره الله فالقونص الفلامنك يعلم به حاكم البلاد ربما يكون عنده أسير فرّ له، وإن دخله الشك وأن الأسير فرّ إلى المركب فيسأل رائس المركب هل هو هناك أم لا، ورائس المركب يقبضه له، وإن لم يكن هناك وقال له رائس المركب ما هو شىء عندى فلا يتعدى أحد على رائس القرصان ولا على القونص ولا على أحد من التجار، وإذا تحقق الخبر على ذلك الأسير وأنه هرب فى ذلك المركب من غير علم الرائس وأخفوه عنه البحرية فالقونص يكتب للاصطادوص، ويحكم فى الذى أخفاه ورب الأسير يقبض مال اليسير هـ.

الشرط الثالث عشر:

من اليوم الذى انعقد هذا الصلح لا يقع أسر على أحد من رعية الفلامنك لا نصارى ولا أهل الذمة ولا على من يكون تحت سنجاقهم، وإذا اتخذ مركب بعد ما عقد الصلح فيرجع ولا يطالبون أهله فى فدية ولا فى غيرها هـ.

الشرط الرابع عشر:

إن مات أحد من التجـار من رعية الفلامنك وترك سلعة أو متـاعا لا يتعدى عليه أحد من عمال سيدنا نصره الله ولا يأخذ من ذلك شيئا إلا إذا أوصى الهالك عليها أحدا، تـبقى فى يده سواء كان وراثه أو شريكه أو وكيله، فـإن كان حاضراً بقت بيده، وإن كـان غائبـا ولم يحضـر أو توفى القونص الفلامـنك يأخذ ذلك، ويدفعها لربابه، وإن لم يكن القـونص حاضرا فتجار الفلامنك المقـيمين فى البلاد يحزونها ويبعثونها لأربابها من غـير معارض لهم فى ذلك بوجود سيدنا نصره الله هـ.

الشرط الخامس عشر:

تجار الفلامنك المقيمين بطاعة سيدنا نصره الله من النصارى الفلامنك أو من أهل الذمة إذا جـاءوا بسلعة لا يعطون عشـرها إلا منها، وكذلك حـاكم البلاد إن كانت بيدها سلعة لا يكلفهم يأخذونها منه كرها إلا عن خاطرهم ورضاهم بذلك، وكذلـك رياس المراكب لا يحكم عليهم أحـد من حكام البـلاد يحملوا سلعـة فى مراكبهم إلى بلاد أخرى إلا إن رضى بذلك الـرائس، كذلك حاكم البلاد لا يتقف سفينة ولا رائس ولا بحرى، وقونص الفلامـنك وتجارهم لا يقبضهـم أحد فى دين أحد إلا إذا كانوا ضامنين عليه وكذلك سـفينة الفلامنك إذا تعمل زنبطوط لا يتخذ فيه لا قونص ولا تجار، وإنما القونص يكتب للاصطادوص بش يفتشوا عليها هـ.

الشرط السادس عشر:

وكـذلك النصارى الفـلامنك وأهل الذمـة منهم إن وقعت بينهم دعـوى أو خصـام أو موت أو جرح، فـالقونص الفلامنك الذى فـى يده تولية الاصطادوص يحكم بينهم هـ.

الشرط السابع عشر:

إن كان المسلم خصم مع نصرانى فحاكم البلاد مع القونص يفاصلهم، وإن وقع أمر من نصارى الفلامنك جرحوا المسلم يرفع أمرهم لسيدنا نصره الله، وهو يحكم فيهم، وإن هرب صاحب الدعوة لا يقبض فيه أحد من تجار الفلامنك ولا القونص هـ.

الشرط الثامن عشر:

أن ديوان الاصطادوص يبعثون قونص واحداً أو أكثر لطاعة سيدنا نصره الله للموضع الذى يريدون والقونص المذكور لا يتعدى عليه أحد فى ماله، ويستوصى به خيرا، وكذلك التجار المقيمين بطاعة سيدنا نصره الله وترجمانتهم وسماسرهم يطلعون للمركب الذى يريدون لطاعة سيدنا نصره الله ولا يتعدى أحد عليهم، وكذلك يسافرون فى البر للموضع الذى يريدون من طاعة سيدنا نصره الله، وكيف يريدون دفن موتاهم لا يتعرض لهم أحد ولا يمنعهم من صلاتهم المعهودة من دينهم والقونصوات والتجار هم الذين ينظرون من يصلح بهم من السماسر والترجمانات.

الشرط التاسع عشر:

إن وقع شىء مما يوجب نقضى الحكم بحساب ما يقتضيه رأيه الرشيد، أن يعلموا بواجب ذلك، وأن يؤجلوا القونص الذى بطاعة سيدنا نصره الله أجلا مبلغه ستة أشهر، بينما يجمع القونص ماله الذى يكون مفترقا من دين أو معاملة ويرجع لبلاده هو وجميع من يكون من التجار بطاعة سيدنا نصره الله بأمتعتهم وأولادهم وأصحابهم، ولا يتعدى عليهم أحد بوجود سيدنا نصره الله هـ.

الشرط العشرون:

إن كان أحـد من جنس الفلامنك راكبا فـى مركب أعداء سيـدنا نصره الله وظفر بذلك المركب سـيدنا نصره الله لا يتعـرض أحد لذلك المركب الذى هو من طاعة الـفلامنك، سـواء كان نصرانيـا أو ذميـا ولو كان تحت سنجـق العدو، ولا يتعرض أحـد لسلعته، وكذلك إن كان أحـد من طاعة سيدنا نصـره الله راكبا فى المراكب الذين هم أعداء للفـلامنك وظفر به الفلامنك لـم يأخذ أحد شيـئا لذلك المراكب الذين هو من طاعة سيدنا نصره الله لا سلعة ولا شيئا من متاعه هـ.

الشرط الحادى والعشرون:

إن تبين على أحـد أنه نقض الصلح ويسعى فى المسائل التى تكون سـببا فى ذلك وكان نصـرانيا يعلمنا به سـيدنا نصره الله ويـحكم فيه، ويرد كل مـا أخذ، وكذلك إن فعل ذلك أحد من طاعة سيدنا نصره الله يحكم فيه ويرد كل ما أخذ، ويكون الأجل فى ذلك ستة أشهر بينما يحصل الخبر ويأتى الجواب هـ.

الشرط الثانى والعشرون:

يجعل سيدنا نصـره الله علامته المباركة بموافـقة على هذا الصلح، ويجعلوا الاصطادوص علامتهم بخط العجم فى الوقت الذى يساعدوا الهوى والريح، وهذا الصلح مبدوه من يوم الكتب بعقد صحيح، وأن يأمر سيدنا نصره الله حكام طاعته ويعرفـهم بأمر الصلح ويبينوه لهم لئـلا يتعدى أحد من كـونه لا علم له بأمر هذا الصلح المبـارك مع جنس الفـلامنك، وأن يكون كل أحـد على بصيـرة فى ذلك، وكـذلك يفـعلون الاصطادوص فى جـميع طاعـتـهم بوجـود ،سيـدنا نصـره الله والسلام».

٣٨٩ - عبد الله بن عمر بن هشام الحضرمى الإشبيلى القرطبى المعروف بعبيد.

حاله: فقيه علامة مقرئ نحوى أديب شاعر، جوالة فى البلاد، ولد بقرطبة ونشأ بها ثم رحل وجال، ولقى الرجال، ثم قصد المغرب وتصدى للإقراء والتعليم، فأخذ عنه بمراكش ومكناسة، وأقام بتلمسان سبع سنين يقرئ بجامعها، ثم صدر إلى الأندلس فسكن أَلْمَرِيّة، ثم نزل مرسية وخطب بجامعها وأقرأ القرآن ثم انتقل منها بعد خمسين وخمسمائة.

مشيخته: أخذ القراءات عن أبى القاسم بن النخاس، وأبى الحسن عون الله ابن محمد، وأبى جعفر أحمد بن عبد الحق الخزرجى، وأبى بكر بن عياش بن مخارج لقيه بإشبيلية، وسمع الحديث من أبى محمد بن عتاب، وأخذ العربية والأدب عن أبى محمد بن مَتنان، وسمع بألمرية من أبى القاسم بن ورد، وأبى الحجاج بن يسعون.

مؤلفاته: منها كتاب فى قراءة ورش وقالون، قال القضاعى فى تكميل الصلة: وقفت عليه، وله كتاب الإيضاح والإفصاح، فى اختصار المصباح، وشرح مقصورة ابن دريد.

ولادته: ولد بقرطبة لتسع خلون من ربيع الأول سنة تسع وثمانين وأربعمائة، ولم أقف على تاريخ وفاته.

٣٩٠ - عبد الله بن حماد يعرف بابن زغبوش المكناسى النشأة والدار.

حاله: كان من أهل المعرفة والنباهة، دخل الأندلس، وسكن شاطبة، وخلف على بنت القاضى أبى عبد الله بن سعادة بعد وفاة محمد بن عاشر الفقيه سنة سبع وستين وخمسمائة، وولد له منها ابنه محمد قال الحافظ القضاعى فى

تكملته: ولا أعلم له - يعنى المترجم - رواية بعض خبره عن ابن سالم. قلت: وعبد الله هذا والده هو محمد بن حماد بن زغبوش، وهو الذى امتحنه يدر بن ولجوط فى سبعة من قرابته، وكان فقيها خيراً قرأ بقرطبة وغيرها، وصحب جلة من أهل زمانه حسبما تقدم فى ترجمته فى المحمدين.

وقد استقضى أمير المؤمنين أبو يعقوب بن عبد المؤمن بن على صاحب الترجمة على مدينة شاطبة وجزيرة شقرون، ومن ذلك الوقت استقر بشرق الأندلس بعض ذريته، ولما أسن رغب فى استيطان بلده فأسعفت رغبته فاستوطن داره بتاورا ولم يدخل قط تاجرارت المدينة الآن فيما زعموا أنفة منه لما أصيب به والده وقرابته من المحنة بالذبح التى صدرت لهم من يدر المذكور، وكان إذا أراد لقاء الشيخ محمد بن عبد الله واجاج تلقاه بالبحيرة التى تولى غراستها فى ذلك التاريخ، وكان فى بلده مكرما وجيها يزوره قضاته وطلبته وأعيانه.

وكان - أعنى صاحب الترجمة - بمدينة فاس يقرأ حين نزلها الموحدون وسنه يومئذ خمس وعشرون سنة، فتشوف فى أحد الأيام إلى الإشراف على محلة الموحدين، فخرج من مجلس القراءة وسط النهار وقد انصرف الناس إلى ديارهم والأسوار خالية إلا من حراسها فطلع السور ليطلع منه عليهم، فبينما هو يمشى على السور حدثته نفسه بالهبوط إليهم، فارتاد موضعا خاليا خفيا عن الحرس وربط عمامته فى إحدى شرافات السور وتقلد خريطة كتبه وتعلق بالعمامة، وكانت ضعيفة فلما ثقلت انقطعت وسقط فى الأرض واعتلت إحدى قدميه، وتسارع إليه الموحدون ورفعوه فى درقة ووضعوه بين يدى عبد المؤمن بن على، وأكرمه الموحدون وأحسنوا إليه، وكتب له عبد المؤمن صكًا بتسويغ ماله ومال أبيه، وأقام معهم يظعن بظعنهم ويقيم بإقامتهم مبرورا لديهم عزيزا عليهم، وكانوا يلحظون من يمت إليهم بسابقة أو هجرة، فلما نزلوا مكناسة ظهر بمحلتهم واتصل ذلك

بالوالى يدر بن وجـوط، وكان ذلك السبب فى قـبضـه على والده وامتـحانه إياه بالذبح فيمن قبض معه من قرابته، وقد مرت الإشارة للقضية فيما أسلفناه.

وفاته: توفى سنة أربع وتسعين وخمسمائة فى سن الثمانين.

٣٩١ - عبد الله بن محمد بن عيسى.

التادلى الأصل، الفاسى الدار، المكناسى الإقبار.

حاله: علامة متفنن، فقيه أديب، شاعر مفلق، حسن الخط جليل القدر، له رسائل وأشعار، مع شجاعة وصرامة عـرف بها، تولى قضاء مدينة فاس على عهد أبى يعـقوب اللمـتونى يوم السـبت سادس عـشر ذى الحـجة سنة تسع وسـبعـين وخمسـمائة، كما تولى قضاء بسطـة وغيرها، وكان من أعدل القضـاة، واستوطن مكناسـة ودخل الأندلس فى آخـر الدولـة اللمـتونـية، ولـقى أبا بكر بن العـربى بإشبيلية، وهم بالسماع منه فصده الفقهاء للتباعد الذى كان بينهم، وكان والده أبو عبد الله من حفاظ المذهب المالكى مشاورا بفاس.

مشيـخته: روى عن أبى بحر الأسـدى، وأبى محمد بن عـتاب، وأجازا له وهو آخر من روى عنهـما بمغرب الـعدوة، وصحب القـاضى أبا الفضل عيـاضا، ولقى ابن بشكوال فأجاز له ولم يعول إلا على ابن عتـاب، وأبى بحر، ولـم يعتمد على غيرهمـا، وبسببهـما أخذ الناس عنه كثيـراً لانفراده بهما أخـيراً، وقيل: إنه صحب أبا بكر بن الصائغ الحكيم بألمرية.

الآخذون عنه: منهم أبو عبد الله بن حـوط، وأبو عبد الله الحضرمى، وأبو الحسن بن القطان، وأبـو الربيع بن سالم، وأبو الخطاب بن خليل، وأبو عـبد الله الأزدى، وأبو الحسن الغافقى فى جمـاعة. قال ابن خليل: وكتب لى بالإجازة من مراكش.

---

٣٩١ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقتباس ٢/ ٤٢١.

شعره: من ذلك قوله مخاطبا ابن مضا.

يا غـارسـا لى ثمـار مـجـد سـقـيـتـهـا العـذب من زلالك
أخـاف من زهرهـا سـقـوطا إن لم يكن سـقـيـهـا ببـالك

ولادته: ولد سنة إحدى عشرة وخمسمائة.

وفاته: توفى بمكناسة مغربا عن وطنه سنة سبع وتسعين وخمسمائة عن سن عاليـة، وقال ابن فرتون توفى قرب الستمائة وقـد اختل عقله من الكبر كـما فى الجذوة.

٣٩٢ - عبد الله بن أبى مدين الحاجب العثمانى.

نسبة لبنى عثمان من زواوة بجاية من البـربر، ونزلوا مصمودة الغرب بجبال وزان منها.

حاله: له مـشاركة فى الفقـه، وشعر وسط، بيـته بيت فقه وكـتابه، وثروة وحجابة، استوطن سلفه قصر كتامة، وهو أول من انتقل منهم من القصر المذكور، رحل إلى مـدينة مكناسة واسـتوطنهـا، وبرز عدلا فى سـماط عـدولها لمـعرفـته بالوثائق، وكان يخالط الرؤساء وولاة الأمر، ويقول لأصحابه: لا بد لى أن أخدم السلطان، وأدبر الدول ونستولى على الأمر، فـخرج يوما من مكناسة إلى نزهة مع جماعة من الفـقهاء أصحابه، فلما أخذوا فى أطراف الحـديث قال لهم على قوله: لا بد أن أدبر الدول، فليـشـته كل واحـد منكم مـا يريد ويطلبـه منى أعطه إياه، فطلب كل واحد منهم ما فى أمله، فطلب الفقيـه ابن زغبوش قضاء بلاده مكناسة فمكنه منها لما مكنه الله تعالى من تدبير الدول، وأعطى لبقية أصحابه ما سألوه منه فى النزهة خارج مكناسة قبل اتصاله بالملوك وفاء بالعهد ورعيا لسالف الود:

إن الكرام إذا ما أيسروا ذكروا من كان يألفهم فى المنزل الخشن

ثم ارتحل لمدينة فاس واستوطنها، وتعلق بالحاجب الكاتب صاحب العلامة محمد بن محمد الكنانى حاجب يعقوب بن عبد الحق المرينى ورسوله فى أسفاره وكاتب علامته، فاختصه الحاجب الكنانى لنفسه يعلم أولاده مع أولاده الوزير عمر ابن الوزير السعود بن خرباش الحشمى، فلما علم أولاد الحاجب الكنانى القرآن وكان من أولاده الفقيه العالم الحافظ ذو الوزارتين أبو المكارم منديل بن الحاجب الكنانى، طلب عبد الله بن أبى مدين من الحاجب المذكور أن يدينه من الخدمة بدار السلطان يعقوب بن عبد الحق، فقدمه يكتب علف الخيل وجعل له على ذلك مرتب تلك الخطة وهو ثلاثون دينارا فضية فى كل شهر.

ثم طلب منه بعد ذلك بمدة أن يرقيه، فقدمه يكتب البطائق بحضرة يعقوب ابن عبد الحق فكتبها مدة إلى أن مات الحاجب الكنانى، وولى مكانه أخوه سعيد ابن محمد أبو الطيب، ثم مات أبو الطيب فولى مكانه محمد المدعو حمو بن أبى الطيب، فتخلف وخرج عن خطة الكتابة وأخذ فى الفروسية والصيد وضيع الخدمة السلطانية، ولزم ابن أبى مدين القعود فى مشور السلطان يكتب الصكوك من أول النهار إلى آخره، فشكر له السلطان ذلك ثم زاحم به السلطان حمو الكنانى، وأطلق يديه على العلامة إلى أن عزله عنها وثبت المترجم فيها - وبقى الكنانى إلى أن أدرك على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق وقتل فى خدمته بالقيروان فى عام خمسة وسبعمائة - فامتاز ابن أبى مدين بالعلامة عند يعقوب بعد أن شاركه فيها إدريس المخزومى، ويحيى الملياني، ومحمد العمرانى.

ثم تخلصت له العلامة والحجابة وتدبير الدولة مدة دولة يعقوب، ودولة ولده يوسف، ودولة عامر بن عبد الله بن يوسف، ودولة أخيه أبى الربيع سليمان، وأبو الربيع هو الذى قتله.

والسبب أن الحاجب خليفة بن إبراهيم ابن رقاصة اليهودى زاحمه فى حجابة أبى الربيع، وكان المترجم لا يفصل شيئا إلا عن إذن خليفة ومشورته، ثم إن خليفة ابن رقاصة اليهودى افتعل براءة مزورة ونسبها إلى جارية من جوارى السلطان تعلم فيها المترجم أنها تحبه، وأعطاها له اليهودى معنونة عند انصرافه إلى داره، وأمره أن يجعلها فى جيبه، وأن لا يقرأها إلا بعد وصوله لداره ففعل، فعندما جعلها فى جيبه قال لأبى الربيع خبرها فامتعض أبو الربيع لذلك، وأمر عنصال قائد النصارى بقتل ابن أبى مدين فقتله عند قبر أبى بكر بن العربى.

ثم فحص أبو الربيع عن الحكاية فوجدها مزورة، وأحضر كاتبها بين يدى السلطان وأخبره أن اليهودى أمره بكتب الرسالة عن إذن الجارية وذلك من غير أن يعلم الكاتب أن الجارية لأبى الربيع، وإنما قال له: إنها من أهل الزنى، وأنها تحب الاجتماع معه، فطلبت من اليهودى أن يكتب لها ذلك الكتاب عن إذنها فطلب اليهودى منه كتب ذلك، فكتبه خوفا من سطوته ومكانته عند الأمير، فأمره الأمير إذ ذاك أن يكتب بيده وهو ينظر ليزداد يقينا ففعل، وقوبل الخط بالخط والأمير ينظر فوجد الخط واحداً، وتيقن السلطان اختلاق اليهودى وبهته، فاشتد غيظه عليه وعظم النكير عليه، وصعب عليه ما فعل، وندم حيث لا ينفع الندم، وأمر بقتل اليهودى اللعين فقتل من يومه، بعد أن كان هذا اليهودى بلغ فى الحجابة غاية يقصر عنها الوصف، أورد ترجمته ابن الأحمر فى تأليفه فى بيوتات أهل فاس.

الآخذون عنه: منهم ذو الوزارتين الحافظ أبو المكارم منديل الكنانى.

٣٩٣ - عبد الله بن الحسن اللخمى عرف بابن الأصفر.

حاله: وصفه تلميذه الإمام أبو عبد الله محمد بن جابر الغسانى فى شرحه على منظومة التلمسانى فى الفرائض: بالشيخ الفقيه الأعدل، وذكر عنه أنه توجه إلى السلطان أبى العباس المرينى فى طلب حسبة مكناسة، فعسر عليه أمرها فنظم:

يا باسط الرزق كلَّ الـسـعى والطلب وأنت لو شـئت هان الأمر والسـبب
لكن رجـوتـك فى رزق تيـســره من حيث لم أحتسب أو حيث أحتسب

شعره: أنشد أبا عبد الله بن جابر الغسانى لنفسه:

يا مـن لديه مـفـاتح الأرزاق وله المشـيـئـة والـدوام البـاقى
كـثـر التـفـاتى للخـلائق شـاكـيـا وحـقـيـقـة الشكـوى إلى الخـلاق
فـترددى فـيـمـا لديك إلى الورى عـجـز وقد عـجـزوا على الإطلاق
لكن بسـطت رجـائى بسط مـؤمل مـتـوسل لك باسـمك الرزاق
فى عطـفـة المـلك المؤيد أحـمـد ذى الخلقـة الحـسنى وذى الأخـلاق

٣٩٤ - عبد الله بن حمد - بفتح الحاء والميم من غير ألف - من بيت بنى حمد، أحد بيوتات فاس الشهيرة.

حاله: فقـيه عالم عامل صـالح، ولى كامل فالح، متـواضع حسن الخلق، متـبرك به حيـا وميتـا، آية الله فى الزهد والورع والعبادة واتبـاع السنة، له مناقب كثـيرة، وكرامات ظاهرة شـهيرة، ارتحل من فـاس للشرق، ولقى خيـار المشايخ، فأشار عليه بعضهم باستيطان مكناسة.

قال العلامة الحـافظ سيدى العربى بن يوسف الفاسى فى تقيـيده فى العقوبة بالمال: وقد سمعنا مشايخ فاس يحكون عـمن قبلهم أن الشيخ العالم الولى سيدى عبـد الله بن حمد دفـين خارج مكناسة الـزيتون، سار بركب إلى الحج والتـزموا التزامـا يأخذونه ممن يغتـاب منهم أحدًا، فـجمعـوا من ذلك مالاً وافرًا واجـتازوا بتونس، فسألوا الشيخ ابن عرفة عن ذلك فأفتاهم بأكله هـ، أى لأن ذلك ليس من

٣٩٤ - من مصادر ترجمته: جذوة الاقـتباس ٢/ ٤٢٤، درة الحجال ٣/ ٥٣، الروض الهتون - ص١١٤، كفاية المحتاج ١/ ١٧٣، نيل الابتهاج ١/ ٢٤٧.

باب الإلزام وإنما هو من باب الالتزام، التى يقال فيها ادخلوها بسلام، وفيما جمعه أبو زيد الفاسى من تقرير والده على البخارى بعد كلام: وليس منه ما وقع لأصحاب الشيخ سيدى عبد الله بن حمد حين توجههم إلى المشرق، وأنهم تعاقدوا أن من لم يحضر الجماعة فعليه كذا، ومن اغتاب أحدًا فعليه كذا حتى جمعوا من ذلك مالاً كثيرا فتوقفوا فيه، فلما مرّوا بابن عرفة أجاز ذلك لأن هذا بموافقتهم هـ.

وكان المترجم مجاب الدعوة، وكان وزير وقته يعظمه جدا ويقضى له حوائج الناس حتى أفسد بعضهم نية الوزير فيه، فصار لا يقضى له حاج؛ فبحث عن سببه فذكر له خبر الرجل، فقال الشيخ منجلى فى منجله على كلام العامة ثم قال: اللهم خذه من حيث اطمأن، ثم قدر الله أن ذكر له الوزير شيئا من سر السلطان وخاف أن ينمه عليه فأمر بذبحه فجأة.

ومن مآثره الخالدة التالدة أحباسه الوافرة على الضعفاء والغرباء والمنقطعين وذوى العاهات، التى لا زالت تجرى عليهم من محصولاتها الجرايات مياومة ومسانهة.

وقد ترجم هذا الشيخ الإمام صاحب درة الحجال، وجذوة الاقتباس، والسودانى فى الديباج وكفاية المحتاج، والإمام ابن غازى فى روضه وفهرسته، والحافظ أبو زيد الفاسى فى بيوتات فاس، وغير هؤلاء.

قال أبو زيد الفاسى: إنهم من فريق من البربر وإنهم بيت علم وثروة هـ.

وقال فى الروض الهتون: له بيت حسب بفاس، كان ارتحل منها للمشرق[1] ولقى الأخيار من المشايخ[2] هـ.

---

(١) فى الروض الهتون: «للشرق».

(٢) الروض الهتون - ص١١٤.

ويوجد فى لوح خشب منقوش ملصق بجدار من جدرات قبة ضريح صاحب الترجمة ما لفظه بعد البسملة: هذا ضريح العارف بالله الولى الأشهر سيدى ومولاى عبد الله بن حَمَد الشريف الحسنى، نفعنا الله به، ثم ذكر سنده الآتى فى مشيخته.

قلت: ولعل معتمد شيخنا أبى عبد الله محمد بن جعفر الكتانى فى سلوته فى الجزم بكون المترجم شريفا حسنيا، هو ما فى ذلك اللوح، وهو ليس بشىء، كيف وقد ترجمة غير واحد من المحققين النسابين ولم يشر واحد منهم لكونه حسنيا، بل وقع التصريح ممن يعتمد ويرجع لقوله بأن بيت بنى حمد الشهير بفاس الذى هو منه بربر، ومن نمط ما فى اللوح المشار له ما صرح به العارف الكامل الشريف المولى عبد القادر العلمى فى بعض أزجاله الملحونة فلا تغترر به، ومعلوم أن كل فن يرجع فيه لأهله، ورب البيت أدرى بما فيه، والشرف لا يثبت شرعا بطريق الكشف.

مشيخته: أخذ عن سيدى على وفا، عن والده سيدى محمد، عن سيدى داود الباخلى، عن سيدى أحمد بن عطاء الله عن أبى العباس المرسى، عن أبى الحسن الشاذلى، عن مولاى عبد السلام بن مشيش، عن سيدى عبد الرحمن المدنى، والشيخ تقى الدين الفقير، عن الشيخ فخر الدين، عن الشيخ شمس الدين محمد، عن الشيخ زين الدين محمد العروسى، عن الشيخ أبى إسحاق إبراهيم البصرى، عن الشيخ أبى القاسم أحمد المروانى، عن الشيخ أبى محمد سعيد، عن الشيخ سعد، عن الشيخ فتح السعود، عن الشيخ سعيد الغزوانى، عن جابر بن عبد الله الصحابى، عن سيدنا ومولانا الحسن، عن جده سيد المرسلين ﷺ، هكذا هذا السند فى اللوح المشار له.

الآخذون عنه: منهم: الإمام القَوْرى، وابن الفتوح دفين روضته المترجم فيما مر، وأبو زيد القرمونى وجماعة.

وفاته: توفى بمكناسة الزيتون سنة ثلاث وثلاثين وثمانمائة على ما فى الجذوة والدرة واللوح المشار له فى جدار ضريحه، وقال الونشريسى فى وفياته: عام واحد وثلاثين هـ، وإلى الرمز لوفاته أشار صاحب الإعلام بلفظ أظلا من قوله.

موت الرضا ابن حمد أظلا … به الشجا عاينا فى (أظلا)

وضريحه مزارة شهيرة مقصودة للتبرك، مجربة لإجابة الدعاء خارج باب البرادعيين أحد أبواب الحضرة المكناسية.

٣٩٥ - عبد الله بن العريف.

حاله: فقيه عالم، عدل رضى، كان مجتهدا فى طلب العلم، ورحل لفاس وأخذ عن الأستاذ أبى زيد الجادرى مقصورة شيخه أبى زيد المكودى شارح ألفية ابن مالك فى النحو المتوفى بفاس عام واحد وثمانمائة، وموضوع هذه المقصورة مدح الجناب النبوى، وقد نكت ناظمها فيها على حازم وابن دريد حيث أخليا مقصورتيهما من مدح المصطفى ﷺ، الذى هو كنز كل ربح وغنى، وتحتوى هذه المقصورة على مائتى بيت نثنية وأربع وتسعين بيتا مطلعها:

أرقنى بارق نجد إذ سرى … يومض ما بين فرادى وثنى

أهبنى إذ هب منه موهنا … ما سد ما بين الثريا والثرى

فيا له من بارق ذكرنى … من الهوى ما كنت عنه فى غنى

أثار شوقا كان منى كامنا … بين ضلوع طال ما بها ثوى

فكان قلبى المجتوى إذ هاجه … كالزند إذ أوراه مور فورى

وسح سحب مقلتى فما بقى … نوع من الدمع بها إلا همى

ما كنت أدرى قبل أن أنفدته … أن البكا يمنعنى من البكا

إلى أن قال:

مقصورة لكنها مقصورة	على امتداح المصطفى خير الورى
ما شبتها بمدح خلق غيره	لرتبة أحظى بها ولا جرى
فاقت علاء كل ذى مقصورة	وإن هم نالوا الأيادى واللهى
فحازم قد عد غير حازم	وابن دريد لم يفده ما درى

وروى عنه وعن غيره غيرها، وظهرت نجابته، إلا أنه اخترمته المنية فى صغره كما اتفق لمعاصره أبى الفضل ابن المجراد بمدينة سلا، وكان أمر الله قدرا مقدورا.

ذكره ابن غازى فى روضه من جملة علماء حاضرتنا المكناسية وفضلائها قال: ولم أدرك هذا الفاضل، وقد كانت بيننا وبين نجله القاضى الأرضى الأعدل أبى عبد الله محبة ومؤاخاة، وكان له حسن عهد ما رأيته لغيره رحمه الله هـ.

مشيخته: أخذ عن الإمام المحدث الميقاتى أبى زيد عبد الرحمن بن مخلوف الجاردى المولود سنة ست أو سبع وسبعين وسبعمائة المتوفى بفاس سنة ثمان عشرة وثمانمائة، وقيل سنة نيف وأربعين، وقيل تسع وثلاثين والله أعلم، وأخذ عن غيره من شيوخ فاس ومكناس وقد غابت عنى وفاته حال الكتابة.

٣٩٦ - عبد الله بن محمد بن موسى بن محمد بن معطى العبدوسى - بفتح العين وضمها - الفاسى المكناسى.

قال صاحب التعلل برسوم الإسناد: فهو - أى المترجم - مخضرم فاسى مكناسى.

---

٣٩٦ - من مصادر ترجمته: توشيح الديباج - ص ٩٥، الضوء اللامع ٥/٦٧، كفاية المحتاج ١/١٧٥، نظم العقيان - ص١٢٢، نيل الابتهاج ١/٢٤٩.

حاله: إمام فقيه، عالم صالح، محدث حافظ بارع، كامل المشاركة، شيخ لجماعة الفقهاء والصوفية، انتفع به خلق فى العلمين، وأمات كثيرا من البدع، وبذل النصح للأمة، وأقام الحدود والحقوق، أكثر علمه فقه الحديث، حفظ مختصر مسلم للقرطبى فى كل خميس خمسة أحاديث، كان أبوه يعطيه عليها درهما، وكان يشترط العزل فى النكاح فراراً من الولد لفساد الزمان، وكان لا يفارق كمه الشمائل، وكان يعمل الخوص ويعطيه رجلا لا يعرف أنها له يبيعها ليتقوت بثمنها فى رمضان، وكان لا يدخر شيئا حتى إنه لما توفى لم يوجد عنده فى تركته غير برنس ودراعتين، وحسبوا ما كان يدخل عليه مع ما كان ينفقه فوجدوه أكثر من مدخوله.

ولى الفتيا بالديار المغربية، وانتهت إليه الرياسة فيها، نقل الونشريسى فى معياره جملة صالحة من فتاويه، وتولى فى آخر أمره خطابة جامع القرويين بفاس، ومناقبه كثيرة، قال فى نيل الابتهاج: جمع فيها بعض أصحابنا تأليفا ذكر فيه كثيراً. هـ. وكان راسخ القدم، آية فى الحفظ، قطبا فى السخاء، إماما فى نصح الأمة محبا فى الصالحين، معظما آل البيت. قال فى الدر النفيس: وكان يعظم الإمام إدريس بن إدريس ويزوره، وهو الذى أمر بكتب ما على المشهد الذى على قبره والثناء على شرفه.

مشيخته: أخذ عن والده ومن فى طبقته من فطاحل شيوخ وقته.

الآخذون عنه: منهم ابن آملال، والقَوْرى، وأبو محمد الورياجلى، وخلق.

مؤلفاته: منها الفتاوى المشار لها إلا أنه لم يجمعها فى ديوان، ونظم فى شهادة السماع.

وفاته: توفى فجأة وهو فى صلاة المغرب فى جمادى الثانية، وقيل ذى

القعـدة سنة تسع وأربعين وثمـانمائة، ورمز لوفـاته صاحب الإعـلام بحروف لفظ خرطم من قوله:

موت الرضا العبدوسى عبد الله   فى (خـرطم) المـمات كل سـاه

٣٩٧ - عبد الله بن محمد اليَفَرْنى.

الشهير بالمكناسى - نسبة لمكناســة الزيتون - كما صرح بذلك ابن غازى فى الروض فى فريق المترجم قائلا: ولها ينسبون.

حاله: فقيه علامة، فرضى جليل حيسوبى، كان قائما على كتاب الحوفى.

وفاته: توفى بمدينة فاس سنة ست وخمسين وثمانمائة.

٣٩٨ - عبد الله الخياط.

دفين جـبل زَرْهُون، الولى الشهـير ابن ابراهيم بن عبـد الله بن إبراهيم بن أحمـد بن إبراهيم، ينتهى نسبـه على ما فى جواهر الســماط وغيـره، إلى العارف الشهير سيدى أحمد الرفاعى الشريف الحسنى.

حاله: فقيه علامة، مدرس نفاع، كـثير الاتباع للسنة وحضور مجالس العلم والحض على التعليم، من كبـار مشايخ الصوفية المـربين الصادقين، الذين نفع الله بهم، كان له أحوال سنية، وأفـعال سنية، وشعائر مرضية، ظاهر الاسـتقامة على سنن السلف الصـالح وهديهم، يدل على الله بحاله ومـقاله، أظهـر الله على يده كرامات دالة على صحة ولايته، وصفاء طويته، وتنوير سريرته.

وكانت له زاوية عظيمة لإطعام الطعام لم يكن لأحد مثلها فى عصره، وكان موئلا لأهل العلم والدين، وموردا للضـعفاء والمساكين، وكان يربى أصـحابه كما

---

٣٩٧ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٧٦١.

٣٩٨ - من مصادر ترجمته: دوحة الناشر فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٨٥٩.

يربى المعلم الصبيان، ويحضهم على الصلاة فى وقتها، عالى الهمة، ممتع المجالسة، طيب المؤانسة، كامل العقل، سديد الرأى، جميل المعاشرة، ينزل الناس على قدر منازلهم، مراعيا للصحبة حق المراعاة وأكملها.

دخل مكناسة الزيتون فى سن الاحتلام مع ابن خالته سيدى عمر الخطاب دفين جبل زرهون، وكان يقرأ القرآن معه بها فى مكتب واحد على مؤدب واحد، ثم دخل لفاس، ولقى علماءها، ثم خرج للسياحة فلقى كثيرا من المشايخ، ثم ذهب لزرهون بإذن من شيخه سيدى أحمد الملياني، وطاف البلاد فى مقدمه، فدخل مراكش، ومَرّ بدكالة، فتادلا، ثم استقر بمكناسة الزيتون، وصحب الشيخ محمد بن عيسى الفهدى المختارى، وكانت بينهما محبة عظيمة، وموالاة كبيرة، ثم رحل لجبل زرهون، واشتغل بعبادة ربه، وتجرد لإذايته أهل القليعة من الزراهنة حتى الصبيان منهم، ثم انتقم الله منهم بدعائه عليهم، واشتهر أمره وطار صيته، وأقبل الناس عليه من كل ناحية حتى كان بزاويته ما ينيف على الألف من حملة القرآن العزيز، وكانت زاويته آهلة بنشر العلم وبثه فى صدور الرجال آناء الليل وأطراف النهار.

ومن كلامه رضى الله عنه: واعلم أنه لا يسمى العارف عارفا وله دعوى، ولا يسمى المحب محبا وله شكوى، ولا يسمى الموحد موحداً وله اعتراض، ولا يسمى السالك سالكا وله اختيار، ولا يسمى المريد مريدا وله إرادة، من لم يضبط المحسوسات، لا يقدر على ضبط المدسوسات، إذا رأيت السالك لا يفرق فى سلوكه بين الاستقامة والاعوجاج، فكفى بجهله دليلا على الاستدراج. وله كلام عال نفيس فى الطريق، وقد أُفردت ترجمته بالتأليف.

ودعى بالخياط لمسحه بيده المباركة على رجل من خدام السيد أحمد الملياني كان يستقى له الماء، فاتفق أن ضربته بقرة أحدثت فى جسده فتقا فالتأم ذلك الفتق

بمجرد وضع يد المترجم عليه كرامة له رضى الله عنه، وذلك بإذن من شيخه سيدى أحمد بن يوسف الملياني المذكور، إذ قال له لما حدث بخديمه ما ذكر خيطها له يا سيدى عبد الله بن إبراهيم الرفاعى: الله يرفع مقامك على جميع الأشياخ الحاضرين، فدنا منه، ومسح بيده المحل المصاب، فقام الرجل من حينه ليس به شيء، أفاده في جواهر السماط.

مؤلفاته: منها الفتح المبين، والدر الثمين. في فضل الصلاة والسلام على سيد المرسلين، وقفت عليه بخزانة وزان عام أربعة وأربعين وثلاثمائة وألف، في جزء وسط.

مشيخته: أخذ عن السيد الحسن بن عمر أجانا، وأحمد بن يوسف الملياني المتوفى فى العشرة الثالثة بعد التسعمائة بمليانة، وقبره مزارة شهيرة ثَمّ.

أما الطوائف المبتدعة التى تنسب إليه المعروفة باليوسفية فليسوا على شيء من أحوال الشيخ، بل هم مارقون من الدين بمعزل عن سبيل المهتدين، عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

الآخذون عنه: منهم الشيخ الصالح الناصح أبو الطيب بن يحيى اليحياوى دفين ميسور المتوفى فى ربيع الأول سنة ثمان وثمانين وتسعمائة كما فى مرآة المحاسن، ومنهم السيد محمد فتحا العائدى دفين خارج باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس المتوفى فى شهر رمضان عام أربعة وثمانين وتسعمائة، ومنهم أبو عمران موسى بن على، دفين زرهون وخلق.

ولادته: ولد بقابس سنة تسع وثمانين وثمانمائة.

وفاته: توفى مسموما سنة تسع وثلاثين وتسعمائة، ودفن بزاويته الشهيرة من جبل زرهون.

٣٩٩ - عبد الله بن إبراهيم بن الجندوز.

ابن عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن محمد فتحًا بن بهاء الدين بن الحسن بن الفضيل بن عبد الواحد بن محمد فَتْحًا بن محمد بن عبد الله بن إبراهيم بن على بن عيسى بن إبراهيم بن محمد فَتْحًا بن الحسن بن جعفر بن عبد الله بن الحسن المثلث بن المثنى بن الحسن السبط بن مولانا على، كرم الله وجهه ومولاتنا فاطمة الزهراء البتول رضى الله عن جميعهم.

هكذا وقفت على عمود هذا النسب فى نسخة شجرة نسب والد المترجم عليها تصحيحات جماعة من الأعلام، منهم: القاضى محمد الغرناطى، وأبو وكيل ميمون الفخار، وأبو وكيل ميمون الفخار، وأبو القاسم بن نعيم وبعد الكل ما نصه: الحمد لله حق حمده، وصلى الله على سيدنا محمد نبيه وعبده، أعلم بخطوط السادة عام عشرة وألف الإمام العلوى والسلطان الحسنى والجانب العالى بالله مولاى عبد الله بن مولاى زيدان ابن أمير المؤمنين أحمد الذهبى، كان الله له ولوالدية فى الدارين آمين.

حاله: نشأ فى حجر والده بجزولة من سملالة بالسوس الأقصى على ما فى الشجرة المشار لها، وكان من أهل العلم والدين والخير والصلاح والفضل، صرفه الله تعالى فى الجن فكان كل من استجار به ممن به مس الجن يعجل الله شفاءه فشهر بذلك، وأقبل الناس عليه، وأذعنوا لفضله، وعلموا مكانته عند مولاه، ولا زال ضريحه إلى الآن قرب بنى عمار أحد مداشر جبل زرهون مقصوداً عند العوام والخواص لذلك، وهو مرهم لذلك الداء قاطع.

وبعد وفاة والده رضى الله عنه، وذلك عام أربعة وتسعين وثمانمائة، انتقل إلى محروسة فاس بقصد قراءة العلم، فأقام بها اثنى عشرة سنة، ثم توجه لزاوية زَرْهُون بقصد زيارة مولانا إدريس الاكبر رضى الله عنه وأرضاه، فأقام بها أربعة

أشهر وخمسة عشر يوما، ثم ندبه بعض تلاميذه للخروج معهم لمحلهم حيث مدفنه الآن، فلبى دعوتهم واستقر به النوى هنالك، ولم يزل مقيما ثَمَّةَ، إلى أن نقله الله إليه، ولم يعقب.

وفاته: توفى سنة اثنتين وسبعين وتسعمائة، وضريحه بالمحل المذكور بجبل زَرْهُون من أشهر المزارات المقصودة للزوار، ينسل إليها الناس من كل حدب إلى الحين الحالى.

٤٠٠ - عبد الله بن أحمد بن محمد بن عبود بن على بن عبد الرحمن بن أبى العافية المكناسى الشهير بابن القاضى.

حاله: فقيه علامة، يستظهر مختصر خليل والرسالة، والألفية عن ظهر قلب.

مشيخته: أخذ عن أبى بكر السراج المولود سنة إحدى وعشرين وتسعمائة، المتوفى بفاس عام سبع وألف، وعبد الواحد اليحمدى المتوفى سنة ثلاث وألف، وأبى العباس القدومى، وأبى عبد الله بن مجبر المولود سنة ثمان وتسعين - بتقديم المثناة - وثمانمائة، المتوفى فى المحرم سنة خمس وثمانين وتسعمائة وغيرهم.

وفاته: توفى بمدينة فاس سنة سبع وثمانين وتسعمائة.

٤٠١ - عبد الله مولى الرئيس الأوحد أبى عثمان سعيد بن حكم[1].

صاحب مَيُورْقةِ بفتح الميم وضم الياء المثناة تحت وسكون الراء بعدها قاف مفتوحة فتاء.

---

٤٠٠ - من مصادر ترجمته: لقط الفرائد فى موسوعة أعلام المغرب ٢/ ٩٣٧.

٤٠١ - من مصادر ترجمته: رحلة العبدرى - ص ٢٨٠.

(١) تحرف فى المطبوع إلى: «حكيم» وصوابه من ملء العيبة ٢/ ٣٢٩، ورحلة العبدرى - ص٢٨٠.

حاله: فقيه علامة، راوية محدث، وصفه العبدرى فى رحلته بالفقه والحديث والاهتمام بالعلم والاعتناء بالرواية، قال: وقد وقفت على فهرسة شيوخه وقد شاركته فى بعض شيوخه الذين ذكرهم، قال: وقد كان فى أملى الاجتماع به ولم يقض له به هـ(١).

وقد كان بقيد الحياة سنة ثمان وثمانين، إذ سفر العبدرى كان فى الخامس والعشرين من ذى القعدة من التاريخ المذكور حسبما أفصح بذلك العبدرى فى رحلته المنقول عنها.

٤٠٢ - عبد الله بن على المعروف بالحجام الصبيحى.

دفين جبل زرهون.

حاله: شيخ صالح حسن الأخلاق متحمل أذى الخلق، وكانت له زوجة سيئة الأخلاق تؤذيه جدا، فقال له بعض أصحابه هلا طلقتها؟ فقال له: لو فعلت لابتلى بها مسلم غيرى.

وله أتباع كثيرون، ونية صالحة، ومعتقد صحيح، وأخلاق حسنة، ودين متين، مقصود للزائر، مزدحم للتسليم عليه، مشهور البركة فى الديار المغربية، صاحب كرامات ظاهرة، وأحوال خارقة، من ذلك أن رجلاً جاء لزيارته وهو لا يعرفه فوجده فى سفح الجبل فقال له وهو لا يعرفه: أين سيدى عبد الله الحجام؟ فقال له الشيخ: وما حاجتك به؟ قال: جئت أزوره لوجه الله تعالى، فقال له الشيخ: والله لا تطلع إليه إلا محمولا على ظهرى حيث كان قصدك زيارته لله تعالى فقط، فحمله على ظهره فلما بلغ به داره وعرفه نفسه وتكلم معه، قال: يا سيدى نريد منك أن تكلم حاكم البلاد فى مسألة كذا، فقال له الشيخ: قد خدعتنى، والله لتردنى على ظهرك إلى الموضع الذى حملتك منه، وكان المترجم

(١) رحلة العبدرى - ص٨٠.

٤٠٢ - من مصادر ترجمته: نشر المثانى فى موسوعة أعلام المغرب ٣/ ١٠٦٤.

جسيما فحمله إلى ذلك الموضع. قال فى الصفوة بعد إيراده هذه الحكاية: هكذا رأيت الحكاية بخط شيخنا الفقير الصوفى أبى عبد الله محمد بن عبد الرحمن، ويقال: إن ذلك وقع للزائر مع بعض قرابة الشيخ، والله أعلم.

مشيخته: أخذ عن سيدى عمر الخطابى دفين جبل زرهون عن التباع.

وفاته: توفى عام واحد بعد الألف، ودفن على رأس مدشر زاوية مولانا إدريس الأكبر المعروف الآن بخبير من جبل زرهون، وبنيت عليه قبة، وضريحه إلى الحين الحالى من أشهر المزارات المقصودة للتبرك بها.

٤٠٣ - عبد الله الجزار.

دفين الحضرة المكناسية.

حاله: سمعت من غير واحد أنه كان من كمال العارفين المتبرك بهم أحياء وأمواتا، وأن الدعاء بضريحه جربت إجابته مرارا، قال فى حقه صاحب جواهر السماط ما لفظه: كان رحمه الله ورعا سنيا، وكان فى ابتداء أمره جزارا، وكان يتورع فى البيع والشراء، فلا يشترى الغنم إلا من قوم عرف طيب مكسبهم، ثم يذبحها فيبيعها بأرجح ميزان، وما فضل له من الربح يذهب به لزاوية الشيخ الخياط - يعنى شيخه سيدى عبد الله المترجم قبل - فيفرقه على الفقراء، ثم ترك بيع اللحم ولازم الشيخ الخياط إلى أن كان منه ما كان هـ.

ولم أقف على زائد يتعلق بترجمته غير ما هو منقوش فى الخشب الذى على ضريحه بخط بارع، أخذت فى مناولته يد البلى نقلته هنا صونا له من الإتيان على باقيه، وغير ما هو منقوش فى لوح خشب أيضا ملصق بالجدار ثمة، ودونك لفظ ما هو منقوش فى الخشب الذى على الضريح:

الحمد لله العلى البارى ... ملك الملوك وفاتح الأسرار

ثم الصلاة على النبى محمد ... سر الوجود ومنبع الأنوار

وعلى الأفاضل آله وأصحابه | أهل الكمال القادة الأخيار
هذا ضريح سامى المقدار من | قد شاع فى الآفاق والأقطار
قف ضارعا متذللا تلق المنى | تكف النوائب تحط بالأوطار
إن الوقوف ببابهم أصل الغنى | ما فى وقوفك ساعة من عار
وإذا قصدت لمثل عبد الله ذا | فاقصد وسل مولاك بالجزار
وبشيخه والطائعين لربهم | أهل التقى فى حضرة ووقار
كم حاجة قضيت لمن قد أمه | والواردين ببحره الزخار
كافيا (١) | فكاك ماسور من الكفار
فعليه منى ألف ألف تحية | كالمسك نسمته مع الأزهار
(١) | من هجرة المختار

مشيخته: فى اللوح الخشبى الملصق بالجدار المشار له، أنه أخذ عن الحارثى بن موسى بن خشان (كذا) عن عبد الله موسى بن على مولى آية رأس، عن على بن قاسم الدكالى، عن موسى بن على مولى الصخرة، عن الشيخ الكامل محمد بن عيسى الفهدى المختارى، عن أبى العباس الحارثى، عن سيدى محمد بن سليمان الجزولى، عن سيدى عبد الله أمغار الشريف، عن أبى عثمان سعيد الهرتنانى، عن أبى زيد عبد الرحمن الرجراجى، عن أبى الفضل الهندى، عن عنوس البدوى، عن الإمام القرافى، عن أبى عبد الله المغربى، عن أبى الحسن الشاذلى، عن مولانا عبد السلام بن مشيش، عن أبى زيد عبد الرحمن المدنى، عن تقى الفقير، عن فخر الدين، عن أبى الحسن، عن شمس الدين، عن زين الدين

(١) فى هامش المطبوع: تلاشى أصله.

القزويني، عن إبراهيم البصرى، عن أبى القاسم المروانى، عن سعيد، عن سعد، عن فتح السعود، عن سعيد الغزوانى، عن جابر، عن سيدنا ومولانا الحسن بن على رضى الله عنهما وأرضاهما وعنا بهما آمين عن رسول الله ﷺ وشرف وكرم هـ.

وقد أغفل أخذه عن سيدى عبد الله الخياط، وعلى كل حال فقد شارك شيخه فى بعض مشيخته وإن أخذ عن تلاميذه وتلاميذهم، بل الله ثرى الجميع بالرحمة والرضوان.

الآخذون عنه: منهم سيدى أحمد حجى كما فى فهرسة الشيخ الإمام سيدى جعفر بن إدريس الكتانى المعنونة بإعلام الأئمة الأعلام وأساتيذها، بما لنا من المرويات وأسانيدها.

وفاته: توفى على ما فى اللوح المذكور أواخر الحجة سنة إحدى وستين وألف.

٤٠٤ - عبد الله بن السلطان محمد الحاج الدلائى رحمه الله.

حاله: إمام فقيه علامة مدرس، وقور حليم، جواد فياض، سخى كريم، فارس شجاع، بطل مقدام، جميل الوجه والقول، حسن السيرة والفعل، ذو سمت حسن، وحال مستحسن، وفراسة صادقة، ومؤانسة رائقة، ومعاشرة فائقة، من لدن صغره إلى كبره، وحصل من العلوم، ما يكل عنه راقم الرقوم، وله من مكارم الأخلاق، ما به كثيراً من أهل زمانه فاق، وطار صيته فى الآفاق.

ولما قلد والده ولاية المغرب ولاه بسلا عاملا فأقام بها مدة نائبا عنه فى الأحكام، وفصل معضلات الخصام، وتصدر للتدريس، وتصدى للقول بالحق والعمل النفيس.

وكان مواخيا له بها ومصاحبا، ومواليـا له أيامها ومعه كاتبا، الفقيه الأجل، البركة الأفضل، أبو مـروان عبد الملك التجموعـتى، ثم نقله والده لمكناسة الزيتون وولاه بهـا مدة، وكـان ينوب عنه تارة فى الحـروب وتارة فى غيـرها من ولايات الأحكام، وكـان قد نزل على فـاس بأمر والده حـين تخالف أهلهـا مع الدريدى، وخالفوا على والده فحاصرها مدة من الأيام وأقلع عنها.

وخرج فـيمن خـرج من الزاوية مع والده عند الوقعـة العظمى بها عـليهم، وسار فيمن سـار معهما لتلمسان، وأقام بهـا إلى أن توفى والده، فذهب للمشرق بقصد حج بيت الله الحرام، وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام.

فلمـا قضى نـسكه وطاف وزار، بقى فى المشـرق نحواً من عـامـين اثنين، وانقلب راجـعا عام خـمسـة وثمانين وألف فى جـملة من أتى معـه مسـافرا من المشرق، فلمـا قربوا من الجزائر أُخْبِـرُوا بثورة أهل تلمسان على التـرك الذين بها، ولما وصلوا للجزائر وجـدوا جيوش الترك خارجـة منها قاصدة لقتـال أهل تلمسان فخـرجوا معـهم من الجزائر، وأقـاموا فى أثناء الطريق، وتأخـروا عن القدوم مع المحلة بعد أن أوصى المتـرجم رئيس المحلة باحتـرام أولاده الذين بالعباد، وأخـبره بخبرهم فأنعم له بذلك.

وبعد أن هدأت أصوات تلـك الفتنة وخمدت نارها وتبين مـا آل إليه أمرها، توجه المترجم لتـلمسان، فوجد إخـوانه أهل الزاوية الذين كانوا بالعباد قـد رجعوا لفاس، ولم يبق أحد منهم يراعيه إلا ولده أبو العباس أحـمد، فاستقرا بالعباد، بما لهمـا من الأهل والأولاد، إلى أن لبى المترجم داعى مـولاه، وانتقل لما اختـير له رحمه الله.

مشيخته: أخذ عن والده وجماعة من جلة فحول زاويتهم الدلائية.

الآخذون عنه: منهم ولده أبو العباس أحمد وجماعة.

وفاته: توفى بتلمسان أواخر سنة ستة وثمانين، أواوائل سبعة وثمانين وألف، ودفن بالعباد، ورثاه ولده المذكور بقصيدة طنانة رنانة اشتملت على اثنين وخمسين بيتا يقول فى أولها:

ألا هل فتى مثلى كئيب أراسله ... يسائلنى عن موحشى وأُسائله

يطارحنى أحزانه وهمومه ... وأشكو له قلبا دهته بلابله

لعل التأسى يعقب القلب سلوة ... ويخمد وجداً ليس تخبو مشاعله

ويطفى بفيض الدمع حزنا تغلغلت ... بباطن أحشاء الحزين دواخله

ومنها:

فيا صاحبى ان كانت لى خير صاحب ... فساعد بجفن ليس يرقأ هامله

على من شجا المجد الصريح مصابه ... وأضحت على رغم خلاء منازله

همام حوى المجد المؤثل يافعا ... كما حازه من قبل ذاك أوائله

قضى من طلاب العز أقصى مراده ... ولو عاش ما أعياه أمر يحاوله

لهفى على موت المكارم والعلا ... بموت كريم يخجل السحب نائله

وهى مذكورة بتمامها فى البدور الضاوية.

٤٠٥ - عبد الله بن المجذوب القصرى العبدرى.

حاله: ولى صالح، دال على الله تعالى ناصح، ذو سر لائح، وبرهان واضح، متبرك به حيا وميتا، رحل إلى حج بيت الله الحرام، وفاز بنيل البغية والمرام، وقفت على رسم إراثته بتاريخ رابع جمادى الأولى عام سبعة وتسعين ومائة وألف بخطاب الشريف مولاى أحمد بن على الحسنى المترجم فيما مر.

وقبر المترجم من المزارات المكناسية المقصودة للزيارة وحصول بركة الاعتبار، عليه بناء حافل، وبإزائه مسجد تقام فيه الخمس، وأشار لذكره العفيفى الوقاد، فى هداية السائل المطبوع بمصر سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف.

وضريح المترجم من أشهر الأضرحة بمكناس بالمحل المعروف بالكدية، لم يتزوج قط، ورثه بعد وفاته شقيقة أبو فارس عبد العزيز، ثم توفى وأحاط بإرثه ولده عبد الله دعى عب الذى من أحفاده الآن، سمى جده عبد العزيز وعبد الواحد، ووالد أخيهما السيد محمد بن سميه المدعو البنضاضى، وولد أخيهما إدريس، السيد محمد وشقيقة العلمى حسبما ذلك مثبوت عندهم بإراثات وظهائر سلطانية، وقع الوقوف عليها، حين منازعة أبناء عمهم لهم فى فتوحات ضريح صنو جدهم المترجم هـ من خط بعض شيوخنا الأثبات.

مشيخته: أخذ عن الشريف مولاى الرضى اليملاحى الوازانى، وأخيه مولاى المكى دفين رباط الفتح المتوفى فى تاسع رمضان سنة إحدى عشرة مائة وخمسين، عن والدهما سيدى محمد، عن والده مولاى عبد الله الشريف، عن سيدى على بن أحمد الأنجرى، عن سيدى عيسى المصباحى.

الآخذون عنه: أخذ عنه أبو العباس أحمد التواتى فى جماعة.

٤٠٦ - عبد الله بن محمد سميه بن الخياط بن محمد فتحا بن أحمد بن إبراهيم العطار الزرهونى الوربى القليعى منشأ عرف بالخياط.

حاله: علامة مشارك، متفنن نقاد خبير، دراكة فهامة، مدرس نفاع، فقيه نوازلى، انتهت إليه رياسة التدريس والنوازل بالزاوية الإدريسية من جبل زَرْهُون، إليه كان المرجع فى كشف عويصات المسائل العلمية هنالك، وكان يخبر عن نفسه أنه كان يحسن أربعا وعشرين علما.

ومن فوائده ما وجد بخطه على هوامش أواخر نسخته من شرح شيخه التسولى على التحفة ونصه: عَايَا[1] كاتبه عبد الله الخياط سمح الله له بفضله، جملة من أحبته الطلبة وفق الله الكل بمنه، فى مسأله الخنثى يولد له من ظهره ومن بطنه معا، على ما لحافظ المذهب ابن رشد فى مقدماته، وما للشيخ خليل فى توضيحه، وهو ما نقلة شيخنا الشارح رحمه الله، بقوله:

أحاجى ذوى الحجا مفديهم بما ... لدى شرعنا نصا لذى العلم والحسب

وذاك أمرؤ يعزى له ابنان وهو أب ... وأم ووزع وأنف بينهما النسب

له إرثه من كل كالعكس ثم لا ... توارث بين ذين للفقد للنسب

وأجاب نيابة عنهم بقوله أيضا:

لك الله أيها المفدى لكلنا ... بأنفسنا والأهل والأم ثم الأب

تعاى بما لنجل رشد وخلنا ... بخنثى له الولادتان ولا عجب

فلله أبدا ما يشاء لملكه ... فسبحانه من واهب يا أخا الأدب

ومعنى قولنا ووزع أن تجعله أبا لهذا الولد وأما للآخر هـ.

مشيخته: أخذ عن الشيخ بدر الدين الحمومى، وأبى الحسن على التسولى وغيرها.

الآخذون عنه: منهم الشريف سيدى الفضل الشبيهى إمام الضريح الإدريسى وخطيبه، والشريف مولاى الحسن بن الشريف العلوى فى جماعة من الأعلام.

وفاته: توفى بالوباء بمدشر موساوة أحد مداشر زرهون، عام خمسة وتسعين ومائتين وألف، ودفن بضريح سيدى عدو خارج الزاوية الإدريسية رحمه الله.

(١) عَايَا فلانٌ: أتى بكلام أو أمر لا يُهتدى لوجهه. وصاحبَه: ألقى عليه كلاما لا يُهتدى لوجهه.

٤٠٧ - عبد الله بن العرفاوى الخيارى المكناسى.

حاله: فقيه أديب، له مشاركة فى فنون، مدرس مجود، شاعر مفلق، انتدبه بعض الفاسيين لإقراء أبنائه القرآن العظيم، فأسعف رغبته وانتقل معه لفاس، وأخذ عن جهابذتها النقاد، حتى انفتح له باب تحصيل العلوم العقلية والنقلية، وبرع وتصدر للإفادة فى القرويين وغيرها، ثم رشح من انتدبه لإقراء أولاده لوظيف بثغر طنجة، فرحل فى معيته وأقبل على بث العلم ونشره، وتعاطى خطة الإشهاد، فكان من المبرزين بطنجة، لقيته بها عند وجهتى لأداء فريضة الحج عام واحد وثلاثين وثلاثمائة وألف ناشراً للعلم مفيدا، وطالعا فى سماء النجابة والنزاهة بَدْراً سعيدا، ولم يزل جميل السيرة، محمود السريرة، إلى أن لبى داعى مولاه.

مشيخته: أخذ عن السيد فضول السوسى، والسيد فضول بن عزوز والسيد محمد القصرى، والسيد محمد بن عبد السلام الطاهرى، والسيد محمد بن الحسين العرائشى، والسيد أحمد بن الخياط الزكارى، والسيد أحمد بن الجيلانى الفيلالى، والسيد الفاطمى الشرادى، والشريف مولاى أحمد البلغيثى، وأبى محمد عبد السلام الهوارى المتوفى سنة ثمانية وعشرين وثلاثمائة وألف، والحاج محمد فتحا جنون يدعى جنيون مصغرا المتوفى عشية يوم الجمعة ثامن عشرى شعبان عام ستة وعشرين وثلاثمائة وألف وغيرهم من الأعلام.

شعره: من ذلك قوله مجيبا صاحبنا الفقيه العلامة الأديب السيد محمد فتحا ابن عبد الكبير بن الحاج السلمى الفاسى:

وافى كتابكم السعيد موشحا ... بفرائد المكتوب والنفحات

أبذرت فى قلبى الكئيب حروفه ... وسقيتها بفرات ما العطفات

طابت محبته بشمس ودادكم ... ولو أنها زرعت بأرض موات

عجل لقطف ثمارها بوصالكم قبل الفوات بدفعها العبرات

فعلى محمد الأديب تحية مارق شعر فى بديع صفات

وقوله مجيبا المذكور أيضا:

قريبا يجود الإله بجمـ ـعنا بكم فى قريب قريب

فنار بعادكم أحرقت فؤاد لمحب الكئيب الكئيب

وجسمى بمكناسة قاطن وقلبى بفاس نحيب نحيب

يحن إلى فاضل ماجد حبيب نجيد أريب أريب

فيارب جمعًا به فعسى ليلا أموت غريبا غريب

فمن بوصل بعيد انفصا ل بجاه النبى الحبيب الحبيب

عليه صلاة الإله الذى علينا عتيد رقيب رقيب

وفاته: توفى بطنجة فى شعبان عام تسعة وثلاثين وثلاثمائة وألف.

٤٠٨ - عبيد المدعو المظلوم.

دفين عاصمتنا المكناسية، ولا تعرف له ترجمة فيما أعلم، ويحكى أنه كان وشى به بعض الجهلة لسلطان وقته فأمر بضرب عنقه، فصار رأسه بعد انفصاله عن جسده ينادى: عبيد المظلوم، والله أعلم.

٤٠٩ - عبد الحق قاضيها أبو محمد بن سعيد بن محمد المكناسى.

حاله: من أهل المعرفة والحصافة[1]، قائم على كتاب ابن الحاجب فى

---

٤٠٩ - من مصادر ترجمته: نفح الطيب ٥/ ٣٥٠.

(١) فى هامش المطبوع: «مصدر حصف ككرم واستحكم عقله فهو حصيف محكم العقل والحصافة ثخانة العقل وجودة الرأى»

مذهب مالك، ممتاز به فيما دون تلمسان، كما لابن غازى والمقرى فى النفح نقلا عن نفاضة الجراب لابن الخطيب وتصدر للإقراء والتقييد فما شئت من اضطلاع ومعرفة واطلاع، وبث العلم ونشره، فأفاد وأجاد، وهو من جملة مشايخ مكناسة الذين لقيهم ابن الخطيب السلمانى.

مشيخته: أخذ عن الأخوين أبى موسى وأبى زيد ابنى الإمام رحمهما الله.

الآخذون عنه: منهم أبو العباس ابن القاضى صاحب جذوة الاقتباس وناهيك به قال: قرأت عليه الخارمة، على الرسالة الحاكمة، وأذن لى فى تحمله، وأخذ عنه صاحب نيل الابتهاج كما قال ذلك عن نفسه فى الكتاب المذكور، ولسان الدين ابن الخطيب كما فى نفح الطيب.

مؤلفاته: منها جزء نبيل على فتوى أبى بكر بن العربى المسماة بالحاكمة، سماه الخارمة.

وفاته: توفى بعد نيف وستين وسبعمائة.

٤١٠ - عبد الحق الزرهونى.

دفين جبل زرهون، وهو المعروف اليوم لديهم بسيدى بوحبق شهير الضريح بحومة خيبر، من الزاوية الإدريسية والله أعلم.

حاله: شيخ جليل، محب صادق ملهم، ذو فكر ثابت، وشوق إلى الله دائم، عظيم الإفادة بالهمة والحال، متمكن مخلص، ذو قدم ثابت، ودين متين، كثير الاتهام لنفسه، من الأولياء الأكابر الصالحين القادة الأماثل، تعرض لذكره أبو العباس أحمد بن عبد القادر التستاوتى فى يائيته التى توسل فيها إلى الله بأهل الله إذ قال فيها:

وإن جئت عبد الحق فاجنح لبابه ... بزرهون قد أمسى عن الشر نائيا

وذكر فى شرحه لها أنه معـروف بزرهون من الأكابر، وأنه دفن بحمام الحرة من مكناسة الزيتون لفظه.

قلت: الذى فى ممتع الأسمـاع وهو الأصل الذى اعتمد التسـتاوى فى نظمه المذكور كمـا أفصح هو بذلك عن نفسه، أن المترجم وهو عـبد الحق الزليجى دفن بجبل زرهون، ومثله فى ابتـهاج القلوب فى ترجمة المتـرجم، وهو الصحيح والله أعلم.

مشيخته: أخذ عن أبى العبـاس أحمد زروق، وأبى العباس أحمد الحارثى، واختص بالشيخ أبى عبـد الله الصغير السهلى المتوفى سنة ثمان عشـرة وتسعمائة، وهو أخذ عن الشيخ الجزولى.

الآخذون عنه: منهم الشيخ عبد الرحمن بن عياد المجذوب.

ولادته: ولد بزرهون فى العشرة الثامنة من القرن التاسع.

وفاته: توفى سنة إحدى وأربعين وتسـعمائة، ودفن بجبل زرهون رضى الله عنه، كذا فى ابتهاج القلوب.

٤١١ - عبد الحق أبو محمد السحيمى.

حاله: قال فى حقه صاحب الدر المنتخب ما نصه: الكاتب، الذى حمى حيد بدور أفكاره، وطار طير البـيان من أوكاره، خـاتمة أهل الأدب، وسراج من تأدب وتهذب، هـ.

وبالجملة فقد كان صدر حملة الأقلام، وواسطة عقد البلغاء الأعلام، ناظما ناثرا، محنكا خـبيرا مـاهرا، إذا نظم سحـر الألباب، وإذا نثر أتى بآيات إعـجاز وإعجاب.

شعره: من ذلـك قوله مادحا مخـدومه السلطان الأعظم سيدنـا الجد مولانا إسماعيل:

أمن أرضـهم ريح الصـبـا تتـضـوع	ومـن دونـهم بـدر الأسـنـة يلـمـع
وفى حـيـهم ثار الهـيـاج عـشـيـة	فـبات زئـير الأسـد فى الحى يسـمع
إذا ارتحلوا ليـلا فـضـوء رمـاحـهم	لهم فـيه عن ضـوء الكواكب مـقنع
وبين أسـود الغـاب بـيض أوانس	وهل فى أسـود الغـاب للناس مطمع
وعـيـشك ما أدرى وأيـن خيـامـهم	نسـاء أم الغـزلان فى الخـدر رتع
وما أنكرت عينـى من الحسن ما رأت	وإن الشـمـوس فى الهـوادج تسطع
وتحت رمـاح القـوم كل مـدجج	ظلوم غـشـوم بـالدمـاء مـدرع
إذا نظرت عـينـى غـزالا مـبـرقـعـا	أشـارت لليث فى الحـديد مـقنع
ومـا ضربوا حـمـر القبـاب عليـهم	وفـيـهم جـبـان بالـنزال يروع
وفى البلدة الحـمـراء شـمس منيـرة	تراقـبـهـا عـيناى من أين تـطلع
لها فـى سواد القلب أشـرف موضع	وليس لهـا عند الجـوانب مـوقع
فلله مـا حـملت قـلبى من الهـوى	وفـيـه كـناس للظبـاء ومـرتع
ألـم يأن لـلـحى الـذيـن تـرحلـوا	رجـوع وهل عصـر الشبـيبـة يرجع
سـقى الله أرضا حلـها نور شـمسـه	له فى الحـشا عندى شـفـيع مشـفع
ولا روع الرحـمن سـرب عـقـائل	نوازع آمـالـى إليـهـن نزع
لهن عـهـود لا تضـيع حـقـوقـهـا	ولست أرى عـهـد الكرام يضـيع
فـيـا أخت حـامى الحـى يوم نزالهم	ويا بنت مـن يدرى العـفـاة وينفع

ودادى محفوظ على عهدته ... لديكم أم الود الصميم مضيع

رعى الله أيام الشباب فإنها ... مواسم فيها للنفوس تمتع

وحى القصور الخضر صوب غمائم ... مباركة تهمى عليها وتهمع

قصور بها المنصور يحمى حقائقا ... من الدين فيها الخير للخلق أجمع

يجهز إسماعيل منها كتائبا ... تكاد قلوب الشرك منها تصدع

فلله منه النفس والحرب ترتمى ... بموج المنايا والأسنة شرع

وما افتر ثغر قبل تقبيل سيفه ... ولله سر فى الخلائق مودع

وكم ليلة باتت بها الخيل عوما ... بحورا من الظلماء والناس هجع

وما سر منه النفس غير سريرة ... يخب إلى الأعداء فيها ويربع

ولم تك أوقات الرخا تستفزه ... ولا كان يوما فى الشدائد يضرع

فلله ما ضمت ثياب أبى الفدا ... من المجد والتقوى وما هو يصنع

يباشر فى كل الأمور أموره ... بقلب نقى للمكارم منبع

أعز الإله الدين بابن نبيه ... وما أن يعز الدين الاسميذع

فيا ابن الألى سارت بمدح جدودهم ... رفاق لها بين السباسب مهيع

ألستم سراة المسلمين وأسرة ... محبتهم يوم القيامة تنفع

إذا أطعموا يوم الوليمة أشبعوا ... وإن طعنوا يوم الكريهة أوقعوا

ألستم شموسا فى الورى ووجودكم ... أمان لهم من كل ما يتوقع

إذا سدتم الأملاك شرقا ومغربا ... فما سادهم إلا النبال الموقع

وإن كان فيهم للخلافة زينة ... فمنصبكم فيها أجل وأرفع

بقيت لهذا الدين تعلى مناره ... وقدرك من بين الملوك مرفع

وقوله وقد أمر السلطان المذكور كتابه بوصف قضية حال قصها عليهم، ومراده اختبار قرائحهم، وذلك أنه كان يوما مع بعض جواريه وقد حملت سيفا وسارت أمامه:

حملت سيوف الهند وهى غنيمة ... عن حملها بلواحظ الأجفان

حسب الفتاة جلالة ومهابة ... عز الجمال مهابة السلطان

* * *

الجزء والصفحة

(حرف الألف)

رقم الترجمة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة
٥٢- أحمد بن سعيد العميرى.	١/ ٣٩٩
٥٣- أحمد بن عبد الرحمن المجاصى.	١/ ٤٠٠
٥٤- أحمد بن عبد الملك البوعصامى.	١/ ٤٠٠
٥٥- أحمد بن على العلوى.	١/ ٤٠١
٥٦- أحمد بن أحمد الحكْمِي.	١/ ٤٠١
٥٧ - أحمد العمرانى.	١/ ٤٠٥
٥٨ - أحمد المكناسى.	١/ ٤٠٥
٥٩ - أحمد بن عبد المالك العلوى.	١/ ٤٠٥
٦٠ - أحمد بن عثمان المكناسى.	١/ ٤٠٩
٦١ - أحمد بن على العلوى.	١/ ٤١٧
٦٢ - أحمد بن عزوز.	١/ ٤١٧
٦٣ - أحمد بن محمد المزيان.	١/ ٤١٧
٦٤ - أحمد بن الطيب بصرى.	١/ ٤١٩
٦٥ - أحمد بن على السوسى.	١/ ٤١٩
٦٦ - أحمد بن عبد الله بن محمد الناصرى.	١/ ٤٢٠
٦٧ - أحمد بن عبد الله الناصرى المقرئ.	١/ ٤٢٠
٦٨ - أحمد بن محمد الجبلى.	١/ ٤٢١
٦٩ - أحمد بن على الحسينى العلوى.	١/ ٤٢٢
٧٠ - أحمد بن مبارك.	١/ ٤٢٤
٧١ - أحمد بن الطاهر بادو.	١/ ٤٢٦
٧٢ - أحمد بن عمر بن العربى.	١/ ٤٢٧
٧٣ - أحمد بن موسى، وفيها من الاستطرادات:	١/ ٤٣٠

رقم
الترجمة　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　　الجزء والصفحة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة

(حرف الميم)

رقم الترجمة	الجزء والصفحة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة

رقم الترجمة		الجزء والصفحة

رقم الترجمة	الجزء والصفحة